

المسائل في أعمال القلوب والجوارح

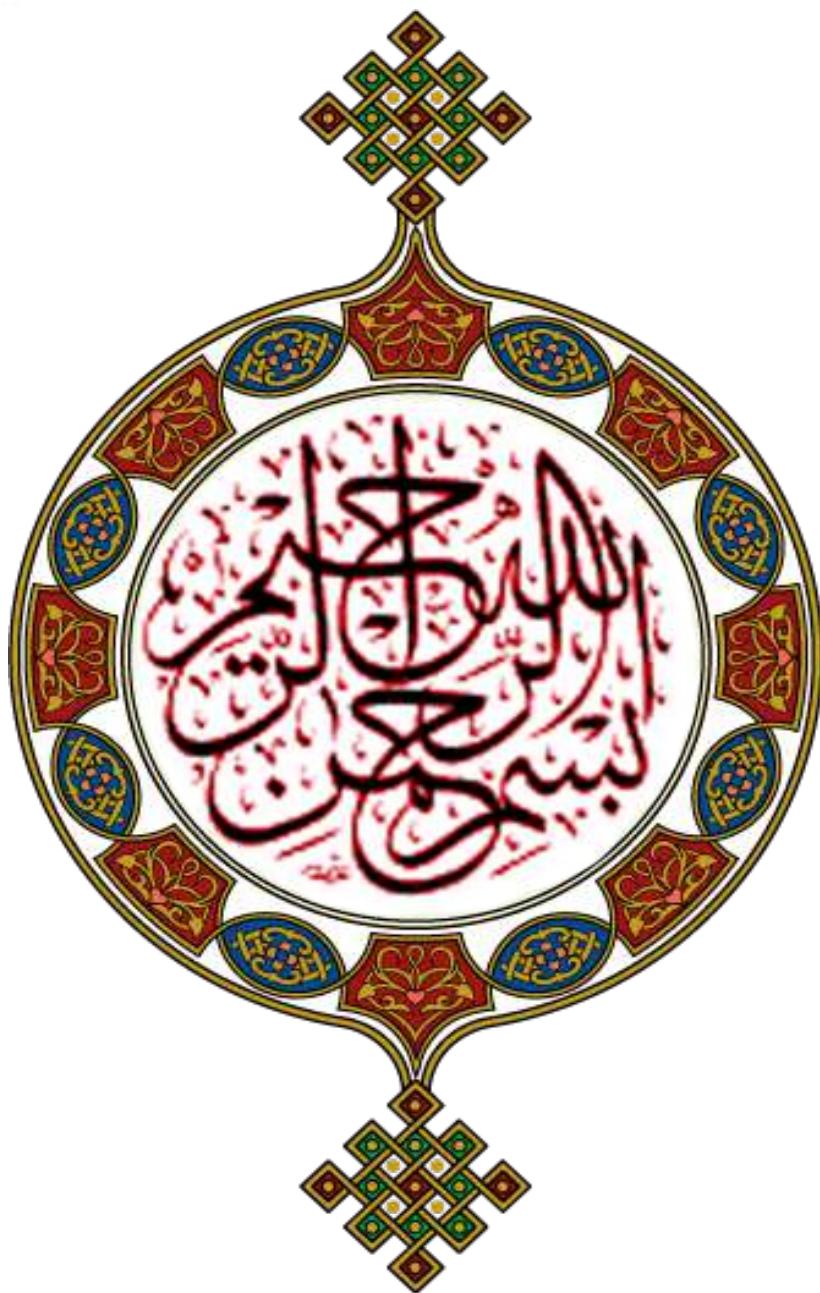
تأليف

الإمام ابن الرازي العامل بعلم المذاهب
والمناجات في عبودية النفس في أجوارها
شنبذ وشابة في التصوف
أبي سعيد الله أبا حارث بن أسطم المخاسبي
243 - 156 هـ

دراسة وتحقيق
محمد فوزي



السائل في أعمال
القلوب والجوارع



الْمَ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبُّ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْعَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ
عَلَىٰ هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنَّذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفَسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
(٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَرَادُهُمُ اللَّهُ مَرْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِمَّا كَانُوا
يَكْذِبُونَ (١٠) .

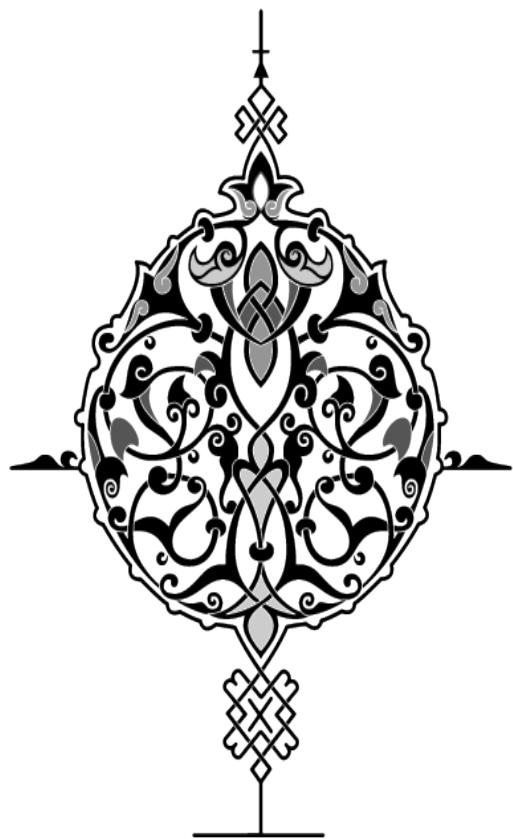
سورة البقرة: {١٠-١} ، الآية .



هذا الكتاب

إن مخطوطة أعمال القلوب والجواح هي من روائع كتب المحاسبي؛ لكونها قد منج فيها المحاسبي روعة الكلمات ما بين الفقه الإسلامي والعنصر الروحاني، لذلك كانت عصارة جهده لسنوات طويلة من فكر وعلم وثبات على نهج القرآن الكريم والسنّة النبوية، وعندما تقرأ الكتاب بتمعّن تلاحظ بوضوح أنه قد ركز على مفهوم القلب والجواح وعلاقتهما ببعض عند المؤمن في العبادة سالكًا طريق القلب قبل العقل والحواس.

وقد شَكَّلَ هذا المنحني عنده طاعة للمربيدين بالتفويض والتوكيل لرب العباد برؤيا جديدة بعيدة عن مفهوم العقل؛ لكون أن العقل عند الفلاسفة طريق إدراك النور والقلب، عند المؤمنين طريق نجاة من الهلاك، ولهذا السبب نجد أن هاجس الخشوع يلتزم به المربي القاصد لعلم الشيخ المحاسبي رحمة الله منه قراءة السطور الأولى في الكتاب، فقد جاءت بكلمات ومعانٍ معطرة ببلاغة القرآن الكريم ووعظ وسرد الأحاديث.







قائمة الإشارات

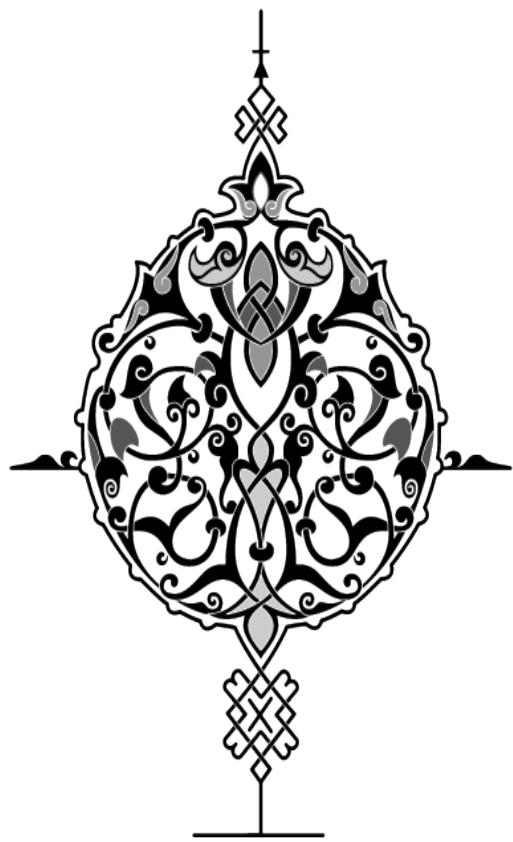
- { الآيات القرآنية
- () الأقوال من المخطوطات
- « » الأحاديث النبوية
- زيادة من المحقق
- [] نقص في الأصل
- * * مخطوطة أسمائها ورد المتن
-)) الأقوال المقتبسة من الكتب

قائمة المختصرات

- الأصل: مخطوطة جامع السليمانية اسطنبول
- الأزهر: مخطوطة المكتبة الأزهرية القاهرة
- د.ت: دون تاريخ
- د. ط: دون دار طباعة

- ت: تحقيق
- ف.ح: فحص حواشی
- أ: اعتناء وضبط
- تر: ترجمة
- ش: شرح
- ت�: تخریج
- ع. ع: علق عليه

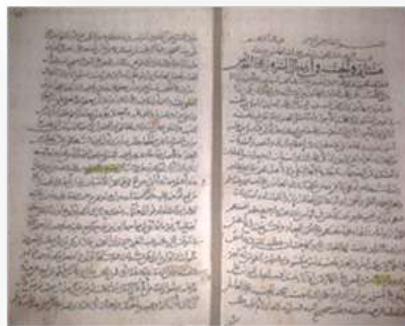




نسخ مصورة عن
خطوطة مكتبة السليمانية



غلاف كتاب المخطوطة



الصفحة الأولى من المخطوطة في مسألة الحسبة

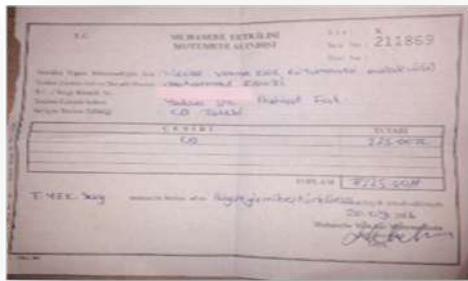


الصفحة الوسط من المخطوطة وهي مسألة بدون عنوان



المسألة الأخيرة في المخطوطة في النذور

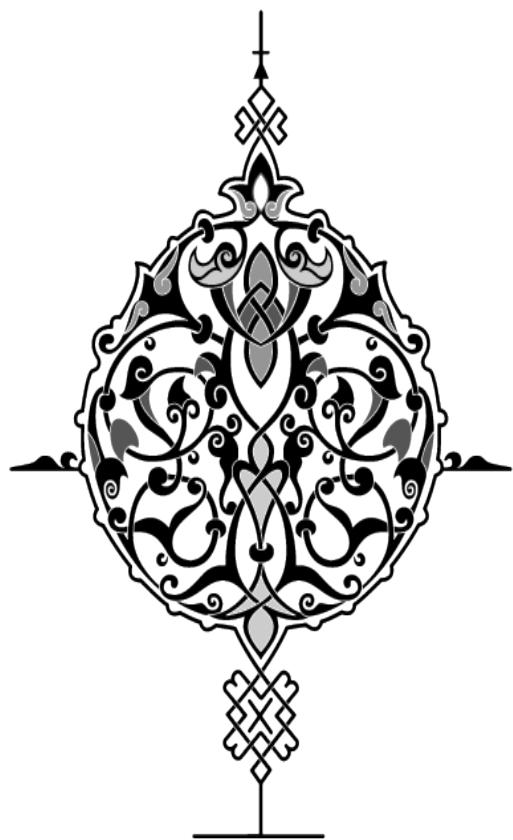
صور وصلات شراء نسخ المخطوطة



وصل شراء نسخ المخطوطة من مكتبة السليمانية إسطنبول



وصل شراء نسخ المخطوطات من المكتبة الأزهرية القاهرة



نسخ مصورة عن خطوطة مكتبة الأزهر



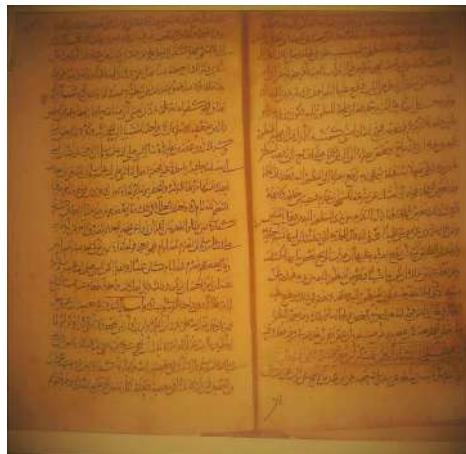
معلومات غلاف مخطوطة المكتبة الأزهرية



الصفحة الأولى من المخطوطة في مسألة الحسبة



الصفحة الوسط من المخطوطة



المسألة الأخيرة في المخطوطة مكتبة الأزهر القاهرة

الْمَسَائِلُ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ

تألِيف

الإِمَامُ الرَّاهِدُ الْعَالَمُ بِعَلْمِ الْمُعَامَلَةِ وَالْمُتَحَدَّثُ
فِي عِيُوبِ النَّفْسِ وَأَحْوَالِهَا شِيْخُ مَشَايخِ التَّصَوُّفِ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدِ الْمَحَاسِبِ

١٦٥-٢٤٣ هـ

تَحْقِيق

مُحَمَّدُ فَوْزِيُّ كَرِيمٌ

فقد قال: ((فقد انتهى إلينا: إنَّ هذِهِ الْأُمَّةُ تُفْتَرِقُ عَلَى بَضْعِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً مِنْهَا فِرْقَةٌ نَاجِيَةً))^(١)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِسَائِرِهَا فَلَمْ أَزْلِ بَرْهَةً^(٢) مِنْ عُمْرِي أَنْظُرُ اخْتِلَافَ الْأُمَّةِ، وَالْتَّمَسُ الْمَهَاجَ القَوِيمَ الْوَاضِحَ، وَالسَّبِيلَ الْقَاصِدَ وَأَطْلَبُ مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ السَّلْفُ فِي جَدَّةَ^(٤) الْإِسْلَامِ، وَاسْتَدَلَّتْ عَلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ بِإِرْشَادِ الْعُلَمَاءِ، وَعَقَلَتْ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَأْوِيلِ الْفَقَهَاءِ، وَتَدَبَّرَتْ أَحْوَالَ الْأُمَّةِ وَنَظَرَتْ فِي مَذَاهِبِهَا وَأَقَاوِيلِهَا فَعَقَلَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا قُدِرَ لِي، وَرَأَيْتُ اخْتِلَافَهُمْ بِحَرَّاً عَمِيقًا قَدْ غَرَقَ فِيهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَسَلَمَ مِنْهُ عِصَابَةً قَلِيلَةً، وَرَأَيْتُ كُلَّ صَنْفٍ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ النَّجَاهَ فِي مَذَهِبِهِمْ وَالْمَالِكَ مِنْ خَالَفُهُمْ))^(٥).

الْحَارِثُ بْنُ أَسَدَ الْمُحَاسِبِي

(١) سنن الترمذى. محمد بن عيسى: رقم الحديث : ٢٦٤١. صحيح ابن ماجه. الألبانى: رقم الحديث: ٣٢٢٦.

(٢) سائِرُهَا : أَيْ مَهَاجِيلَ. يَقَالُ لَذِكَ عِنْدَ الْمَزْرِيَةِ عَلَى الْمِثْلِفِ لِمَالِهِ. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٩٦.

(٣) بَرْهَةً: زَمْنٌ.

انظر : تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري: ج ٦، ص ١٥٨.

(٤) جَدَّة: عَظَمَة. وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {جَدَ رَبِّنَا} أَيْ عَظَمَةُ رَبِّنَا.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج ١، ص ٥٧٦.

(٥) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٢٩. أدب النقوس. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٢٠.

المقدمة

الحمدُ لله الذي فَضَل ذُوي الْعُقُول، وَمَيَّزَ الْعَالَمَ مِنَ الْجَهْوَل، وَقَدْ
الْفَاضَلَ عَلَى الْمُفْضُولِ بِمَا خَصَّهُ مِنْ حَكْمَةٍ تَسْتَيْقِظُ بِهَا الْأَلْبَابُ الْإِلَهِيَّة
وَتَسْتَقِيمُ بِهَا الْأَخْلَاقُ الْجَاسِيَّة؛ لِيَعْمَلَ الصَّالَحُ وَالْإِسْتَصْلَاحُ بِمَا فُطِرَ عَلَيْهِ
مِنْ خُلُقٍ مَطْبُوعٍ وَدُعَا إِلَيْهِ مِنْ تَخْلُقٍ مَصْنَوْعٍ، فَيَتَصَاحِبُ النَّاسُ مُؤْتَلِفِينَ
وَيَتَوَاصِلُوا مُعْتَاطِفِينَ، فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمَ وَأَهْمَمَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى الْهَادِي
أُمِّتِهِ وَمَوْضِحُ شَرِيعَتِهِ مُحَمَّدُ النَّبِيُّ وَعَلَى آلِهِ وَصَاحِبِهِ ذُوي الْمَرْوِعَاتِ وَالْكَرَمِ.

صُوفِيٌّ مُتَحَدَّثٌ بِالْوَعْظِ عَالَمٌ بِعَلَمِ الْيَقِينِ سَارَ نَبْلَ فَضَلَهُ وَتَكَلَّمَ بِهِ
الْخَلْقُ؛ فَأَرَاهُمْ الْجَوَهَرَ الْمَكْنُونَ وَشَفَتَ الْأَسْمَاعُ بَدْرَ لِفَظِيَّهِ الْمَكْنُونِ، فَهُوَ
أَحَدُ الْأَوْتَادِ كَانَتْ أَحْوَالُهُ مُصْحَحَةً مَذْكُورَةً، شِيْعُ مَشَايِخِ التَّصَوُّفِ أَبُو
عَبْدِ اللهِ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدَ الْمَحَاسِبِيِّ الْبَصْرِيِّ الْعَنْزَرِيِّ الْأَصْلِ، وَأَشَارَ نَسَبَهُ
إِلَى الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي شَبِهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، (١٦٥٢-٢٤٣٩ هـ جَرِيَّةٌ) (١).

وَقَدْ سُمِّيَ الْمَحَاسِبِيُّ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِ السِّينِ الْمُهَمَّلَةِ وَفِي
آخِرِهَا بَاءُ مُوَحَّدَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحْسَبُ نَفْسَهُ، وَقَدْ اجْتَمَعَ لَهُ عِلْمُ الظَّاهِرِ
وَالْبَاطِنِ بِكَرْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَانَ الشِّيْخُ مُهَتَّمًا بِالزُّهْدِ وَيَطَالُبُ بِمُحَاسِبَةِ
النَّفْسِ مِنَ التَّاهِيَّةِ الْدِينِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ دَاعِيًّا إِلَى التَّوْبَةِ، عَارِفُ الْعَارِفِينَ فِي
زَمَانِهِ وَأَسْتَادُ السَّائِرِينَ وَشِيْعُ الْبَغْدَادِيِّينِ (٢)، كَانَ أَحَدُ رَجَالِ الْحَقِيقَةِ

(١) انظر: تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ٤٠٠. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ٤٣٨. الأعلام. الزركلي: ج ٥، ص ٢٨١. طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٦٠. طبقات الأولياء. ابن الملقن: ص ٢٧٧. شذرات الذهب. لابن عمار: ج ٣، ص ١٩٧. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. الكواكب الدرية في طبقات الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٨. الباب في تهذيب الأنساب. الجزري: ج ٣، ص ٦٣.

(٢) انظر: تذكرة الأولياء. نيسابوري: ص ٢٩١. الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥. الأنساب. السمعاني: ج ٩، ص ٧٦. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٥٧.

الداعي إلى الإنابة لله عز وجل والراعي لحقوق الله والمقتدى بسنته رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في شرح المعرفة وبذل النصائح للعباد في فهم القرآن والصلة.

كان الوعظ لديه يشير منذ بداية حياته إلى معرفة الله عز وجل، وكان دائم الكلام حول معرفة عدو الله، وأما حواتم أحاديثه كانت حول معرفة النفس الأمارة بالسوء، كانت لديه مقدمات في الكتب تشير في خط مستقيم واحد، فهو المسترشد للمريدين والقائل: (من عمل الأعمال بما سمع فقدم عمل بأخلاق الأولياء عليهم السلام) (١)، كان سالك لطريق الخلوات مع رب العظيم، ناصح بتصائح الورع والتي دقت فوصفها بالمجانبة لكل ما يكرهه الله عز وجل من فعل القلب وعمل الجوارح (٢).

لقد نصح العباد بالوقوف بين يدي الله ومناجاته بخشوع وتضرع من خلال فهم السنن لأنها آداب النقوش ودواء فتن القلوب، دقة الوصف في العقل لتجنب الفتنة، فقال عنه: (إنه غريزة وضعها الله في أكثر خلقه، فمن عرف ما ينفعه مما يضره في أمر دنياه عرف أن الله تعالى قد من عليه به الذي سلب من أهل الجنون) (٣).

وقد أعطى أيضاً وصفاً عظمة الله الخالق سبحانه في الخلق بكلماتٍ موجزةٍ ومفهوميةٍ بسيطةٍ للمريدين، فقال: ((إن الخلق كحلقة واحدة، إذا انفك منها واحدة تعطلت جميعها من الرباط، ولذلك جعلهم متصلين بعضهم ببعض لأنهم صنعة واحدة)) (٤).

كان أشد الناس محاسبةً لنفسه، ويحث المؤمنين في المكاسب والشبهة وبيان مباحثها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها، تطلع في الرد على بعض العلماء من الأغنياء وحثهم على بيان فرض التوكل على الله عز

(١) طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج ١، ص ١٧٥.

(٢) مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. الحارث بن أسد المحاسبي: ص ١٢٩.

(٣) مخطوطة كتاب الزهد. الحارث بن أسد المحاسبي: ص ١١٢.

(٤) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفهاني. لأبي نعيم الأصفهاني: ج ١٠، ص ٧٤.

وَجَلَّ الَّذِي تَجْمَعُ فِيهِ خَوَاصُ الْخَلْقِ وَعَوَامِهِمْ، وَسَبَحَانَهُ الَّذِي رَبَطَ التَّوْكِلَ بِالْحَرْكَةِ فِي كَسْبِ طَلْبِ الرِّزْقِ، وَاتَّضَحَ أَنَّ الشَّيْخَ الْمَحَاسِبِيَّ الْزَاهِدُ رَحْمَهُ اللَّهُ قَدْ اعْتَزَلَ الْخَلْقَ وَأَخْتَفَى مِنَ الْمَرِيدِينَ فِي أَوَّلِ أَخْرِ حَيَاتِهِ بِخَلْوَةِ طَوِيلَةِ فِي الْثَالِثَةِ وَالسَّتِينِ مِنْ عُمْرِهِ، وَقَدْ رَجَعَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِمَدِّهِ قَلِيلَةً لِيُرْشِدَ الْمَرِيدِينَ إِلَى الْاقْتِدَاءِ بِالْطَّرِيقِ الصَّحِيحِ فِي الْخَلْوَاتِ وَالنَّهَاجِ الَّذِي يَتَّبِعُ فِي الْعِبَادَةِ.

وَقَدْ رُوِيَ أَبُو بَكْرُ بْنُ هَارُونَ بْنَ الْمَجْدِرِ قَالَ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي ثُورٍ يَقُولُ: حَضَرْتُ وَفَاءَ الْحَارِثَ فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ رَأَيْتُ مَا أُحِبُّ تَبَسَّمَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُ غَيْرَ ذَلِكَ تَبَيَّنَ فِي وِجْهِي، فَتَبَسَّمْتُ ثُمَّ مَاتَ^(١).

لَقَدْ تُوفِيَ الشَّيْخُ الْمَحَاسِبِيُّ سَنَةَ (٤٣٢ هـ) وَقَدْ دُفِنَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ تَلَامِيذُهُ، وَهُمْ عَلَيْهِ التَّصَوُّفُ فِي الْقَرْنِ الْثَالِثِ الْهِجْرِيِّ، وَمِنْهُمْ: الْجَنِيدُ الْبَغْدَادِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِيمُونٍ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي ثُورِ سُرِيُّ السَّقْطَيِّ. كَانَ زَاهِدًا حَتَّى فِي مَوْتِهِ؛ فَكَانَ يَكْفِيُهُ أَرْبَعَةُ مِنَ الْمَتَصُوفَةِ فِي دُفْنِهِ عَلَى حَشْوَدِ عَامَّةِ النَّاسِ رَحْمَهُ اللَّهُ، دُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ بَابِ الدِّيرِ الْعَتِيقَةِ فِي جَانِبِ الْكَرْخِ بِبَغْدَادِ، وَالَّتِي سَمِّيَتْ فِيهَا بَعْدَ بِمَقْبَرَةِ الشَّيْخِ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ وَيَتَّضَعُ أَنَّ مَكَانَ الرَّبِّيَّةِ قَدْ اخْتَذَتْهُ الصَّوْفِيَّةُ فِيهَا بَعْدَ تَرْبَةَ لِرَاقِدٍ مَشَايِخَ الصَّوْفِيَّةِ.

كَانَ الشَّيْخُ الْمَحَاسِبِيُّ صَاحِبُ الْإِحْسَاسِ الْمَرْهُفِ بِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْدِينِ، وَمِنَ الْمَشْهُورِ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَحْفُظًا إِذَا مَدَّ يَدُهُ إِلَى طَعَامِ فِيهِ شَبَهَيْهِ؛ يَتَحَرَّكُ فِي إِصْبَعِهِ عَرَقٌ فَيَمْتَنَعُ عَنْ تَنَاوِلِهِ^(٢)، لَقَدْ كَانَ مَنْهَجًا لِلزَّهَدِ، وَاتَّضَحَ مِنْ الْكِتَابِ أَنَّ الْإِمَامَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ كَانَ أَعْقَمُهُمْ أَثْرًا فِي فَكْرِهِ^(٣).

لَقَدْ اسْتَطَاعَ الْمَحَاسِبِيُّ بِكَلَامِهِ وَعِلْمِهِ فِي الْوَعْظِ وَالْكَلَامِ أَنْ يُخْرِجَ التَّصَوُّفَ مِنْ فَوْضِيِّ التَّشْتُتِ إِلَى الْأَحْكَامِ الْعَامَّةِ، فَهُوَ فِي زَمْنِهِ مَرْجِعٌ

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) انظر: مرأة الجنان وعبرة اليقظان. اليافي: ج ٢، ص ١٠٦. الرسالة الفشيرية. عبد الحليم محمود: ص ٥٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٣.

الأولياء في جميع الفنون^(١)، كان المعلم الوعاظُ الزاهدُ ذا مكانةٍ مرموقةٍ في بغداد، شافعي المذهب متحدث في الفقه من الذين جالسو الشافعي وخلو بصحبته وبحل العقد الفريد، فهو يعد من الطبقة الأولى؛ أي عاصره وأخذ عنْه واختار مذهبُه في السنة^(٢).

قالُ الشِّيخُ الْمَحَاسِبِيُّ عَنِ التَّصَوُّفِ: ((الْتَّصَوُّفُ، الْأَخْذُ بِالْأَصْوَلِ، وَتَرْكُ الْفَضْوِلِ، وَالْخِيَارُ مَا اخْتَارَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))^(٣).

إنَّ الْمَحَاسِبِيَّ كَانَ أَشَدَّ مَعَاصِرِهِ إِنْقَانًا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، فَقَدْ تَمَّ قَبُولُ تَعَالَيمِهِ مِنَ الْفَقَهَاءِ وَالصَّوْفِيَّةِ^(٤)، وَإِنَّ فَكْرَهُ يُعْتَبُّ مِنْهَجًا لِلْأَصْوَلِ عِنْدَ أَسْلَافِ الْأَشْعَرِيَّةِ فِي إِقَامَةِ الْجَدَلِ عِنْدَهُمْ^(٥).

وَيَبْدُو أَنَّ جَمِيعَ الْمَصَادِرِ قَدْ أَشَارَتْ أَنَّ الْإِمَامَ الْغَزَالِيَّ^(٦) كَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْفَقَهَاءِ الَّذِينَ تَأَثَّرُوا بِالْمَحَاسِبِيِّ؛ حِيثُّ اعْتَمَدَ تَعَالَيمَهُ فِي كُتُبِهِ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِ وَأَكْمَلَ مَفْهُومَ عِلْمِ الْكَلَامِ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَدْ قِيلَ: أَنَّ هَذَا كَانَ سَبَبَ

(١) انظر: تذكرة الأولياء. نيسابوري: ص ٢٩٠.

(٢) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٩. تاريخ التراث العربي. فواد سرزيكين: ج ١، ص ١١٣. الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٦.

(٣) انظر: الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم الأصفهاني: ج ١٠، ص ٧٤.

(٤) وهو الشِّيخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفِ الشِّبِّارِيِّ الَّذِينَ قَبَلُوا الْمَحَاسِبِيَّ كَوَاحِدًا مِنْ ضِمْنِ الشِّبِّيْخِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ نَقَلُوا تَعَالَيمَهُمْ وَتَطَبَّقُ شَرْعًا وَفَعَالًا، وَهُمْ: الْحَارِثُ بْنُ أَسَدِ الْمَحَاسِبِيِّ، وَالْجَنْدِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَأَبُو مُحَمَّدِ رُؤْفُهُ، وَأَبُو الْعَيَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ، وَقَالَ الشِّيخُ بْنُ خَفِيفٍ عَنْ عِلْمِهِ وَقِبَوْلِهِ: لِأَلْهَمِ جَمِيعَهُمْ بَيْنِ الْعِلْمِ وَالْحَقَّانِقِ، وَالْبَاقِونَ سَلَّمُوا إِلَيْهِمْ أَهْوَالَهُمْ.

انظر: الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص ٥٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٥. سيرة الشِّيخِ مُحَمَّدِ خَفِيفٍ. ت: عَلَى بْنِ مُحَمَّدِ الدَّلِيمِيِّ: ص ١٠٩.

(٥) انظر: تاريخ التراث العربي. سرزيكين: ج ٤، ص ١١٤. الملل والنحل. محمد عبد الكريم: ج ١، ص ٨١.

(٦) هو الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالى، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعيجوبة الزمان زين الدين، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وفهم كلامهم، وتصدى للرد عليهم، سار أبو حامد إلى الخيم السلطاني، فأقبل عليه نظام الوزير، وسر بوجوده، وناظر الكبار بحضرته، فانبهر له، وشاع أمره، فأولاه النظام تدريس نظامية بغداد، مات سنة ٥٥٥هـ. رحمة الله.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٣٢٢.

تقديمه^(١). واتخذت أيضاً بعض كلمات الوعظ عند المحاسبي كمنهج في القصيدة الشعرية عند علماء التصوف في المغرب العربي يُتغنّى بها وتتكلّذ الأسماء بكلامها عند الإلقاء في الحلقات الصوفية^(٢).

ولحق بهذا السرب الرائع بعض أسلاف الفقهاء المفسرين بمنهج فتح باب الشرح والتفصيل في علم الكلام مُستندين على كلام المحاسبي في تفسير آيات القرآن الكريم والاستدلال بها في كبح آفات الجحوار والنفس والرّد على كل فرقٍ ضالٍّ في عصرهم^(٣).

وامتدَّ فِكْرُ المحاسبي حتى العصر الحديث عند نهاية القرن التاسع عشر، حيث إن بعض المشايخ قد اقتبسَ فِكْرَ وَوَعْظَ المحاسبي في جميع مؤلفاته المترجمة في نهج محاربة النفس وكشف العيوب البشرية وتأملاتِ الفِكْرِ الباطنِ وانتقادِ الروحانية المزيفة، وكان منهمُ الشّيخ: ((عبد الواحد بن يحيى))^(٤)، والتي قد شكلت ظهور مؤلفاته حافزاً بارعاً للمستشرقين

(١) انظر: المتنفذ من الضلال. أبي حامد الغزالى: ص ٣١. إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالى: ص ٥٨. مؤلفات الغزالى. بدوى: ص ١١. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٩.

(٢) الكلام لوعظ المحاسبي يقول: (من أراد التلذذ بصحبة أهل الجنة ونعمتها فليقتنع بصحبة أهل الفقر)، والشعر عند الشيخ الصوفى أبو مدين الغوث المغربي يقول (ما لذة العيش إلا بصحبة القراء).

انظر: ذكرى الأولياء. النيسابوري: ص ٢٩٤. طبقات الأولياء. ابن ملقن: ج ١، ص ١٧٥. ديوان أبي مدين الغوث: ص ٤٠. أبو مدين الغوث. عبد الحليم محمود: ص ٥٢.

(٣) انظر: مذهب أهل التصوف. محمد الكلابازى، أ: آرثر جون ابرى: ص ٧١. ختم الأولياء. حكيم الترمذى: ص ١٧١.

(٤) اسمه الأصلى رينيه جينو: فيلسوف فرنسي ولادة ولد جينو في بلدة (بليوا) في ١٥ نوفمبر ١٨٨٦ م من أسرة فرنسية كاثوليكية محافظة، كانت تعيش في يُسر ورخاء، فقد كان والده مهندساً ذا شأن. وكانت تلوح عليه منذ الطفولة مخايل الذكاء الحاد، كان منظلاً إلى المعرفة.. المعرفة بمعناها الصوفى. كان يتطلع إلى السماء يريد أن يخترق الحجب، وأن يكتشف الفناء، وأن يرفع المسائير، وأن يصل إلى الحق، اعتنق جينو الإسلام سنة ١٩١٢ م وسمى باسم الشّيخ (عبد الواحد يحيى). كتب عن انحراف المسؤولية فأثار سخط المسؤولين، وأخذ يكتب عن انحراف البروتستانتية فأثار سخط البروتستانتين، وانتقد الروحانية المزيفة أثى وجدت فغضض منه الذين ينتسبون إلى الروحانية الحديثة. ولله عدة كتب، منها: مدخل لدراسة العقائد الهندية والتّيّوسوفية: تاريخ دين مزيف، الخطأ الروحي. والميّتافيقيّة الشرقيّة، تأملات حول علم الباطن، ٧ يناير سنة ١٩٥١ م. انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٦. مقالات رينيه جينو. تر: زينب عبد العزيز: ص ٨.

في تحقيق مخطوطات المحاسبي^(١).

الشيخ المحاسبي كان بارعاً في نقد المجتمع وتشخيص آفاته وكشف الأخطاء عند العلماء والنساك؛ مما سُكّل لديه إرثٌ غزيرٌ عند الباحثين والزهاد في علم النفس البشرية وموتها للأهواء الدينيّة، والذي مازال لحد الآن يُتَّظَرُ من البعض ويتعلّمون للكشف عنه^(٢).

وأوضح من المادّة المعروفة عن الموضوع أنَّ المحاسبي كان يسعى دوماً للمنهاج والفكر الصائب الواضح للمربيدين في جميع مؤلفاته والتي بلغت حوالى ((مائة مُصنف))^(٣)، والتي جاء فيها باب الإنصات في أغلب المباحث عن صفاتِ الورع ومحاسبة النفس، وكيفَ السبيل لنيل شرفِ الزهد والتخلص من آفات الدنيا والابتعاد عن الشُّبُهَة وارتداءِ خشينِ الملابس، وكلّها أمورٌ عُرِفتُ عن المحاسبي^(٤). إنَّ صفاتَ الزهد والورع لدى المحاسبي كانت سبباً في قبول علمه عند أهل التصوف؛ فعندَ اطلاعِه على أحواهم النفسيّة في الزهد والورع أقتبسَ من فوائدهم ورضي بأدبهم وكان محبًا لطاعتهم، فقال: ((فتحَ الله علينا علىَّ اتضحَ لي برهانه، وأنارَ لي فضله ورجوتُ النجاة وجعلتُهُ أساسَ ديني وبنىتُ عليه أحالي))^(٥).

(١) London orientalist: Margaret Smith. French orientalist: Louis Mission

French orientalist Halmon Ritter . British orientalist Arthur John Arberry

. German Orientalist: Josef Vin As

انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٤. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف: ص ٦٦.

(٢) انظر: طبقات الأولياء. ابن الملقن: ج ١، ص ١٧٥. الطبقات الكبرى. الشعراوي: ص ١١٣. تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج ٨، ص ٧١٤.

(٣) طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٦. الكواكب الدرية في ترجم السادة الصوفية. زين الدين مناوي: ج ١، ص ٥٨٧.

(٤) قال المحاسبي (وكل ذلك كل من عرف بزني الأغنياء فغير زيه إلى التكشف كمن عرف بلباس المروي فانقل إلى لباس الصوف واستدركه العامة على قدره حتى أنه ليشار إليه بالأصابع).

انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجواهر. المحاسبي: ص ١٢٠.

(٥) انظر: كتاب الوصايا. للمحاسبي: ص ٣١.

وأشارَ صدقُ الحدس عندَ المحاسبي في بعضِ مصنفاتهِ حولَ النزاعِ القائمَ ما بينَ مدارسِ الفقهِ والحديثِ في عَصْرِهِ^(١)، وعدمِ تطابقِ وجهاتِ النَّظرِ في بغدادِ قد جاءَتْ بمشاداتِ كلاميةٍ بينَ المدارسِ الدينيةِ^(٢)، فكانَ النزاعُ من جهةٍ بينَ أهلِ الحديثِ والفقهاءِ، ومنْ جهةٍ أخرىٍ كانَ هنالكَ نزاعٌ آخرٌ قائمٌ بينَ المعتزلةِ وأهلِ الحديثِ، واتضحَ أنَّ سببَ هذهِ النزاعاتِ الكلاميةِ هي نتِيجةٌ لتطورِ الفِكْرُ عندَ بعضِ المدارسِ وتأثُّرها بالفِكْرِ الفلسفِيِّ الغربيِّ من ناحيةِ المِجَادِلَةِ في الحديثِ، اشتَدَّتْ أواصرُهُ في عَهْدِ المحاسبيِّ، ولا يُخفى أيضًا دخُولُ العَالِمِ السياسيِّ في التأثيراتِ العِرْقِيَّةِ^(٣)، لخدمةِ الْحاكمِ باسمِ الدينِ، وتقرُّبُ بعضِ الْعُلَمَاءِ منَ الْخَلْفَاءِ أو بالعِكْسِ؛ لإطاحةِ المفهومِ الفكريِّ لبعضِ المدارسِ الأخرىِ، وقد بانَتْ هذهِ المَسَائِلُ في مصنفاتهِ، وقد قالَ المحاسبيُّ عنَّ بعضِهم: ((إذَ الْمَعْرُوفُ عنَّ الْمُحَدِّثِينَ ضيقٌ صدورُهُم بِكُلِّ مَنْ يُخْرِجُ عَنِ الْحَدِيثِ وَلَوْ قَلِيلًا عنْ أَسَانِيِّهِمْ، وَقَالَ عَنِ الْمَدْرَسَةِ الْأُخْرَى: لَا تَقْبِلُ الْحِدَالَ إِلَّا بِنَصْرَةِ آرَائِهِمْ)).^(٤) وما أُشْبِهُ الْيَوْمَ بِالْأَمْسِ.

اشتدَّتْ الْحَمْلَةُ عَلَى المحاسبيِّ في هذا العَصْر؛ لأنَّهُ كانَ شدِيدَ الْوَطَأَةِ عَلَى الْعُلَمَاءِ جَمِيعًا بَعْدَ أَنْ شدَّدَ بِوَصْفِهِمْ، فَقَالَ: (فَمِنْهُمْ فِرْقَةٌ تَغْرِي بِكُثْرَةِ الْرَوَايَةِ وَحْسِنِ الْحَفْظِ مَعَ تَضِيِّعِ وَاجْبِ حَقِّ اللَّهِ، وَتَخْيِلِ نَفْسٍ أَحَدِهِمْ إِلَيْهِ أَنَّ مَثْلَهُ لَا يُعَذَّبُ)).^(٥) وقد تبيَّنَ فيما بَعْدَ أَنَّ السَّبَبَ الرَّئِيْسِيَّ فِي الْحَمْلَةِ عَلَى مَدْرَسَةِ الْوَعْظِ وَالْجَدَالِ لِلْمَحَاسِبِيِّ كُوْنُهَا مِزْجًا مَا بَيْنَ الْفَقِهِ الإِسْلَامِيِّ وَالرُّوحَانِيِّ، وَتَسِيرُ بِفَكْرَةِ مَهْنَجِ الْوَاعِظِ النَّاقِدِ النَّاصِحِ لِلْعُلَمَاءِ وَالْمَرِيدِينَ مِنْهَا يَكُونُ شَأْنُ أَصْحَابِ هَذَا الْمَنْطَقَ.

(١) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٢٩.

(٢) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٣، ص ٩٧. أحياء علوم الدين. الغزالى: ص ٥٣.

(٣) العرقية: من العرق: أي أهل الشرف.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهرمي: ج ١، ص ١٤٩.

(٤) كتاب العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوთي: ص ٣٣.

(٥) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢.

وقد انتقد بعض العلماء الأغنياء بحديث قد جاء في الآخر، فقال عنهم : (لا تكونوا كالْمُنْخَلِ^(١) يخرجُ الدقيقَ الطيبَ ويبقى في النَّخَالَةِ، كذلك أنتم؛ تُخْرِجُونَ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفواهِكُمْ ويبقى الغِلُ^(٢) في صدورِكُمْ، يا عبادَ الدُّنْيَا كَيْفَ يُدْرِكُ الْآخِرَةَ مَنْ لَا تُقْضِيَ فِي الدُّنْيَا شَهُوَتَهُ وَلَا تَنْقُطُعُ عَنِ الدُّنْيَا رَغْبَتُهُ، بِحَقِّ أَقْوَلُ لَكُمْ... إِنَّ قُلُوبَكُمْ تَبْكِي مِنْ أَعْمَالِكُمْ، جَعَلْتُمُ الدُّنْيَا تَحْتَ أَسْتِكْمَ وَالْعَمَلَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَأَفْسَدْتُمْ آخِرَتَكُمْ بَصَالَحِ دُنْيَاكُمْ؛ فَصَالَحُ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ صَالَحِ الْآخِرَةِ بِمَنْاجَاهِ النَّاسِ^(٣)).

كان المحاسبي لا يقبل شيئاً إلى أن تظهر حجته^(٤)، واتضح ذلك عند قراءةً أغلب المؤلفات المحققة من الكتب والمخطوطات، وقال أيضاً: (إنَّ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ تَصْحُّبُهَا بَرَّ الْقُلُوبِ أَوْ تَفَسِّدُهَا)^(٥).

إنَّ الاطلاع الواسع للمحاسبى على آراءِ كبارِ علماءِ عصرِه وَمَنْ تَبعُهُمْ جعلَه يقفُ من جمِيعِ الآراءِ مَوْقِفَ النَّاقدِ المُغَرِّ^(٦) في وجوهِ مخالفِيهِ واعظًا وناصحًا لعلماءِ عصرِه، ويتبَّعُ أَكْثَرَ كَلِمَاتِ الْوَعْظِ وَالآرَاءِ الْفِقْهِيَّةِ والجَدَلَ في عِلْمِ الْكَلَامِ الَّتِي كَانَتْ تَرَدِّدُ فِي مَوْلَفَاتِ المحاسبى المحققةِ جاءَتْ بِمَفْهُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْأُثَرِ، وَقَدْ تَأْثَرَ المحاسبى إِلَى حدٍ كَبِيرٍ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَنَفَرَ قَوْمٌ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»^(٧)، وبِحَدِيثٍ آخَرَ أَيْضًا وَهُوَ :

(١) مُنْخَلٌ: الغريل.

انظر: المنتخب من كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي: ج ١، ص ٥٣٨.

(٢) الغِلُّ: الحَسَدُ. وَقَبِيلُهُ: الشَّخْنَاءُ، وَالسَّخِيمَةُ.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مُسْلِمَ الغوثبي: ج ٣، ص ٤٦.

(٣) انظر: مختصر احياء علوم الدين (المرشد الامين). الغزالى: ص ١٨٦ . مخطوطه: الرد على بعض الأغنياء من العلماء. المحاسبي: ص ٢١٦ ، ٢١٧ . مخطوطه النصائح. المحاسبي: ص ٦ .

(٤) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٩ .

(٥) انظر: مخطوطة الخلوة. المحاسبي: ص ٣٩ . الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٧ .

(٦) مغرب في عمله: دائم لا يفتر.

انظر: الإبانة في اللغة العربية، سلامة الصخاري: ج ٣، ص ٦٠٥ .

(٧) انظر: سنن الترمذى. محمد بن عيسى: ج ٥، ص ٢٦ .

«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(١). وهذا يبرر بحث المحاسبي باجتهداد عن الفرقـة الناجـية وأسبـاب التـفرقة بين المـدارس الإـسلامـية طـيلـةً مشـوارـ حـياتـه.

فقد قال: ((فقد انتهى إلينا أن هذه الأمة تفرق على بعض وسبعين فرقـة، منها فرقـة ناجـية، والله أعلم بـسـائرـها^(٢) فـلـمـ أـذـلـ بـرـهـةـ^(٣) مـنـ عـمـريـ أـنـظـرـ اـخـلـافـ الـأـمـةـ، وـأـلـتـمـسـ الـمـهـاـجـ القـوـيـمـ الـواـضـحـ، وـالـسـبـيلـ الـقـاصـدـ، وـاـطـلـبـ مـنـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ مـاـ اـجـتـمـعـ عـلـيـهـ السـلـفـ فـيـ جـدـةـ^(٤) الـإـسـلـامـ، وـاـسـتـدـلـلـتـ عـلـىـ طـرـيـقـ الـآخـرـةـ بـإـرـشـادـ الـعـلـمـاءـ، وـعـقـلـتـ كـثـيرـاـ مـنـ كـلـامـ اللهـ تـعـالـىـ بـتـأـوـيـلـ الـفـقـهـاءـ، وـتـدـبـرـتـ أـحـوـالـ الـأـمـةـ وـنـظـرـتـ فـيـ مـذـاهـيـهـاـ وـأـقـاوـيـهـاـ فـعـقـلـتـ مـنـ ذـلـكـ مـاـ قـدـرـلـيـ، وـرـأـيـتـ اـخـلـافـهـمـ بـحـرـأـعـمـيـقـاـ قـدـ غـرـقـ فـيـ نـاسـ كـثـيرـونـ، وـسـلـمـ مـنـهـ عـصـابـةـ قـلـيلـةـ، وـرـأـيـتـ كـلـ صـنـفـ مـنـهـمـ يـزـعـمـ أـنـ النـجـاهـ فـيـ مـذـهـبـهـمـ وـاـهـالـكـ مـنـ خـالـفـهـمـ^(٥))).

ويـقـىـ منـهـجـ الـزـهـدـ وـمـحـارـبـةـ الـنـفـسـ الـبـشـرـيـةـ بـالـتـصـوـفـ عـنـدـ الـمـحـاسـبـيـ مـنـهـجـاـ لـمـ يـسـلـمـ مـنـ النـقـدـ فـيـ عـصـرـهـ، بـلـ وـحـتـىـ بـعـدـ مـوـتـهـ، فـقـدـ تـعـرـضـتـ إـلـىـ اـنـتـقـادـاتـ وـتـجـرـيـعـ مـنـ أـغـلـبـ الـمـدـارـسـ الـدـينـيـةـ، وـنـجـدـ ذـلـكـ وـاـضـحـاـ فـيـ مـوـقـفـ مـدـارـسـ الـخـبـلـيـةـ مـنـ الـأـبـدـالـ^(٦)، وـمـوـقـفـ مـدـارـسـ

(١) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن حجاج: ج ١، ص ١٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ١، ص ٤٤٢.

(٢) سـائـرـهـاـ :ـأـيـ مـهـاـزـيلـ. يـقـالـ ذـلـكـ عـنـدـ الـمـزـرـيـةـ عـلـىـ الـمـتـلـافـ لـمـالـهـ. انـظـرـ: لـسـانـ الـعـرـبـ. اـبـنـ مـنـظـورـ: ج ١، ص ٢٩٦.

(٣) بـرـهـةـ: بـرـهـةـ مـنـ الـدـهـرـ، أـيـ: زـمـنـ مـنـ الـدـهـرـ. انـظـرـ: معـجمـ دـيـوـانـ الـأـدـبـ. إـسـحـاقـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ: ج ١، ص ١٤٧.

(٤) جـدـةـ: عـظـمـةـ. وـقـالـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ: {جـدـ رـبـنـاـ}ـ أـيـ عـظـمـ رـبـنـاـ. انـظـرـ: الـبـارـعـ فـيـ الـلـغـةـ. إـسـمـاعـيلـ بـنـ الـفـاسـمـ بـنـ عـيـذـونـ: ج ١، ص ٥٧٦.

(٥) انـظـرـ: مـخـطـوـطـةـ الـنـصـائـحـ. الـمـحـاسـبـيـ: ص ٢ـ. الـوـصـاـيـاـ. الـمـحـاسـبـيـ، تـ: عـبـدـ الـقـادـرـ عـطـاـ: ص ٢٩ـ.

(٦) الـأـبـدـالـ:ـ وـيـأـتـيـ الـمـعـنـيـ فـيـ أـمـ الـخـلـفـاءـ وـالـأـئـمـاءـ وـالـرـسـلـ صـلـوـاتـ اللهـ عـلـيـهـمـ وـهـمـ أـرـيـابـ حـقـائـقـ. التـوـحـيدـ.

انـظـرـ: مـفـرـدـاتـ الـأـفـاظـ الـقـرـآنـ. الـأـصـفـهـانـيـ: ص ١١١ـ.

المُعْتَزِلَة^(١) فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَالْجَدِلِ بِالذَّمِّ لِفَكْرِهِ، وَهَذَا الرَّأْيُ مَدْوُنٌ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ^(٢)، فَهُمْ يَهْجُونُهُ فِي الْمَنْهِجِ وَهَنْتَ فِي مَوَاعِضِ الْكَلَامِ^(٣).

وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْكِتَابِ أَيْضًا عَنِ اخْتِلَافِ الرَّأْيِ بَيْنَ الْمَحَاسِبِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، لِكَوْنِ أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ يُشَدِّدُ بِالْتَّكْيِلِ فَيَمْنَ يَكْلِمُ بَعْلَمِ الْكَلَامِ، وَالْحَارِثُ يَجَادِلُ بِهِ؛ لِذَلِكَ وَقَعَتْ مَنَاظِرُ كَلَامِيَّةٍ بَيْنَهُمَا.

فَقَالَ الشَّيْخُ الْحَارِثُ: ((إِنَّ الرَّدَّ بِالْكَلَامِ عَلَى الْبَدْعَةِ فَرِّضَ لِلدِّفاعِ عَنِ الْعَقِيدةِ))^(٤)، فَرَدَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَكُنَّكَ حَكَيَّتْ شَبَهَتُهُمْ أَوْلًا فَأَجَبْتَ عَلَيْهَا؛ فَلَمْ تَأْمُنْ أَنْ يَطَالَعَ الشَّبَهَةَ مِنْ تَعْلُقٍ^(٥) بِفَهْمِهِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْجَوَابِ أَوْ يَنْظُرُ إِلَى الْجَوَابِ وَلَا يَفْهَمُهُ))^(٦).

وَقَدْ شَكَلَتْ الْعَزْلَةُ بَيْنَ الشَّيْخِ الْمَحَاسِبِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ الْكَثِيرَ مِنَ التَّأْوِيلِ وَالْلَّبَسِ فِي الْكَلَامِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَأَخْذَتْ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَقَاوِيلِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي هِي بَعِيْدَةٌ عَنْ نَهْجِ الْعُلَمَاءِ^(٧). فَهَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ بِهَذِهِ الْدَّرْجَةِ! عَلَيْاً بِأَنَّ بَعْضَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَ فِيهَا أَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ قَدْ بَكَى حَتَّى غُشِيَّ عَلَيْهِ عِنْدَ سَمَاعِهِ وَعَظَّ الْمَحَاسِبِيِّ حِينَ قَالَ: ((مَا سَمِعْتُ

(١) المُعْتَزِلَةُ: وَيُسَمُّونَ أَصْحَابَ الْعَدْلِ وَالْتَّوْحِيدِ، وَالَّذِينَ يَعْقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيمٌ وَالْقَدْمُ أَخْصٌ وَصَفَ ذَاتَهُ، وَهُمْ أَصْحَابُ وَاصْلِ بَنِ عَطَاءٍ أَحَدَ تَلَمِيذِ الْحَسَنِ الْبَصَرِيِّ الَّذِي اعْتَرَلَ مَجْلِسُ الْحَسَنِ الْبَصَرِيِّ بِسَبِّ رَأِيهِمْ حَوْلَ أَنْ مَرْكَبَ الْكِبِيرَةِ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ وَيُبَثِّتُ بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْمَنْزِلَتَيْنِ؛ فَطَرَدَهُ الْحَسَنُ الْبَصَرِيُّ مِنْ مَجْلِسِهِ.

انْظُرْ: الْمَلْلُ وَالنَّحْلُ. مُحَمَّدُ الشَّهْرَسْتَانِيُّ: ج١، ص٣٨. الْغَنِيَّةُ لِطَالِبِيِّ الْحَقِّ عَزْ وَجَلْ. عَبْدُ الْقَادِرِ الْكِيلَانِيُّ: ج١، ص١٨٧.

(٢) انْظُرْ: كِتْفَنُ الظُّنُونِ. الْحَاجُ خَلِيفَةُ جَلِيلِيُّ: ج٢، ص١٥٧٣. تَارِيخُ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ. فَوَادُ سَرْكَنِيُّ: ج١، ص١١٤. تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ. بِرُوكْلِمَانُ: ج٤، ص٥٨.

(٣) انْظُرْ: تَلَبِّيَسُ إِبْلِيسِ الْجَوَزِيِّ: ص١٤٧، ص١٥٨، ص١٦١، ص١٧٣.

(٤) انْظُرْ: الْمَنْقَذُ مِنَ الْضَّلَالِ. أَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ: ص٣٢

(٥) عَلْقٌ، لِعَلِهِ سُمٌّ بِهِ لَتَعْلُقُهُ بِالْقَلْبِ، وَتَعْلُقُ الْقَلْبِ بِهِ.

انْظُرْ: مَفَرَّدَاتُ أَفْظَالِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٥٧٩.

(٦) أَسْتَاذُ السَّائِرِينَ. عَبْدُ الْحَلِيمِ مُحَمَّدُ: ص١٨.

(٧) انْظُرْ: طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ. السَّبْكِيُّ: ج٢، ص٢٧٩.

في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل^(١)، وقد ذكر أبو بكر الخلال^(٢) في كتاب السنة عن الإمام أحمد قوله: ((ما زال مأوى أصحاب الكلام للحارث بمنزلة الأسد المربط))^(٣).

وهذه المسألة تم الجدل بها كثيراً، ولكنها حسمت في الرأي فيما بعد، فقال فيها أحد العلماء: ((كلام الإمام أحمد حقٌّ، ولكن في شبهة لم تنشر ولم تنشر، فاما إذا انتشر فالجواب عنها واجبٌ، ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية))^(٤). واتضح فيما بعد أن مفهوم فكر الاختلاف عند الإمام أحمد وتلاميذه من الشيخ الحارث المحاسبي وتلاميذه هي مسألة رأي لكونهم علياءً لل المسلمين^(٥)، وقد قيل من بعض العلماء: ((إن الجرح إن صدر من تعصباً أو عداوة أو منافرة أو نحو ذلك، فهو جرحٌ مردودٌ ولا يؤمن به إلا المطرود فلا يُقبل قدحُ الشوري في أبي حنيفة، وقدحُ ابن معين في الشافعي، وقدحُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ فِي الْمَحَاسِبِ))^(٦).

ويتبين أن بعض الكتب لم تستطع أن تتخلى عن فكرة القدح في التصوف ومنهجه، فهناك عدة رسائل للفتاوى^(٧) في قدح وذم لمنهج كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالى الذي يعتبر سلسلة متعددة

(١) انظر: الكواكب الدرية. المناوى: ج ١، ص ٥٨٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٩.

(٢) أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّدَ بْنُ هَارُونَ الْبَغْدَادِيُّ الْخَلَلِيُّ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْفَقِيْهُ، شِيْخُ الْحَنَابَةِ وَعَالَمُهُمْ تَوْفَى سَنَةُ ٥٣١١.

انظر : سيرة أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٩٨.

(٣) ثلبيس إيليس. الجوزي: ص ١٦٢.

(٤) انظر: المفتض من الضلال. أبي حامد الغزالى: ص ٣٢.

(٥) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٩. تهذيب التهذيب. العسقلاني: ج ٢، ص ١٣٥.

(٦) انظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. محمد الكنوى: ص ١٩٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٨.

(٧) سئل الشيخ ابن تيمية عن كتاب إحياء علوم الدين، وقوت القلوب. فقال: وأما في إحياء علوم الدين للغزالى، من كلام المهلكات مثل الكلام عن كبر والعجب والرباء، فغالبها منقول من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية، ومنه مقول ومنه مردود، ومنه ما هو متنازع عليه. والإحياء للغزالى فيه فوائد كثيرة، ولكن فيه مواد مذمومة.

انظر: مجموعة الفتاوى. ابن تيمية: ج ١٠، ص ٣١٢. كتاب إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالى: ص ١١٨٢.

لِفِكْرِ الشِّيخِ الْمَحَاسِبِيِّ، وَهَذَا دَلِيلٌ وَبِرْهَانٌ لَمَّا تَمَّ ذَكْرُهُ فِيمَا سَبَقَ عَنْ بَعْضِ الْمَدَارِسِ الَّتِي لَمْ يَسْلِمْ مِنْهَا هَذَا الْكَتَابُ مِنَ النَّفِيِّ وَالْتَّجْرِيَّ حَتَّى فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ^(١)، وَلَكِنْ بِمَرْوُرِ الْوَقْتِ دَخَلَ الْصَّرَاعُ الْفَكْرِيِّ فِي مَرْحَلَةِ الْفُتُورِ^(٢) الْجُزَئِيِّ، وَكَانَ ذَلِكَ بِسَبِّبِ التَّوْسِعِ الْفَكْرِيِّ لِلْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَنْ دُبُّ بَعْضِ نَهْجِ فِكْرِ الْعُلَمَاءِ^(٣) حِينَ اتَّخَذُوا نَهْجَ تَفْسِيرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَطَرِيقَةِ الْوَضُوءِ فِي الصَّلَاةِ عَنْ مَفْهُومِ فِقْهِ الشِّيخِ الْمَحَاسِبِيِّ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ نَاحِيَّةِ أُخْرَى اتَّقَدُوا بَعْضِ الْأَفْكَارِ عَنْ دُبُّ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا نَهْجَ التَّصُوُّفِ مِنْ الْمَحَاسِبِيِّ^(٤).

وَأَمَّا عَنِ الْطَّرِفِ الثَّانِي فِي النَّزَاعِ مَعَهُ، فَقَدْ كَانَتْ مَدَارِسُ الْمُعَتَزِّلَةِ مِنْ أَشَرِسِ أَعْدَاءِهِ، وَكَانَتْ آرَاءُهُ فِي تَعَارِضِ دَائِمٍ مَعَهُمْ طِيلَةً مُشَوَّرِ حَيَاتِهِ؛ فَكَانَ شَدِيدُ الرِّدِّ بِالْكَلَامِ عَلَيْهِمْ فِي إِبْطَالِ أَحَادِيثِهِمْ، وَبِالْأَخْصِّ عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُونَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ عَنْهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي رَدِّ الْمُعَتَزِّلَةِ بِعِلْمِ الْكَلَامِ : ((كَانَ الْحَارِثُ الْمَحَاسِبِيُّ أَشَبَّهُمْ إِنْقَانًا وَأَمْتَنُهُمْ كَلَامًا))^(٥).

فَكَانَ يَتَجَادِلُ مَعَهُمْ دَائِمًا حَوْلَ الْوُجُودِ، وَلَكِنَّهُمْ يَوَاجِهُونَهُ بِالْتَّكْيِيلِ بِهِ وَبِأَرَائِهِ الْكَلَامِيَّةِ؛ لِكُونِهِ يَؤْمِنُ بِوُجُودِ مُخْرَجٍ غَيْرِ النَّصِّ وَالْعُقْلِ لِدِيِّ الْإِنْسَانِ وَهُوَ الْقَلْبُ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي مَصْنَفِهِ فِهْمُ الْقُرْآنِ^(٦). لَكِنَّ الْمُعَتَزِّلَةَ لَمْ يَهِمُّوْلَا لِأَمْرِهِ كَثِيرًا لِاستِخْفَافِهِمْ بِالْفَقَهَاءِ وَالْزَّهَادِ فِي الْمُجَادِلَةِ عِنْدَمَا اتَّسَرَتْ أَفْكَارِهِمُ الْدِينِيَّةِ فِي بَغْدَادِ سَنَةِ مَئَتَيْنِ وَتَسْعَ عَشَرَ هِجْرِيَّةَ^(٧)،

(١) انظر: المأخذ العقائدي على كتاب إحياء علوم الدين. عبد الله العتبى: ص ٥٠.

(٢) الفُتُور: لُغَةٌ يَمَانِيَّةٌ. يَقَالُ: أَصْبَحَ فَلَانَ خَمْجَا إِذَا فَتَرَتْ أَعْصَاؤُهُ مِنْ مَرْضٍ أَوْ تَعْبٍ.

انظر: جمهورة اللغة. محمد الأزدي: ج ١، ص ٤٥٥.

(٣) انظر: رسالة المسترشدين. عبد الفتاح أبو غدة: ص ٣٢.

(٤) الشِّيخُ ابْنُ تَيْمِيَّةُ نَقَلَ الْوَضُوءَ عَنْ كِتَابِ فَهْمِ الْقُرْآنِ لِلْمَحَاسِبِيِّ فِي مَجْمُوعَةِ الْفَتاوِيِّ، وَنَاظَرَ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ مِنْ كِتَابِ الرِّعَايَةِ عِنْدَمَا سَتَّلَ عَنْهُ مِنْ بَعْضِ تَلَمِيذِهِ عَنْ دُبُّ بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْفَقِيَّةِ.

انظر: مجموع الفتاوى. ابن تيمية: ج ١٠، ص ٣١٢.

(٥) انظر: كتاب الملل والنحل. محمد بن عبد الكريم: ص ٢٧.

(٦) انظر: العقل وفهم القرآن. الحارث المحاسبي: ص ٩٦. أَسْتَاذُ السَّائِرِينَ. عبد الحليم محمود: ص ٤.

(٧) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٤، ص ٤٣.

ولذلك شدد في وصفهم المحاسبي بقوله: ((إن العقل يطغى عند المعتزلة حتى يحاولون وهم دعاة الحرية أن يفرضوها على الناس بالسيف))^(١).

رغم هذه الصعوبات لقد اندمجت فيما بعد الكثير من المدارس الدينية متآثرةً في الفكر ونحو علم الكلام والفقه، وكانت مدرسةً أسلامًى الأشعرية القائمة على مبدأ الجدال في السنة^(٢)، واستطاع أن يضيفَ الشیخ المحاسبي لمدرسته صفةً الجدال بالصیر وكان سبب الاندماج يتحكمه عِمَالَان:

الأول: عدم إهمال نص الحديث.

والثاني: لم يُجرِّد العقلَ.

وهذان الأمران يجهلُهُ الأبدال والمريدين في تطوريّهم؛ فكانت فكرهُ المحاسبي بمثابة الدافع الأول للتصوف ودليلًا فكريًا لكثير من المدارس القائمة على علم الكلام والجدل عند السنة، وجاءت مدرسة المحاسبي لتختص في علم الرد على المعتزلة^(٣)، فكان المحاسبي أول متتصوف اتضحتْ فيه ثقافةٌ كلاميةٌ متكاملة^(٤)، كان قد سندَ تفكيره على بُعد الرؤيا في حماهِرِ مهمة، وهي كما يلي:

- الفكر الأول: كانت في الرُّهِدِ.
- الفكر الثاني: الاختلاف مع المحدثين.
- الفكر الثالث: نجاح تفوق الكلام في مواجهة المعتزلة.

(١) العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوتني: ص ٢٤.

(٢) الأشعرية: هم أتباع أبي حسن الأشعري إمام المتكلمين، وقد نسب الاشاعرة له، مات ببغداد ٥٣٢٤هـ. انظر: الملل والنحل. محمد عبد الكريم الشهريستاني: ج ١، ص ٨١.

(٣) انظر: قانون التأويل. الغزالى: ص ٢١. مؤلفات الغزالى. بدوى: ص ١٠.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سرزيكين: ج ١، ص ١١٤. الطبقات الكبرى. الشعراوى: ج ١، ص ١٣٣.

- الفِكْرُ الرَّابِعُ: عَمِلَ عَلَى تَحْجِيمِ فِكْرِ الْفَلَاسِفَةِ الْمَشَائِنِ فِي مَفْهُومِ الْعُقْلِ، فَقَدْ جَاءَ وَصَفُّ فِي لِسُوفِ الْعَرَبِ الْكَنْدِيِّ^(١) فِي مِبْدَأِ الْعُقْلِ عَلَى أَنَّهُ: (مِبْدَأُ أَوْلَى بِالْقُوَّةِ، وَجَوْهِرًا بِسِيطًا مُدْرَكًا لِلْأَشْيَاءِ بِحَقَائِقِهَا)^(٢). وَلَكِنَّ الْمَحَاسِبِيَّ اعْتَبِرُهُ: (غَرِيزَةً أَوْ نُورًا لِلْغَرِيزَةِ يَقْوِي وَيَزِيدُ بِالْتَّجَارِبِ وَالْعِلْمِ وَالْحَلْمِ، وَلَا يَعْنِي بِالنُّورِ الَّذِي تَعْنِيَهُ الْفَلَاسِفَةِ).^(٣)

إِنَّ الْأَفْكَارُ فِي عِلْمِ الْجَدَلِ وَالْكَلَامِ وَالطَّرِيقَةِ الَّتِي اسْتَخَدَمَهَا الْمَحَاسِبِيَّ فِي الْوَعْظِ عِنْدَ الرَّوَايَةِ وَالآرَاءِ الْفَقِهِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ مَوْلَفَاتِهِ كَانَتْ ذَاتَ مَفْهُومٍ يَتَجَهُ نَحْوَ الْاِلْتَزَامِ بِالْحَدِيثِ وَسِرْدِ بِلَاغَةِ الْمُنْكَلِمِينَ وَالْتَّفَسِيرِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِطَرِيقَةِ الْفَقَهَاءِ وَآرَائِهِمْ، مَزْوَجَةً بِكَلِمَاتٍ وَعَظِيزٍ وَوَرَعٍ وَزُهْدٍ، وَظَهَرَ لِدِينَا مِنْ خَلَالِ مَنْهَجِ الْدِرَاسَةِ وَالْتَّحْقِيقِ أَنَّ الْمَحَاسِبِيَّ صَاحِبُ عِلْمٍ وَمَفْهُومٍ لِعِلْمٍ تَمَّ نَسْجُونُهُ بَعِيدًا عَنِ الْمَدَارِسِ الْدِينِيَّةِ الْتَّقْلِيدِيَّةِ؛ فَقَدْ كَانَتْ صَفَائِهُ وَشَخْصِيَّتُهُ مَحْظَظَ تَساؤلَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَهُوَ:
- يَتَصَفُّ بِالْزَّهْدِ وَيَتَكَلَّمُ بِالْوَعْظِ، وَلَمْ يُخُضْ فِي نَقْلِ الْأَحَادِيثِ إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى فِي آرَاءِ الْفَقِهِيَّةِ، مَقْتَدِيًّا بِعَضِ آرَاءِ عَلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ^(٤) حَوْلَ هَذَا الْمَوْضِعِ.
- اعْتَمَدَ عَلَى مَنْهَجِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنْنَةِ النَّبُوَّيَّةِ الشَّرِيفَةِ فِي نَصَائِحِ الْمَرْبِدِيَّنِ؛ فَهُوَ يَطَابُقُ مَفْهُومَ الْفِكْرِ وَالْوَرَاعَ عَنْدَ الصَّوْفِيَّةِ وَاتَّبَعَ مَنْهَجَ الْفَقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ.

(١) هو يعقوب بن إسحاق الفيلسوف، كان رأساً في حكمة الأولياء ومنطق اليونان والهيئة والتجريح والطبع وغير ذلك. يقال له: فيلسوف العرب، وكان متهماً في دينه، بخيلاً، وله نظم جيد وبلاعنة، كان يزيد أن يعمل شيئاً مثل القرآن، فبعد أيام أذعن بالعجز. مات سنة ٥٢٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء: ج ١٢، ص ٣٣٦.

(٢) انظر: رسائل الكندي الفلسفية. الكندي: ج ١، ص ١٦٦.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٤. مخطوطه فهم القرآن. المحاسبي: ص ٢٠١. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٧.

(٤) وهو سفيان الثوري بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب «الجامع»، توفي سنة ١٦١هـ في البصرة.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٢٧٩.

وانتصرَّ أنَّ أغلَبَ المريديين في مدارس الصوفية والمدارسِ الدينية الأخرى قد تابعُتْ وأيقنَتْ ((أنَّ نَجَّ اتباعُ تقاليدِ المحاسِيَّ هِيَ طرِيقَةُ للتطهيرِ الدائمِ ومجاهدةُ للنفسِ، ويجبُ الاقتداءُ بها، وقد تمثَّلَ هذا الفِكْرُ خيرَ تمثيلٍ عندَ بعضِ علماءِ التصوُّفِ، ثُمَّ جاءَ من بعدهِم الأَبْدَال))^(١).

(١) انظر: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف. آنا ماري : ص. ٧٠. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٦. سيرة الشيخ محمد بن حفيظ الشيرازي. علي بن محمد: ص ١٠٩. إحياء علوم الدين. الغزالى: ص ٣٨. الموسوعة الصوفية. عبد المنعم الحنفى: ص ٣٠٥.

المستأنفُ: هو المبتدئُ الذي يغلبُ على قلبه ذكرُه؛ فيتركُ الزللَ مخافةَ العقاب، فكلَّما هاجَ ذكرُ الموتِ من قلبه ماتَ الشهواتُ عندهُ، وأمّا العارفُ: فذكرُه للموتِ محبَّةً لهُ اختيارًا على الحياةِ وتبرُّ^(١) مَا بالدنيا التي قد سلا قلبه عنها شوقًا إلى الله ولقاءِه رجاءً أملَ النَّظر إلى وجهِه والنَّزولِ في جوارِه؛ لما غلبَ على قلبه منْ حُسْنِ الظرفِ بربِّه.

طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إلى اللهِ، وَاللهُ إلى لِقَائِهِمْ أَشْوَقُ^(٢).

الْحَارِثِ بْنِ أَسَدِ الْمُحَايِسِيِّ

(١) تبرُّ: هو مِنَ الْدَّهْبِ وَالْفِضَّةِ وَجَمِيعِ جَوَاهِرِ الْأَرْضِ مِنَ الْخَاسِ وَالصُّفْرِ.
انظر: لسان العرب. جمال الدين ابن منظور: ج ٤، ص ٨٨.

(٢) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٩١.

تفاصيل الكتاب

سارَ منهجُ التحقيق وفقَ دراسةٍ مكثفةٍ عن المؤلفِ وفكرةِ في القرنِ الثالث المجري في منهجِ علميٍ تحليليٍ^(١)، وقد احتوى الكتابُ المقدمُ على نسخٍ للصفحاتِ الأولى لمخطوطتينِ، ومقديمة، وأبواب، وفصول، ومباحث، وخاتمة، وقائمةٍ بمصادرِ الكتبِ، شملَ البابُ الأولى دراسةً عن المؤلفِ، ويحتوي البابُ فيه على ثلاثةٍ فصولٍ:

منهُ الفصلُ الأولُ يتحدثُ عن نشأتهِ وعصرهِ، وفيهِ أربعةٌ مباحثٌ: جاءَ المبحثُ الأولُ تحتَ عنوانِ اسمهِ، كنيتهِ، مولدهِ، وفاتهِ. وأما المبحثُ الثاني جاءَ في شيوخِهِ وتلاميذهِ، والمبحثُ الثالث جاءَ حولَ ثناءِ أهلِ العلمِ في حقِهِ، والمبحثُ الرابعُ: حولَ فِكْرِ المحاسبيِّ في التصوّفِ.

وجاءَ في الفصلِ الثاني مؤلفاتهِ، واحتوى على ثلاثةٍ مباحثٍ: منهُ المبحثُ الأولُ بعنوانِ الكتبِ المحققةِ من المستشرينِ، وأما المبحثُ الثاني عن الكتبِ المحققةِ من العَربِ، وعندَ المبحثِ الثالث تحدثُ عن الكتبِ المفقودةِ وَمخطوطاتِ الغيرِ محققةٍ، وقدَّمتُ بعضَ الأسبابِ التي كانتَ سببًا في فقدانِ الكتبِ وعدمِ تحقيقِ بعضِ منها.

وجاءَ في الفصلِ الثالث وَصفُ المخطوطاتِ، وكانتْ عبارةً عن أربعةٍ مباحثٍ: جاءَ فيهِ المبحثُ الأولُ عن وصفِ مخطوطةِ مكتبةِ السليمانيةِ، وجاءَ تسميتُها -بالأصلِ-، وأما المبحثُ الثاني فيهِ وَصفِ مخطوطةِ المكتبةِ الأزهريةِ، وجاءَ تسميتُها بالأزهرِ -، والمبحثُ الثالث جاءَ بمنهجِ التحقيقِ والمقابلةِ بينَ نسخةِ الأصلِ ونسخةِ الأزهرِ، وأما المبحثُ الرابعُ كانَ عن مُلْخَصِ مَفهومِ المسائلِ الخمسةِ عشرِ التي وردَتُ في

(١) وصفُ الشِّيخِ عبدِ الحليمِ محمودِ مخطوطةِ المسائلِ في أعمالِ القلوبِ والجوارحِ للمحاسبيِّ أنهُ كانَ منهًا علميًّا تحليليًّا يسريُّ فيِ الحماسِ، وتبوُّهُ فيهِ روحُ المحاسبيِّ اليقظةُ والوثبةُ. انظرُ: أستاذُ السائرينِ. عبدُ الحليمِ محمودُ: ص ٢٢.

المخطوطةِ وتليها الخاتمة.

جاءَ البابُ الثاني في الكتاب عن تحقيق المخطوطة، ويحتوي على فصلٍ واحدٍ:

جاءَ فيه صورةٌ لصفحةِ الأولى من مخطوطةِ الأصل ويليها موضعٌ للتحقيق للمسائل الأربعَة عشرَ، وبعدها قائمةً بمصادرِ الكُتبِ.

أما عن سببِ اختياري للموضوع هو تسليطِ الضوء على التصوف والفِكْر الفلسفِي، وتدخلِ العِلْم معه ما بين فقهِ أعمالِ القُلُوب وفَقَهِ أعمالِ الجوارح. وكانَ هذا المحورُ يزودني دائمًا بالدافعِ لتكملةِ منهج الدراسةِ والتحقيقِ رغمَ صعوبتهِ، ومنْ أهمِ المشاكلِ التي واجهتني في تحقيقِ المخطوطةِ :

أولاً: البحثُ عن نسخةٍ أخرى للمخطوطة لمقابلتها، والتي انتهت بعد عناءٍ وجهدٍ من البحثِ لشهرٍ في أرشيفِ المكتباتِ العالمية والمكتباتِ العربية حين وجدتها في القاهرة، ومنْ أجلِ الحصولِ عليها استغرقتْ شهورًا أخرى في الإجراءاتِ والاتصالاتِ والمخاطباتِ الرسمية، وأخيرًا تمَ الحصولُ عليها بعد مساعدةِ الأصدقاءِ العاملين بالسلكِ الدبلوماسي العراقي في القاهرة.

ثانيًا: كانتْ إعداد دراسةِ المقدمة لدِيننا صعبةً جدًا من حيثِ الحصول على المعلوماتِ الصحيحةِ من المصادرِ والكتبِ التي تحدثتْ عنِ الصوفية؛ لكونَ أنَّ بعضَ هذه المصادرِ فيها الخطأ بالمنهجِ والنَسخِ واضحًا متجاهلين الحقائقَ^(١)، عند اقتباسِ النصوصِ لكتِبِ المحاسبي وعَنِ المنقولِ عنها من خلالِ مراجعةِ المصادرِ.

وكانتْ تسيِّرُ على منهجِ واحدٍ في أغلبِ ما يكتبُ عنِ المحاسبي، وسيأتي تفصيلُ بعضِ هذهِ الأخطاءِ، وتبيَّنَ أيضًا عدمُ وجودِ منهج واضحٍ لتحقيقِ بعضِ مخطوطاتِ المحاسبي عندِ الكتبِ المترجمة إلى العربية،

(١) طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨. تاريخ التراث العربي. فؤاد سرزيكين: ج ١، ص ١١٤.

وقد جاءت فيها بعض عناوين لكتب وردت على أنها تحقيق لخطوّات الأصل وهي مُترجمة ومحقّقة فيها سبق، وعنوانين والتسّميات للمسائل والأبواب بعيدة عن التسمية الحقيقية للمخطوّات، وقد تم إضافة أسماء جديدة لها، وجاءت المبالغة بالتسمية في بعض الكتب الأخرى^(١)، وتأتي في بعض الكتب مواضيع في ذمّ المحاسبي وفي مقدّمات المخطوّات المحققة له^(٢)، وينظر في الفكر سؤال مهُمْ لم أجده إجابة له!

إذْ كَانَ الْحَقُّ يُوَدُّ أَنْ يَذَمَّ وَيَنْتَقَصَ مِنْ فِكْرٍ أَوْ عِلْمٍ أَحَدٍ الْعُلَمَاءَ فَلِمَاذَا يَحْقِقُ لَهُ؟

ومنْ أَجْلِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَمَّ ذِكْرُهَا سَابِقًا وَالْوَصْلُ لِلْمَنْهَجِ الصَّحِيفِ فِي التَّحْقِيقِ، تَمَّ شَرَاءُ جُمِيعِ الْمَخْطُوّاتِ الْمُجَوَّدةِ فِي الْمَكَتَبَاتِ الْأَتْرِيَّةِ^(٣)، وَالْكِتَابُ الْمُحَقَّقُ بِالْعَرَبِيَّةِ لِلْمَحَاسِبِيِّ^(٤)، وَقَدْ اتَّضَحَ بَعْدِ الْاِطْلَاعِ عَلَيْهَا وَجُودُ روَايَاتٍ غَيْرِ صَحِيفَةٍ فِي الْكِتَابِ لَا تَطْبِقُ الْمَخْطُوّاتِ مِنْ نَاحِيَةِ مَنْهَجِ الْفَكْرِ وَدَقَّةِ الْكَلِمَاتِ الْمُخْتَارَةِ فِي الْحَدِيثِ وَالْأَثْرِ عَنْدِ مَطَابِقَةِ الْكِتَابِ الْمُحَقَّقِ بِالْمَخْطُوّاتِ الْأَصْلِيَّةِ.

لَذِكْرِكَانَ لَابَدَّ مِنْ تَحْلِيلِهَا وَالْتَّحْقِيقِ مِنْهَا، وَتَمَّ الْعَمَلُ عَلَى تَدوِينِهَا؛ لَكِي نَقْفَ عَلَى الْأَخْطَاءِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهَا، وَتَمَّ تَوْضِيْحُ الْأَخْطَاءِ الَّتِي

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي. فؤاد سليمان: ج ١، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨. فهرست المخطوطات العربية. الشنطي: ج ٢، ص ١٤٣، ص ١٥٧، ص ١٦٣.

(٢) انظر: شرح المعرفة وبدل النصيحة. فتحي سيد: ص ٩، ص ٧٢.

(٣) انظر: مخطوطة الzedh. المحاسبي: ص ٣. مخطوطة الإنابة لله. المحاسبي: ص ١٨. مخطوطة مائية العقل . المحاسبي: ص ١٠٤. مخطوطة الخلوة والتنقل بين العباد. المحاسبي: ص ٢. مخطوطة العلم. المحاسبي: ص ٣٢. مخطوطة شرح المعرفة وبدل النصيحة. المحاسبي: ص ٣٧. مخطوطة المسترشد. المحاسبي: ص ٤. مخطوطة البعث والنشر. المحاسبي: ص ١٣٤.

(٤) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله. المحاسبي، ت: مارغريت سميث: ص ١٥. كتاب فهم القرآن والعقل. المحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ٢٠. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالى: ص ٢١. التوهّم. المحاسبي، ت: آرثر جي ايربي: ص ١٢. أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٢. معاتبة النفس. المحاسبي، ت: محمد عبد القادر عطا الله: ص ٥. رسالة المسترشد. المحاسبي، ت: فتاح أبو غدة: ص ٣٣. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٥.

جاءت في مواضع الكتب والنصوص المشار إليها من الكتب أخرى^(١)،
لكي يصبح لدينا المنهج الصحيح لفهرس مخطوطات الشيخ المحاسبي
في الكتاب أدناه، والوقوف على التسميات الصحيحة والشاملة للكتب
المطبوعة وتفادي الأخطاء الموجودة؛ ليتسنى لأي باحث أو محقق فيما
بعد الاعتماد عليها دون أي خطأ أو عناء، ولا أخفى عليكم أنَّ موضوعَ
الوصول للكتب والمخطوطاتِ كانت ذات كلفةٍ عاليةٍ.

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

محمد فوزي كريم / ٢٩ - رمضان ١٤٣٩ هـ.

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧. الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص ٥٩. تاريخ الأدب العربي. فؤاد سليمان: ج ١، ص ١١٣.

سيرة الإمام الحاسبي

اسميه وكنيته ومولده ووفاته:

هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري العنزي الأصل^(١) ولد في البصرة^(٢) لسنة مائة وخمس وستون هجرية، و جاءت كنيته بالمحاسبي؛ لأنَّه كان يحاسِب نفسه و قبله، ولديه الإلَاحُ على تقسيم نفسه، فهو الزاهدُ العارفُ وشيخُ مشايخ الصوفية، أحدُ الأونادِ والجامعُ بين عِلم الظاهرِ والباطنِ في التفسيرِ، شافعي المذهب؛ فقد صحبَ الإمام الشافعي وكَانَ من الطَّبَقَةِ الْأَوَّلَى، أي عَاصِرُهُ وَأَخْذَ عَنْهُ وَاخْتَارَ مَذَهِبَه^(٣)، زاهدٌ في الطريقة عالمُ العارفين في زمانِه وأستاذُ أكثر البغداديين^(٤). ويبدو أنَّ نشأته كانت في جوٌ من الصراعِ الفكريِّ والمجادلةِ التي سادت الشيعة بالأهواءِ فيها عند أهل البصرة، ولأنَّها كانت منارةً للعلمِ فمن البصرة خَرَجَ الكثيرُ من العلماءِ والمحدثينِ والفقهاءِ والتكلمينِ وَخَالِفِيهِم^(٥).

(١) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ١١٠. انظر: الأنساب. السمعاني: ج ٩، ص ٧٦. تاريخ بغداد: الخطيب: ج ٩، ص ١٠٦. الطبقات الكبرى. للشعراني: ج ١، ص ١٤٠. مرآة الجنان وعبرة القبطان. اليافعي: ج ٢ ص ١٠٦. تهذيب الكمال في اسماء الرجال. جمال الدين المزي: ج ٥، ص ٢٠٨.

(٢) البصرة: هي من المدن الكبيرة في العراق وفي كلام العرب تسمى الأرض الغليظة وايضاً تسمى الأرض الحمراء وهي في تعریف بس راه: أي ذات طرق عديدة متعددة تتشعب إلى أماكن كثيرة والذي ينتمي إليها يقال عنه البصري، لها خليج بحري يسمى حالياً. شط العرب. يلتقيان فيه نهران دجلة والفرات ذات شجر نخل وافر.

انظر: فتوح البلدان. ياقوت بن عبد الله الحموي: ج ١، ص ٤٣٢.

(٣) انظر: طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٨٩.

(٤) انظر: الكواكب الدرية في تراجم الصوفية: ج ١، ص ٥٨٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٥٧. طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢، ص ٢٧٦. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١٣٦. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٧.

(٥) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٣، ص ٩٥.

وأوضح أنَّ أباًه كان من بئسِ مجتمع قد سادَ فيهِ العِلْمُ والمجادلةُ والثقافةُ^(١)، لقد عاَصَرَ المَحَاسِبِيَّ الخلافةَ العباسيةَ منذَ ولادِهِ^(٢)؛ لذلك كانت حياتهُ في يُسرٍ ورخاءٍ، وحين توفي أبوه تركَ لَهُ ثروةً من الأراضيِ والمالِ الْوَفِيرِ فلم يَأْخُذْ منها شيئاً وبعثَهُ إلى بيتِ المال^(٣)، ويقال: إنَّ سببَ رفضِ المالِ من أبيهِ لكونِهِ يتكلّمُ بالقدر^(٤)، فقالَ المَحَاسِبِيُّ معللاً السببَ أَنَّهُ سَمِعَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»^(٥)، فرأى من السُّنَّةِ والورعِ أَنْ لا يَأْخُذْ ميراثَهِ ويَتَّبعُ السُّنَّةَ وَكَانَ فِي أَشَدِ الحاجَةِ إِلَى المالِ^(٦).

وقالَ عَنْهُ جَنِيدُ: ماتَ الْحَارِثُ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى دَانِقٍ مِنْ فَضَّةٍ وَأَبُوهُ خَلَفَ مَا لَا كثِيرًا وَمَا أَخْدَى مِنْهُ حِبَّةً وَاحِدَةً^(٧)، إِنَّ الْمَحَاسِبِيَّ كَانَ ملِتَزِمًا فِي إِتَّباعِ السُّنَّةِ النَّبُوَّيَّةِ مَعَ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَا بَالُ الْمُخَالِفِينَ الرَّازِعِينَ مِنَ الْغَرِيَّبِ؛ فَكَانَ لِأَلْوَانِ الْحَقِّ مُشَاهِدًا وَمُرَاقِبًا، وَلِأَثْارِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَاعِدًا وَمَصَاحِبًا لِلْمَرِيدِينَ، إِنَّ اللَّهَ سَبِّحَهُ أَكْرَمَهُ ((بَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ بَطْنَهُ إِلَّا حَلَالٌ الْمَحْضُ))^(٨)، وَمِنْ كَلَامِهِ فِي ذَلِكَ:

(١) انظر: العقل وفهم القرآن للمَحَاسِبِيَّ، ت: حسين الفوთي: ص.٧.

(٢) انظر: موسوعة الخلفاء المسلمين. الكبي: ج ٢، ص ١٣.

(٣) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٤٠.

(٤) أي قدرِيَاً: هي أحد الفرق سمو بذلك لردهم قضاء الله سبحانه في معاصي العباد.

انظر: الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل. عبد القادر الكيلاني: ج ١، ص ٨٧.

(٥) انظر: صحيح البخاري: ج ٢، ص ٥٧٦. صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٢٣٣.

(٦) انظر: تذكرة الأولياء. العطار: ج ١، ص ٢٩١. الخطيب البغدادي: ج ٥، ص ٢٩٠.

(٧) انظر: ا. مرآة الجنان واليقظان. لليافعي: ج ٢، ص ١٠٦. الكواكب الدرية في الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٨.

(٨) المَحْضُ: سمي اللَّبَنُ الْخَالِصُ مِنَ الْمَاءِ.

انظر: جمهرة اللغة. محمد الأزدي: ج ١، ص ٤٩٦.

(٩) انظر: طبقات الصوفية. للسلمي: ص ٢١. انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٥.

((مَنْ صَحَّ بَاطِنَهُ بِالْمُرَاقِبَةِ وَالْإِخْلَاصِ زَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى ظَاهِرَهُ بِالْمُجَاهَدَةِ وَأَتَبَعَ السُّنَّةَ))^(١).

قالَ عَنْهُ جَنِيدُ الْبَغْدَادِيُّ^(٢): كَانَ الْحَارِثُ كَثِيرُ الْضُّرُّ فَأَجْتَازَ بِي يَوْمًا وَأَنَا جَالِسٌ عَلَى بَابِنَا، فَرَأَيْتُ عَلَى وَجْهِهِ زِيَادَةَ الْضُّرِّ مِنَ الْجَمْعِ؛ فَقَلَّتُ لَهُ: يَا عَمَّ، لَوْ دَخَلْتَ إِلَيْنَا نِلْتَ شَيْئًا مَنْ عِنْدَنَا، قَالَ: أَوْتَفَعْلُ؟ فَقَلَّتُ: نَعَمْ... وَتَسْرُّنِي بِذَلِكَ وَتَبَرُّنِي، فَدَخَلْتُ بَيْنَ يَدِيهِ وَدَخَلَ مَعِي، فَجَئْتُ بِنَوْعِ مِنَ الطَّعَامِ جَاءَ لَنَا مِنْ عَرْسٍ فَوْضَعْتُهُ بَيْنَ يَدِيهِ، مَدِّيَدُهُ فَأَخَذَ لَقْمَةً فَرَفَعَهَا إِلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ يَمْضِغُهَا وَلَا يَزْدَرِيْهَا^(٣)، فَوَثَبَ^(٤) وَخَرَجَ مَا كَلَّمْنِي، فَلَمَّا كَانَ الْغُدُوُّ قَيْتُهُ وَقَلَّتُ لَهُ: يَا عَمَّ، سَرَّتَنِي شَمَّ نَغَصَتْ عَلَيَّ، قَالَ: يَا بُوْيِ، أَمَا الْفَاقَةُ^(٥) فَكَانَتْ شَدِيلَةً، وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي أَنْ أَنْأَلَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي قَدَمْتَهُ إِلَيَّ، وَلَكِنْ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَلَامَةٌ؛ إِذَا مِنْ يَكِنْ الطَّعَامُ مُرِضِيَا ارْتَفَعَ إِلَى أَنْفِي مِنْهُ رَفْرَةً^(٦) فَلِمْ تَقْبِلْهُ تَقْسِي، فَقَدْ رَمِيْتُ بِتَلْكَ الْلَّقْمَةِ فِي دَهَالِيزْكَمْ^(٧)، فَقَلَّتُ لَهُ: أَتَدْخُلُ الْيَوْمَ، قَالَ: نَعَمْ، فَقَدْمَتُ إِلَيْهِ كِسَّرَ خَبِزٍ يَابْسَ كَانَتْ

(١) انظر: *الطبقات الكبرى*. الشعراوي: ج ١، ص ١٣٨. *الكوكب الدرني في الصوفية*. المناوي: ج ١، ص ٥٨٦.

(٢) الجنيد البغدادي: جنيد بن محمد خزا أصله من نهاروند، سكن بغداد، اشتهر بالصوفية وتصحية خاله السر السقطي وأبي حارث المحاسبي، ودخل العلم وهو ابن عشرين سنة، ولهم مؤلفات كثيرة في الزهد، توفي سنة ٥٢٩هـ.

انظر: *طبقات الأولياء*. ابن الملقن: ج ١، ص ١٢٦. *سير أعلام النبلاء*. الذهبي: ج ١٤، ص ٦٧.

(٣) ازدراء: أقسى أنواع التأنيب للنفس.

انظر: *معجم اللغة العربية المعاصرة*. أحمد مختار: ج ٢، ص ٩٨٣.

(٤) وَثَبَ: شَبَّ وَتَحْرَكَ.

انظر: *التجدد في اللغة*. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٣٣٨.

(٥) الفاقة: *الخاجة*، ولا فَقْلُ لَهَا.

انظر: *تهذيب اللغة*. محمد المهروي: ج ٩، ص ٢٥٥.

(٦) رَفْرَة: زَرْفَر، وَسْخ، دَرْن.

انظر: *تكمة المعاجم العربية*. رينهارت: ج ٥، ص ٣٣٧.

(٧) دَهَالِيزْكَمْ: مَنْ دَهَالِيزْكَمْ: بَوْهُ مَسْلَكُ طَوِيلٌ ضَيقٌ.

انظر: *معجم اللغة العربية المعاصرة*. أحمد مختار: ج ١، ص ٧٧.

لنا فأكلَها، وقال: إذا قدمتَ إلى فقيرٍ شيئاً فقدمِ مثلَ هذا^(١).

وتدلُّ الآثارُ أنَّ المحاسبي جاءَ على بغدادَ في مرحلةٍ شبابِه وليسَ في صغرِه أو صباِه - كما ذُكرَ في بعضِ الكتب - وبدليلِ تأثُّره بعلماءِ أهل البصرةِ مِنَ المحدثين والفقهاءِ وما روى عنَّهم من حديثٍ وأثرٍ، ويتصحَّح أنَّه دخلَ مجالسَ العلمِ في البصرةِ مِنْذ الصغرِ، وإنَّ فِكرَ الحسنِ البصري كانَ أعمقَهُمْ أثراً فِيهِ^(٢)، حيثُ قالَ في وصفِهِ لعلماءِ أهل البصرةِ: ((ليتني بزهِدِ الحسنِ البصريِّ، وورعِ ابنِ سيرينِ، وتوكلِ عبادةِ بنِ عامرِ العنبريِّ، وفقيهِ سعيدِ بنِ المسيبِ))^(٣).

وَمِنْ بعضِ هذِهِ الرواياتِ الغيرِ صحيحةِ بالنسبةِ لقدمِ المحاسبي في صغرِه إلى بغدادِ والتي لاتطابق التسلسلَ الزمنيِّ في العُمرِ بينَ الروايةِ والمحاسبيِّ^(٤)، حيثُ رُوِيَّ في عدَّةِ كُتُبٍ^(٥) عنْ أبي عليِّ بنِ خيرانِ البغداديِّ (ثلاثَةٌ وعشرونَ هجرية)^(٦)، أَنَّهُ رأى الحارثَ ببابِ الطاقِ^(٧) وسطَ الطريقِ متعلِّقاً بأبيهِ والناسُ اجتمعوا علَيْهِ، ويقولُ لأبيهِ: أمي طلَّقْها؛

(١) انظر: طبقاتُ الأولياءِ. ابنُ الملقن: ج ١، ص ١٧٦. تاريخُ بغداد. الخطيب: ج ٩، ص ١٠٨.

(٢) انظر: تاريخُ التراثِ العربيِّ. فوادُ سرذكين: ج ١، ص ١١٣. طبقاتُ الشافعيةِ الكبُّر: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٣) انظر: تاريخُ دمشق. ابنُ عساكر: ج ٢٦، ص ١٦.

(٤) انظر: موسوعةُ خلفاءِ المسلمين. الكبُّر: ج ٢، ص ٩٣.

(٥) انظر: طبقاتُ الشافعيةِ. للسبكيِّ: ج ٢، ص ٢٧٧. الرسالةُ القشيرية. زينُ الدينِ القشيريِّ: ص ٥٩. حليةُ الأولياءِ وطبقاتُ الأصفياءِ. أبي نعيم: ج ١٠، ص ٨١.

(٦) عليِّ بنِ خيرانِ هو الحسينُ بنِ صالحٍ بنِ خيرانِ القاضيِّ الفقيهُ البغداديُّ الشافعِيُّ، في عهدِ حُكْمِ الْفَاطِرِ باللهِ ابنِ المنصورِ العباسيِّ الإمامِ شيخِ الشافعيةِ أبو عليِّ البغداديِّ الشافعِيُّ، هو أحدُ كبارِ علماءِ الشافعيةِ توفيَّ سنةً ٥٣٠هـ.

(٧) انظر: سيرُ أعلامِ النبلاءِ. الذهبيِّ: ج ٢، ص ٥٩. موسوعةُ خلفاءِ المسلمين. زهيرُ الكبُّر: ج ٢، ص ٩٣.

(٨) بابُ الطاقِ: من المحلاتِ المهمةِ في الجانبِ الشرقيِّ من بغدادِ وعرفتُ بهذا الاسمِ نسبةً إلى الطاقِ الذي كانَ في الأصلِ قسماً من قصرِ أسماءِ بنتِ المنصورِ، ثمَّ صارَ في زمانِ الرشيدِ مجتمعاً للشعراءِ، وقد أطلقَ اسمُ بابِ الطاقِ على المنطقةِ التي تمتدُ إلى الشمالِ والشرقِ منهُ، وصارتُ تُعرفُ بمحلَّةِ بابِ الطاقِ.

انظر: مجمعُ البلدانِ. ياقوتُ الحمويِّ: ج ١، ص ٣٠٩.

أنت على دين وهي على دين، وهذا الشيء لا يطابق المنطق ولا يطابق تلقّي علوم المحاسبي فيما سبق ذكره، وقد تبيّن من المصادر أيضاً بعد وجود أي تفاصيل لحياة والدته أو عائلته، وهذا حال معظم العلماء؛ لكون أن النساء بحكم الآداب الدينية والعرفية لا يذكّرن بشيء^(١).

قال جنيد: كنتُ كثيراً أقول للحارث: عزّلتَني أُنسٌ تُخرّجني إلى وحشة رؤية الناس والطُرُقات، فيقول: كيف تقول أنسٌ عزّلتَني؟! لو أنَّ نصفَ الخلق تَقرَّبوا مُنِّي ما وجدتُ بهم أنساً، ولو أنَّ النصف الآخر نَأى عنِّي ما استَوَحشتُ لبعدهم^(٢). وقد تبيّن في هذه المراحلة من حياة الشيخ انتشارُ خبرٍ نية الخلوة والأنس بالله للمحاسبين ووصل للمربيدين، فجاءهُ أحدهُم وقال له: يا معلم، مَا هوَ الأنْسُ بالله؟

قال المحاسبي: التوْحُشُ من الخلقِ.

فقال المرید: فما علامَة التوْحُشِ؟

أجاب المحاسبي: الفرارُ إلى مواطن الخلوات، والتَّقدُّم بعذوبة الذِّكر؛ فعلى قدرِ ما يدخل القلبَ من الأنْسِ بدُكْرِ الله يخرجُ التوْحُشُ، وفي قولِ الله تعالى لداود عليه السلام: ((كُنْ بِي مُسْتَشِنْسَا وَمِنْ سُوَايِّ مُسْتَوْحِشِّا)).^(٣)

- ويبدو أنَّ هذه الأسئلة كانتُ في لقاءِ الأخير بتلاميذهِ في بغداد قبل الخلوة - . هجرَ الناس لرَبِّ النَّاسِ بخلوٍّ وعزلٍ دامتْ - تسعَةَ أَعوام - .

وقد جاءَ في بعض الكتب أنَّ خروج المحاسبي من بغداد كان بسبِّب صدودِ المربيدين عنهُ وعن علمِه^(٤)، وهذه المعلومة ليستْ دقيقة، وإنما جاءَت الخلوة لعَدَةِ أسبابٍ، ومنها حال بغداد وأحوال العلماء والنَّزاع

(١) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص.٨

(٢) انظر: الكواكب الدريّة. مناوي: ج١، ط٣، ص٥٨٦. تاريخ بغداد. الخطيب: ج٩، ص٨٠.

(٣) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص١٠٧.

(٤) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٨. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص٨٥.

القائم فيها، عند الخوض في تسلسل الأحداث الزمنية لعصره^(١)، وقد تلخصت الأسباب بما يلي:

أولاً: ضيق صدر المحاسبي من صراعات المدارس الدينية التي كانت ما بين المحدثين والمعتزلة^(٢)، وصراع الفقهاء مع المحدثين، والمعتزلة والفقهاء، وكان بعض المحدثين يُهاجرون في يتقدون في بعض الأحيان بسبب رده على المعتزلة ولخوضه في علم الكلام والجدل^(٣). وكانت بداية المواجهة حين رد المحاسبي علماء المحدثين فقال: ((إن الرد على البدعة فرض، أجبَهُ الإمام أحمد: نعم ولكن حكى شبهتهم أولاً، ثم أجبَتَ عَنْهُمْ فلِمْ تَأْمَنْ أَنْ يَطَالَعَ الشَّبَهَةَ مَنْ تَعْلَقَ بِفَهْمِهِ وَلَا يَفْهَمُ الْجَوَابَ))^(٤)، وانتهى الجدل فيما بينهما، ليسلك طريق التأويل والكلام عند البعض، ولكن تطور العلم في الفقه والأصول وهو علم يُعتبر كسائر بقية العلوم قد جاء بالرَّد بعد برهةٍ من بعض العلماء الذين تأثروا بالمحاسبي وساروا على نهج فكره، فقال فيما سبق ذكره:

((ما ذكره الإمام أحمد حَقًا في شَبَهَةٍ لَمْ تَتَشَهَّرْ وَلَمْ تَتَشَهَّرْ، فَأَمَا إِذَا انتشرتْ فَالْجَوَابُ عَنْهَا وَاجِبٌ))^(٥)، لينهي الجدل في الموضوع، ولكنه لم يَسْلِمْ مِنْ بَعْضِ أَسْلَافِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ دَسَوا فِي كِتَابِ إِحْيَاءِ عِلُومِ الدِّينِ بَعْضَ الْمَسَائِلِ الْمُشْبُوَهَةِ فَأَمْرَأُ بِحَرْقَهَا، وَقَدْ قِيلَ: ((لَوْلَا كِتَابَ الرُّعَايَا لِلْمُحَاسِبِيِّ مَا كَانَ كِتَابُ إِحْيَاءِ الْعِلُومِ لِلْغَزَالِيِّ))^(٦) الَّذِي كَانَ يَنْصُّ عَلَى نَهْجِ فِكْرِ الْمُحَاسِبِيِّ^(٧).

(١) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٣، ص ٩٥.

(٢) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٣.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراوي: ج ١، ص ١٣٩. طبقات الصوفية. للسلمي: ص ٢٢.

(٤) أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٣.

(٥) انظر: المنفذ من الضلال. أبي حامد الغزالى: ص ٣٢.

(٦) انظر: الموسوعة الصوفية. عبد المنعم الحنفي: ص ٣٠٦.

(٧) انظر: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل. للكنوى: ص ١٧٦.

وثانيًا: إنَّ أسلوبَ تعامل الخليفة العباسى المتوكِّل ومعاملته لرجال الدين والتنكيل بهم، وحياة الترف التي كان يعيشها أخلفاء المسلمين، وتقرَّبَ بعض العلماء للخليفة لنصرة مذهبِه لِمُتَرُّقِّ للمحاسبى^(١)، فخرج المحاسبى من بغداد قاصدًا الكوفة سنة مائتين واثنين وثلاثون هجرية^(٢) قاصدًا العزلة وسالكًا طريقَ الخلوة^(٣)؛ فقد تركَ المريدين وتركَ الوعظ قاصدًا الأنسَ بالله بعد سُنْ تجاوزَ ثلاثة وستين وهو اقتداءً اتَّبعُهُ أُسَلَّافُ علماء التصوُّفِ مِنْ بَعْدِهِ في الخلوة^(٤).

لم يرجع المحاسبى إلى بغداد إلا بعد أنَّ وَرَدَ خبر وفاة الإمام أحمد، وذلك لحضور جنازَة الإمام أحمد التي حضرها كبارُ العلماء^(٥)، فلم يُتَعْرَفْ عليهِ تلاميذه وأصحابه حينها، ولا الذين في بغداد؛ فالمدةُ طوٰيلَةٌ وقد مرَّتْ على المريدين أهواُل وأهواُل، فكانَ الرحيلُ عنْ بغداد لِلأنسِ والخلوٰة بالله، وعادَ لتأدية الواجب والصلة على عَالَمِ وصَدِيقِهِ، وهذه الحقيقة تَخَالَّفُ بعضُ الكتبِ في رحيلِ المحاسبى عن بغداد والعودة لها^(٦).

ولهذا قيلَ؛ إنَّ جاءَ تنكيلُ بالعلماء فهو داءٌ قديمٌ في البشر يستظهُرُ الإنسانُ برأيِّ كبيرٍ مِنَ العلماء؛ ليهدمَ عِلْمَ آخرٍ، ولكنْ شاءَ اللهُ تعالى إبطالَ حجَّةِ الْهَادِمِ في جُمْلِ الأحداثِ، التي ذُكِرَتْ في ما سبقَ، بحججٍ بائنةٍ أجرَتْ على قلمِهِ ولسانِهِ ولدليلِ خطئِهِ ولو بَعْدَ حينِ

اجتمعَ المحاسبى بأصدقائهِ والمريدين القدامى بعد غياب طويـلٍ عنـهم، وقبل موته بـمدة قصيرة قال لهم: عندما يأتينـي الموت إنـ رأـيت ما أـحـبـ

(١) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج٤، ص٧٧. طبقات الفقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٨.

(٢) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦. طبقات الصوفية. اللسلمي: ص٢١.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية. عبد الحليم محمود: ص١٩٦.

(٤) انظر: عوارف المعرفة. السهر وردي: ج٢، ص٤٢. ص٤٠. تذكرة الأولياء. النيسابوري: ص٢٩٣. التعرف لمذهبِ أهل التصوُّفِ. محمد بن اسحاق الكلبازى: ص١١٤.

(٥) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج٤، ص٨٤. طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج١، ص٤٣٩.

(٦) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج٢، ص٢٧٦.

تبسمتُ إليكمْ، وإن رأيت غير ذلك تَنَسَّتمْ^(١) في وجهي، فقال أبو ثور^(٢) عن هذا الأمر: حضرتُ وفاةَ المحاسبيِّ رحْمَهُ اللَّهُ، فتَبَسَّمَ ثُمَّ ماتَ، وقوله تَنَسَّتمْ في وجهي بفتح التاء المثلثة منْ فوق بعدها نون وسین ضبطناه لكيلا يتَصَحَّفَ^(٣).

توفي المحاسبيِّ رحْمَهُ اللَّهُ، سنة (مئتين وثلاثة وأربعين هجرية)^(٤)، ودُفِنَ في مقبرة الكرخ ببغداد^(٥)، وصلَّى عليه أربعةٌ فقطٌ من تلاميذه، كان زاهداً حتى في موته، أكتفى بأربعةٍ علماءٍ من التصوّف على حشود النَّاسِ^(٦)؛ ليفارقُ الْخَلْقَ إِلَى الْخَالِقِ ويلقى رَبَّ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ اسْتَوْحِشَ مِنَ النَّاسِ، عاشَ المحاسبيَّ تَسْعَ وسبعين سنة.

ويَتَبَيَّنُ أَنَّ فِي وصيَّةِ المحاسبيِّ لِلمُرِيدِينَ رسالتان مِنْ بَعْدِهِ حَوْلِ قَبْوِلِ تَعَالِيمِهِ مِنْ رَبِّ الْعَزَّةِ، وَكَمَا يَلِي:

(١) تَسَمَّ: هبوبُ الرَّيحِ وجَدَ لَهَا حَفَّاً التي تجيءُ منها بِنَفْسٍ ضعيفٍ.
انظر: تهذيبُ اللغة. محمد الأزهري: ج ١٣، ص ١٥.

(٢) أبو ثور: هو إبراهيم بن خالد، الإمام الحافظ الحجة المحتهد، مفتى العراق أبو ثور الكلبي البغدادي الفقيه، ويكتى أيضاً أبو عبد الله، وسمع من: سفيان بن عيينة، وعبيدة بن حميد، ويزيد بن هارون، ثقة مأمون، أحد الفقهاء، مات سنة ٢٤٣هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء: ج ١٢، ص ٧٤.

(٣) والصَّحِيفَ: الْحَطَّا في الصَّحِيفَةِ.
انظر: القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي: ج ١، ص ٨٢٦.

(٤) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٨. أستان الساترين. عبد الحليم محمود: ص ٣٢٣.
(٥) وردت في بعض المصادر ٢٤٢هـ. والأغلبية كانت ٢٤٣هـ.

انظر: مخطوطه النصائح. المحاسبي: ص ١، موسوعة الخلفاء المسلمين. الكبي: ج ٢، ص ٥٥.
طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٨. الكواكب الدرية. مناوي: ج ١، ط ٣، ص ٥٨٦. ذكرية الأولياء. النيسابوري: ص ٢٩٣. الرسالة الفشيرية. نور الدين القشيري: ص ٥٩. الطبقات الكبرى. الشعراوي: ج ١، ص ١٣٨. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ١١٠.

(٦) انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج ١، ص ٤٤٤. أبناء أبناء الزمان. ابن خلkan: ٦١.

(٧) انظر: الكامل. لابن الأثير: ج ٢، ص ١٢٨. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٣.

أولاً: كان حريصاً بتلقي إشاراتِ قبولِ نهجهِ من رب العالمين في موتهِ، وهي في معنى الكلمة تنسّتم ذلك في وجهي؛ لكي تكونَ بشرى للاميذه وتصديق لنهجهِ المتبعِ منْ بَعْدِ موتهِ.

ثانياً: حثّهم بالسعي الدائم لمقام ذكر الموتِ كعارفين لا مسأفين، لكونه قد شدّد القول في مقام ذكر الموت فقال: ((المتأنفُ: هو المبتدئُ الذي يغلبُ على قلبه ذكرُ فيتركُ الزللَ مخافة العقاب، فكما حاجَ ذكرُ الموتِ من قلبه ماتُ الشهواتِ عندهُ، وأما العارفُ: فذكرُه للموتِ محبَّةً لهُ اختياراً على الحياةِ وتبرُّ ما بالدنيا التي قد سلا قلبه عنها شوقاً إلى الله ولقاءِ رجاءِ أملِ النَّظرِ إلى وجههِ والنَّزولِ في جواره؛ لما غلبَ على قلبه منْ حُسْنِ الظنِّ بربِّهِ)).^(١)

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفقاء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٩١.

شيوخه وتلاميذه

إنَّ مسَارَ هَرَجَ الْوَعْظِ عِنْدَ الْمَحَاسِبِ فِي الْأَحَادِيثِ وَالرَّوَايَةِ تَؤَكِّدُ خُطْرِيَّةَ آثَارِهِ فِي تَلْقَيِ الْعِلُومِ؛ فَنَجِدُ قَدْ تَحَدَّثُ عَنْ: هَشِيمَ بْنَ بَشِيرَ الْوَاسِطِيِّ^(١) وَشِيَخَ الْأَخْرَيْنَ سَيِّدَ الْمُكَفَّلِيْمُ سَلْفًا جَاءَتْ بِلِفْظِ حَدِّثَنَا - وَهِيَ تَفِيدُ بِالرَّوَايَةِ الْمَبَاشِرَةِ فِي الْأَحَادِيثِ وَالنَّصْوَصِ، وَتَسِنَدُ عَلَى أَمَّهَا مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الرَّوَايَةِ فِي الْأَحَادِيثِ، وَاتَّضَحَ أَنَّ مَدِينَةَ وَاسْطَ^(٢) جَاءَتْ بَعْدَ الْبَصَرَةِ فِي تَلْقَيِ عِلُومِهِ وَتَبَيَّنَ ذَلِكَ عِنْدَ سَرِيدِ الْأَحَادِيثِ وَالْأَثْرِ، فَجَاءَ إِسْنَادُهُ عَنْ عَبَادَ بْنِ الْعَوَامِ^(٣)، وَعَلَيَّ بْنِ عَاصِمِ الْوَاسِطِيِّ^(٤)، وَعَنْهُ هَشِيمَ بْنَ بَشِيرَ، فَقَدْ أَتَّبَعَ هَرَجَ عِلْمَ الْفَقِيرِ عِنْدَ الْعَدْدَةِ وَتَوْبِيَّةِ الْزَّانِي وَمَقَادِيرِ الْزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ، وَقَدْ تَمَّ تَصْنِيفُ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ بِالْأُولَى مِنْ تَلْقَيِ عِلُومِهِ مِنَ الْمَشَايخِ^(٥).

وَبَعْدَ أَنْ تَجَاوِزَ الْثَّلَاثَيْنِ مِنِ الْعُمُرِ اَنْتَلَقَ الْمَحَاسِبِيُّ إِلَى بَغْدَادَ وَتَتَلَمَّذَ

(١) هَشِيمَ بْنَ بَشِيرَ: هُوَ أَبُو مَعَاوِيَّةَ هَشِيمَ بْنَ بَشِيرَ الْوَاسِطِيِّ الْحَافِظُ أَحَدُ الْأَعْلَامِ، سَمِعَ مِنْ: أَبِنِ عَمِّهِ، وَالْأَزْهَرِيِّ، رَوَى عَنْهُ: مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ وَالْتَّرْمِذِيُّ، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، أَبُو عَبِيدِ الْقَاسِمِ، كَانَ نَقِةً كَثِيرَ الْحَدِيثِ، مَاتَ سَنَةً ١٨٣ هـ.

انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج ١٤، ص ٩٠.

(٢) وَهِيَ مَدِينَةُ فِي الْعَرَاقِ مَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصَرَةِ، وَقِيلَ جَاءَتْ تَسْمِيَتِهَا لِهَذَا الْمَعْنَى، وَلَهَا تَسْمِيَّةُ قَدِيمَةٍ اسْمَهَا وَاسْطَ الْقَصْبِ، أَوْلَى مِنْ عَمْرَهَا الْحَجَاجُ بْنُ يُوسُفَ التَّقْفِيُّ فَقَدْ اسْتَطَابَ لِلْمَدِينَةِ وَعَذْبَ نَهْرِهَا فَجَعَلُوهَا مَدِينَتَهُ بَعْدَ أَنْ ضَجَّرَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ.

انظر: مجمع البدان. الحموي: ج ٥، ص ٣٤٩.

(٣) عَبَادُ بْنُ عَوَامَ أَبْنَاءُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَنْذُرِ الْإِمَامِ الْمُحَدِّثِ الصَّدُوقِ أَبْو سَهْلِ الْكَلَابِيِّ الْوَاسِطِيِّ، حَدَّثَ عَنْ: أَبِي مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَجِيْحِ الْمَكِيِّ، وَأَبِي إِسْحَاقِ الشَّيْبَانِيِّ، وَعَنْهُ: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَعُمَرُو النَّافِدَةِ، وَزَيْنُ الدِّينُ بْنُ أَبِي يُوبٍ، وَعَلَيَّ بْنُ مُسْلِمِ الطَّوْسِيِّ، كَانَ مِنْ نَبَلَاءِ الْرِّجَالِ فِي كُلِّ أَمْرٍ، تَوَفَّى سَنَةً ١٨٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٥١٢.

(٤) عَلَيَّ بْنُ عَاصِمِ الْوَاسِطِيِّ، الْإِمامُ الْعَالَمُ، شِيَخُ الْمُحَدِّثِينَ، مَسْنَدُ الْعَرَاقِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَرْشِيِّ، وَرَوَى عَنْ: حَصِينِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَبِيَانِ بْنِ بَشِيرٍ، وَبِحَبِيِّ الْبَكَاءِ، وَعَنْهُ: يَزِيدَ بْنَ زَرِيعَ مَعَ تَقْدِيمَهِ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ. مَاتَ سَنَةً ٢٠١ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٢٤٩. طبقات ابن سعد: ج ٧، ص ٧٣.

(٥) انظر: العقل وفهم القرآن. للمحاسبي، ت: حسين الفوთي: ص ٧.

على يد الإمام الشافعي ما بين سنة (١٩٥ ١٩٧ هجرية)، فهو من عاصرُه وشاهده واختار مذهبَه واتبع نهجَه في الفقه والتفسير^(١)، وحدث عن علماء الشافعية في بغداد، ومنهم مروان بن شجاع في العلوم واللغة والقرآن، وعن أبي عبيد القاسم سلام البغدادي الذي دل نهجَه في مفهوم العام والخاص والناسخ والمنسوخ في التفسير والأحاديث. ويبدو أن المحاسبي قد تأثر به كثيراً، ويتبين من خطوطه المسائل في أعمال القلوب والجوارح أنَّ الاقتباس جاءَ عند المحاسبي من العلماء بصورةٍ مباشرةٍ بسببِ أنَّ سردَ الحديثِ جاءَت بصيغةٍ (حدثنا)^(٢).

وما سبق ذكرُه يتبين أنَّ المحاسبي قضى بُعْدَ حياته في تلقي العلوم بين بيتَةِ المحدثين والفقهاء، مما كان لهُ الأثرُ العميقُ في نهجِ فكره بعلمِ الجدلِ وأسماءِ الرجالِ والروايةِ والفقهِ والتفسير، ويتبينُ أنَّه قد أدركَ منذ الوهلةِ الأولى في مراحلِ تلقي العلوم أنَّ النزاعَ القائمُ بين الفرقِ الإسلامية كان بسبِبِ التأويلِ في الكلامِ والخوضِ بهِ عندَ تفسيرِهم للقرآنِ الكريم، والأحاديث، والأثر؛ لذلك كانَ شديداً الحرصُ على تلقي علومه من جميعِ المشايخِ الموثوقِ بهُم في البصرةِ، واسطِ، بغدادَ. بل وحتى عندما كانَ يخرجُ من بغدادَ قاصداً مكةَ والمدينةَ المنورةَ للحج يبحثُ عن العلماءِ والمشايخِ لتلقي العلوم في اللغةِ والتفسيرِ والفقهِ.

(١) طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٣٨٤. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٤.

(٢) انظر: مخطوطة الأعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٣. العقل وفهم القرآن للمحاسبي، ت: حسين القوتلي: ص ١٧.

وندرج أدناه البعض من المشايخ الذين سمع عنهم وسمع منهم:

عبيد الله بن حصين العنبري (١٦٨هـ)^(١). مروان بن شجاع الجزري (١٨٤هـ)^(٢). عبد الله بن مبارك (١٨١هـ)^(٣). سفيان بن عيينة (١٩٦هـ)^(٤) عالم تصنيف الأحاديث في المدينة المنورة^(٥). وكيع بن جراح (١٩٧هـ)^(٦) عالم أهل الحديث في العراق^(٧). روح بن عبادة (٢٠٥هـ)^(٨) من كبار المحدثين في البصرة^(٩).

يزيد بن هارون (٢٠٦هـ)^(١٠) من رواة الحديث وعلم التفسير^(١١). محمد بن كنافة (٢٠٧هـ)^(١٢) من رواة الحديث والأدب والشعر^(١٣). هاشم بن قاسم الليثي أبو النضر (٢٠٧هـ)^(١٤) شيخ المحدثين^(١٥). مطرف بن عبد الله بن شخير (٢٠٧هـ)^(١٦). عبد الله بن بكر السهمي (٢٠٨هـ)^(١٧) حديث

(١) عبد الله بن الحسن بن حصين العنبري بن عمرو بن تميم، ولد قضاء البصرة، وكان محموداً ثقة عالقاً من الرجال، سمع عن: داود بن أبي هند، وخالد الحذاء، وسعيد الجيربي، روى عنه: عبد الرحمن بن مهدي، ومعاذ بن معاذ القاضي، وخالد بن الحارث الهجيمي، قدم بغداد أيام المهدى، كان فقيهاً، مات سنة ١٦٨هـ.

انظر: الأنساب. السمعاني: ج٤، ص٢٤٦.

(٢) مروان بن شجاع: أبو عمر الجزري صاحب حديث ورع، نزل بغداد ودرس أولاد المهدى، روى عنه: أحمد بن حنبل، سعيد بن سليمان الواسطي، شريح بن يونس، مات سنة ١٨٤هـ.

انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج٣، ص١٤٧.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٣٧٩.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٤٥٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص١٤١.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص٤٠٣.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص٣٥٨.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص٥٠٩.

(٩) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص٥٤٦.

(١٠) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٨، ص٤٤٥.

ولغة العرب^(١). عطاء الخرساني (١٣٥هـ) عالم حديث^(٢). محمد بن كثير الكوفي (٢١٦هـ) حديث ورواية^(٣). سليمان بن حرب أبو أيوب البصري (٢٢٤هـ) علم الرجال وفقه وحديث^(٤). سنيد بن داود (٢٢٦هـ)^(٥). سُرِيح بن أبي يونس المروزي (٢٣٥هـ) رأس السنة والحديث^(٦). عبد الله بن سعيد البصري الكلابي (٢٣٨هـ) علم الجدل والنظر من المتكلمين بالسنة^(٧). محمد بن بشار بن عثمان (٢٥٢هـ)^(٨).

لقد أثبتت مخطوطة أعمال القلوب والجوارح أسماء العلماء الذين كسب الحارث المحاسبي علمه من خلال صحبتهم^(٩) كما ورد فيما سبق، وهذا لا يطابق الحديث في عدة مصادر التي ورد فيها أن لدى المحاسبي أستاذ واحد فقط وهو يزيد بن هارون^(١٠)، إن الاطلاع الواسع للمحاسبي على آراء العلماء جعله يقف من جميع الآراء في عصره موقف الناقد مُغرباً في وجوه خالفيه لا يقبل شيئاً إلى أن تظهر حجته^(١١)، فقد استطاع أن ينشئ بفكرة مدرسة في علم الكلام والجدل عند المريدين وسط بيئة المحدثين والفقهاء.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٤٥١.

(٢) انظر: تاريخ دمشق. ابن عساكر: ج ٣٨، ص ٤٤٨.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٣٨١.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٣٣١.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٠، ص ٦٢٨.

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١١، ص ٤٦.

(٧) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١١، ص ١٧٤. الملل والنحل. الشهري: ج ١، ص ٢٧.

(٨) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ٤٥.

(٩) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١١٥. ص ١٤٦.

(١٠) انظر: تاريخ الأدب العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٥٨.

(١١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٥. طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٩.

يتضح أنَّ جمِيعَ أَفْكَارِ وَنَهْجِ الْمَحَاسِبِيِّ فِي الْوَعْظِ قَدْ أَوْصَى بِهَا عَلِمَاءُ^(١) أَسْلَافُ مَدْرَسَةِ الْأَشْعُرِيَّةِ^(٢) الَّذِينَ أَقَامُوا الْجَدَلَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ^(٣)، وَالَّتِي كَانَتْ فِي عَدَّةِ مَسَائلٍ مِنْهَا حَلْقُ الْقُرْآنِ وَصَفَاتُ اللَّهِ سَبِّحَانَهُ، وَجَاءَ الْاِخْتِيَارُ لِنَهْجِ فَكْرِهِ بِسَبِّبِ أَنَّ عِلْمَ الرَّدِّ بِالْمَسَائلِ لَدِيهِ يَحْكُمُهُ الْعُقْلُ وَالنَّصّْ، وَهَذَا الْأَمْرُ اسْتَنَدَ عَلَيْهِ أَسْلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ فِي تَطْوِيرِ عِلْمِهِمْ حَتَّى الْوَقْتِ الْحَاضِرِ^(٤). وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ عِنْدَ بَعْضِ الْمَشَايخِ وَالْمَرِيدِيِّينَ الَّذِينَ أَكَمَلُوا الْمَسِيرَةَ فِي فَكْرِهِ، وَرَوَى بَعْضُهُمُ الْحَدِيثَ وَالْأَثْرَ مِنْ بَعْدِهِ، وَمِنْهُمْ :

(١) انظر : سيرة الشَّيخِ مُحَمَّدِ بْنِ خَفِيفٍ. عَلَيِ الدِّيلِمِيِّ: ص ١٠٩.

(٢) الْأَشْعُرِيَّةُ : هُمْ أَصْحَابُ أَبِي الْحَسْنِ الْأَشْعُرِيِّ الْمُنْتَسِبِ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعُرِيِّ . انظر : الْمَلْ وَالنَّحْل . الشَّهْرُسْتَانِيُّ : ج ١ ، ص ٨١ .

(٣) انظر : الْغُنْيَةُ لِطَالِبِيِّ الْحَقِّ . عَبْدُ الْقَادِرِ الْكِيلَانِيُّ : ج ١ ، ص ١٨٧ . الْمَلْ وَالنَّحْل . الشَّهْرُسْتَانِيُّ : ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(٤) انظر : عِلْمُ الْكَلَامِ وَالْمَجَمِعِ . جُوزْفُ فَانِ اسْ : ج ١ ، ص ٤٠ .

بشر بن الحارث الحافي (٢٢٧هـ)^(١). سر السقطي (٢٥٧هـ)^(٢).
محمد الورد (٢٦٢هـ)^(٣). محمد بن عبد الله ميمون (٢٦٢هـ)^(٤). سمسون
المحب (٢٧٠هـ)^(٥). إسماعيل بن إسحاق السراج الطوسي (٢٨٦هـ)^(٦). أحمد

(١) بشر بن الحارث الحافي أبو نصر، جاءت التسمية لأنَّه كان يمشي حافياً، أصله من مرو وسكن بغداد، من أعلام التصوف كبير الشأن من أقران الجنيد، وكان يصاحب الصوفية. مات في بغداد سنة ٢٢٧هـ.

انظر: الرسالة القشيرية. نور الدين القشيري : ص ٥٤.

(٢) أبو الحسن سر السقطي خال الجنيد كان ثليذ المعروف الكرخي وصاحب الحارث المحاسبي، مات ٥٢٨هـ.

انظر: الرسالة القشيرية. نور الدين القشيري: ص ٥٢.

(٣) محمد بن أبي الورد قريب الجنيد، له طريق للمسالك الصوفية صحب الحارث المحاسبي وسر السقطي وبشر الحافي، سار ذكره في العراق وانتهت إليه مشيخة الصوفية في بغداد، وله حديث عن المحاسبي، مات سنة ٥٢٦هـ.

انظر: الكواكب الدرية. المناوي: ج ١، ص ٦٩٦.

(٤) محمد بن عبد الله بن ميمون شيخ جليل فاضل نبيل، له محسن جمة من زهد وديانة، وتصوف، وحديث وفاته، ونسك، وشعر رقيق أغلب أحاديثه للمحاسبي -رحمه الله- وردت عنه، توفي سنة ٥٢٢هـ.

انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي : ج ٩، ص ١٠٦. طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٨١. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٢، ص ٤٨٠.

(٥) سمسون المحب: كان صوفياً مقبولاً لأهل زمانه، وقد سمي لقوة محبتِه لله تعالى، كان من أقران جنيد، توفي سنة ٥٢٧هـ.

وهو صاحب الشعر الذي أبكى المحاسبي في مجلس الذكر، الذي قال فيه :
أنا في العُرْيَة أبكي ما بكت عينُ غَرِيبٍ لم أكُن يَوْمَ حُرْوَجِي مِنْ بَلَادِي بِمُصِيبٍ.
انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين العطار: ج ١، ص ٢٩٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٦) إسماعيل بن إسحاق السراج الطوسي، سكن هو وأخوه بغداد. فحدث عن : يحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وساحق، وعدة، ولام الإمام أحمد، توفي سنة ست وثمانين ومائتين.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٣، ص ٢٠.

بن قاسم بن نصر دوست (٢٩٣ هـ)^(١). الجنيد البغدادي (٢٩٨ هـ)^(٢).
أحمد بن محمد بن مسروق (٢٩٨ هـ)^(٣). أبو عبد الله بن إسماعيل المغربي
(٢٩٩ هـ)^(٤). أحمد بن حسن بن عبد الجبار الصوفي (٣٠٦ هـ)^(٥).

أبو علي الحسين بن صالح بن خيران الفقيه (٣٢٠ هـ)^(٦). محمد بن

(١) أحمد بن قاسم بن نصر الإمام الزاهد العابد، حديث عن المحاسبي عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيمة من حسن الخلق». انظر: تاريخ مدينة السلام الخطيب البغدادي : ج ٥، ص ٥٧٦. سنن الترمذى. محمد بن عيسى : ج ٤، ص ٣١٨.

(٢) جنيد البغدادي: النهاندي، ثم البغدادي القواريري، والده الخازن هو شيخ الصوفية، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين ونوفة على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه، ومن الحسن بن عرفة، وصحب أيضاً الحارث المحاسبي وأبا حمزة البغدادي، وأنفقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأنّه وتعبد، ونطق بالحكمة، وقل ما وري، توفي سنة ٢٩٨ هـ.

طبقات الأولياء. ابن ملقن: ج ١، ص ١٦١. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٦٧.

(٣) أحمد بن محمد بن مسروق من أهالي مدينة الطوس، جاء إلى بغداد متوصفاً، وتلميذ الحارث المحاسبي، مات في بغداد ٢٩٨ هـ. قال حديث المحاسبي: ((ثلاثة أشياء عزيزة معدومة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة)). وقال أيضاً: ((كل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل التوفيق)).

انظر: تاريخ مدينة السلام: الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ١٠٦. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨١.

(٤) أبو عبد الله بن إسماعيل المغربي، أستاذ إبراهيم بن شيبان كان عجيب الشأن يأكل الحشائش، وقال: الأعمال عمارة الأوقات بموافقة القلوب. وهذا المقال هو ضمن منهج أعمال القلوب والجوارح عند المحاسبي رحمة الله.

انظر: الرسالة القشيرية: نور الدين القشيري: ص ٩٤.

(٥) أحمد بن حسن بن عبد الجبار الصوفي، صاحب حديث، حديث عن المحاسبي: قال في الحديث «قد شغل النبي شيء من أمر المشركين فلم يصل الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما فرغ صلاة الأول، الأول». وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف.

انظر: شذرات الذهب. لابن عمار: ج ٤، ص ٢٩. الجامع الصحيح. الترمذى: ج ١، ص ٣٥٥. تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ١٠٥. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ١١٠.

(٦) الحسين بن صالح بن خيران: الإمام شيخ الشافعية أبو علي الحسين بن صالح بن خيران، البغدادي الشافعى. هو أحد كبار علماء الشافعية، وقد حديث عن المحاسبي في أواخر حياته، توفي سنة ٣٢٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٥، ص ٥٩. موسوعة خلفاء المسلمين. زهير الكبي: ج ٢، ص ٩٣.

علي بن حكيم الترمذى (٤٢٠هـ).^(١) أحمد بن حسن الانصاري (٤١٢هـ).^(٢)
 محمد بن أحمد هارون الزنجانى (٥٥٠هـ).^(٣) أبي حامد الغزالى (٥٥٠هـ).^(٤)
 سعيد بن حسن الأندلسى أبو مدين الغوث (٥٩٤هـ).^(٥) الفيلسوف رينيه جينو والذي سميّ بعد إسلامه بالشيخ: عبد الواحد يحيى (١٨٨٦م).^(٦)

(١) حكيم الترمذى : أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذى المتوفى سنة (٣٢٠هـ ٩٥)، وقد جاء في كتابه ختم الأولياء حديث عن الحارث المحاسبي في شرح مسألة إسرار العمل في استواء السريرة والعالئية وشهوات النفس عند المربيدين.

انظر : سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ١٣، ص ٤٠٤. ختم الأولياء. حكيم الترمذى: ص ١٧١.

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الأنصاري الهروى المالىئى ، الصوفى ، الملقب بطاوس الفقراء ، جال في طلب العلم ولقاء المشايخ إلى نيسابور وأصبان وبغداد، وله معرفة وفهم، جمع وصنف. وقال الشيخ أحمد الأنصاري: سُنْنَةُ الْمَحَاسِبِيِّ عَنِ الْعُقْلِ، فَقَالَ: ((هُوَ ثُورَةُ الْغَرِيزَةِ مَعَ الْتَجَارِبِ، يَزِيدُ وَيَقُوِّيُّ بِالْعِلْمِ وَالْحَلْمِ)).

انظر : سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ١٧، ص ٣٠٠. طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨١.

(٣) محمد بن أحمد هارون الزنجانى ، كان فقيهاً منقاداً، الإمام المعاصر أبو بكر الشافعى. روى للحارث بسند أحمد بن مسروق: ((كل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل التوفيق)).

انظر : سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٩، ص ٢٣٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين المزى: ج ٥، ص ٢١١.

(٤) أبو حامد الغزالى : الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعيوبة الزمان من العلماء الأجلاء الذين أكملوا مسيرة المحاسبي وسار على نهجه، ولديه كتب منقولة من فكر المحاسبي، وهي: إحياء علوم الدين، محك النظر، معراج السالكين. مأخذ الخلاف. الدرة الفاخرة. مكاشفة القلوب. روضة الطالبين. توفي سنة ٥٥٠هـ.

انظر : سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ١٩، ص ٣٢٢.

(٥) هو سعيد بن حسن الأندلسى، شيخ مشايخ الصوفية في المغرب العربي، العالمة المتتصوف وشيخ الشيوخ، إنه الشيخ الورع الشاعر ، لقد تتفق من مصادر القرآن الكريم، مات الأندلسى سنة ٥٢٤هـ. ويبعدو في المسائل التي قدمها المحاسبي في محاربة النفس والزهد تحولت إلى قصائد شعر صوفية لازالت تتردد.

انظر : أبي مدين الغوث. الإمام عبد الحليم محمود: ص ٥٢. ديوان أبي مدين الغوث: ص ٢٥.

(٦) وهو رينيه جينو فيلسوف فرنسي من أسرة فرنسيّة كاثوليكية، كان متطلعاً للمعرفة بمعناها الصوفى، اعتنق الإسلام سنة ١٩٢١م، وسمى باسم الشيخ عبد الواحد، كتب عن انحراف المسؤولية والبروتستانتية وانتقد الروح المزيفة، وله عدة دراسات منها العقائد الهندية والتىصوفية، وتأملات حول الباطن، مات سنة ١٩٥١م.

انظر : أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٦. مقالات رينيه جينو، ت: زينب عبد العزيز: ص ٨.

يبدو أنَّ التصنيفَ الذي جاءَ حَوْلَ عَدْدِ تَلَامِيذِ الْمَحَاسِبِيِّ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ وَالْمَصَادِرِ غَيْرِ مَطَابِقٍ لِكَوْنِ أَنَّ الْمَادَةَ الْمَعْرُوفَةَ عَنِ الْمَوْضِيِّ تَبَرُّزُ تَأْثِيرَ عَدْدِ كَبِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِفَكْرِهِ فِي عَصْرِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ^(١).

وَلَا يَخْفَى أَنَّ تَعَالَىمَ التَّصَوُّفِ عَنْدَ الْمَحَاسِبِيِّ وَالْمَشَايِخِ الَّذِينَ لَازَمُوا فَكْرَهُ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَسْلِمُوا مِنَ الْاِنْتِقَادَاتِ وَالتَّجْرِيْحِ حَتَّى بَعْدِ مَوْتِهِمْ^(٢)، وَرَغْمَ ذَلِكَ بَقِيَ تَأْثِيرُهُمْ كَبِيرًا وَتَمَّ قَبُولُ تَعَالِيمِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَحَاسِبِيِّ بَحْثٌ فِي الْفَقَهِ الْإِسْلَامِيِّ تَأْثِيرُ الرُّوْحِ وَالْفَنْسِ عَلَى أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ وَفَرَقٍ فِيْ بَيْنِهَا، وَأَخْرَجَ لَنَا الْمَفْهُومَ الْحَقِيقِيَّ لِلتَّصَوُّفِ مِنْ هَذَا الْعِلْمَ؛ فَهُوَ شِيَخُ الْمَدْرَسَةِ الَّتِي تَكْشِفُ الْعِلْلَ الَّتِي أَصَابَتِ النَّفْسَ وَهَذَا سَبَبَ تَقْدِيمِهِ.

فَقَالَ: ((الْعَمَلُ بِحَرْكَاتِ الْقُلُوبِ فِي مُطَالِعَاتِ الْغُيُوبِ أَشَرَّ فُ منَ الْعَمَلِ بِحَرْكَاتِ الْجَوَارِحِ))^(٣).

وَقَالَ: ((تَفَاوْتُ النَّاسُ فِي الزَّهَدِ عَلَى قَدْرِ صَحَّةِ الْعُقُولِ وَطَهَارَةِ الْقُلُوبِ؛ فَأَفْضَلُهُمْ أَعْقَلُهُمْ وَأَفَهَمُهُمْ عَنِ اللَّهِ))^(٤).

إِنَّ مَنْزِلَةَ الْمَحَاسِبِيِّ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ جَامِعًا لِلْعِلْمِ عَامِلًا بِهِ، بَلْ صَاحِبُ فِكْرِ الْمَدْرَسَةِ تَصُفُّ بِالْتَّحْلِيلِ وَالْكَشْفِ عَنِ عُلُلِ الْأَمَمِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عَصْرِهِ وَكُلِّ الْعَصُورِ مِنْ بَعْدِهِ^(٥)، فَقَدْ تَكَشَّفَتْ لَهُ الْحُجَّبُ وَاسْتَنَارَ فِيهِ فِكْرُ التَّصَوُّفِ وَالْوَعْظِ وَسَرِحَ آفَاتِ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ وَدَاءِ الْقُلُوبِ فِيهَا^(٦)،

(١) جاءَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ وَالْمَصَادِرِ أَنَّ الْمَصْنَفَ كَانَ تَأْثِيرَهُ الشَّخْصِيُّ ضَئِيلٌ جَدًّا.

انْظُرْ: كِتَابُ تَارِيخِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ. كَارْلُ بِرُوكْلَمَانْ: ج٤، ص٥٨. طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ السَّبْكِيَّ: ج٢، ص٢٧٧.

(٢) انْظُرْ: الْمَآخذُ الْعِقِيقِيَّةُ عَلَى كِتَابِ إِحْيَاءِ عِلْمِ الدِّينِ: ص٢٤٠. كِشْفُ الظَّنُونِ. الْحَاجُ خَلِيفَةُ ج١، ص٩٠٨.

(٣) انْظُرْ: الْكَوَاكِبُ الدَّرِيَّةُ فِي تَرَاجِمِ الصَّوْفِيَّةِ. زَيْنُ الدِّينِ الْمَنَاوِيِّ: ج١، ص٥٨٧.

(٤) انْظُرْ: مَصْدَرُ نَفْسَهُ: ج١، ص٥٨٨.

(٥) انْظُرْ: تَذَكِّرُ الْأَوَّلِيَّاءِ. فَرِيدُ الدِّينِ الْعَطَّارُ: ص٢٩٠.

(٦) انْظُرْ: الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ. زَيْنُ الدِّينِ الْقَشِيرِيِّ: ص٥٧.

والذِي دَافَعَ بِحَدَارَةٍ بِنَهَجِ الْإِسْلَامِ عَنْ فَطْرَةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي أَوْصَىَ بِهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

إِنَّ الْوَرَعَ وَالْزَهَدَ فِي عَصْرِ الْمَحَاسِبِيِّ كَانَ إِتْهَاماً، وَكَانَتُ الْمَعْرِفَةُ
بِالْأَصْوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَزِيزَةَ الْمَنَالِ، وَكَانَ الْجَهَلُ فِي الْفَنُوسِ وَعَلَيْهَا مَنْفَشِيًّا،
إِنَّ الْمَرْحَلَةَ الَّتِي كَانَ يَعِيشُهَا الْمَحَاسِبِيُّ وَفَكَرُهُ فِي تَأْسِيسِ مَدْرَسَةِ الْزَهَادِ
فِي مَدِينَةِ بَغْدَادِ، وَاتَّضَحَ أَنَّهَا مِنَ الْمَرَاحِلِ الصَّعِبَةِ فِي الشَّبَاتِ عَلَى النَّهَجِ
الْإِسْلَامِيِّ الصَّحِيْحِ فِي عَصْرِهِ، فَقَدْ كَشَفَ الْمَحَاسِبِيُّ عَنْ ذَلِكَ كُلَّهِ فِي
كُتُبِهِ بِطَرِيقَةٍ سَهِلَةٍ عَنْ طَرِيقِ الْوَعْظِ وَالنَّصْحِ^(٢).

(١) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفقاء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٧٤.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراوي: ج ١، ص ١٣٨.

ثناء أهل العلم عليه

لقد برع المحاسبي في الكشف عن فئات المجتمع، ومنهم العلماء والصوفية والزهاد والأغبياء ببراعة؛ فهو عالم العارفين في زمانه^(١)؛ مما شكل لديه ثراث هائل من علم النفس وآفاتها الذي مازال يتذكر الكشف عنه، ويدوّن نهج الوعظ عند المحاسبي اتخاذ مجرى آخر فيما بعد عند بعض أسلاف الصوفية، ومنهم أبو مدين الغوث الذي نظم كلمات الوعظ على منهاج قصائد شعرية تغنت بها الصوفية^(٢)، ولم تقف عند قصائد الشعر، بل جاءت عند الشيخ أبي حامد الغزالى كمنهاج في التفصيل والشرح المفصل لكلمات الوعظ ومحاربة النفس، ووجدت للغزالى مصنفات ورسائل عديدة لفكرة المحاسبي فتمثلت بعلمه خير تمثيل^(٣).

وجاءت على شكل نقاط تفصيلية في محاربة آفات القلب وإخلاص العمل وتدرج لطبقات العبادة عند مؤلفات محمد بن علي بن حكيم الترمذى^(٤)، وقد جاءت فيها بعض الموعظ كشرح مفصل عن أعمال القلوب بعد مطابقة مع مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح في مسائل الزهد والورع في إرشاد المريدين والসالكين في مذهب التصوف^(٥).

(١) انظر : الكواكب الدرية في ترجم الصوفية. المنشاوي : ج ١، ص ٥٨٧.

(٢) يقول أبو مدين في شعره : (ما لذة العيش إلا بصحبة الفقراء). وكلمات وعظ المحاسبي تقول : (من أراد التلذذ بصحبة أهل الجنة ونعمتها فليقطع بصحبة أهل الفقر). وقصيدة الشعر أبو مدين الغوث :

(قد طال شوقى للنبي محمد... هل لي إلى ذلك المقام وصول). وجدت هذه الأبيات في غلاف مخطوطة كتاب العلم للمحاسبي في مكتبة السليمانية.

انظر : تذكرة الأولياء. النيسابورى : ص ٢٩٤. طبقات الأولياء. ابن ملقن : ج ١، ص ١٧٥. ديوان أبي مدين الغوث : ص ٤. أبو مدين الغوث. عبد الحليم محمود : ص ٥٢. مخطوطة العلم. المحاسبي : ص ٣٢.

(٣) انظر : النفوس. للمحاسبي : ص ٥٩. انظر : احياء علوم الدين. الغزالى : ص ٣٦. المنقد من الضلال. الغزالى : ص ٣٢.

(٤) انظر : ختم الأولياء. الترمذى : ص ١٧١. مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي : ص ١٣٨.

(٥) انظر : مذهب التصوف. محمد الكلباجى : ص ١١٣، ص ١١٤. مخطوطة أعمال القلوب. المحاسبي : ص ١١٨، ص ١٣٨.

أمّا عن أسلوب فُكُر ووعظ وكبح النفس عند المحاسبي تمثلت عند (الشيخ عبد الواحد حبيسي) في تعبير صادق عن آفات النفس في بداية ظهور مؤلفاته في بداية القرن العشرين، وقد تبيّن أنَّ القصائد الشعرية للمحاسبي كان لها صدى كبيرٌ، ولكن لم يصل إلينا منها إلا القليل؛ لكونها باقية حبيسة^(١) المكتبات، ومنها:

الخَوْفُ أَوْلَى بِالْمُسِيءِ إِذَا تَأَلَّهَ الْحَزْنُ

وَالْحُبُّ يَحْسُنُ بِالْمُطِيعِ وَبِالنَّقِيِّ مِنَ الدَّرَنِ

وَالشَّوْقُ لِلنِّجَاءِ وَالْأَبْدَالِ وَعِنْدِ ذِي الْفِطْنَةِ^(٢).

يَا عَايَبَ الْفَقْرِ أَلَا تَزَدِّجِرْ عِيْبُ الْغَنَّا أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرْ

تَقْصِيَ الْإِلَهُ لِتَنَالَ الْغَنَّا وَلَا تَطْعُمُ لَكِي تَفْتَقِرْ^(٣).

وَيَجْمَعُ الْمَالَ حَبَّاً لَا يَفْارِقُهُ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لِلْغَيْرِ يَجْمَعُهُ

تَرَاهُ يَشْفُقُ مِنْ دَرَهِمٍ يَضْعُلُ لَهُ وَلَيْسَ يَشْفُقُ مِنْ زَرِي يَضْيَعُهُ^(٤).

وَأَمَّا بِيَتُ الشِّعْرِ الَّذِي كَانَ قَدْ تَأْثَرَ بِهِ الْمَحَاسِبِيُّ وَبِيَكِيُّ حَتَّى يَرْكُحُهُ كُلُّ مَنْ كَانَ قَدْ حَضَرَ دَرَسَهُ مِنَ الْمَرِيدِينِ، وَهُوَ بِيَتُ لِلشِّعْرِ لِأَحَدِ مَشَايِخِ التَّصَوُفِ فِي بَغْدَادِ^(٥):

(١) الحَبِّسُ جمع الحَبِّيسِ: يقع على كل شَيْءٍ وقفه صاحبه.

انظر: تهذيب اللغة. المؤلف: محمد الهروري: ج٤، ص ١٩٨.

(٢) انظر: تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: ج ٩، ص ١٠٦.

(٣) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٥.

(٤) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ١٠.

(٥) ان الشاعر لهذه الأبيات هو الصوفي سمنون بن حمزة المحب (٢٧٠هـ)، والمادة تدل انه كان في حفة للتقي العلم عند الشيخ المحاسبي الذي القى الشعر عليه فبكى.

انظر: الرسالة الفشيرية. زين الدين الفشيري: ص ٨٩. الطبقات الكبرى. الشعراوي: ج ١، ص ١٣٨.

أنا في الغربة أبكي ما بكتْ عينُ غريبٍ

لِمَ أَكُنْ يَوْمَ خُرُوجِي مِنْ بَلَادِي بِمُصِيبٍ^(١).

كان المحاسبي يجالسُ الإمام الشافعي رضي الله عنه وتحلى بصحبته وبحلى العقد الفريد من العلم^(٢)، واعتبرَ من العلماء الأوائل الذين سمعوا الحديثَ منهُ، وجمعوا الفقهَ والكلامَ واللغةَ وعلمَ القرآن^(٣)، وقد أشادَ العلماءُ بعلمهِ في فقهِ الظاهرِ وفقهِ الباطنِ وفي طرقِ التصوّفِ والمعاملاتِ^(٤).

وتمَّ قبولُ تعاليمهِ مِنْ ضمنِ الشيوخِ الخمسةِ الذين تُقبلُ تعاليمهُمْ وتطبّقُ شرعاً وأفعاً؛ لأنَّه جمعَ بينَ العلمِ والخلقائق^(٥)، وعندما صُنفتْ طبقاتُ العلماءِ اعتُبرَ من الطبقةِ الأولى في طبقاتِ الصوفيةِ من حيثُ الزهدِ والورعِ والمعاملاتِ وحبِّ الله^(٦)، وولى من الأولىِ في ورثةِ الأنبياءِ صلواتِ اللهِ عليهمِ في الأقوالِ والأفعالِ^(٧)، وصُنفَّ من الأوائلِ في العقدِ الثالثِ في طبقاتِ الزهدِ حسبِ إحصاءِ فيمن توفي بعدِ المائتينِ إلى نهايةِ القرنِ الثالثِ^(٨)، ولهُ الآخرُ في مناقِبِ علماءِ الصوفيةِ حولَ أقوالِهمِ وحكمِهمِ

(١) انظر: تذكرة الأولياء، فريد الدين العطار: ج ١، ص ٢٩٠. طبقات الشافعية، السبكي: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٢) انظر: طبقات فقهاء الشافعية، ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٨. التراث العربي، فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٣.

(٣) انظر: التعرف لمذهب التصوف، محمد بن اسحاق الكلباني: ص ١٢. الكواكب الدرية في ترجم الصوفية، المناوي: ص ٥٨٥.

(٤) انظر: شفاء السائل وتهذيب المسائل، ابن خلدون: ص ٤٥. انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقطان: ج ٢، ص ١٠٦.

(٥) انظر: الكواكب الدرية في ترجم الصوفية، مناوي: ج ١، ص ٥٨٦. الطبقات الكبرى، الشعراوي: ج ١، ص ١٣٩.

(٦) انظر: طبقات الصوفية، للسلمي: ص ٢١.

(٧) انظر: تذكرة الأولياء، فريد الدين العطار: ج ١، ص ٢٩٠.

(٨) انظر: الكامل، ابن الأثير: ج ٦، ص ١٢٨. الكواكب الدرية في ترجم الصوفية، مناوي: ج ١، ص ٥٨٥.

ونصائحهم وإرشاداتهم الشفينة^(١)، وكان له أكثر من مائتي مصنف لم يكشف إلا عن القليل منها، وقد تم تحقيقها، والباقي مخطوطات بلا عنوانين^(٢).

وقد قيل عنه في فکر وعلم المعاملات:

- ♦ عديم النظير في زمانه علمًا وورعًا، معاملةً وحالًا^(٣).
- ♦ هو إمام في التصوّف وفي الفقه والحديث والكلام^(٤).
- ♦ أحد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر والباطن^(٥).
- ♦ عالم مشايخ القوم بعلم الظاهر وعلوم المعاملات والإشارات، أستاذ أكثر البغداديين^(٦).
- ♦ قال جنيد البغدادي: تَقَهَّتْ عَلَى أَصْحَابِ مَذَهَبِ الْحَدِيثِ، صَحَّبَتْ الْحَارِثَ الْمَحَاسِبِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ كَانَ سَبَبُ فَلَاحِي؛ إِذْ عِلْمَنَا هَذَا مَضِبُوطَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنْنَةَ^(٧).
- ♦ المحاسبي من الرهاد المتكلمين عن العبادة والزهد في الدنيا والمواعظ، كان فقيها متكلماً وعرف مذاهب النساء^(٨).

(١) انظر: الطبقات الكبرى. الشعراوي: ج ١، ص ١٣٨.

(٢) انظر: طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢، ص ٢٧٦. طبقات الشافعية. السبكي: ج ١، ص ٥٨٦. تاريخ التراث العربي. سرکین: ج ٤، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. کارل بروکلمان: ج ٤، ص ٥٨.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية. القشيري: ج ١، ص ٥٧.

(٤) انظر: طبقات فقهاء الشافعية. ابن صلاح: ج ١، ص ٤٣٩.

(٥) انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج ٨، ص ٢١٤.

(٦) انظر: طبقات الصوفية. لأبي عبد الرحمن السلمي: ص ٢١.

(٧) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٤.

(٨) انظر: الفهرست. لابن نديم: ٢٦١.

- ♦ الزَّاهِدُ النَّاطِقُ بِالْحُكْمَةِ^(١).
- ♦ من عُلَمَاءِ الْقَوْمِ بِعِلْمِ الظَّاهِرِ وَعِلْمِ الْأَصْوَلِ وَعِلْمِ الْمَعَالِمِ، عَدِيمُ النَّظَرِ فِي زَمَانِهِ^(٢).
- ♦ كَانَ لِأَلْوَانِ الْحَقِّ مُشَاهِدًا وَمُرَاقِبًا، وَلِأَثَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَاعِدًا وَمَصَاحِبًا، فِي عِلْمِ الْأَصْوَلِ رَاسِخًا وَرَاجِحًا، وَلِمَرْبِدِينَ قَابِلًا نَاصِحًا^(٣).
- ♦ جَمْعُ فَقَهَ الْبَاطِنِ وَفَقَهَ الظَّاهِرِ، وَعِلْمُ الْوَرَعِ وَعِلْمُ الْقُلُوبِ^(٤).
- ♦ الْمَحَاسِبِيُّ صَنَّفَ بِالْمَعَالِمِ وَجَمَعَ الْفَقَهَ وَالْكَلَامَ وَالْلُّغَةَ وَعِلْمَ الْقُرْآنِ^(٥).
- ♦ إِمَامُ الْطَّرِيقَةِ وَلِسَانُ الْحَقِيقَةِ، الْعَارِفُ مُعْدَنُ الْأَسْرَارِ وَالْحُكْمِ، اجْتَمَعَ لَهُ عِلْمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، لَهُ تَصَانِيفٌ فِي السُّلُوكِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْأَصْوَلِ^(٦).
- ♦ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْطَّرِيقَةِ، مَرْجِعٌ أُولَئِكَ زَمَانِهِ فِي الْمَعَالِمِ وَالْإِشَارَاتِ، وَكَانَ عُلَمَاءُ فِي عَصْرِهِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ فَنٍّ مُخْتَصٍ بِالْتَّجْرِيدِ وَالْتَّوْحِيدِ وَالْمَجَاهَدَةِ وَالْمَشَاهَدَةِ، شَيْخُ بَغْدَادَ^(٧).
- ♦ عَلَمٌ وَأَسْتَاذٌ صَوْفِيٌّ، بَرَعَ فِي عَدَّةِ فَنَّوْنَ، وَاعْظَمُ، إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْفِقَهِ وَالْتَّصُوفِ وَالْكَلَامِ، أَحْيَا الْقُلُوبَ بِوَعْزِهِ، وَشُفِّيَّتِ الْأَسْمَاعُ بِدُرَّ لِفْظِهِ^(٨).

(١) انظر: شذرات الذهب. لابن العماد: ج٣، ص١٩٧.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى. للشعراني: ج١، ص١٣٩.

(٣) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج١٠، ص٧٤.

(٤) انظر: شفاء السائل في تهذيب المسائل. لابن خلدون: ص٣٥.

(٥) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف. الكلاباذي: ص١٢.

(٦) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان. على الياقعي: ج٢، ص٦١.

(٧) انظر: تذكرة الأولياء. فريد الدين النيسابوري: ص٢٢٥.

(٨) انظر: الكوكب الدرى في طبقات الصوفية. المناوي: ج٢، ص٥٨٥.

♦ خير الأمة في علم المعاملة، ولو السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وأفات الأفعال وأغوار العبادات، وكلامه جدير بأن يمحكى^(١).

قيل للإمام أحمد بن حنبل إنَّ الحارث الحاسبي يتكلَّم في علوم التصوّف، ويحتاج لها بالآي والحديث، فهل لك أنْ تسمع كلامه منْ حيث لا يشعر، حدَّث إسْماعيل بن إسحاق السَّراج، أنَّ أَحمد قال له: يبلغني أنَّ الحارث يُكثِّر السكونَ عندك، فلو أحضرْتَه مَنْزلك وأجلَّستني منْ حيث لا يراني فأسمع كلامه، فقال: قصدتُ الحارث وسالتَه أنَّ يحضرنا تلك الليلة وتَسَلَّمُ أَصحابَكَ أنَّ يَحْضُرُوا، فَقَالَ الحارثُ: يا إسْماعيل، فيهم كثرة، فلا تزدُّهم على الكسب والتَّمَر، وانصرَفْتُ إلى أبي عبد الله فأخبرته، فَحَضَرَ وصَعَدَ إلى غُرْفَةٍ في الدَّار فاجتهدَ في ورْدِه، وَحَضَرَ الحارث وطلَبُه فأكلوا شَمَّ قاموا الصلاة العتمة - الليل - وَقَعَدُوا بين يدي الحارث لا ينطِقُون إلى قريب نصف الليل، ثمَّ ابْتَدَأَ رَجُلٌ فَسَأَلَ عن مسألةٍ؛ فأخذَ الحارث في الكلَام وأصحابه يَسْتَمِعُون، فَمِنْهُمْ من يبكي وَمِنْهُمْ من يَحْسَن^(٢)، وهو في كلامه. فَصَعَدَتْ إلى الغُرْفَةِ؛ لاتَّعْرَفَ حالَ أبي عبد الله فوجَدَتْه قد بكَى حتى غُشِيَّ عليه، فانصرَفَتْ إِلَيْهِمْ وَلَمْ تَزُلْ تلك حَالُه حتَّى أَصْبَحُوا فَقَامُوا وَتَفَرَّقُوا، فَصَعَدَتْ إلى أبي عبد الله وهو متَّغِيرٌ الحال فَقَلَّتْ: كيف رأيَتُهم؟ فقال: ما أَعْلَمُ أَنِّي رأَيْتَ مثلَ هؤُلَاءِ الْقَوْمِ، وَلَا سَمِعْتُ في علمِ الْحَقَائِقِ مِثْلَ كلامِ هَذَا الرَّجُلِ، كُنْتُ أَسْمَعُ خَلَافَهْ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ^(٣).

(١) انظر: إحياء علوم الدين. أبي حامد الغزالى: ص ٥٨. الكواكب الدرية في ترجم الصوفية. المناوى: ج ١، ص ٥٨٦.

(٢) يَحْنَ: من حَنَّ: نَرَأُهَا بِصَوْتٍ وَبِغَيْرِ صَوْتٍ. وَالْأَكْثَرُ أَنَّ الْحَنِينَ بِالصَّوْتِ. انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن سيده: ج ٢، ص ٥٤٣.

(٣) انظر: الكواكب الدرية في ترجم الصوفية. مناوى: ج ١، ص ٥٨٨. الطبقات الكبرى. الشعراوى: ج ١، ص ١٣٩.

فِكْرُ الْمَحَاسِبِيِّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ.

لقد تَرَكَّزَ مِنْهُجُ الْفِكْرِ عَنْدَ الْمَحَاسِبِيِّ فِي عَصْرِهِ عَلَى رَدِّ اخْتِلَافِ الْمَسَائِلِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ مَعَ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ جَهَّةِ، وَالْبَلَاغَةِ وَإِتْقَانِ الْمَجْحَجِ الْكَلَامِيِّ فِي مَوَاجِهَةِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَمِنْ جَهَّةِ أُخْرَى أَسْتَطَاعَ رَدَّ الْخَلَافَ الْفَكَرِيِّ عَنْدَ مَفْهُومِ الْفَلَاسِفَةِ وَالنَّاقِلِينَ لَهُ فِي عَصْرِهِ بِالْكَلَامِ، وَمِنْهَا نَقْضُ مَفْهُومِ الْعُقْلِ عَنْدَ مَقَارِنَةِ الْعُقْلِ بِالْقَلْبِ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ الْقَلْبَ بِمَوْتِهِ يَمُوتُ الْأَنْسَانُ، وَلَكِنَّ الْعُقْلَ عَنْدَ الْأَصْيَاعِ يَصْبُحُ الْإِنْسَانُ مَجْنُونًا؛ فَلَذِلِكَ يَعْتَبِرُ الْقَلْبُ أَوْسَعُ فَائِدَةً لِلْإِنْسَانِ مِنْ الْعُقْلِ) (١)، وَكَانَ هَذَا الْفِكْرُ يَنَاقِضُ تَمَامًا مَفْهُومَ الْعُقْلِ عَنْدَ الْفِيْلِسُوفِ يَعْقُوبِ بْنِ إِسْحَاقِ الْكَنْدِيِّ (٢٥٦هـ)، الَّذِي قَالَ عَنْهُ: ((مِبْدَأُ أُولَى بِالْقُوَّةِ، وَجُوَهْرُ بُسْطِ مُدْرَكٍ لِلْأَشْيَاءِ بِحَقَائِقِهَا)) (٢).

إِنَّ فَكْرَ عِلْمِ الْكَلَامِ لِلْمَحَاسِبِيِّ لَمْ يَقْتَصِرْ فِي مَدِينَةِ بَغْدَادِ فَقْطَ، بَلْ جَاءَهُ ذَلِكَ لِيَصُلَّ لِجَمِيعِ أَرْجَاءِ الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِكُونِهِ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ الشَّبَابِ وَلَا يَهِمُ إِلَّا لِرَضِيِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (٣)، وَقَدْ أَبْدَعَ بِوَصْفِ كِتَابِ الْمَسَائِلِ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ، وَبِالْأَخْصِ عَنْدَ الْمَسَائِلِ الْخَامِسَةِ عَشَرَ فِي تِسْمِيَّةِ النَّدْرِ الْخَامِسِ، وَالْمُعْرُوفُ عَنِ الْمَوْضَعِ أَمْهَا أَرْبَعَةَ فَقْطَ (٤)، وَقَدْ أَسَنَدَ التِّسْمِيَّةَ حَسْبَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْأَثَرِ، كَمَا هُوَ مَتَّعَرِفُ عَلَيْهِ فِي نَهْجِ كِتَبِهِ.

إِنَّ الْعُبَارَاتِ الْلِّغُوِيَّةَ الَّتِي كَانَ يَسْتَخْدُمُهَا الْمَصْنُفُ رَحْمَهُ اللَّهُ سَوَاءً فِي الرَّوَايَةِ، أَوْ عِلْمِ الْكَلَامِ، أَوِ الْفَقِيْهِ، أَوِ التَّفْسِيرِ تَنَتَّمِي إِلَى بَيْتَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَبَيْتَةِ الْلِّغَوَيِّينَ وَالْفَقَهَاءِ الَّذِينَ أَبْدَعُوا فِي التَّفْسِيرِ الْقَرَآنِيِّ،

(١) انظر: مخطوطـة مائـية العـقل. المحـاسـبـي: ١٠٥.

(٢) انظر: رسائل الـكنـديـة الـفـلـسـفـيـةـ الـكنـديـ: جـ ١، صـ ١٦٦.

(٣) انظر: تذكرة الأولياءـ فـريـدـ الدـينـ: صـ ٢٢٥ـ الـكـواـكـبـ الـدـرـيـةـ لـطـبـقـاتـ الـصـوـفـيـةـ الـمـنـاوـيـ: جـ ٢ـ صـ ٥٨٦ـ

(٤) انظر: مخطوطـة أـعـمـالـ الـقـلـوبـ وـالـجـوـارـحـ المحـاسـبـيـ: صـ ١٤٥ـ

ويُعْطِرُّها بلذة الطاعة والورع والزُّهُد، ويُمحاربَةُ النفس؛ فهو في الرَّدَّ والمناظرة يُظْهِرُها ويُحْلِلُها ويُعْطِي درجةَ غُرُورِها في قلبِ المريدين، واتضَّحَّ مِنْ الْبَحْثِ أَنَّ الْمَحَاسِبِيَّ صاحبُ الْفِكْرِ الْأُولَى في مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وغَيْهَا، وَقَالَ: (إِنَّ ذَكْرَ اطْلَاعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْضَّمِيرِ وَالْجَوَارِحِ يَوْلُدُ الْحَيَاةَ).^(١)

لقد امتازَ أسلوبُ وعظِّيَّ المَحَاسِبِيَّ في التأويل والتفسيرِ وعلمِ الكلامِ بمنهجِ الْجَدَلِ بطريقةِ إسنادِ الحديثِ بآياتِ قرآنِية، ويليهَا بعدَ ذلكِ حديثَ شريف، فهذهِ الطريقةُ تسمى النَّاسَخُ والمنسوخُ، وهو عِلْمُ أبي عبيدِ اللهِ بنِ حَصَينِ العَنْبَرِيِّ الرَّاهِدِ في البَصَرَةِ، وَكَانَ يَصْنَفُ مِنْ تلاميذِ الإمامِ الشَّافِعِيِّ في الأسلوبِ الْبَيَانِيِّ في تمييزِ التَّصوُّصِ وربطِها بمصادرِ التشريع^(٢).

قالَ المَحَاسِبِيَّ: (إِنَّ الْعِلْمَ يَوْرُثُ الْمَخَافَةَ، وَالْزُّهُدَ يَوْرُثُ الْرَّاحَةَ، وَالْمَعْرِفَةَ تَوْرُثُ الْإِنْتَابَةَ، وَخَيَارُهُمْ هُذِهِ الْأُمَّةُ الَّذِينَ لَا تَشْغُلُهُمْ دِنَاهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ حَسُنَّتْ مَعْالِمُهُ فِي ظَاهِرِهِ مَعْ جُهْدِ بَاطِنِهِ وَرَشْهُ اللَّهُ الْهَدَايَاةُ إِلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيَّنَّهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}).^(٣)

كانَ يَذَهَّبُ بالتأملِ الأولِ للنَّصَّ باتجاهِ مجازِ المُفَسِّرِينَ الأوائلِ وليَسَ المتكلمينَ، لكونِهَا عنَّدَ الْفَقَهَاءِ عمليَّةٌ لغويةٌ وأسلوبيةٌ بحتَّةٌ، وعندَ المتكلمينَ صَرْفُ النَّصِّ عن ظاهرِهِ بما يتفقُّ وتنزِيزِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وحْكمَتِهِ. لذلكَ هوَ لَا يَخْتَلِفُ عَنْهُمَا في اعتبارِ الْبَيَانِ وَمَنْهَجُ نجاحِ الْحُكْمِ فِي التَّفْسِيرِ الْفِقْهِيِّ، وقدَ كَانَ لَهُ رَأْيٌ مُتَمِيزٌ فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ: (اعْلَمُ فِي الْقُرْآنِ أَرْبَعُ آيَاتٍ: فَآيَةٌ تَأْمُرُكَ، وَآيَةٌ تَنْهَاكَ، وَآيَةٌ تَشْوِقُكَ، وَآيَةٌ تَخْوِفُكَ، فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ الْقُرْآنِ عَدَلَتْ عَنِ الشَّفَاءِ، وَإِنْ لَزَمْتَ الْقُرْآنَ

(١) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. مسألة النفوس. المَحَاسِبِيَّ: ص ١٣٩.

(٢) انظر: كتاب الأم. الشافعي: ج ١، ص ٤٧.

(٣) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٨٨. طبقات الصوفية. للسلمي: ص ٢٣.

هبطت على رياض الجنة^(١).

فهو يستند على تأويل النص في ضوء مفهوم المریدین عند ضوء فکرة القلب الذي يزيده العلم قوًّا بالإيمان والصبر، فعند المحاسبي القلب قد تجاوزَ تصوراتِ العقل في عصره؛ ولذلك استطاع أن يحافظ على فکرِ الحَدَلِ ومحاربةِ النفسِ.

إن التقلباتِ السياسية وسيطرة بعض المدارس التي يتخالفُ معها في الفِکرِ والمنهج، وظهور مدارس أخرى حاولتُ فرَضَ آرائِها عليه بالقوة، مستغلة الدعم الذي يُقدمُ إليها من الخلفاء العباسين^(٢)، لم تثنِ المحاسبي؛ فقد أثبتَ للجميع أنه ماضٍ وسائرٌ على منهج القرآن والسنّة النبوية الشريفة بحكم الحَدَلِ والوعظ في آراءِ الفقهية والتفسير للمریدین لآخر يوم في حياتهِ.

سُئلَ المحاسبي مِنْ أَحَدِ المریدین ماهي حَبَّةُ اللهِ للعبدِ.

فقالَ: للسائلِ ما الذي كَشَفَ لكَ عن طلبِ هذا العلمِ.

فقالَ المریدُ: لقولهِ تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ^(٣) فلعلمتُ أنَّ علاقَةَ حَبَّةِ العَبْدِ اللَّهِ اتباعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قالَ سبْحَانُهُ: {يُحِبِّكُمُ اللَّهُ}.

فأجابَهُ المحاسبي: سألتَ عن شيءٍ غابَ عنِ أكثرِ القلوبِ، إنَّ علامَةَ حَبَّةِ اللهِ للعبدِ أَنْ يتولِي اللهُ سياسةَ هُمُومِهِ فيكونُ في جميعِ أمورِهِ هو المختارُ لها؛ فأخلاقُهُ على السَّماحةِ، وجوارحُهُ على الموافقةِ.

فقالَ المریدُ: وما الدليل على ذلك؟

(١) انظر: مخطوطه شرح المعرفة وبذل النصيحة. المحاسبي: ص ٤٦.

(٢) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٣، ص ٩٧.

(٣) آل عمران: ٣١، الآية.

قالَ المحاسبي: خَبْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا أَحَبَّ اللَّهَ عَبْدًا جَعَلَ لَهُ وَعْظًا مِنْ نَفْسِهِ وَزَاجَرًا مِنْ قَلْبِهِ يَأْمُرُهُ وَيَنْهَاهُ»^(١).

فقالَ المريد: زِدْنِي مِنْ عَلَامَاتِ الْمَحْيَةِ لِلْعَبْدِ.

قالَ المحاسبي: أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ بِمَسَارِعَةٍ مِنَ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهَا كَثْرَةُ النِّوَافِلِ^(٢).

لقدْ عَبَرَ المحاسبي الْوَصْفَ فِي عَصْرِهِ؛ لَا خِتَالَفَهُ بِالْبَهْجِ الْفَكَرِي عَنِ الْعَلَمَاءِ، فَقَالَ: ((فَقَدْ انتَهَى إِلَيْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَفَرَّقُ عَلَى بَعْضٍ وَسَبْعِينَ فَرَقَةً، مِنْهَا فَرَقَةٌ نَاجِيَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِسَائِرِهَا^(٣)، فَلَمْ أَزِلْ بَرْهَةً^(٤) مِنْ عُمْرِي أَنْظُرْ أَخْتِلَافَ الْأُمَّةِ، وَالْتَّمَسْ الْمَنَهَاجَ الْقَوِيمَ الْوَاضِحَ، وَالسَّبِيلَ الْقَاصِدَ، وَأَطْلَبْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ السَّلْفُ فِي جَدَّةِ^(٥) الْإِسْلَامِ، وَاسْتَدَلَّتُ عَلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ بِإِرْشَادِ الْعَلَمَاءِ، وَعَقَلْتُ كَثِيرًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَأْوِيلِ الْفَقَهَاءِ، وَتَدَرَّبْتُ أَحْوَالَ الْأُمَّةِ وَنَظَرْتُ فِي مَذَاهِبِهَا وَأَفَوَيْلَهَا؛ فَعَقَلْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا قُدْرَتِي، وَرَأَيْتُ اخْتِلَافَهُمْ بِحَرَّاً عَمِيقًا قَدْ غَرَقَ فِيهِ نَاسٌ كَثِيرٌ، وَسَلَمَ مِنْهُ عَصَابَةُ قَلِيلَةٍ، وَرَأَيْتُ كُلَّ صَنْفٍ مِنْهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ النِّجَاهَ قَيِّ مَذَهِبِهِمْ وَاهْلَكَ مِنْ خَالِفِهِمْ))^(٦).

(١) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٣، ص ٣٨. الزهد الكبير. البيهقي: ص ٣٠٧.

(٢) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٩٩.

(٣) سائيرها : أي مهازيل. يقالُ لَذِكَ عِنْدَ الْمَزَرِيَّةِ عَلَى الْمِثَالِفِ لِمَالِهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٩٦.

(٤) بَرْهَةً: زَمْنٌ.

انظر : تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري: ج ٦، ص ١٥٨.

(٥) جَدَّة: عظمة. وقال الله تبارك وتعالى: {جَدَ رَبِّنَا} أي عظمة ربنا.

انظر: البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم بن عيذون: ج ١، ص ٥٧٦.

(٦) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢. الوصايا. المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٢٩.

ومن أحاديث ومواعظ الشيخ المحاسبي:

- عن الحارث المحاسبي قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْقُلْ مَا يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ»^(١)
- التصوف: الأخذ بالأصول، وترك الفضول، و اختيار ما اختاره الرسول^(٢).
- حسن الخلق: احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الرحمة، وطيب الكلام^(٣).
- خير الرزق ما يكفي: هو قوت يوم بيوم، ولا تهتم لرزق غدا^(٤).
- السوق سراج نور من نور المحبة، غير أنه يزيد عن نورها^(٥).
- الكون توهם في الحقيقة، ولا تصح العبارة عما لا حقيقة له^(٦).
- تفاوت الناس في الزهد على قدر صحة العقول وطهارة القلوب، فأفضلهم أعقلهم وأفهمهم^(٧).
- الظالم نادم وإن مدحه الناس، والمظلوم سالم وإن ذمته الناس، والقانع غني وإن جاء، ومن لم يشكر الله تعالى على النعمة فقد استدعى زوالها^(٨).

(١) انظر: البحر الزخار. بزار: ج ١٠، ص ٣٦. سنن الترمذى: ج ٤، ص ٣٢٢.

(٢) انظر: الكواكب الدرية في ترجم السادة الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥.

(٣) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٤.

(٤) نظر: مسند أحمد: ج ١٧٢٢. الكواكب الدرية في ترجم السادة الصوفية. المناوي: ج ١، ص ٥٨٥.

(٥) انظر: الكواكب الدرية في ترجم السادة الصوفية: ج ١، ص ٥٨٧.

(٦) انظر: التعرف لمظاهر أهل التصوف. الكلاباني: ص ١١٤.

(٧) انظر: الكواكب الدرية في ترجم السادة الصوفية: ج ١، ص ٥٨٨.

(٨) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٣.

- صفة العبودية أن لا ترى لنفسك ملكاً، وتعلم أنك لا تملك لنفسك لا ضراً ولا نفعاً^(١).
- التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من غير تغير منه في الظاهر والباطن^(٢).
- مَنْ أَرَادَ أَنْ يَذُوقَ لَذَّةَ طَعْمِ مَعَاشِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَلِيَصْبِحْ الْفَقَرَاءُ الصَّادِقِينَ^(٣).
- وَمَنْ أَسْتَغْنَى بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ جَهَلَ فَكِيفَ تُحِبُّ دُعَاءَهُ^(٤).
- أَصْلُ الطَّاعَةِ الْوَرَعُ، وَأَصْلُ الْوَرَعِ التَّقْوَى، وَأَصْلُ التَّقْوَى مُحَاسِبَةُ النَّفْسِ، وَأَصْلُ مُحَاسِبَتِهَا الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، وَأَصْلُهَا مَعْرِفَةُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَأَصْلُ مَعْرِفَةِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ دَاءُ عَظِيمٌ الْجَرَاءُ، وَأَصْلُ ذَلِكَ الْفَكْرَةُ وَالْعَبْرَةُ^(٥).
- وقال: أصدق بيت قاله العرب قول حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه:
- وما حملت من ناقٍ فوق كُورها أعز وأوفي ذمة من محمد^(٦).
- مكثت ثلاثة سنٍ لا يسمع لسانٍ إلا من سري، ثم ثلاثة لا يسمع سري إلا من رب^(٧).

(١) انظر: طبقات الصوفية. للسلمي. ص ٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٢.

(٣) انظر: طبقات الأصفياء. ابن ملقن: ج ١ ص ١٧٥. تذكرة الأولياء. العطار: ٢٤٩.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٣.

(٥) انظر: الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٧، ص ١١. طبقات الصوفية. للسلمي. ص ٢٢.

(٦) انظر: طبقات الشافعية الكبرى. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٣. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٧، ص ١١.

(٧) انظر: المصدر نفسه.

- العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة.^(١)
- أكمل العارفين من أقر بالعجز أنه لا يبلغ كُنه^(٢) معرفته.^(٣)

(١) انظر : المصدر نفسه.

(٢) كُنه : عَائِنَةُ.

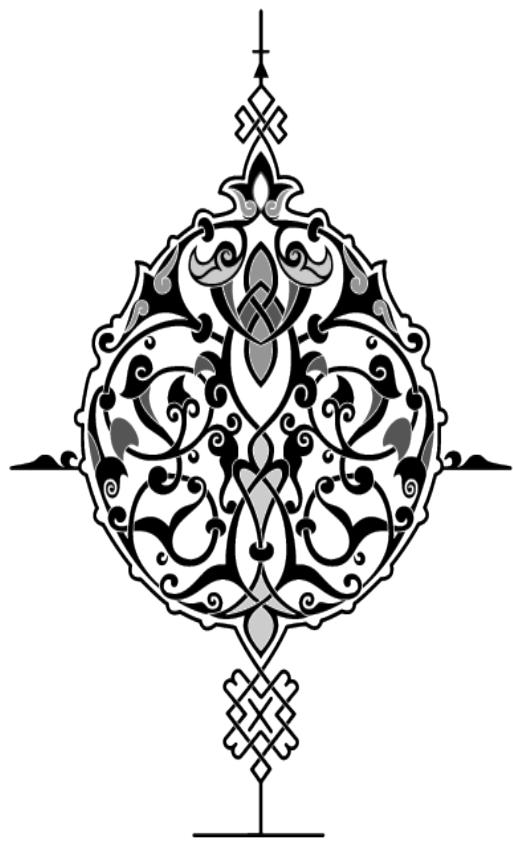
انظر : البارع في اللغة. إسماعيل بن القاسم: ج ١، ص ٥٩٣.

(٣) انظر : مصدر سابق: ج ١، ص ٥٨٧.

((إِنَّ الْحِنْنَ فِي الْآخِرَةِ يَكُونُونَ عَكْسَ مَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا؛ بِحَيْثُ
نَرَاهُمْ وَلَا يَرَوْنَا)).^(١)

الْحَارِثُ بْنُ أَسَدَ الْمُحَايِبِي

(١) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية. أιوب بن موسى الحسيني: ج ١، ص ٣٥٢.



مؤلفاته

الكتب المحققة من المستشرقيين:

إنَّ عدَّ مخطوطاتِ المحاسبي قد بلَغَتْ مائتينِ مصنَفٍ حسبَ ما وردَ في المصادرِ، ويبدو أنَّ ما حُقِّقَ مِنْهَا إِلَّا جزءٌ بسيطٌ وهي التي وُجِدَتْ في المكتباتِ المصريةِ والتركيةِ^(١)، ويظهرُ أنَّ المخطوطاتِ والرسائلِ بقيَتْ قروناً حبيسةً خزائِنِ المكتباتِ ومحفوظةً في الصدورِ المخلصَةِ، حتى بادرَ على إخراجِها المستشرقيون، واتَّضحَ أنَّ جمِيعَ الموسوعاتِ والدراساتِ النفسيَّةِ ومناهجِ التصوُّفِ التي كُتِبَتْ بالإنجليزيةِ وترجمَتْ إلى لُغاتٍ أخرىٍ كانتْ عبارةً عن شُرُحٍ وتوسيعٍ وسُرِّدٍ لرسائلٍ وعظٍ وتفصيْلٍ لكلامِ الشِّيخِ المحاسبيِّ.

واتَّضحَ بعدَ البحِثِ أنَّ جمِيعَ ما حُقِّقَ بالعربيةِ في مطلعِ القرنِ العشرينِ كانتْ عبارةً عن نَسخٍ وترجمةً لكتُبِ المستشرقيِنِ مع تغييراتٍ طفيفةً للمقدِّماتِ، أو في سيرةِ حياةِ المحاسبيِّ، أو آراءِ للناسخِ أو المحققِ حسبَ مُتطلباتِ النشرِ لنهجِ الفِكرِ الدينيِّ في عصرِ الكاتبِ أو المحققِ، وهذهِ الآراءِ كانتْ تُكتَبُ إِمَّا داخلَ النصوصِ أو الفَصْولِ^(٢)، وقد تُأْتِي في بعضِ الأحيانِ بتعديلِ جذريِّ عنِ الأسماءِ والأبوابِ والمسائلِ مِنْ المحققِ، وقد تكونُ أَيْضًا بسبِبِ النُّسخةِ التي بينَ يديهِ وعدمِ مقابلتها بنسخٍ أخرىٍ للخروجِ بالمفهومِ الصَّحيحِ للكلامِ، ويَبيَّنُ ذلكَ في بعضِ الكتبِ المترجمَةِ وفي بعضِ مناهجِ المخطوطاتِ المحققةِ بالعربيةِ^(٣)، والتي جاءَتْ فيها

(١) انظر: تاريخُ الأدبِ العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٥٧. تاريخُ التراثِ العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٣. كشفُ الظنون حاج خليفة جلي: ج٢، ص١٤٩٠. فهرستُ المخطوطاتِ العربيةِ. الشنطي: ص١٤٣. الشافعيةُ الكبُرى. السبكي: ج٢، ص٢٧٦. الكواكبُ الدُّريةُ في الطبقاتِ الصوفية. المناوي: ج١، ص٥٨٥.

(٢) مخطوطة الرعاية لحقوقِ الله. المحاسبي: ص١.

(٣) انظر: البرهانُ في القرآن. لزركشي: ج١، ص٢٣٧. العقلُ وفهمُ القرآنِ للمحاسبي، ت:

بعض أبواب المصادر المترجمة والفهارس العربية على أنها كتب مستقلة وبالبعض الآخر كتب مفقودة^(١)، ولذلك أسباب تم تقسيم الكتب المُحققة بين المستشرقين والعرب حسب التصنيف أدناه.

القوتلي: ص ٧.

(١) انظر: الفهرست. ابن خير الإشبيلي: ج ٢، ص ٢٧٣، ٣٣٦. تاريخ التراث العربي. فواد سرزيكين: ج ٤، ص ١١٩.

فهرست المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٤٣.

كتب محققة من المستشرقين مُترجمة إلى العربية:

• كتاب الإنابة إلى الله.

حققة (French orientalist Halmon Ritter)، سنة (١٩٣٥)^(١) ولم يُشر إلى منهج الكتاب في التحقيق، وحققت أيضًا باللغة العربية في كتاب التوبة وجاءت بعنوان: (العودة والإنابة إلى الله) سنة (١٩٧٧)^(٢)، وطبع مجددًا آخرًا سنة (١٩٨٦)^(٣) ضمن مجموعة كتاب اسمه الوصايا وهو عن (مخطوط النصائح)، وجاء ضمن مجموعة لكتب المحاسبي، وقد أشار المحقق إلى منهج تحقيق المخطوطة، وذكر أن المخطوطة كانت بمكتبة الجزّار بعكا، وقال: هي من ضمن كتب أخرى للمحاسبي، وقد جاء موضوع المخطوطة عبارة عن مجموعة من الرسائل ألّقّاها المحاسبي على أبي جعفر محمد بن موسى الرضا وهو السائل، وأبو جعفر المجيب، وتحدث عن بيان البلوى والاختبار، وبعد الاطلاع على المخطوطة الأصلية انتَضَحَ أنَّ المحقق أضاف بعض التعليقات خارج المتن، وهي عبارة عن معلومات اعتمدَ عليها من بعض الكتب العربية، والتي جاءت هي الأخرى بتسميات مختلفة للمخطوطة وبعناوين أخرى^(٤).

ويتضح مما سبق ذكره أنَّ التحقيق المتبَع للمخطوطة جاء بمنهج تغيير أسماء الأبواب وتقسيم المسائل، وهذا نهج أغلب الكتب المحققة.

(١) انظر: كتاب الإنابة إلى الله للمحاسبي، ت: هلمون ريتز: ص ٥. التراث العربي، فواد سركين: ج ٤، ص ١١٦.

(٢) انظر: كتاب التوبة (الإنابة والعودة إلى الله). المحاسبي: ت: عبد القادر عطا الله: ص ٢١.

(٣) انظر: كتاب الوصايا (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٥.

(٤) انظر: الوصايا (النصائح). المحاسبي: ت: عبد القادر: ص ٢٢٢. فهرست المخطوطات. الشطي: ص ١٧٦.

عند العرب للمحاسب^(١)، وقد تم تحقيق المخطوطة مرة ثانية لسنة (١٩٩١)، وذكر فيها منهاج التحقيق، وكانت نسخة المخطوطة المعتمدة من مكتبة السليمانية^(٢).

• كتاب التوهم.

تم تحقيق المخطوطة من المستشرق (London) : A.J. Arberry (orientalist، لسنة ١٩٣٧)، وتُرجمَ إلى العربية في نفس السنة، ولم يذكر في النسخة المترجمة على أي مخطوطة تم الاعتماد عليها^(٣)، وحققت أيضاً سنة (١٩٨٦)^(٤)، وأعيد نسخ الكتاب مرة أخرى سنة (١٩٩١)، وتمت الإشارة إلى نسخة المستشرق البريطاني المشار إليه فيما سبق من الكاتب^(٥)، وترجمَ إلى التركية بتسمية ((افتراض أنك ميت لسنة ٢٠٠٦))^(٦).

• كتاب الخلوة والتنقل في العبادات ودرجات العبادين.

عرضَت المخطوطة على شكل مواضيع في علم الكلام والعبادة لمستشرقين، حققه الراهب أغناطيوس عبد الله لسنة (١٩٥٢)، ولا توجد تفاصيل عن النسخة المحققة^(٧).

(١) انظر: معيادة النفوس. المحاسبى، ت: محمد عبد القادر ص ٤٠. كتاب الوصايا. المحاسبى: عبد القادر: ص ٥٠.

(٢) انظر: الفهرست. ابن الخير الإشبيلي: ج ٢، ص ٣٣٧. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٦.

الإنابة. المحاسبى، ت: عبد القادر عطا: ص ١٨. الإنابة لله. المحاسبى، ت: مجدى فتحى السيد: ص ١٦.

(٣) هنالك تقارب كبير من حيث المحدثين ووصف الروايات بين كتاب الوهم ومخطوطة أعمال القلوب والجواح.

انظر: كتاب التوهم: ت. آرثر جون ترجمة: أحمد أمين: ص ٣. مخطوطة أعمال القلوب. المحاسبى: ص ١٣٠.

(٤) انظر: الوصايا (النصائح). للمحاسبى، ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٣٨٩.

(٥) انظر: كتاب آداب النفوس. ت: عبد القادر عطا: ص ١٤٩.

(٦) انظر: عبد العزيز الخطيب, ٢٠٠٦, ISBN: 9759066222.

(٧) انظر: مخطوطة الخلوة. المحاسبى: ص ٢. تاريخ التراث العربي. سزكين: ج ٤، ص ١١٨.

• كتاب الصبر والرضا.

ورأى اسم كتاب الصبر والرضا في مخطوطة أعمال القلوب والجوارح^(١)، وحققه المستشرق الألماني (German Orientalist: Josef Vin As) لسنة (١٩٣٤)، وذكر منهاج التحقيق والنسخة بالمكتبة الهندية^(٢).
• كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل.

كان أول تحقيق للمخطوطة في سنة (١٩٣٦) (London oriental) (١٩٣٦) اعتماد المحقق على ثلاثة نسخ من المخطوطات في التحقيق، ويتبين أنه تمّ في النهج^(٣)، وقد حُقِّق أيضًا من شيخ الأزهر الشريف لسنة (١٩٨٥) ولم يذكر النسخ المعتمدة في التحقيق^(٤)، وحُقِّق لمرة ثالثة لسنة (١٩٨٥) ولم يُذكر أيضًا النسخ المعتمدة في التحقيق سوى الإشارة لكتُب المستشرقين والشأن عليها^(٥).

الخلوة والتنقل في العبادات. المحاسبي، ت: أغناطيوس عبد خليفة: ص ٢٩. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالى: ص ٢٥.

(١) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٨. كتاب العلم. المحاسبي: ت: المزالى: ص ٢٣.

(٢) انظر: كتاب الصبر والرضا. المحاسبي، ت: فان اس: ص ٦. كتاب العلم. المحاسبي، ت: المزالى: ص ٢٥. تاريخ الأدب العربي بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

(٣) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله، المحاسبي: ت: مارغريت سميث: ص ١٥.

(٤) انظر: كتاب الرعاية، المحاسبي، ت: عبد الحليم محمود، وعبد الباقى سرور: ص ٤.

(٥) انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله، المحاسبي، ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٢٢.

الكتب المحققة من العرب:

اعتمد منهاج تحقيق مخطوطاتِ المحاسبي في الدول العربية في أغلب الأحيان إما نسخ للمخطوطة بدون مقابلة مع نسخ أخرى، أو ترجمة عن كتب للمستشرقين، ويبدو أنَّ جميع المخطوطاتِ التي تمَّ تحقيقها هي في الأغلب للمستشرقين وجاءت بعد الانفتاح العربي على الدولِ الغربية في مطلع القرن العشرين، ولكنَّ الغريب في الموضوع أنَّ المحاسبي من البصرة وسكنَ بغدادَ ولم تشهدْ كتبه أي تحقيق أو بحثٍ من باحثٍ لهذا البلد طيلة القرون الماضية رغم الحركة الثقافية والانفتاح في تلك المرحلة، ويمكن أنْ يرجعُ الأمرُ لعدم وجود المخطوطاتِ في العراقِ، أو أنَّ منهج التصوفِ وعلمَ الكلام لا يطابقُ ما يفكِّر به أهلُ بغداد؛ لكونِه لا يطلبُ الشهرة أو السياسة، وفيما يلي أدناه أهمُّ الكتبِ التي حُقِّقتَ من العربِ:

• كتاب آداب النفوس:

تم تحقيقه سنة (١٩٩١م) أدرج فيه منهج التحقيق وهو عن مخطوطة جار الله دون ذِكرِ اسم الناشر^(١)، وترجم إلى التركية وبنفسِ العنوان لسنة (١٩٩٨م)^(٢).

• كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح:

تم تحقيق المخطوطة لسنة (١٩٦٩)، وجاءت الطبعةُ الثانية فيه لسنة (١٩٨٥)^(٣)، وانصَحَّ أنَّ النسخَ المعتمدةً في التحقيق كانتْ من المكتبةِ

(١) انظر: كتاب آداب النفوس للمحاسبي، ت: عبد القادر: ص ٢٢. تاريخ التراث العربي. فواد سزكين: ج ٤، ١١٦.

(٢) انظر: شاهين فليز، هويلا وجك. ١٩٩٨، ISBN: 9755741933.

(٣) انظر: كتاب أعمال القلوب والجوارح والعقل. للمحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٤٩. معايير النفس. المحاسبي: ت: محمد عبد القادر عطا الله: ص ٢٢.

الأزهرية، وتمت الإشارة إليها من المحقق على أنها نسخة مكتبة عكا^(١).

ويبدو من تجميع المادة أنَّ التحقيق اعتمد في النهج على نسخة واحدةٍ بسبب الأخطاء التي وردت في الأعلام والأحاديث النبوية الشريفة مع ظهور أخطاء لغوية في الكلمات^(٢)، وقد تبيَّن أنَّ مخطوطة مكتبة الجزار - عكا - لديها رقم تسلسل مطابق لنسخة مخطوطة مكتبة الأزهر الشريف^(٣)، وبعد الاطلاع عليها اتضح فيها تلفِّ الحروف وعدم وضوح الكلمات بسبب سوء التخزين وإضافات لكلماتٍ والتقطيع في النصوص وتسمية المسائل في المخطوطة حسب منهج وقراءة المؤلف، وكان من الممكن تجاوزُها وعدم الوقوع في هذه الأخطاء عندَ مفهوم الكلماتٍ لو اعتمدَ المحقق في تحقيق المخطوطة على أكثرِ من نسخةٍ، وهذه الأسباب كانت المخطوطة المحققة عن مكتبة الجزار - عكا - في موضعٍ نَقِدَ وتعليق دائم طيلة السنوات الماضية^(٤).

(١) وهي تحت اسم: تصويف، رقم التسلسل/ ١٣٦٧، عدد صفحات ٧٩، من (ص ٩١ - ١٧٠)، وهي عن مكتبة الأحمدية أحمد باشا الجزار. عكا، التوثيق عن المكون البغدادي.

انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٥. المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٩٢. الوصايا (النصائح). للمحاسبى. ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٤٠. كتاب العلم. المحاسبى. ت: محمد عابد مزالى: ص ٧. العقل وفهم القرآن. المحاسبى. ت: حسين القوتى: ص ٧.

(٢) ومن هذه الأخطاء: المعنى (اللغى، واليعى)، جاءت في معناها الخطأ في الجمل عند الكتاب أعمال الجوارح والعقل، وكلمة الخف وردت في الكتاب الخلف، وهناك أخطاء كثيرة.

انظر: كتاب أعمال القلوب والجوارح والعقل. للمحاسبى، ت: عبد القادر عطا الله: ص ١٢٠، ص ١٣٢. مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبى: ص ١٣١، ص ١٤٣.

(٣) انظر: العلم. المحاسبى، ت: المزالى: ص ٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٥. الوصايا. المحاسبى ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٤٠.

(٤) إن النهج المتبع في تحقيق أعمال القلوب والجوارح من حيث إشارة المحقق لكتاب العقل قال: (من خلال الفترة التي كنت فيها في إعداد تحقيق كتاب العقل وفهم القرآن، نشر الأستاذ أحمد عطا الله في القاهرة كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح والعقل، ولكنه تضمن الكثير من السهو والخطأ والاجتهادات الشخصية في تغيير النص مما لم أوفق عليها).

انظر: العقل وفهم القرآن للمحاسبى. ت: حسين القوتى: ص ٧. (النصائح). المحاسبى، ت: عبد القادر عطا: ص ٥٤.

طبع كتاب آخر في السعودية لسنة (١٩٨٦)^(١)، والكتاب هو نسخة مطابقة عن كتاب طبعة مصر لسنة (١٩٨٥) المفقود من المكتبات، وبعد الاطلاع عليه تبيّن أنّه عن نسخة مخطوطة الأزهر أيضاً ويتشاربُ بالمضمون مع كتاب الطبعة الثالثة الذي سيتم ذكرهُ وله نفس الأخطاء، ولم يذكّر المؤلف فيه أي تفاصيل عن نهج المخطوطة عند طبع الكتاب.

وجاءت الطبعة الثالثة لكتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح لسنة (٢٠٠٥) ضمن مجموعة كتب أخرى للمحاسبى، ومنها: كتاب الرهد، وكتاب المكاسب، وكتاب العقل، ويبدو أنَّ الكتاب المطبوع ليس فيه أي وصفٍ للمخطوطة أو للمصادر، وتبيّن أيضاً عدم وجود اسم للمحقق أو عن أي مخطوطة تم تحقيقها، وقد اكتفى الكتاب بوجود ختم فيه يوضح حقوق النسخ لمكتبة التحقيقـات الإيرانية^(٢)، وبعد الاطلاع عليه قد تبيّن من الأخطاء اللغوية ومعاني الكلمات التي تم سردها بصيغة المؤذن أنها عن مخطوطة الأزهر أيضاً.

واتضح بعد تجميع المادة أنَّ الكتب والمفردات في المناهج المتبعة لتحقيق مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح في جميع الكتب المطبوعة فيما سبق ذكرها كانت عن مخطوطة المكتبة الأزهرية، وقد شكلت فارقاً كبيراً بالمضمون والمحتوى بعد الاطلاع عليها والمقارنة بينها وبين مخطوطة مكتبة السليمانية من حيث الكلمات والأسماء والأعلام وإسناد الأحاديث؛ فقد وردت في الكتب كلمات وجمل كثيرة مشطوبةٌ ومضافةٌ بعيدةٌ عن النص، وهناك أخطاءٌ في التقارب الزمني للحدث مع الرواية، ومن هذه الأخطاء:

(١) انظر: المسائل في أعمال القلوب والجوارح. المحاسبى : ص. ٢.

(٢) وهو مكتب تحقيقـات دراسات إيرانية، وطبع الكتاب كان في بيروت. انظر: المسائل في أعمال القلوب والجوارح والرهد والعقل والمكاسب. المحاسبى، ف.ح: خليل عمران: ص. ٢.

♦ وَرَدَ اسْمُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ (١٦٨هـ) فِي مُخْطُوْتَةِ السَّلِيمَانِيَّةِ، وَهُوَ الْاسْمُ صَحِيْحٌ مِنْ نَاحِيَّةِ اقْبَاسِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِ الْمَحَاسِبِ، وَلَكِنْ فِي نَسْخَةِ الْكِتَابِ الْمُطَبَّوِعَةِ عَنْ نَسْخَةِ الْمَكْتَبَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ قَدْ جَاءَ الْاسْمُ تَحْتَ مَسْمَىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ (٦١هـ)، وَكَانَتْ صِيغَةُ الْحَدِيثِ فِي الْكِتَابِ تَحْتَ رَوَايَةِ (حَدَّثَنَا)، وَهَذَا الْأَمْرُ جَعَلَ الرَّوَايَةَ لَا صَحَّةَ فِيهَا؛ لِعَدَمِ التَّطَابِقِ الْزَّمِنِيِّ بَيْنَ الْمَحَدُّثِ وَالسَّامِعِ لِلْحَدِيثِ، فَيَصِيْحُ الْحَدِيثُ مَقْطُوْعًا.

♦ عَدَمِ تَكْمِلَةِ الْأَحَادِيثِ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِ أَبْوَ بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي كِتَابِ الْطَّبِيعَةِ الْثَالِثَةِ، رَغْمَ وَرُوْدِ الْأَسْمَاءِ فِي مُخْطُوْتَاتِ السَّلِيمَانِيَّةِ وَالْأَزْهَرِ^(١).

♦ أَخْطَاءُ فِي تَسْلِسِلِ سَرِّ الْأَحَادِيثِ مِنْ حِيْثُ الْمَعْنَىِ.

♦ شَطَّبُ فِي الْكَلِمَاتِ^(٢).

♦ وَجُودُ تَكْمِلَةٍ فِي أَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ عِنْدَ بَعْضِ الْكُتُبِ، عَلَيْهَا لَا تَوَجُّدُ فِي مُخْطُوْتَةِ الْأَزْهَرِ وَمُخْطُوْتَةِ السَّلِيمَانِيَّةِ. جَاءَ اسْمُ الْحَسَنِ فِي جَمِيعِ الْكِتَابِ الْمُطَبَّوِعَةِ (الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ)، وَإِبْرَاهِيمَ سَمِّيَ (إِبْرَاهِيمَ الْنَّخْعَنِيِّ)، وَالْمَنْكَدِرَ سَمِّيَ (مُحَمَّدَ بْنَ الْمَنْكَدِرِ)، وَمَبَارِكَ سَمِّيَ (عَبْدُ اللَّهِ بْنَ مَبَارِكَ)^(٣).

♦ جَاءَتْ تَسْمِيَاتُ الْمَسَائِلِ وَهِيَ بِدُونِ اسْمٍ فِي مُخْطُوْتَاتِ مَكْتَبَةِ السَّلِيمَانِيَّةِ وَالْأَزْهَرِ^(٤).

(١) انظر: مُخْطُوْتَةُ مَسَائِلِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ. الْمَحَاسِبِيُّ: ص ١٣١. كِتَابُ الْمَسَائِلِ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ وَالْزَّهْدِ. الْمَحَاسِبِيُّ، ف.ح: خَلِيلُ مُنْصُورٍ: ص ٨٣.

(٢) انظر: مُخْطُوْتَةُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ. الْمَحَاسِبِيُّ: ص ١١٤. كِتَابُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ وَالْزَّهْدِ لِلْمَحَاسِبِيِّ، ف.ح: خَلِيلُ مُنْصُورٍ: ص ٧٨.

(٣) كِتَابُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْزَّهْدِ الْمَحَاسِبِيِّ، ف.ح: خَلِيلُ مُنْصُورٍ: ص ٦٦.

(٤) انظر: مُخْطُوْتَةُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ: ص ١٣٣. كِتَابُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْزَّهْدِ الْمَحَاسِبِيِّ، ف.ح: خَلِيلُ مُنْصُورٍ: ص ٥٧، ص ٥٩.

(٥) انظر: مُخْطُوْتَةُ كِتَابِ أَعْمَالِ الْمَسَائِلِ فِي الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ. الْمَحَاسِبِيُّ: ص ١٣٩. الْمَسَائِلُ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ وَالْزَّهْدِ: ف.ح: خَلِيلُ مُنْصُورٍ: ص ٧٩. مَعَانِيَ النَّفُوسِ. الْمَحَاسِبِيُّ، ت:

• كتاب العلم:

حققَ وبصُورَةٍ علميَّةٍ جيَّدةٍ مع ضبْطٍ للمصادرِ الأجنبيَّةِ لسنة (١٩٧٥)، وقد ذكرَ منهج التحقيقِ، وكانتُ المخطوطةُ عن نسخَةٍ مكتبة ميلانو^(١).

• كتاب المسترشد:

تم تَحقيقُ الكتابِ سنة (١٩٦٤) وطبعَ تحتَ اسمِ رسالَةِ المسترشدين، وقد أشارَ المحققُ في الكتابِ لمنهجِ التحقيقِ واستندَ على مخطوطَتين، اتَّضَحَ أنَّ الأولى الأصْلُ من مكتبةِ المحقق^(٢)، وأما الثانيةُ كَانَتْ عن مكتبةِ الإسْكَنْدَرِيَّة^(٣)، وقد تُرجمَ الكتابُ إلى اللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ باسمِ ((رسالَةِ المسترشدين)) لِسنة (١٩٧٨)، وطبعَ الكتابُ الثاني جاءَ تحتَ اسمِ ((الأخلاقيُّ والفشلِ)) لِسنة (٢٠١٠)^(٤).

• كتاب المكاسب:

حققتُ المخطوطة لِسنة (١٩٨٠) لم يذكر النسخ المعتمد في التحقيق^(٥).

محمد عبد القادر: ص ٢٥.

(١) انظر: مخطوطة العلم. المحاسبي، ت: عبد المزالي: ص ٣٢. تاريخ التراث ١. فواد سزكين: ج ٤، ص ١١٧.

(٢) ويَتَضَعَّفُ أنَّ نسخَتَهُ الشَّخْصيَّةَ بَعْدَ مُقَابِلَتِهَا مَعَ مخطوطةِ المسترشدِ هي نسخَةُ مكتبةِ السُّلْطَانِيَّةِ. إسْطَنبُول/ شهيد علي باشا رقم ١٣٤٥ عدد صفحات سبعة فقط، نسختُ سنة ٥٨٠٠.

انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠. رسالَةِ المسترشدين. فتاح أبو غدة: ص ٩.

(٣) إنَّ المخطوطةِ التي أشارَ إلَيْها الشَّيخُ فتاحُ أبو غدة بنسخَةِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ تحملُ رقم ٣٠٢٤.

انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج ٤، ص ١١٤. رسالَةِ المسترشدين. أبو غدة: ص ٩.

(٤) انظر: رسالَةِ المسترشدين. المحاسبي، تر: علي أرسلان، ١٩٧٨، ISBN: 5054014.

(٥) انظر: المسترشد (الأخلاق والفشل). المحاسبي: تر: رقية كراوكوسا، ISBN: 6054214167.

(٦) انظر: . الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٩. كتاب المكاسب للمحاسبي، ت: سعد كريم الفقهي: ص ١.

• كتاب الزهد:

قد تم تحقيقه لسنة (١٩٦٩)، وكان بداخله نسخة لكتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح المشار إليها فيما سبق، وأعيد طبعه مرةً ثانية لسنة (١٩٨٥)، ويوضح من المادٍ أنه طبع مرةً ثالثة لسنة (٢٠٠٥)، مع تغيير اسم الكتاب واستبدال بعض محتوى الكتاب ببعض كتب أخرى^(١)، ترجم إلى اللغة التركية لسنة (٢٠٠٦) تحت اسم دير الزهد^(٢).

• كتاب الوصايا:

جاء الكتاب تحت اسم الوصايا، وهي عن مخطوطه بخط مغربي وجاءت مختلفة في الاسم ومتباينة بالمعنى لمخطوطة النصائح في مكتبة السليمانية، تم تحقيق وطبع الكتاب لسنة (١٩٨٦)، وقد شكل محتوى الكتاب مع كتب وأبواب أخرى للمحاسبى^(٣).

• كتاب شرح المعرفة وبدل النصيحة:

حقق الكتاب لسنة (١٩٩٣)، تم فيه وصف منهج التحقيق والمخطوطة كانت عن المكتبة الأزهرية^(٤)،

قال المحاسبى: ((عملت كتاباً في المعرفة وأعجبت به، فيبني أنا أنظرهً مُستحسناً إذ دخل على شابٍ وسلام، وقال: يا أبا عبد الله هل المعرفة حق للحق على الخلق، قلت: حق للحق على الخلق، قال: هي أولى أن

(١) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبى: ص ٢. العقل وأعمال القلوب والجوارح. المحاسبى: ت: عبد القادر عطا الله: ص ٣، أعمال القلوب والجوارح والزهد. المحاسبى، ف.ح: خليل عمران: ص ١. التراث العربى: ج ٤، ص ١١٧.

(٢) انظر: الزهد (دير الزهد). المحاسبى، تر: عبد الرقيب ارسلان، ISBN: 9750033957.

(٣) الاختلاف واضح عند المقارنة بين مخطوطة مكتبة السليمانية في إسطنبول بخت وهمي، كتبها الحاج حسن محمد الخروبي تحت رقم / بغداد ٦١٤. والمخطوطة المعتمد عليها التحقيق؛ فهى بخط مغربي ونقوش في الصفحة، نسخة كتاب الوصايا والمصورة المرفقة عن المخطوطة.

انظر: كتاب الوصايا عبد القادر عطا: ص ٥. مخطوطة النصائح. المحاسبى: ص ٢. تاريخ التراث العربى. فؤاد سزكين: ج ٤ نص ١١٥. تاريخ الأدب العربى. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

(٤) انظر: مخطوطة شرح المعرفة. المحاسبى: ص ٣٧. تاريخ التراث العربى: ج ٤، ص ١١٧.

يُكِشِّفُهَا لُسْتَحْقِّهَا، قَلْتُ: بِلْ حَقُّ الْخَلْقِ عَلَى الْحَقِّ، قَالَ: هِيَ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَهُمْ، ثُمَّ سَلَّمَ وَخَرَجَ، فَغَسْلَتُهُ^(١)، وَقَلْتُ: لَا أَتَكَلَّمُ فِي الْمَعْرِفَةِ بَعْدَهَا أَبَدًا^(٢)).

• فهم القرآن:

تَمَّ تَحْقِيقُ الْكِتَابِ لِسَنَةِ (١٩٧١)، كَانَ مِنْ ضَمِّنِهِ كِتَابُ مَائِيَةِ الْعُقْلِ^(٣)، وَقَدْ ذَكَرَ الْمَحْقُقُ تَفَاصِيلَ الْمُخْطُوْطَةِ، وَتُرْجِمَ إِلَى الْلُّغَةِ الْتُّرْكِيَّةِ لِسَنَةِ (١٩٦٦)، (٢٠٠٤) وَبِنَفْسِ الْعِنْوَانِ^(٤). وَقَدْ جَاءَ تَأْلِيفُ الْكِتَابِ فِي الرِّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ^(٥).

• كتاب معاية النفس:

حُقِّقَ لِسَنَةِ (٢٠٠٣) وَذُكِرَ فِيهِ مَنْهَجُ التَّحْقِيقِ، وَكَانَتْ نَسْخَةُ الْمُخْطُوْطَةِ مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ،^(٦) وَاتَّضَحَ أَنَّ هَنَالِكَ تَشَابُهُ بَيْنَ مَسَأَةِ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ فِي مُخْطُوْطَةِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجُوَارِحِ وَكِتَابِ مُعايَةِ النَّفْسِ^(٧).

(١) عَسْلُ: هِيَ غَسْلُ الشَّيْءِ إِذَالَةُ الْوَسْخِ وَنَحْوُهُ، وَتَأْتِي بِنَحْوِ ضَرَبٍ، وَإِذَا كَثُرَ ضَرَابُهُ وَلَمْ يَلْفَحْ. انظر: التعريفات الفقهية. محمد البركتي: ج ١، ص ١٥٧. شمس العلوم دوّاء كلام. نشوون اليمني: ج ٨، ص ٤٩٨٩.

(٢) انظر: الكواكب الدرية في ترجم الصوفية: ج ١، ط ٣، ص ٥٨٥. الطبقات الكبرى. للشاعراني: ج ١، ص ١٣٨.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي: ج ٤، ص ١١٩. العقل وفهم القرآن. المحاسبي. ت. حسين القوتلي: ص ٤.

(٤) انظر: العقل وفهم القرآن: ترجمة: فيسر أكد دوغان، ٢٠٠٤ ISBN: 9753501390 . أحمد إنشاش، ١٩٦٦.

(٥) انظر: أستاذ السائرين. عبد الحليم محمود: ص ٢٢.

(٦) انظر: تاريخ التراث العربي فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٨. معاية النفس. المحاسبي: ت: محمد عبد القادر: ص ٢٤.

(٧) انظر: أعمال القلوب. المحاسبي: ص ١٣٨. معاية النفس للمحاسبي: ت: محمد عبد القادر: ص ٢٤، ص ٢٢.

• كتاب مائة العقل و معناها و اختلاف الناس فيه:

تم تحقيقه لسنة (١٩٦٩)، و يذكر فيه نسخة المخطوطة من مكتبة الجزار - عكا^(١)، وكان الكتاب يحتوي على كتاب أعمال القلوب والجوارح، و طبع وحقق من ضمن كتاب العقل وفهم القرآن^(٢) لسنة (١٩٧١).

• القصد الرجوع إلى الله:

حقق سنة (١٩٨٢) م، وجاء من ضمن كتاب الوصايا، وقد أشار المحقق في منهج التحقيق وقال: إنها نسخة فريدة في مكتبة الشهيد على^(٣)، و عند الاطلاع في مصادر المخطوطات في تركيا أتضح أنها من مكتبة جار الله وتحت رقم (١٧٨٢)، ويوجد نسختين بتواريخ نسخ مختلفة في المكتبات التركية تحت نفس العنوان^(٤)، و ترجم إلى اللغة التركية سنة (٢٠٠١) باسم / البحث عن الله^(٥).

(١) انظر: الزهد (مائة العقل). المحاسبي: ص ٤٠٤. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٩٢. تاريخ التراث العربي. فواد سرذين: ج ٤، ص ١١٦. العقل وأعمال القلوب. ت: عبد القادر عطا: ص ٢٣٧. كتاب العلم. المزالى: ص ٢٧.

(٢) انظر: العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوتلى: ص ٣. تاريخ التراث العربي: ج ٤، ص ١١٩.

(٣) انظر: الوصايا (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر عطا الله: ص ٥٢.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فواد سرذين: ج ١، ص ١١٨.

(٥) البحث عن الله. المحاسبي، تر: عثمان آرب ISBN:9757105236

وقد جاءت بعض الأبواب والرسائل عند بعض المصادر العربية والأجنبية على أنها كتب^(١)، وبعد الاطلاع والتدقيق اتضح أنها أبواب لسائل وليس كتاباً، وهي كما يلي:

• أحكام التوبية:

حقّق سنة (١٩٧٢م) ضمن مجموعة كتاب الإنابة لله، ولم يشرح المنهج أو عن أي نسخة تم التحقيق^(٢).

• دواء داء القلوب:

جاءت في بعض المصادر أن النسخة مكان وجودها غير معروفة^(٣)، واتضح أنها حقّقت ضمن كتاب

آداب النفوس لسنة (١٩٩١)، وهي عن مخطوطة آداب النفوس^(٤).

• فهم الصلاة:

حقّق ضمن مجموعة كتاب الوصايا-النصائح، وأشار إلى نهج التحقيق، وهي عن نسخة مصورة من مكتبة جار الله سنة (١٩٨٢م)^(٥).

(١) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٨. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٩٢.

(٢) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص ٥٢. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٨. (النصائح). المحاسبي، ت: عبد القادر: ص ٣٥٥.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٩.

(٤) انظر: مخطوطة آداب النفوس. للمحاسبي: ص ٥٩، ص ٦٤. آداب النفوس. المحاسبي: ت: عبد القادر عطا: ص ٤٠.

(٥) انظر: مخطوطة الزهد. المحاسبي: ص ٥٢. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٨.

• فهم السنن:

وُجِدَتْ فِي فَهْرِسِ مُخْطُوطَةِ كِتَابِ الْخُلُوَّةِ وَالْتَّنَقْلِ فِي الْعِبَادَاتِ وَدَرَجَاتِ الْعَابِدِينَ فِي إِحْدَى أَبْوَابِهَا الْمَدْرَجَةِ فِي مَصَادِرِ الْكِتَابِ^(١).

• مختصر المعاني:

هِيَ مَجْمُوعَةُ أَبْوَابٍ وَرَدَتْ ضَمِّنَ كِتَابَ الْمَحَاسِبِ، وَلَيْسَ كِتَابًا مَنْفَصِلًا كَمَا أَشَارَتْ بَعْضُ الْمَصَادِرِ^(٢)، وَقَدْ جَاءَتْ تَسْمِيَةُ الْأَبْوَابِ فِي الْخُوفِ وَالْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالرِّجَاءِ، وَقَدْ حُقِّقَتْ بَعْضُ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَمِّنِ كِتَابِ الرِّعَايَاةِ لِسَنَةِ ١٩٣٦^(٣)، وَكِتَابِ آدَابِ النُّفُوسِ لِسَنَةِ ١٩٩١.

(١) انظر: مخطوطة الخلوة والدرجات بين العباد. المحاسبي: ص ١.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٩.

(٣) انظر: مخطوطة آداب النُّفُوس. المحاسبي: ص ٦٧. كتاب آداب النُّفُوس. المحاسبي: ت: عبد القادر أحمد عطا الله: ص ٥٢، ص ٧٦، ص ٨٩، ص ١٢٠. كتاب العلم. المحاسبي. المزالى: ص ٣٤. كتاب الرعاية لحقوق الله. المحاسبي، ت: مارغريت سميث: ص ٣٨٩.

انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٧. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

المخطوطات الغير مُحقّقة والبعض قد جاء بالمفودة:

ظهرت في البحوث والاستطلاعات أنَّ أغلبَ مخطوطاتِ المحاسبي المتواجدة في المكتبات العربية وفي تركيا وحتى الأوروبيَّة قد جنَى ثمارَها في التحقيق المستشرقون في بداية مطلع القرن العشرين، واتَّضح ذلك بعدَ معاينة المصادرِ وربطها بالمخطوطات، ومن أَهمِّ المخطوطات التي جاءَ فيها التباسُ^(١) في التحقيق:

- مخطوطة البعث والنشور:

وُجِدَتْ هذه النسخة في مكتبة السليمانية ومتَّسِّرةً جدًا بالرِّطوبة والكلماتِ فيها غير مفهومَة، ويبَدو أنَّ نَسخَ المخطوطة جاءَ بخطِ اليدِ وليس تصویرًا عن الأصل، وت تكون المسألة من خمسَ عشرةَ صفحةً مع غلاف كُتِبَ عليه لسنةٍ (١١٠٤هـ)، وقد جاءَتْ في بعض المصادر مفقودة^(٢)، واتَّضحَ أنَّ الإمام الغزالي أَفَادَ منها في (الدَّرَّةُ الْفَارِخَةُ)^(٣).

- مخطوطة التنبية على أعمال القلوب في دلالة الوحدانية:

اتَّضحَ أنَّها موجودَةٌ في مجموعة كتاب الرُّهْدِ، وقد جاءَ في نهاية بابِ العظميَّة^(٤).

(١) التباس: شكٌّ «أمرٌ نقع عليه بعض الشُّبهات». .

انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار: ج٢، ص١١٦٢.

(٢) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٧. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج٤، ص٦٠.

(٣) الدرة الفاخرة. أبي حامد الغزالي: ص٣١. معهد المخطوطات العربية. الشطي: ص١١٩.

(٤) انظر: الزهد. المحاسبي: ص٢٨، تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج٤، ص١١٦. معهد المخطوطات العربية. الشطي: ص١٥٣.

• مخطوطة العظمة:

لم يتم تحقيق هذه المخطوطة من ضمن كتاب الزهد رغم تحقيق الكتاب لأكثر من مرة، يبدو أن نسخة المخطوطة يتم تجاوزها عند التحقيق، أو لم ترد ضمن نسخ المحققين؛ والسبب أن جميع الكتب المحققة تم الاعتماد عليها من مخطوطات المكتبة الأزهرية^(١)، وبعد الاطلاع عليها يتضح أن مواضيعها في رد الفلسفه الغربيين بطريقه علم الكلام، وهي عن نسخة مكتبة السليمانية -تركيا^(٢).

• المراقبة والمحاسبة:

وُجدت نسخة مصورة عن مخطوطة الأصل في مكتبة السليمانية تحت اسم (OZEL-632)، وهي من مكتبة ديلن والنسخة مكتوبة بخط اليد، والصحف الأولى تعرضت للتلف، عددها ست وأربعون صفحة^(٣)، ويشير في نهاية المخطوطة إلى «كتاب التفكر»^(٤).

• النصيحة للطلابين:

وجاء اسم الكتاب متشابهًا مع أسماء كتب أخرى، مثل: كتاب الوصايا، وخطوطة النصائح، وكتاب شرح المعرفة وبذل النصيحة التي وردت فيما سبق، ولكن يبقى الحد الفاصل في البت بالعنوان هو ملاحظة

(١) تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ص ١١٦.

(٢) انظر: مخطوطة كتاب الزهد. المحاسبى: ص ٢٥. معهد المخطوطات العربية. الشنطى: ص ١٨٢.

(٣) مخطوطة المراقبة والمحاسبة. المحاسبى: ص ٥، ص ٦، ص ٧.

(٤) نسخة: A، توجد في (Dublin. Chester Beale Library)، الجمهورية الأيرلندية، تحت رقم ٤٨٩٣، نسخة: B، توجد في مصر، مكتبة سوهاج، تحت اسم تصوف، رقم / ١٣٦، عدد صفحات ٢٠، نسخت سنة ١٠٢٣.

نسخة: C، مكتبة برلين، ألمانيا، تحت رقم ١٤٣٥، من (ص ١. ص ٧) عن مكتبة. انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٨. تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

المخطوطات الموجودة في جامعة أنقرة ومقارنتها مع الكتاب المحقق^(١).

• مخطوطة بلا عنوان:

توجد النسخة في المكتبات التركية^(٢)، نُسخَت سنة ٨٠٠ هـ.

• مخطوطة في التصوف:

ذكرت في بعض المصادر^(٣)، وقيل فيها كلامُ التكشفِ لله تعالى، عددها اثنان وعشرون صفحةً^(٤).

• مخطوطة محاسبة النفوس:

جاءَ اسم الكتاب متشابهٌ مع أسماءٍ كتب أخرى، مثل: مُعاتبة النفوس وأداب النفوس، لكن يبقى الحد الفاصل في البت بالعنوان وهو ملاحظة المخطوطاتِ ومقارنتها مع الكتاب المحقق^(٥).

(١) نسخة: A، توجد في Ankara University Saab Ankara Turkey (Ankara University Saab Ankara Turkey) تحت رقم / ٣٣٩١ من (ص ٣٦ .٢٣)، نسخت سنة ٧٣١ هـ. نسخة: B، توجد في Ankara University Saab Ankara Turkey تحت رقم ٥٢٨١ من (ص ٨ .١ ص).

انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج ٤، ص ١١٨.

(٢) توجد النسخة في مدينة بورصة، تركيا، مكتبة الجامع الكبير تحت رقم / ١٤٢٨، من (ص ٣٤ .٣٤ ص ٤٠).

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٨.

(٤) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٨. معهد المخطوطات العربية. الشنطي: ص ١٥٣.

(٥) انظر: كشف الظنون. خليفة جلبي: ج ١، ص ٩٠٨. العلم. المحاسبي، ت: المزالى: ص ٢٩.

الأدب العربي. بروكaman: ج ٤، ص ٦١.

(٦) توجد المخطوطة في: نسخة: A، توجد في المتحف البريطاني، تحت رقم ملحق ١٢٤٢ مخطوطات شرقية ٤٠٢٦/٣، من صفحة (٤ .٢٦)، سنة ١٠٢٤ هـ. نسخة: B، توجد في مكتبة برلين تحت رقم ٢٨١٤، من (ص ٨٠ .٨١).

نسخة: C من (ص ١ .٧) كتبت بتاريخ ٨١٣ هـ.

انظر: تاريخ التراث العربي. سزكين: ج ٤، ص ١١٧. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

أَمَّا عَنْ أَهْمَ الْكِتَبِ الَّتِي مَا زَالَتْ مَفْقُودَةً وَقَتَ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ:

لَا تزال المخطوطات المفقودة تشكل الأهمية الأوسع والأشمل؛ فهي تحتاج إلى بحثٍ وجهٍ عالٍ من الباحثين للبحث والتحرّي عنها في المكتبات الأوروبيّة والتركيّة، وَمِنْ هَذِهِ الْكِتَبِ:

- ◆ كَفُ الشَّجَارُ مَا بَيْنَ الصَّحَابَةِ كَتَابُ الدَّمَاءِ^(١).
- ◆ أَخْلَاقُ الْحَكِيمِ^(٢).
- ◆ كَتَابُ الْغَيْبَةِ^(٣).
- ◆ كَتَابُ التَّنبِيَّهِ^(٤).
- ◆ كَتَابُ حَبِّ اللَّهِ^(٥).
- ◆ كَتَابُ التَّفَكُّرِ وَالْاعْتَبَارِ^(٦).

أَمَّا عَنْ اخْتِفَاءِ فِيمَا وَرَدَ مُسْبِقًا؛ فَهِيَ لَتَعَرُّضُ مِنْهُجٍ وَفَكْرٍ الْمَحَاسِبِيِّ وَمَنْ أَتَيَ بَعْنَهُجَهُ إِلَى انتِقَادَاتٍ كثِيرَةٍ مِنَ الْمَدَارِسِ الْدِينِيَّةِ، وَكَانَتْ أَهْمَ هَذِهِ الْأَسْبَابِ فِي اخْتِفَاءِ أَغْلَبِ الْكِتَبِ:

(١) انظر: التَّهَذِيبُ. لَابْنِ حَجْرٍ: ج٢، ص١٣٥. كَتَابُ الْعِلْمِ. الْمَحَاسِبِيُّ، ت: الْمَزَالِيُّ: ص٣٤.

(٢) انظر: مخطوطَة كَتَابُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِ. الْمَحَاسِبِيُّ: ص١٤١.

(٣) انظر: الْفَهْرِسُتُ. ابْنُ الْخَيْرِ الإِشْبِيلِيُّ: ج٢، ص٢٧٣.

(٤) انظر: الْفَهْرِسُتُ. ابْنُ الْخَيْرِ الإِشْبِيلِيُّ: ج٢، ص٢٧٣.

(٥) انظر: الْفَهْرِسُتُ. ابْنُ الْخَيْرِ الإِشْبِيلِيُّ: ج٢، ص٢٧٣.

(٦) مخطوطَة الْمَحَاسِبَةِ وَالْمَرَاقِبَةِ. الْمَحَاسِبِيُّ: ص٤٣.

أولاً: موقف مدرسة المحدثين من مدرسة الفقهاء، إذ أنَّ المعروف عن المحدثين ضيق صدرهم بكلٍّ من يخرجُ عن الحديث ولو قليلاً عن إسنادِهم، ييدو أنَّ الإمام أحمد شدَّ بالتنكيل فيمن يتكلُّمُ بعلم الكلام في عصره، والخارث يتكلُّمُ فيه؛ لذلك يمكن الاستنتاج عن مبرراتِ الخلافِ والعزلة بينه وبين الإمام أحمد^(١).

قد جاءت قضية الشيخ المحاسبي والإمام أحمد بالكثير من التأويل والحديث وفيها التباسٌ عند بعض الكتب، وبالأخصَّ بعد القرن الثالث الهجري، فهناك مؤلفات كثيرة ضدَّ علم الكلام والجَدَل والزَّهَد، وهذا السببُ أصبَحَت جمِيع رسائل العلماء الذين اتَّبعوا مَهْجَ المحاسبي، ومنهم الإمام الغزالى، في حلِّ نقدٍ دائمٍ حتى الوقت الحاضر^(٢)، ورغمَ ذلك فقد أصبحَت تعاليم المحاسبي في علمِ الكلام ذاتَ تأثيرٍ كبير^(٣).

ثانيًا: اضطهاد المعتزلة للصوفية والذى كان معروفاً عنهم مقتُهم لนาهجِ الجَدَل بالسُّنَّة النبوية والوعظِ بالقرآن، ولأنَّ المحاسبي من الفقهاء ومتصوَّفُ الطَّبَاع^(٤)، قد كان أشدَّهم براءةً وأمتهنَهم كلامًا في الرَّد على المعتزلة^(٥).

ثالثًا: أنَّ التأثيراتُ السياسية وتدخلها في مَهْجَ العلماء قد بَأَتْ واضحةً في مدينةِ الخلافةِ بغداد في عصر المحاسبي ومنهجِ الرافض والمستمر في انتهاءِ المدارسِ الدينية لعَطْفِ الخلفاءِ وسياستهم في الحُكْمِ الذي كان يتَجَسَّدُ في تدميرِ منهَجِ المدارسِ المعارضَة لسياستِهم^(٦). وينبغي الإشارةُ

(١) انظر: طبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٨٣.

(٢) انظر: ثلبيس إيليس. عبد الرحمن الجوزي: ص ٤٩، ج ٢، ص ٨١، ص ٨٣، ص ١١٦، ص ١٢١، ص ١٣١.

(٣) انظر: المآخذ العقائدية على كتاب الإحياء: ص ٥٠.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى. الشعراوى: ج ٢، ص ٢٧٥. تاريخ بغداد. الخطيب: ج ٨، ص ٢١١.

(٥) انظر: بدء من أذاب الله. المحاسبي ت: مجدى فتحى: ص ١١.

(٦) انظر: الملل والنحل. الشهستانى: ج ١، ص ٣٧.

(٧) انظر: إحياء علوم الدين. الغزالى: ص ٣٩. مروج الذهب. للمسعودى: ج ٤، ص ٤٤.

إلى صدق حَدَسِ المحاسبي في أغلب المصنفات أنَّ النَّزاعَ سِيَسْتَمِرُ مَا بَيْنَ الفرقِ الإِسْلَامِيَّةِ لَحِينِ قِيَامِ السَّاعَةِ^(١).

❖ كان المحاسبي صدوقاً مع نفسه باحثاً عن العلم، وحتى بعد أنْ نَقَمُوا عَلَيْهِ بعْضَ زَهْدِهِ وَنَهَجَ تَصْنِيفِ كِتَابِهِ يَبْدُو أَنَّهُ أَوَّلُ مُتَصوَّفٍ مُتَبَعٍ لِلْسُّنْنَةِ تَضَعُفُ فِيهِ ثَقَافَةُ كَلَامِيَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ، فَهُوَ الْقَائِلُ: ((فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَلِمًا أَتَضَحَّ لِي بِرَهَانِهِ، وَأَنَارَ لِي فَضْلَهُ، وَرَجَوْتُ النَّجَاهَ وَجَعَلْتُهُ أَسَاسَ دِينِي، وَبَنَيْتُ عَلَيْهِ أَعْمَالِي))^(٢).

١

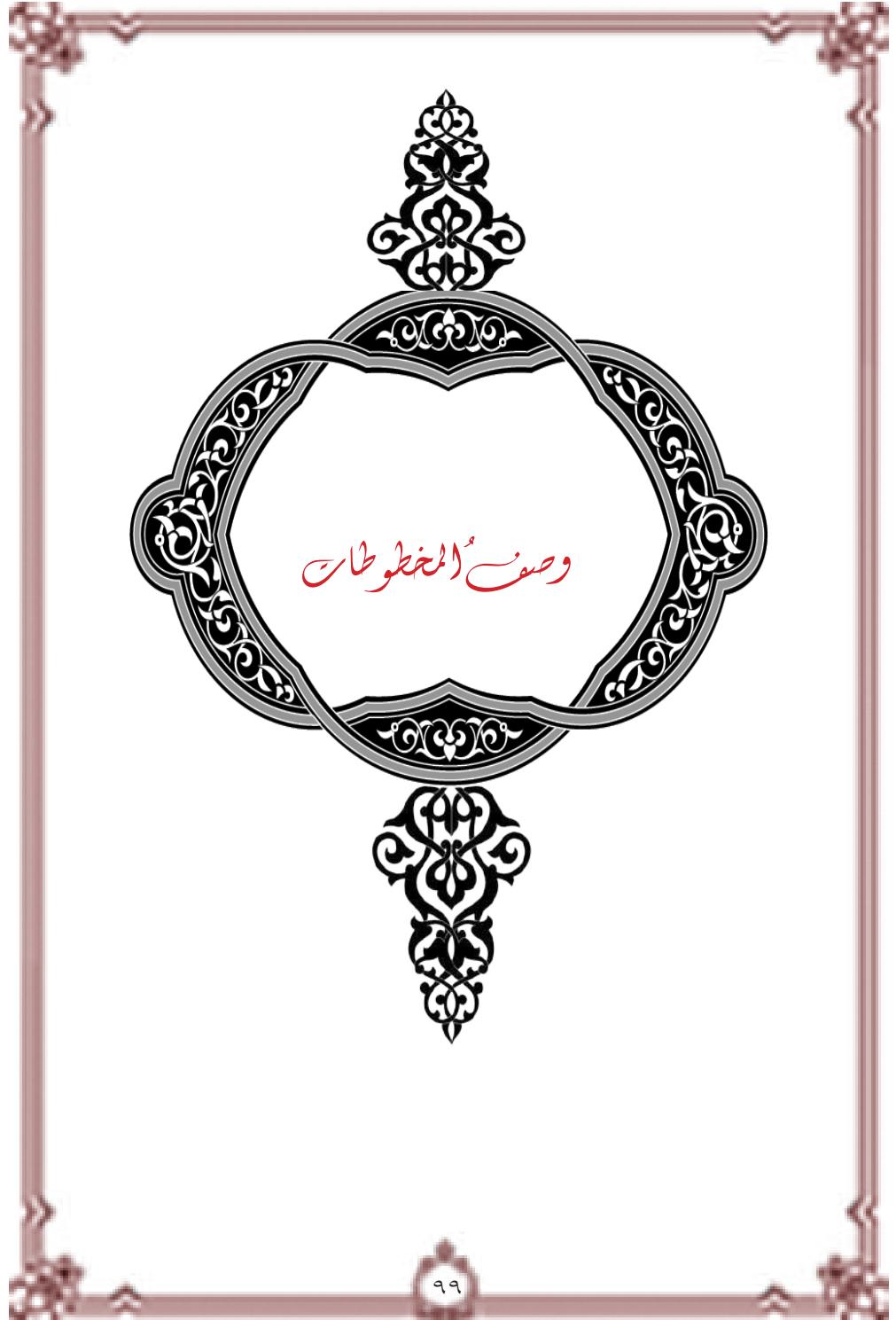
(١) انظر: مخطوطة النصائح. المحاسبي: ص ٢.

(٢) انظر: كتاب الوصايا للمحاسبي: ت: عبد القادر أَحْمَد: ص ٢٠. العقل وفهم القرآن: ت: حسين القوئي: ص ٢٥.

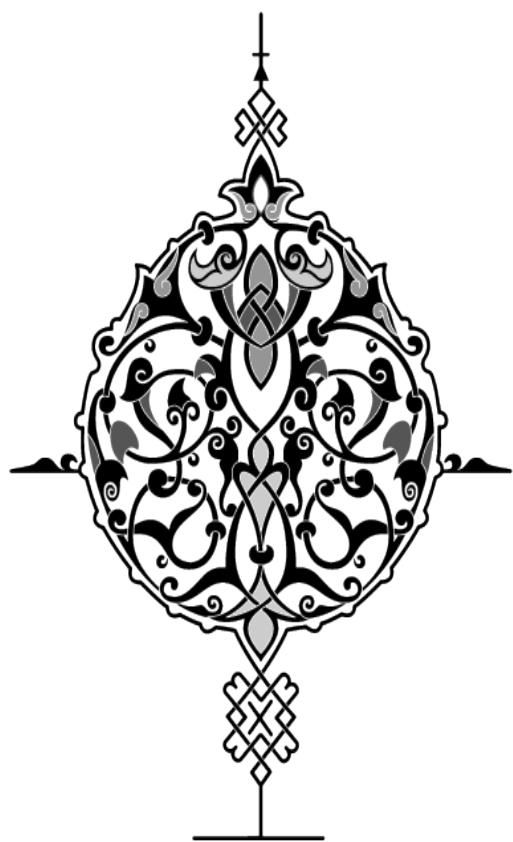
((كُلُّ زَاهِدٍ زُهْدٌ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ، وَمَعْرِفَتُهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ، وَعَقْلُهُ
عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ إِيمَانِهِ))^(١)

الْحَارِثُ بْنُ أَسَدِ الْمُحَاسِبِيِّ .

(١) انظر : الكواكب الدرية في طبقات الشافعية. المناوي : ج ١، ص ٥٨٧.



وصف المخطوطات



بعد عناءٍ كبيرٍ ما بينَ الكُتبِ والعنويين المتشابهةِ والمخطوطاتِ في المكتباتِ العربيةِ، والتي جاءَ فيها تسمياتٌ لأبوابٍ يَدلُّ العناويين الرئيسيةِ للكُتبِ، وجاءَتُ أخرىٌ بِتسمياتٍ حسبَ رغبةِ المحققِ، وعدمِ دقةِ بعضِ المصادرِ في وصفِ كتبِ المحاسبيِّ، والتي كانتُ سبِّيًّا لفتحِ المجالِ أمامَ المحققِ بالاجتِهادِ بِتسمياتِ المسائلِ والأبوابِ ما يُخالفُ مضمونَ المخطوطةِ؛ فيكونُ من الصعوبةِ على الباحثِ أنْ يختارَ موضوعَ المخطوطةِ؛ لينجرِّ البحثَ من خالِلِ العناويينِ.

بدأتُ المشوار بِصعوبةٍ، وكانتَ الوجهةُ الأولى في البحثِ عن مخطوطاتِ المحاسبيِّ في تركيا، ونقطةُ البدايةِ مكتبةُ السليمانيةِ في إسطنبول، وبعدها اتجهْتُ لمكتبةِ الجامِعِ الكبيرِ في بورصة، ومكتبةُ جامعةِ إسطنبول، والمكتبةُ المركزيةُ الحكوميةُ للمخطوطاتِ في شارعِ بايزيد، وقد استغرقَ البحثُ شهْرًا ما بينَ المكتباتِ، وأخيرًا وجدتُ مخطوطةً المسائلِ في أعمالِ القلوبِ والجوارحِ^(١) في مكتبةِ السليمانيةِ – إسطنبول –، وحتى لا أقفُ عندَ التسمياتِ الخاطئَةِ في العناوينِ من الكُتبِ والمصنفاتِ اجتهدتُ بشراءِ جميعِ النسخِ لمخطوطاتِ المحاسبيِّ من المكتباتِ التركيةَ^(٢).

وبعد دراسةِ المخطوطةِ اتَّضحَ من مادَّةِ الموضوعِ أنَّ مخطوطةَ المسائلِ في أعمالِ القلوبِ والجوارحِ كانتْ خلاصَةً لِفَكُرِّ المحاسبيِّ في الرِّدِّ بِعلمِ الكلامِ بِمواضيعِ الصمتِ والكلامِ في الوعظِ، وألْحَدَالِ في أسبابِ الدنياَ^(٣)، ويبَدُّو أنَّ المدةَ الزمنيةَ لكتابَةِ هذهِ المخطوطةِ كانتْ في الربعِ الأخيرِ من

(١) انظر: تاريخُ التراثِ العربيِّ. فؤاد سرّكين: ج٤، ص١١٦. تاريخُ الأدبِ العربيِّ. بروكلمان: ج٤، ص٥٥. الفهرستُ. ابن خير الإشبيلي: ج٢، ص٣٣٦. طبقاتُ الأولياءِ الأصفياءِ. الأصفهاني: ج١٠، ص٩٩.

(٢) انظر: مخطوطةُ كتابِ الزهدِ. المحاسبي: ص٥. مخطوطةُ الإنابةِ إلى اللهِ. المحاسبي: ص٢٠. مخطوطةُ النصائحِ ص٢.

مخطوطةُ المسترشد: ص٢٤. مخطوطةُ المراقبةِ والمحاسبةِ. المحاسبي: ص٥. مخطوطةُ الرِّدِّ على بعضِ الأغنياءِ. المحاسبي: ص٢١٧. مخطوطةُ فهمِ القرآنِ ومعانيهِ. المحاسبي: ص٨٣. مخطوطةُ الرعايةِ لحقوقِ اللهِ. المحاسبي: ص٢.

(٣) مخطوطةُ أعمالِ القلوبِ والجوارحِ. المحاسبي: ص١٣١، ص١٣٥.

حياة المحاسبي^(١)؛ لورود المسائل فيها كردةٌ صريح ومبادر على منهج كلام الفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي (٢٥٢هـ).

(١) انظر: حلية الأولياء. لأبي نعيم: ج ١٠، ص ٧٤. العقل وفهم القرآن للمحاسبي: ت: حسين القوئي: ص ٣٢.

تفاصيل خطوطه جامع السليمانية -الأصل-

كُتُبَ عَلَى غَلَافِهَا مِنْ كَلَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِ بْنِ أَسْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحَاسِبِيِّ الْبَصْرِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَفِيهِ بَابٌ مِنَ الْخَلْوَةِ وَمَا يَسْتَفَدُ بِهَا مِنْ وَجْهِ الْمَنْافِعِ فِي الدِّينِ، وَجَاءَ اخْتِنَامُ عَلَى الْغَلَافِ مُتَشَابِهً بِمَا يَخْتَمُ الْمَوْجُودُ فِي نَهَايَةِ الْكِتَابِ، وَهَامِشٌ بِخَطِ الْيَدِ وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْلَّطْفِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَلِيِّ الدِّينِ جَارِ اللَّهِ^(١) مِنْ كُتُبٍ: أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ رَسْتَمِ لَعْبِدِ حَمْمُودِ السَّرَّافِيِّ^(٢).

وكانَتْ نسخة المخطوطة ضمنَ مجموعة كُتبٍ أخرى لخطوَاتِ
المحاسبي ضمنَ كتابِ الزَّهد^(٣)، تمَّ نسخُ المخطوطة سنة (٥٢٣ هـ)،
والورق فيه أصفرُ اللُّون، وجاءَ كتابُ المسائل في خمسة عشر مسألةً في
اثنين وثلاثين صفحَةً، أمّا تسلسلُ أرقام الصفحاتِ في الكتابِ يبدُءُ : (ص
١١٤-ص ١٤٦). والتسلسل الرقمي فيها يشمُلُ صفحتينِ متجاورتينِ،
وكلّ جزءٍ من الصفحة يحتوي على عشرين سطراً، ويتألُّفُ السطُّرُ منْ
أربعةٍ عشرَ كلمةً، وطولُ الصفحة (٢٦ سم)، أمّا عرضُ الصفحة
(٣٦ سم)، وجاءَت الكلمات بخطٍ واضحٍ في بدايةِ المخطوطة، وفي الربع
الأخير يسوءُ خط النسخ بسببِ تداخلِ الحروفِ وتداخلِ الجملِ فيما
بعضها مع بقاءِ المفهوم لمعنىِ .

(٤) وهي مكتبة لأحد رجال تصنيف الكتب في إسطنبول الذين عملوا على التصنيف والبحث عن المخطوطات في عاصمة الدولة العثمانية. إستتبول. وبعتبر أن أستاذة تلميذ المؤرخ والأديب الحاج خليلة جلبي، وقد سعى جار الله أفندي مع السيد النبهاني في تبييض مسودة كتاب كشف الظنون الفنون للحاج الجلبي، بعد وفاته ١٠٦٧.

^٩ انظر: *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*. الجلبي: ج ١، ص ٩.

(٢) هو: الخطاط فخر الدين بن محمد بن رستم البغدادي ٥٤٩هـ، وهو نفس الناشر لمخطوطة الرعاية في حقوق الله، المتواجدة في بورصة، بعد الاطلاع عليها ومطابقة اسم الناشر.

^{٣٢٩} انظر: الوفي بالوفيات: ج ٢٢، ص ٢٢.

١٤) مخطوطة المسائل في الزهد. المحاسبي: ص ١١٤.

أما وصفُ الصفحة الأولى من مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح بدأ بعبارة:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَوْنَكَ اللَّهُمَّ، قَالَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحَاسِبِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ مَسَأْلَةً فِي الْحِسْبَةِ فِي إِدْخَالِ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ».

وتنهي المخطوطة عند مسألة النذور، ويدرك فيها: «تَمَّ كِتَابُ الْمَسَائِلِ فِي أَعْمَالِ الْقَلُوبِ وَالْجَوَارِحِ لِلْمَحَاسِبِيِّ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَقُّهُ حَمْدُهُ وَصَلَواتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ، وَذَلِكَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُحْرَمِ سَنَةُ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ وَخَمْسَائِهِ».

وجاءَ خَتْمُ آخِرٍ فِي نَهَايَةِ المخطوطة يُشِيرُ إِلَى مَكَانٍ إِيَّادِعَهَا وَهِيَ: (مكتبة ولي الدين جار الله في إسطنبول)^(١).

(١) قال فيها: وقف هذا الكتاب أبو عبد الله، والي الدين جار الله، بشرط أن لا يخرج من خزائن بناتها جامع محمد نجيب سلطان القسطنطينية، سنة ١٠٧٢ هـ، وهو نفس الختم في مقدمة كتاب الزهد.

انظر: مخطوطة الزهد - المحاسبي: ص ١١٣.

تفاصيل مخطوطة المكتبة الأزهرية -الأزهر-.

وُجدت مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح في مكتبة الأزهر الشريف بالقاهرة تحت اسم: تصوّف، رقم تسلسل / ١٣٦٧ لعدد صفحات بلغت (٧٩)، ابتدأت بصفحة رقم (٩١) وتنتهي بصفحة (١٧٠)، واتضح أنها عن مكتبة الأحمدية -أحمد باشا الجزار - عكا، وهي عن المكون البغدادي كوثيق.

ويبدو أنَّ الصفحات فيها بلون أبيض وهي مصورة عن الأصل، وكانت طول الصفحة (١٦ سم) وعرض الصفحة (١٨ سم)، ومسطرة بواقع (٢٠) سطراً في الصفحة الواحدة، ويكون كل سطر من إحدى عشر كلمة^(١)، وكانت المخطوطة في مكتبة الأزهر ضمن مجموعة من كُتب ورسائل أخرى مصورة قد تمَّ نسخها في القرن السادس الهجري، والمخطوطة جاءت بخطٍ غير واضح، وكان لدى الناشر أخطاء كثيرة، وعلى سبيل المثال منها تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، والتأخير والتقديم بالكلمات، ولم يضع الناشر عنواناً للمخطوطة والمسائل فكتبهما بنسقٍ واحدٍ^(٢)، وقد أثرت فيها الرطوبة تأثيراً بالغاً من حيث عدم وضوح الكلمات وتسلسل أرقام الصفحات، وجاءت بعض الصفحات غير متشابهة من كثرة الضرر، أمّا تسلسل المخطوطة بالكامل فقد ابتدأ من صفحة (٤٣) وانتهى في الصفحة (٢٥٩)، وجاءت أول مسألة فيه عن الزهد،

(١) انظر: معهد المخطوطات العربية الشنطى: ص ١٩٢. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٥٥. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٣.

(٢) إشارة عبد القادر عطا الله وصف المخطوطة في كتابة الإنابة والعودة إلى الله. وحسين القوئي في كتاب العقل وفهم القرآن. وعبد المزالي في كتاب العلم للمحاسبى.

انظر: كتاب الوصايا (الإنابة والعودة إلى الله). المحاسبي: ت: عبد القادر: ص ٤٥. العلم. المحاسبي: ت: المزالي: ص ٢٧.

كتاب العقل وفهم القرآن. المحاسبي، ت: حسين القوئي: ص ٧.

وَجاءتْ بعدها في التسلسل مخطوطة المسائل في أعمال القلوب والجوارح،
أمّا مخطوطة المكاسب جاءتُ الثالثة، والإنابة لله ومسألة العقل الرابعة^(١).

(١) كتاب العلم، المحاسبي، ت: المزالى: ص ٢٧. الإنابة إلى الله، المحاسبي، ت: عبد القادر عطا: ص ٤.

منهج التحقيق والمقابلة ما بين
نسخة الأصل ونسخة الأزهر:

- إنَّ عمليَّةَ نَهْجِ التَّحْقِيقِ اسْتَنَدَتْ عَلَى مَخْطُوْتَةِ مَكْتَبَةِ السَّلِيمَانِيَّةِ، وَقَدْ سُمِّيَّتْ -بِالْأَصْلِ-، وَجَاءَ اخْتِيَارُهَا لِعَدَّةِ أَسْبَابٍ وَكَمَا يَلِي:
- وَضْوَحِ الْمَخْطُوْتَةِ.
 - الْنَّسْخَةُ الْأَقْدَمُ حَسْبَ الْمَقَارِنَةِ بِتَارِيْخِ النَّسْخِ.
 - تَحْتَوِي عَلَى تَفَاصِيلٍ أَكْثَرَ مِنْ حِيثِ اسْمِ النَّاسِخِ وَسِنَةِ النَّسْخِ وَمَكَانِ وُجُودِ الْمَخْطُوْتَةِ.

جاءَتْ الْبِدَايَةُ بِدِرَاسَةٍ وَتَحْدِيدِ الْمَنْهَجِ الْمُتَبَعِ فِي الْمَخْطُوْتَةِ، وَاتَّضَّحَ أَمْهَا نَصَائِحُ قُدْمَتْ لِلْمَرِيدِيْنَ عَلَى شَكْلِ مَسَائِلٍ؛ لِذَلِكَ سُمِّيَّتْ (الْمَسَائِلُ فِي أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجُوَارِحِ)، وَقَدَّمَهَا الْمَحَاسِبِيُّ فِي أَسْلُوبٍ شَرْحَ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِطَرِيقَةِ الْوَعْظِ^(١) وَبِجَمْلِ كَلَامِيَّةِ رَقِيقَةٍ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَسْلُوبُهُ فِي الْوَعْظِ عَنْ نَهْجِ كُتُبِهِ الْأُخْرَى، وَجَاءَتْ فِي جَمِيعِ الْمَسَائِلِ عَلَى شَكْلِ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ؛ لِتَمْكِينِ الْمَرِيدِيْنَ فِي إِيْجَادِ الْطَّرِيقِ الصَّحِيقِ لِفَكْرَةِ فَهْمِ الْجَمْلِ وَالْوَصْوَلِ لِلْمَنْهَجِ الْمَقْصُودِ.

وَيَدُوَّيْنَ أَنَّ جَمِيعَ الْمَسَائِلِ اتَّخَذَتْ مَنْهَجَ الْوَعْظِ يَاسِنَادِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبُوَيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَتَبَيَّنَ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ فِي النَّصَوْصِ عَلَى الْمَفْهُومِ الْفَقَهِيِّ الظَّاهِرِ مِنَ الْآيَاتِ وَتَفْسِيرِ الْبَاطِنِ مِنْهَا بَيْنَ الْحَدَّ وَالْمَطْلَعِ^(٢).

(١) الْوَعْظُ: تَنْكِيرُ بِخِيرٍ فِيمَا يَرِقُ لِهِ الْقَلْبُ وَزَجْرٌ بِتَخْفِيفِ.

انْظُرْ: مَجْمُوعُ بَحَارِ الْأَتْوَارِ فِي غَرَائِبِ التَّنْزِيلِ. الْكِجَرَاتِيُّ: ج٥، ص٦٦٠.

(٢) انْظُرْ: مَخْطُوْتَةِ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجُوَارِحِ. الْمَحَاسِبِيُّ: ص٤٥٠.

بلٌ واتّخذَ التسلسلَ الموضوعيًّا فيها، وهذا يدلُّ على إدراكِ المحاسبي بإسنادِ كلماتِ الوعظِ بآياتِ القرآنِ الكريمِ وتفسيرِه على نهجِ الأحاديثِ والأثرِ.

اتضح من المادةِ عن الموضوع أنَّ مخطوطَةَ المسائلِ في أعمالِ القلوب والجوارحِ من نفائسِ^(١) الكُتبِ -من حيثُ الماضيِّ والفكِّر-، لقد اتّخذَ المحاسبيِّ من القرآنِ والسُّنَّةِ النبويةِ نهجًا في الوعظِ والجَدَلِ بالكلامِ، وأسنَدَ جميعَ الكلامِ بالأحاديثِ في أغلبِ النصوصِ وبأعلى مراتبِ الروايةِ وتحتَ صيغةً «حدَّثنا» ويسنِّدَ من شيوخِه الذين تَلَمَّذُ على علمِهم في: البصرةِ، واسطِ، بغدادِ، الكوفةِ، المدينةِ المنورةِ.

وَمَمَّا وَرَدَ أعلاهُ كان لابدَّ من دراسةِ المسائلِ في المخطوطةِ بِشكلٍ مكثُّفٍ، ومنْ ثُمَّ الرجوعِ إلى تفسيرِ آياتِ القرآنِ الكريمِ عندَ أغلبِ المواقعِ للوصولِ إلى فكرةِ علمِ الكلامِ عندَ المحاسبيِّ، وجاءت المراحلُ الأولى في الدراسةِ في عدَّةِ خطواتٍ، وهَيْ كَمَا يلي:

- قراءة المخطوطة.
- كتابة المتن.
- تحرير آيات القرآن الكريم.
- تحرير الأحاديث والروايات.
- التعريف بالأعلام.
- إعطاء معاني الكلمات.
- قراءة كلام المحاسبي وفكرة بمؤلفاته الأخرى.
- مقابله مخطوطة السليمانية -الأصل- مع مخطوطة المكتبة الأزهرية -الأزهر-.

(١) نفائس: أي كرائم. وتقدير بالمال الوفير.

انظر: التعريفات الفقهية. البركتي: ج ١، ص ١٨١.

وجاء العملُ عند مقابلة مخطوطة الأصل مع مخطوطة الأزهر في عدة نقاط، وكما يلي:

- تمَ الاعتماد على نسخةِ الأصل؛ بسببِ بلاغةِ النصِ وأقربِها إلى الصوابِ في المعنى.
 - اخْتَدَ منهجُ النقلِ المباشرِ من مخطوطةِ الأصل للحفاظ على النصِ بدون أيِّ إضافات.
 - تمَ العملُ على ضبطِ مفهومِ الكلماتِ وضبطِ النصوصِ في داخلِ المتن^(١).
 - العملُ على التعويضِ من مخطوطةِ الأزهرِ بكلماتِ جاءتُ ناقصةً في مخطوطةِ الأصل، وتمَ الإشارةُ لها بالفواضل^(٢).
 - وردتُ بعضُ النصوصِ والكلماتِ خارجِ المتنِ على جوانبِ صفحاتِ مخطوطةِ الأصل مع وجودِ إشارةٍ لها داخلِ المتنِ تشيرُ إلى مَكَانِ النَّصِ والكلماتِ، وقد تمَ إدخالِ الكلماتِ والنصوصِ حسبَ الإشاراتِ وبيانِ يناسبُ المعنى في المتنِ، وقد تمَ التحققُ والتأكدُ من صحةِ النصوصِ عندِ المقابلة^(٣).
 - تمَ ضبطُ الكلماتِ بالمعاني عندِ تحريرِها من النصوصِ، وتبينَ أنها جاءتُ ببلاغةِ القرآنِ الكريمِ، وهذا أسلوبٌ ينفردُ به الماحسيبي في اختيارِ الكلماتِ والنصوصِ عندِ الوعظِ والتفسيرِ في تصانيفِه.

(١) مَنْ: الْمِيمُ وَالنَّاءُ وَاللُّونُ أَصْلُ صَحِحٍ وَاحِدٍ يَدْلُلُ عَلَى صَلَابَةِ الشَّيْءِ مَعَ امْتَدَادٍ وَطُولٍ.

^{٣٩٤} انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد الرازي: ج٥، ص

(٢) انظر: مسألة الحسبة ص ١١٦، مسألة إسرار العمل ص ١١٨. مسألة نظرية الفجأة ص ١٤٤.

(٣) الكلمات المضافة على المتن، هي (يقول، فهو، من الرجال، على، يستحسن، السود من، قلبه، الذي، من، قد، أراه قد بقي منه فقد تأدب بأدب الله عز وجل، فخر ساجداً، قال.

انظر: مسألة الحسبة ص ١١٦ . مسألة الشهرة: ص ١١٩ . مسألة فيمن أُمّ قوماً: ص ١٢٣ . مسألة إزالة الخوف: ص ١٢٦ . مسألة في التوافق: ص ١٢٧ . مسألة الصمت والكلام الوعظ: ص ١٣٤ .

- إهمال الإشارات والتنقيط فوق الحروف في المخطوطة، وذلك بسبب الحافظ على المعاني والصفات والأفعال داخل النصوص، ولعدم الوضوح أيضاً.
- أخذ المخطوطتين عند النصوص مسارين مختلفين في المعنى؛ فعند ناسخ الأزهر دلت صفة التأنيث للأفعال والصفات عند النصوص. وعند ناسخ السليمانية دلت على صفة المذكر للأفعال والصفات^(١)؛ لذلك تم التأكيد من المحركات في معاني الكلمات.
- اتضح أن ناسخ المخطوطة الأزهر من أصول غير عربية وسكن القاهرة، وذلك بسبب معاني الكلمات المختارة لديه؛ لذلك تمت المقارنة بين الصفات والكلمات التي وردت في المخطوطتين عند المقابلة للخروج بكتابية المعنى الصحيح في المتن.
- جاءت بعض معاني الكلمات بتشديد المعنى في النص عند نسخة الأصل، والمادة المعروفة عن المصنف تبرر أن الخطأ جاء عند النسخ بسبب التكرار في الكلمات ذات معنى واحد في النصوص^(٢).
- وأخيراً اتصف منهاج المخطوطة بالاعتماد على نصٍ وكلماتٍ واضحة المعنى في البلاغة في كلا المخطوطتين عند المطابقة؛ ليتمكن القارئ الوصول بسهولة للمفهوم الفكري دون أي تشتت ذهني أو فكري قد يكون بسبب النسخ أو التحقيق.

(١) الكلمات هي: (وهو / وهي، تستوجب / يستوجب، رأى / رأت) وقد وردت هذه الملاحظات منفصلة في المسائل.

انظر: إزالة الخوف: ١٢٥. إسرار العمل: ص ١١٨. مسألة معرفة النفس: ص ١٣٨. ومسألة التذور: ص ١٤٥.

(٢) رضى يكتبها رضا، وهو يعني الاسم وليس فعل. كما يلاحظ في إيجاز الكلام. ووردت أيضاً كلمة أخرى، محاورتهم وهي. من الجيرة. في اللغة المصرية، علماً أن معنى الكلمة في المتن حسب الجملة يجب أن تكون محاورتهم وليس محاورتهم.

انظر: مسألة بدون عنوان: ص ١٢٩.

(٣) الكلمات مثل (تبجيل / تعظيم، وشجون / حزن).

انظر: مسألة فيمن ألم قوماً ولزم قلبه الحذر: ص ١٢٣، ١٢٤، ص ١٢٤.

عند المقابلة أيضاً وُجِدَتْ كلمات ونحوها ناقصةٌ كثيرة في خطوطه الأزهر وفي الكتب التي حَقَّقتْ عنها طيلة الأعوام الماضية مما جاءَ فيها بنقص المعنى وتغيير مفهوم النحو، علىَّ أنَّ النحو موجودة في خطوط مكتبة السليمانية -الأصل- وهي كما مدرج أدناه:

- (أنْ يكونَ قد سَخَطَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ فَمَا دُونَ عَرْزَةَ اللَّذَّةِ أَكْثَرُ فِي قَلْبِهِ مِنْ إِصَابَةِ اللَّذَّةِ^(١)).
- (كَالرِّجَلِينَ إِلَى جَانِبِ أَوْ كَمَا يُسِيرُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ^(٢)).
- (وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَّ عَنْ وَائِلَ بْنِ حَبْرَ أَنَّهُ رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْهِمُ الْبَرَانسُ^(٣) وَلَا يَنْتَقِدُ الْعَامَةُ زَيْمَ وَفَعْلَهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ: الْبَسْ مِنَ الشَّيْبِ مَا لَا يَزْدِرِيكَ السَّفَهَاءُ وَلَا يَشْهُرُكَ الْعَلَمَاءُ؛ فَهُوَ لِبَاسُ كُلِّ زَمَانٍ فِي عِلْمِهِمْ وَعَامِتِهِمْ^(٤)).
- (قَدْ تَزَكَّهُ نَفْسُهُ عَلَى ذَلِكَ^(٥)).
- وَقَالَ بْنُيْ تَمِّيمٌ: (وَأَبِيكَ إِنَّ خَطِيْبَهُ أَخْطَبُ مِنْ خَطَبِنَا، وَإِنَّ شَاعِرَهُ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرَنَا فَذَمَّ بَعْضَ الْبَيَانِ^(٦)).
- وَقَالَ: (وَيَعْرَيِ الْإِفْرَاطُ آفَاتٌ كَثِيرَةٌ، فَإِذَا أَسْلَمَ الْكَلَامُ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَوَجَدَ بِقَوْلِهِ مَوْضِعًا وَأَمْلًا فَأَمْلَى الْمَنْفَعَةِ لَهُمْ جَاءَ بِقَوْلِهِ لِكَافِ مَعَ ذَلِكَ^(٧)).

(١) انظر: مسألة إسرار العمل: ص ١١٩.

(٢) انظر: مسألة الشهرة: ص ١١٩.

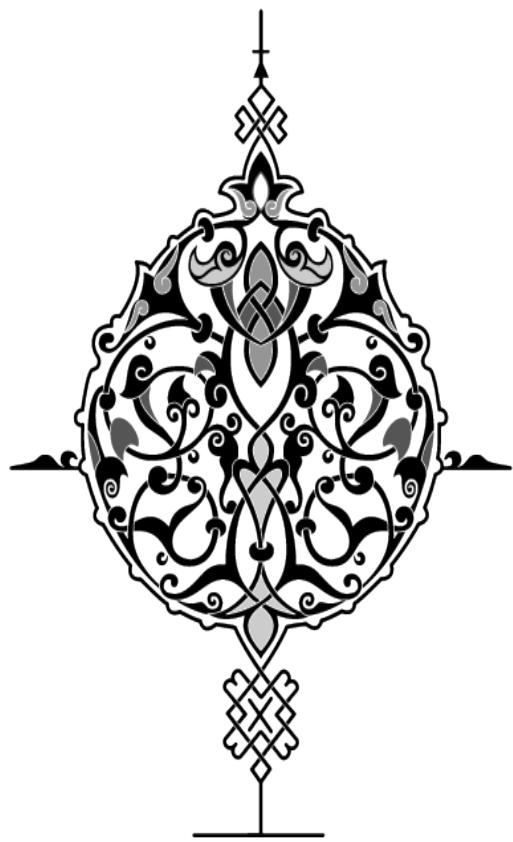
(٣) البرانس: فلنسوة طويلة، وكان الزهاد يليسونها في صدر الإسلام. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٣، ص ٢٧٠.

(٤) انظر: مسألة في الشهرة: ص ١٢٠.

(٥) انظر: مسألة في الشهرة: ص ١٢١.

(٦) انظر: مسألة في الكلام والوعظ: ص ١٣٣.

(٧) انظر: مسألة في الكلام والوعظ: ص ١٣٤.



ملخص المسائل

تتلخص المسائل في أعمال القلوب والجوارح في خمسة عشر مسألة، وكما يلي:

♦ مسألة في الحسبة في إدخال السرور على المؤمن: قلت كيف الحسبة....

وفيها كيفية إدخال السرور على المؤمن، ويكون ذلك في عدة طرق، أو لها الزكاة مع العمل بصدق النية وشروط الشواب المقدم، وقد أسنن كلامات الوعظ بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة مع شرح موجز لبعض آيات القرآن الكريم وفيمن أنزلت، وقد وصف المحاسبي رحمة الله: (أن من أدخل السرور على المؤمنين منزلته منزلة الصدقين والأبدال^(١) في عبادة الله).

♦ مسألة في إسرار العمل: قلت كيف الإسرار بالعمل.....

حدث فيها عن أنواع الإسرار في العمل، ومنها أعمال الجوارح وما يخصل القلوب، وكيف يكون العمل بها لله، وما هي أوجه استواء الأعمال ما بين السر والعلانية معتمدا على عمل الجوارح والقلوب في النية، وكيف يكون الأجر عند المؤمن الصادقين، وهي مسألة جاءت من النهج النبوي الشريف (أن العبد إذا أظهر العمل بجوارحه استوت سريرته وعلاناته).

(١) الأبدال: وهو بدل الشيء بديل أو جاء خلفا له، ويأتي المعنى في أمم الخلفاء والأنبياء والرسل، وهو أرباب حقائق التوحيد.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٤، ص ٢٣١.

♦ مسألة في الشهرة^(١): قلتُ ما الشهرة....

ورَدَ فيها كَيْفَ يَجِدُ أَنْ تَكُونَ هَيَّةُ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، وَمَا هُوَ الْلِبَاسُ الَّذِي يَجِدُ أَنْ يَتَقَلَّدَ بِهِ حَسْبَ اتِّبَاعِ السُّنْنَةِ النَّبُوَيَّةِ الشَّرِيفَةِ وَلِبَاسِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ وَمَا يَجِدُ مِنْهَا وَمَا هُنَّ يَعْنَاهَا وَالْأَسْبَابُ، وَقَدْ أَسْنَدَ الْمَحَاسِبِيَّ الْمَسْأَلَةَ بِأَحَادِيثِ وَأَقْوَالِ الْتَّابِعِينَ، وَقَالَ فِيهَا: (أَنَّ الشَّهْرَةَ تَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْأَزْمَنَةِ لَا عَلَى قَدْرِ الْفَعَالِ).

وَأَسْنَدَ الْوَعْظَ بِالْمَسْأَلَةِ أَيْضًا بِلِبَاسِ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبَعَهُمْ فِي الْزَّهْدِ وَزِيَّ الشَّهْرَةِ لِبَعْضِهِمْ، وَقَدْ وَضَعَ الْحَدَّ فِي قِيَاسِ التَّصْنِعِ مَا بَيْنَ الشَّهْرَةِ وَالْوَرَعِ وَأَفْعَالِ الْقَلُوبِ وَالْجَوَارِحِ عَنَّهُ الْتَّابِعِينَ وَالسَّلْفِ الْصَّالِحِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ لِلَا قِنَادِإِ بَهْمِ فِي الْلِبَاسِ.

♦ مسألة فيمن أَمَّ قَوْمًا فَالْزَمَ قَلْبُهُ الْحَذْرَ: قُلْتَ: فَمَا يَقُولُ فِي رَجُلٍ يَؤْمُنُ بِالْقَوْمِ.....

احتوت المسألة على معالجةٍ رِيَاء الظاهر والباطن عند المؤمن إذا توجّه للصلوة، وشروط إمام الجماعة في الصلاة، وكيف يتم النجاة من الوسوسات الذي يدرك الإمام في الصلاة، وشروط الواجب توافرها في دوافع الإمام عند البدء بالصلوة، وقد شرح سورة الفاتحة مستنداً بالمعانى اللغوية، وقال المحاسبي: بسنده للحديث «الكل آيةٌ من كتاب الله عز وجل ظهرٌ وبيطنٌ وحدٌ ومطلعٌ»، أمّا ظاهرها: فنلواتها، وباطنها: فتأويلاتها، وأمّا حدّها: فمتهى فهمها، ومطلعها: فمجاورة حدّها بالغلو والتعمق والفحور والمعاصي. وعالج مسألة الخوف في تلاوة الآيات عند الإمام في الصلاة، وقد أسنّد المسألة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

(١) المسألة فيها أحاديث ومقاطع كلامية قد تم ذكرها في كتاب الرعاية لحقوق الله للمصنف رحمة الله.

انظر: كتاب الرعاية لحقوق الله. مارغريت سميث: ص ٣٧٥.

♦ مسألة في إزالة الخوف^(١): قلتُ ما الذي يزيل الخوفُ.....

وهي مسألة معالجةٌ وإزالةُ الخوفِ والوقوفِ على العلةِ الحقيقةِ للخوفِ، وكيفَ يتمُّ السيطرةُ عليهِ، وتمثلُ بصفاتِ المريدين عند الوقعِ بالخوفِ والأسبابِ التي تؤدي إلى الخوفِ ومعالجتها، وذكرُ في المسألةِ موعظَ لقمانَ الحكيمَ لابنهِ، وقد أسنَدَ جميعَ النصوصِ إلى الأحاديثِ وأياتِ القرآنِ الكريمِ.

♦ مسألة في النوافل: وقال: جميعَ ما تطوعَ بهِ العبد.....

شرحَ فيها المحاسبي رحمهُ اللهُ التوافلُ، وكيفَ يتمُّ التعويضُ عنها في نقصِ الفروضِ، وقال: (وهي سُتُّ خصالٍ تكفيًّا للسيئاتِ وتمكيلَ للفرائضِ وتجريًّا للقلوبِ). مستنداً بالأحاديثِ، وشرحَ فيها أيضاً بعضَ أقوالِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنْهُم في العملِ الحُبُّ للهِ وبعضَ ما روى عنْهم من الأُعمالِ الصالحةِ، ودرجَ فوائدَ الذِّكرِ والحزنِ الذي وصفهَ آنَهُ عِمارَةً للقلبِ، وجاءَ بالأحاديثِ وأياتِ القرآنِ الكريمِ وفوائدَ الذِّكرِ والحزنِ، وشرحَ أيضاً ما يجبُ أنْ يكونَ من لِيسِ المصليِّ في الصلاةِ وطريقةِ الغسولِ بعدِ الجناةِ وهي الصلاةُ (ركعتان) حسِبَ ما جاءَ في السُّنَّةِ النَّبُوَّةِ، وذَكَرَ أيضاً صفاتَ المتحابينِ في اللهِ وَمَنْزِلَتْهُمْ في ارتفاعِ الدرجاتِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

♦ مسألةٌ منْ أُعمالِ القلوبِ^(٢): قال: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ حقوقًا في القلبِ.....

تكلّمَ الشَّيخُ في هذهِ المسألةِ عنْ حقوقِ اللهِ على العبدِ في أُعمالِ القلوبِ وليسْ أَعْمَالَ الجوارحِ، وقد تمَّ تقسيمها إلى ثلاثةِ حقوقٍ: (اعتقادُ الإيمانِ، واعتقادُ السُّنَّةِ، واعتقادُ الطاعةِ)، ووَصفَ الحقوقَ تفصيلاً وما

(١) المسألة جاءت في كتاب أدب النفوس على شكل باب. قال المصنف فيه: (الخوف يكون على قدر الذنوب).

انظر: مخطوطة أداب النفوس. المحاسبي: ص ٦٨.

(٢) الأصل: ليس لها عنوان.

يجب على العبد العمل به في سبيل الوصول إلى حقوق الله في قلبه، وتتكلّم عن حكمة عظمة الخالق عزّ وجلّ من الخلق، وقد وردت أيضًا رسالة الكلشوم بن عمرو العتّابي الشاعر الواقع الأديب في عصره المقرب لدى الخليفة وهو يقدّم له النصائح بما يرى ويدور في دهاليز الحكم العباسي^(١)، وتبيّن الرسالة المنهج الواضح الذي وصل إليه المحاسبي من الزهد والثبات على مهج فكّر وعلم الكلام بالوعظ، وقد عُرِفَ عن العتّابي بالنادي الصريح في مجالس العرب و المجالس الخليفة العباسي دون خوف، فيقول في نصائح المحاسبي: أعلم أن الاحتراس من الناس عقل حاضر؛ فاحترس من سلك طريق الجهل فإنك تغنم، وإياك ومحالطتهم فإنك تندم، والعزلة شرف ورين، واشتهر العتّابي بقصيدة في رثاء سيدنا عثمان رضي الله عنه^(٢).

♦ مسألة في الصمت والكلام في الوعظ وللبلاغة: قلت: الصمتُ أَفْضَلْ
أَمَ الْكَلَامُ.....

هذه المسألة جاءت عن الخوض في الحكمة والكلام والتأويل، وفيها الرد على أسلوب التأويل ومتى يكون السكوتُ واجبًا، أما إنْ كانت من دافع النفس فهي فتنٌ، وجاء فيها متى يكون الردُّ من الحكمة في الدفاع عن القرآن والسنّة النبوية، بشرط أن تكون بلاغة اللسان بنهج القرآن والسنّة النبوية، فقال: (فهو بيان عن الحق إنْ كان بدون تشقيقٍ وَعَدْمِ الإسراف بالكلام؛ لأنَّ الكلام المسرف تضييع للحق).

وتعتبر هذه المسألة هي قلب المسائل في مخطوطات أعمال القلوب والجواهر؛ ففيها البلاغةُ العربيةُ في الكلماتِ بفارق نقطة؛ حيث وُجدت في كلمة (الغيّ، والعيّ) والتي يتّضح أنَّ المصنف رحمة الله استَخدَمَها لبيان لقارئه المريد الفرق بين الفلسفة والحكمة - لمعنى

(١) انظر: مروج الذهب. المسعودي: ج ٣، ص ٢٩٤. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٢، ص ٣٥.

(٢) قصيدة الشعر: ضحوا بأشmet عنوان السجود به.. يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا.
انظر: مروج الذهب: ج ٣، ص ٢٩٣. البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ٢٢٠.

هاتين الكلمتين؛ فقد تم استخدامتها بمواقع عديدةٍ من النصوص، ويندو أنَّ النصوص التي استخدمَ فيها الغيُّ بدلَ العيِّ تُعطي صيغةً مفهوم الفكر الفلسفي للنص، وعند استخدام كلمة العيِّ بدلَ الغيِّ في نفسِ النصِّ تُعطي صيغةً فكريةً الردَّ على الكلام على الفلسفة من مفهوم المعنى الصحيح للحكمة عند المريدين، أنَّ المحاسبي كان متمسكًا بالرَّدِّ على الفلسفة بسبب إدراكِ العلةِ الفكرية في زمنه، وكان لديهِ العلاج الشافي بالمجادلة، وهذا ما أخذَ عليهِ من بعضِ العلماء^(١). واتضح من معانِي الكلمتين أنَّ القصد هو عدمِ الخوض في الفلسفة معتبرًا إياها ببلاغةٍ في الكلام^(٢).

وقد جاءَ في الحديث النبوي: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سُحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهَلًا، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمًا، وَإِنَّ مِنَ الْقُوْلِ عَيْلًا»^(٣) وقد أسنَدَ المحاسبي المسألة ل موقف النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صدر الإسلام في ذمِّ كلامِ الشعراة، إنَّ الفلسفة عند المحاسبي عبارةٌ عن كلامٍ بدونِ بيانٍ، وَعِلْمُ الكلامِ إسنادُ الكلامِ ببيانِ.

وقال المحاسبي: (يزيدُ البَيَانُ الصِّحَّةُ لِلْبَلَاغَةِ) وهذا معنى مُعزَّزٌ في الرَّدِّ على الفلسفة والذين تأثروا بكلامِهم.

وقال المحاسبي: (الكلامُ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ إِذَا أَرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ وَقُصْدَفِيهِ مَعَ الْإِصَابَةِ؛ فَكَلَمُ كُلِّ قومٍ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِمْ وَلِغَوَّ أَسْتَهْمِمْ، وَلَا تَفِرَّطَ أَيْضًا فِي الصَّمْتِ كَمَا لَا تَفِرَّطَ فِي الْكَلَامِ؛ لَأَنَّهُ إِنْ أَفْرَطَ فِي الصَّمْتِ ضَيَّعَ كَثِيرًا مِنْ حُقُوقِ اللهِ تَعَالَى أَنْ يَقُومَ بِهَا بِلَسَانِهِ).

(١) انظر: الطبقات الشافعية. السبكي: ج ٢، ص ٢٧٥. كشف الظنون. الحاج جبى: ج ١، ص ٩٠٨.

(٢) جاءت هذه المسألة عند الإمام أبي حامد الغزالى ٥٠٥ـهـ. وينفذ الإسناد والموضوع مع شرح مطول عن المسألة وأسندها بنفس الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرها المحاسبي، بل وحتى الآيات القرآنية. وقد أشار الغزالى أنه قرأ كل كتب المحاسبي وكتب علماء علم الكلام تحت باب القول وعنته.

انظر: إحياء علوم الدين. للغزالى: ص ٤٦. المنقد من الضلال. أبي حامد الغزالى: ص ٣٠.

(٣) انظر: مسنَدُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: مَسَأَلَةٌ ١٧٨٥٣.

تطابق رأي المصنف مع بعض شعراء المسلمين الذين سبقوه، ومنهم الشاعر أبو أسود الدؤلي (٦٩٦هـ)^(١)، فهو ينْمِيُ البلاغة في الكلام واعتبرها مِنَ الغيّ، واستندَ المسألة أيضًا ببعض الأبياتِ لشعر عمرو بن كلثوم العتاي (٢٠٨هـ)^(٢)، (الذي يصفُ الكلام آنُه فَنٌ يمكن أنْ يجعلَ الحق باطلاً)^(٣)، وقول الشاعر عمرو الأشدق (٧٠هـ)^(٤)، الذي وصفَ كلام الشعراءِ (ما هو إلا التوسيع في الخطب). أتَضَحَّ مَا وَرَدَ أنَّ المحاسبي أرادَ أنْ يثبتَ (أنَّ الفلسفة لغةُ كلام لا تخرجُ عن بلاغةِ الخطبةِ أو فنِ الكلام أو الشعرِ الذي يكثُرُ فيه التشدق)، وفي ختام المسألة يصفُ الجدال بالفلسفة، المحاسبي طريق مغلقٍ مقتديٍ بكلام بعض السلف لقولهم: (المستعان الله على ألسنةٍ تَصُفُّ وقلوبٍ تَعْرُفُ وأعمالٍ تَخَالُفُ)^(٥)، وجاءَ أسلوب المصنفِ المُتَّبعُ في الرِّدِّ مَا بَيْنَ الْحَدِّ وَالْمَطْلَعِ؛ فِجْمِيعُ الأَحَادِيثِ جَاءَتْ مَتَسْلِلَةً زَمِنِيًّا وَتَمَّ إِسْنَادُهَا لِأَكْثَرِ مِنْ حَدِيثٍ لِمَنْهِجِ السَّرِيدِ حَسْبَ تَارِيخِ كُلِّ حَدِيثٍ، أَكَدَتْ الْمَصَادِرُ أَنَّ ظَهُورَ الْفَكْرِ الْفَلَسِفِيِّ كَانَ فِي بَدَائِيَّةِ عَهْدِ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الدِّينِ فَعَنْهُ فَتَحَّ الْمُسْلِمُونَ بَعْضَ الْبَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ المتأثرة بنهجِ الفكرِ الفلسفِيِّ^(٦).

(١) وهو ظالم بن عمر بن سفيان حكيم اللغة والأدب الذي وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف في اللغة العربية، وقرأ القرآن على عثمان وعلي (رضي الله عنهما). وكان على مكانة عالية في البصرة في الفقه. توفي سنة ٦٩٥هـ.

انظر: اللباب في تهذيب الأنساب. الجزري : ج ١، ص ٥١٤.

(٢) وهو عمرو بن كلثوم بن أبيه العتاي، شاعر وأديب من الطبقة الأولى، وله معلقة من الشعر من الجزيرة العربية. توفي العتاي سنة ٥٢٠هـ.

انظر: جمهرة أنساب العرب. علي الأندلسي : ج ١٢، ص ١٠. تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ١، ص ١١٤.

(٣) كتاب البيان والتبيين. الجاحظ، قد ورد تعريف البلاغة كما ذُكر في كتب المحاسبي، مع تغيير الكلمة واحدة وهي: (من يشبه) جعلها (ألوى يشبه) وهو عن بيت شعر العتاي كما سبق ذكره.

انظر: البيان والتبيين: ج ١، ص ٢٢٠. مخطوطه أعمال القلوب والجوارح. المحاسبي: ص ١٣٣.

(٤) انظر البيان والتبيين: ج ١، ص ٢٨٤.

(٥) تأتي تفاصيل الرواية عندما حرر المسلمين الإسكندرية على يد القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد كان هنالك فيلسوف وطبيب قبطي يسمى يحيى النحوي ٢٧٥هـ. وهو طبيب وعنه علم الفلسفة من الإغريق وبلاطه الكلام وعلوم الطب التي كانت تزدهر بها الإسكندرية في زمن الإغريق.

♦ مسألة في الجدال في أسباب الدنيا: قلت: والجدال في أسباب الدنيا
منه....

المسألة تبحث حول الجدال في المدح والمذموم، وقد جاءت بطريق يستفاد منه القضاة الشرعيين في مسائل اتخاذ القرار الصحيح بالحق والمجادلة به، وكيف يتم الجدال بالحق للدفاع عن المظلوم وأخذ حقه حتى إن كان الظالم ذا قرب من القاضي؛ فيعطيه المصنف طريق الخروج من هذه المحننة بالاقتداء بآيات القرآن الكريم والسنة النبوية.

♦ مسألة في التفويض: قلت: ما التفويض.....

قد جاءت المسألة فيها عن معنى التفويض ولماذا لا يسمى بالتوكل، ويوضح فيها أيضاً مستوى النية ويصنف المفوضين أمرهم إلى الله، وذكر في المسألة بعض صفات العلماء السماسرة الذين يتاجرون بالدين، ومشاكل النفس البشرية في التفويض وطريقة الوقاية من النفس للوصول إلى الثقة التي توصلك إلى التوكل في الأمور كلها إلى الله سبحانه، وقد ذكر المحاسبي شيخ الم وكلين ((عامر العنبري زاهد البصرة))^(١).

وأشار أيضاً في المسألة إلى -مخطوطة كتاب الرضا-^(٢) وبعض التفاصيل عن النهج الفكري فيها، مما سبق ذكره وجدت المخطوطة أيضاً في عدة مصادر أخرى^(٣).

انظر: عيون الأنبياء في طبقات الأطباء. أبي صبيعة، ت: عامر النجار: ج ٦، ص ٣٧٤.

(١) وهو: عامر بن عبد الله بن قيس العنبري نزيل البصرة، ويسمى زاهد البصرة، وكان ورعاً، وكان دائم التفويض، وفي تفويض الأمر ((أنه كان في بلاد الشام فجاءه أسد نام بجنبه ولم يهرب منه، فنام بقربه حتى أصبح)).

انظر: تاريخ دمشق: ج ٢٧، ص ٢٢.

(٢) انظر: مخطوطة مسائل أعمال القلوب. المحاسبي: ص ١٣٨.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠، تاريخ التراث العربي. فؤاد سرزيكين: ج ٤، ص ١١٧.

♦ مسألة في معرفة النفس: قلتُ أخبرني عن الإزراء على النفس.....

وهي مسألة في آفاتِ هلكة النفس البشرية وكيفية معالجتها من خلالِ
كبح الشهواتِ وتشخيص مشاكل خلل النفس البشرية وطرق معالجتها
حسب درجة التكليف، ومنها كيف يتم التعامل مع النفس في الطريق وفي
السوق ومعاتبة النفس، وكيف تلزم قلبك الشهوات، وجاء إسناد المسألة
بآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وبصفاتِ عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في الرزدِ ومحاربة النفس؛ لخوفه مِنَ الله عز وجل، ويتخللها
دعاً للمحاسبة في طلبِ العفو والمغفرة مِنْ زلاتِ النفس البشرية^(١).

♦ مسألة في الغفلة والنسيان: قال: الغفلة غفلتان، والنسيان نسيانان.....

جاءت المسألة في أنواع الغفلة، وعرف النسيان والفرق فيما بينهما،
ويشرح بعض آيات القرآن الكريم فيما يتعلّق بغفلة المؤمن، ومتى تكون
الغفلة نسياناً، وما تسمية الغفلة في الصلاة ومتى تسمى غفلة، ومتى
يمكن أن نطلق عليها نسياناً، وعندما يدخل وقت الصلاة ما بين الغفلة
والنسيان ما تسميتها، وما هي أنواع الغفلة، والفرق بين غفلة النية وغفلة
البائنة، وفيها آراء العلماء في غفلة الصلاة، وقد أشار المحاسبى إلى خطوطه
ـ أخلاق الحكيمـ^(٢) والتي وردتْ عند بعض المصادر أنها مفقودة^(٣).

♦ مسألة فيما يحلى من النظر: قلت: ما يحلى لي من النظر إلى الأمة
والحرّة.....

المسألة تتحدثُ عن النّظرة المسموح بها إلى الأمة والحرّة، وما هو
الحالُ في النّظرة إلى أجزاء الجسم في المرأة، وكيفَ يتم التمييزُ في نظرَة
اللّنة ونظرَة النّية واللّمس للمرأة ماله وما عليه، وجميع الوعظ جاءَ

(١) قال: (نعود بالله من حلول عقوباته، ونسأله النقلة إلى ما يحب ويرضى بتوبته تظهر من كل ما يكره، وإقبال عليه والشغل به عن الدنيا وأهلها، ونسأله أن يجعل ذلك سريعاً بمنه).

انظر: مخطوطة مسائل أعمال القلوب والجوارح. المحاسبى: ص ١٣٨.

(٢) انظر: مخطوطة أعمال القلوب والجوارح. المحاسبى: ص ١٤٢.

(٣) انظر: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٩.

ذكره في المسألة مستنداً إلى القرآن والسُّنَّة.

♦ مسألة في نظر الفجأة: قلت ما نظرة الفجأة من غيرها.....

وردَ في المسألة معنى نظرةُ الفجأة، وما هو المقصودُ بها، وهل تجوزُ للمؤمن أَمْ للفاجر، وهل هي نظرتان أَمْ نظرةٌ واحدة، وقد وضَّح المحاسبي عدَةَ جوانبٍ مهمَّةٍ فيها مبتدئاً بالنظرَ القربيَّة والنظرَ في المسير والنظرَةُ بالاتجاهِ، وكيف يَتَمُّ المَسْكُ عن النَّظرةِ وعدم الاستسلامِ للنفسِ البشريَّةِ، وأَسْنَدَ الوعظَ بآياتِ القرآنِ الكريِّمِ والأَحادِيثِ.

♦ مسألة في النذور: حدثنا أبو النضر..... قال: النذور أربع.

جاء فيها على أهمية النذور، وأنواع النذور الأربع؛ فهن نذُرٌ لا يسمى، ونذُرٌ لا يطاق، ونذُرٌ في معصية الله فيه كفارة، ونذُرٌ يسمى ويطاق لا معصية فيه، وأَمَّا النذُرُ الفائِتُ جاء من تسمية المحاسبي، وقد استند فيه على آياتِ القرآنِ الكريِّمِ والأَحادِيثِ، وقد ذكر في المسألةِ مكان التجمع الأولى للصوفيين في عبادان^(١)، وكيف كانوا يعيشون على النذورِ المقدمة لهم، وَذَكَرَ مسجَدَ إيليا^(٢) الذي يسمى حالياً المسجد العمري وكيف كان المسلمين ينذرونَ الصوم فيه^(٣).

(١) عبادان: كانت عبادان قطبيعة لحرمان بن أبَان مولى عثمان بن عفان (رض)، والتسمية جاءت من العباد: وهو الرجل الكثير العبادة، وأَمَّا الإحراق الألف والنون فهي لغة مستعملة لأهل البصرة، وهي تحت البصرة في -جنوب العراق- قرب البحر المالح -شط العرب- حالياً، وكانت أكثر مواردهم من النذور، لكونها أرض لا خير فيها ويعيشون على اصطياد السمك، وكانوا يظهرون زدهم في الحياة بارتداء لباس أبيض من الصوف.

انظر: مجمع البلدان. ياقوت الحموي: ج٤، ص ٧٤.

(٢) إيليا: هي مدينة بيت المقدس، وعند العرب تسمى إيليا، وافتتحها أبو عبيدة بعد اليرموك وحاصر أهل كنيسة إيليا؛ فأبوا أن يفتحوا له وسأله أن يرسل إلى الخليفة عمر (رض) بيني المسجد، وهو -المسجد العمري اليوم-، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف رئاه وقبائه، ونقل المسلمين معه في ذلك وبنى بها مسجداً مؤقاً من الخشب؛ لاستخدامه مكاناً للصلوة من قبل الجنود المسلمين وسمى (مسجد إيليا)، وأقام أياماً ثم رجع للمدينة.

انظر: مجمع البلدان. ياقوت الحموي: ج١، ص ١٤١. البداء والتاريخ: ج٥، ص ١٨٥. كشف الطنون. حاج خليفة جلبي: ج١، ص ٩٢٥.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج٤، ص ٥٥. الزهد. لأبي داود: ص ٩٠.



كَافَّةُ الْمُسَائِلِ فِي أَعْمَالِ الْفَلَوْبِ وَالْمَوَاجِ

مِنْ كَلَامِ أَبِي عِدَّةِ الْجَنْوَبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
الْجَانِبِيِّ الْمَهْرَبِيِّ تَحْمِيدَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَفِيهِ مَا رَأَى فِي الْمَلْوَهُ وَمَا يُسْتَفَدُ بِهِ مِنْ حُجَّةٍ مَنْافِعُ فِي الْمَلْوَهِ
لَهُ أَيْضًا





تَحْقِيقُ مُخْطُوْطَةِ الْمَسَائِلِ فِي أَعْمَالِ
الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَوْنَكَ اللَّهُمَّ

قَالَ أَبُو عِيدَ اللَّهِ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَحَاسِبِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ.

مَسَالِكُ فِي الْحُسْبَةِ فِي إِدْخَالِ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ.

قَلْتُ: كَيْفَ الْحُسْبَةُ^(١) فِي طَلْبِ سَرُورِ الْمُؤْمِنِ؟ وَكَيْفَ صَحَّةُ النِّيَّةِ فِيهِ؟ وَمَا أَسْبَابُ ذَلِكَ؟ وَأَيُّ الْأَسْبَابِ يَكُونُ طَلْبُ السَّرُورِ فِيهَا أَوْلَى مِنْ تَرْكِهِ؟ وَأَيُّ الْأَسْبَابِ يَكُونُ تَرْكُ طَلْبِ السَّرُورِ فِيهَا أَوْلَى وَإِنْ صَحَّتْ النِّيَّةُ فِيهِ؟^(٢)

قَالَ: إِنَّ طَلْبَ السَّرُورِ إِنَّمَا يَمْكُنُ^(٣) فِيهِ الْحُسْبَةُ فِي الْمُؤْمِنِ الْمَسْتُورِ^(٤) فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ، فَأَمَّا^(٥) الْمُسْلِمُ الْمَهْتُوكُ^(٦)، فَلَا تَمْكُنُ فِيهِ الْحُسْبَةُ إِلَّا فِي أَقْلَلِ الْأَحْوَالِ؛

(١) الْحُسْبَةُ: (حسب): يَسْتَعْمِلُ فِي مَعْنَى الْكَفَايَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَقَالُوا حَسْنَتَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} آلُ عُمَرَ: ١٧٣ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَا يَحْسَبُ عَلَيْهِ. انظر: مفردات أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص ٢٣٣.

(٢) أَزْهَرُ: فِيهِ النِّيَّةُ.

(٣) أَزْهَرُ: يَكُونُ.

(٤) الْمَسْتُورُ وَالسَّرَّ: مَا يَسْتَرُ بِهِ تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {جِحَاجًا مَسْتُورًا} الْإِسْرَاءُ: ٤٥. انظر: مفردات أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص ٣٩٦.

(٥) أَزْهَرُ: وَإِمَّا.

(٦) الْمَهْتُوكُ مِنَ الْهَتَّكِ: وَهُوَ خَرْقُ السَّتْرِ عَمَّا وَرَاءَهُ. انظر: الْعَيْنُ. الْفَرَاهِيدِيُّ: ج ٣، ص ٣٧٤.

لأنَّ ترَكَ معونته^(١) على معاصي الله عزَّ وجلَّ^(٢) أولى، فإنما يمكنُ فيه^(٣) طلب السرورِ عند شدَّةِ الحاجةِ في الأضطرارِ؛ كإعطاءِ الزكاةِ والتفضيل بالصدقاتِ من الحلالِ أو [من]^(٤) الحرامِ الذي لا تقدر^(٥) له إلا على^(٦) ذلك، أو [من]^(٧) الشُّبهاتِ إذ جُعلَ^(٨) سبيلَ الحاجاتِ والمسكنةِ لأنَّ الصدقاتَ لا يؤمر بها لأهْلِ التُّقىٍ ولا لأهْلِ الفجورِ لكنْ لأهْلِ الحاجةِ والمسكنةِ فأجرُ أو تُقىٌ^(٩)، إلا فرقَةً من الفجارِ وهم العادون^(١٠) على أمةِ محمدٍ عليه السلام، و[على]^(١١) أهْلِ العهْدِ بالظلمِ والجورِ، أو بالدُّعاءِ إلى الضلالِ فأرزوا^(١٢) المواساة^(١٣) والصدقاتَ عنهم أولى.

(١) أَزَهْرٌ: معاونته.

(٢) أَزَهْرٌ: تعالى.

(٣) أَزَهْرٌ: وإنما يكون من الممكن.

(٤) أَزَهْرٌ: من.

(٥) أَزَهْرٌ: لا يقدر.

(٦) أَزَهْرٌ: عليه.

(٧) أَزَهْرٌ: من.

(٨) أَزَهْرٌ: جعلت.

(٩) أَزَهْرٌ: تُقىٌ.

(١٠) العادون: أي من كانت عادوته من أفعال القلوب، قال تعالى **{فَيُسِبُّو اللَّهَ عَدُوًا بَغْيَرِ عِلْمٍ}**، الأنعام: ١٠٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٥٣.

(١١) أَزَهْرٌ: على.

(١٢) فَأَرَوْا مِنْ أَرْوَاهُ: أي أحْجَهَهُ، قال تعالى: **{إِنَّمَا تَرَى أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُؤْزِّعُمُ أَرْأَى}**، مريم: ٨٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٤.

(١٣) المواساة: وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيرة.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٦.

أو [وإِنْ كَانَ]^(١) يَخْشَى عَلَيْهِمْ تَلَفَّ الْأَنفُسِ فَيَنَالُوا مِنْ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا تَرْجَعُ إِلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ^(٢) وَلَا يُزَادُوا مَا يَزَادُوا^(٣) بِهِ قُوَّةً تَعْثُمُهُمْ عَلَى ضَرَرِ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ بِقَدْرِ [مَا]^(٤) تَبْلُغُ^(٥) النَّفْسُ لِيَزُولَ عَنْهَا التَّلَفُ وَتَبْثُتُ لَهَا الْحَيَاةُ، وَالْاحْتِسَابُ فِي طَلَبِ السَّرُورِ غَامِضٌ عَلَى الْعَمَالِ^(٦)؛ لَأَنَّ طَلَبَ السَّرُورِ لِغَيْرِ الْحَسِبَةِ^(٧) لَيْسَ مَكْشُوفٌ فِي ضَمَائِرِ النُّفُوسِ، إِنَّهُ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا الْتَّبَسَ وَغَمِضَ عَلَى الْعَمَالِ؛ لَأَنَّ الْأَثَارَ [ثَبَّتَ]^(٨) فِيهِ بِإِيمَاجِنِ الشَّوَّابِ عَلَى مَنْ^(٩) أَدْخَلَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ سَرُورًا^(١٠) أَوْ فَرْجًا.

فَلَذِلِكَ الْتَّبَسَتُ صَحَّةُ الْحَسِبَةِ عَلَى الْعَامِلِ فِي وَقْتِ غَفْلَتِهِ^(١١) عَنْ تَهْمَةِ^(١٢) نَفْسِهِ، وَطَلَبُهُ تَصْحِيحُ النِّيَّةِ فِيهِ لِرَبِّهِ؛ لَأَنَّهُ إِذَا أَمَّ^(١٣) قَلْبُهُ طَلَبِ

(١) أَزَهْرٌ: وَانْ كَانَ.

(٢) أَزَهْرٌ: نَفْسِهِمْ.

(٣) أَزَهْرٌ: وَلَا يَزَادُونَ مَا يَزَادُونَ.

(٤) أَزَهْرٌ: مَا.

(٥) أَزَهْرٌ: بَلْغٌ.

(٦) الْعَمَالُ: وَهُمُ السَّعَادُ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الصَّدَقَاتِ مِنْ أَرْبَابِهَا، قَالَ تَعَالَى: {وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا}، التَّوْبَةُ/٦٠، الْآيَةُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ص ٣١٠٧.

(٧) أَزَهْرٌ: الْخَيْرُ.

(٨) أَزَهْرٌ: ثَبَّتَ.

(٩) أَزَهْرٌ: لَمَنْ.

(١٠) أَزَهْرٌ: السَّرُورُ عَلَى الْمُؤْمِنِ.

(١١) أَزَهْرٌ: عَمَلٌ.

(١٢) أَزَهْرٌ: بِتَهْمَةٍ.

(١٣) أَزَهْرٌ: الْأَنْزَمُ.

أَمَّ: الْقَصْدُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ التَّوْجِهُ نَحْوَ الْمَقْصُودِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ}، الْمَائِدَةُ: ٢، الْآيَةُ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٧.

سُرور المسلم^(١) ظن أنه مُريد للثواب وأنه قد ظفر به، ولا يكون مُريداً للثواب حتى يكون [سُرور المؤمن]^(٢) نيتة^(٣) صحيحة فيها الرغبة إلى الله عز وجل في أن يثبته^(٤) على إدخال السرور عليه^(٥)، ويأجره على ذلك.

فَمِنْ هَذَا الْبَابِ غَمْضٌ عَلَى [الْعَالَمِ]^(٦) تَصْحِيحَ النِّيَةِ^(٧) فِيهِ، لَأَنَّ الْعَدُوَّ^(٨) يغفل العامل من اسم طلب السرور عن التثبيت؛ لينظر ماذا يريد بإدخاله السرور على أخيه المسلم، فيزيد[العامل]^(٩) أن يعظم قدره عند أخيه إذا أدخل عليه السرور، أو يشي عليه بذلك، أو ليكافئه على ذلك، أو يريد أن يعظم الله تعالى على ذلك أجره^(١٠) ويرضى بذلك عنده ويكافئه عليه.

فَالْعَدُوُّ يغْفِلُ الْعَالَمَ^(١١) بِاسْمِ طَلْبِ السُّرُورِ عَنِ التَّثْبِيتِ وَالنَّظَرِ وَمَنْ^(١٢)

(١) أَزَهْرٌ: المسلمين.

(٢) أَزَهْرٌ: سرور المؤمن.

(٣) أَزَهْرٌ: بنية.

(٤) أَزَهْرٌ: أن يثبتية.

(٥) أَزَهْرٌ: على المسلم.

(٦) أَزَهْرٌ: العامل.

(٧) النِّيَةُ مِنْ نُوْيٍ: أي قصدت قصده، وفي الحديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالَ بِالنِّيَاتِ، وَإِنَّمَا لَكُلُّ امْرٍ مَا تَوَيَّبُ».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٠، ص ٤٥٨٩. البخاري: ج ١، ص ٦.

(٨) الأَزَهْرُ: العدو.

العدو: يبالغ فيهم في العمل.

انظر: كتاب الألفاظ: ج ١، ص ١٢٢.

(٩) أَزَهْرٌ: العامل.

(١٠) أَزَهْرٌ: أَجْرٌ على ذلك.

(١١) أَزَهْرٌ: الناس.

(١٢) أَزَهْرٌ: فيمن.

يريد بذلك [هل يريد]^(١) الخالق أو المخلوق؟ فأما الأسباب التي تطلب^(٢) بها سرور المسلم ما^(٣) كان فعلها بطلب^(٤) سروره أولى، أو [كان]^(٥) بتركها^(٦) [أولى]^(٧)، فمِنْ ذلك الحلال منِ الغِدَاء^(٨) والأموال، وما صادف من أخْيَه المسلم حاجة وشدة من غذائه أو ما أُشْبِه ذلك.

فإذا^(٩) أرادَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وكان ليس به ولا بمنْ وجَبَ عليه حَقَّهُ من الضَّرِّ^(١٠) مثل ما [بالمسلم المطلوب سروره]^(١١) به أو أَعْظَمَ مِنْهُ أو أَدْنَى تَبَيَّنَ له في ظَاهِرِ الأَسْبَابِ أَنَّهَ إِنْ أَثْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ أو عَلَى مَنْ هُوَ أَوْجَبُ عَلَيْهِ حَقَّاً مِنْهُ أَنَّهَ يَنْزَلُ بِهِ^(١٢)، أو بِمَنْ وجَبَ حَقَّهُ عَلَيْهِ مَا يَدْلِي عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ أو قَوْلُ الْعَلَمَاءِ [مِنْ]^(١٣) أَنَّهَ مُضِيْعٌ تَارِكٌ [لَهُ]^(١٤) مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ.

أَوْ إِزَالَةُ عَنْ مَظْلَمَةٍ لِيُسَّرَّ لَهُ مَالٌ غَيْرُ مَا يَؤْدِي^(١٥) إِلَى صَاحِبِهِ، أَوْ دِينٌ قَدْ

(١) أَزْهَرُ: هل يريد.

(٢) أَزْهَرُ: يطلب.

(٣) أَزْهَرُ: مما.

(٤) أَزْهَرُ: لطلب.

(٥) أَزْهَرُ: كان.

(٦) أَزْهَرُ: تركه.

(٧) أَزْهَرُ: أولى:

(٨) الغِدَاءُ مِنِ الْغِدَاءِ: التَّغْذِيَةُ طَعَامٌ لِاستِعْدَادِ الصَّحَّةِ، وَكَلْمَةُ (جِبْسُ الْغِدَاءِ) يَتَمُّ استِخْدَامُهَا لِلزَّهَادِ.

انظر: تاج العروس. من جواهر القاموس. محمد الحسيني: ج ٣٩، ص ١٥٢.

(٩) أَزْهَرُ: فَإِنْ.

(١٠) أَزْهَرُ: الغير.

(١١) أَزْهَرُ: [بِالْمُسْلِمِ الْمُطَلَّبِ سَرُورُهُ].

(١٢) أَزْهَرُ: بِنَفْسِهِ.

(١٣) أَزْهَرُ: مِنْ.

(١٤) أَزْهَرُ: لَهُ.

(١٥) أَزْهَرُ: يَؤْدِيَهُ.

حرج^(١) عليه صاحبه أو حضر^(٢) حجا^(٣) في الوقت الذي يجب عليه الخروج وترك التخلف، فإذا لم يكن كذلك فطلب السرور بالمواساة أولى، وإن لم يكن^(٤) كذلك فتركها أولى، والفعل بها هو واجب فيما^(٥) هو في نفسه ومن^(٦) ألمَّه الله حقه.

فمن ذلك ما روى بهز بن حكيم^(٧) عن أبيه عن جده، قال: قلت: «يا رسول الله من أبُر؟ قال: أمك ثلاثة، [ثم]^(٨) قلت: ثم من؟ قال: ثم أباك. قلت: ثم من؟ قال: أذناك فاذناك، وفيه «وأخْتَكَ وَأَخَاكَ»^(٩). وروي عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم «كَفَى بِالْمُرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضِيَّعَ مَنْ يَعُولُ»^(١٠).

قال رجل: يا رسول الله عندي دينار، قال: أفقه على نفسك، قال: عندي آخر، قال: أفقه على أهلك، قال: عنده^(١١) آخر حتى عد للخامس، قال: شأنك

(١) أزهر: خرج.

(٢) أزهر: أخرج.

(٣) الحج: تعني زيارة بيت الله، قال تعالى: {لَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا}، البقرة: ١٥٠. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢١٨.

(٤) أزهر: كان.

(٥) أزهر: في.

(٦) أزهر: فيمن.

(٧) بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، القشيري البصري الإمام المحدث له عدة أحاديث عن أبيه عن جده وعن زراة بن أوفى، روى عنه: الحمدان، الثوري، روى عنه: النسائي، وابن معين، واحتج به أحمد بن حنبل، ثقة، توفي قبل ٢٥٠ هـ.

انظر: اللباب في التهذيب. ابن الأثير الجزي: ج ١، ص ٤٥٠. سيرة أعلام النبلاء: ج ١، ص ٢٥٣. (٨) أزهر: ثم.

(٩) انظر: صحيح البخاري: ج ٦، ص ٦٦. صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٩٧٤. مسند الإمام أحمد: ج ٢، ص ٣٢٨.

(١٠) انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم: ج ٢، ص ٤٢. مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٠.

(١١) الأصل: ي. سقطت.

بِهِ»^(١). وقال: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهَرٍ غَنِيٌّ^(٢) وَمَا أُبْقِيَتْ غَنِيٌّ^(٣) وَابْدَأْ بِمَنْ تَعْوُلُ»^(٤)»^(٥).

وكذلك بالتفضيل على غير المحتاج إدخال السرور عليه لغير سد خلة^(٦) ظهرت منه، ولكن ليسره ذلك أو ليلد به الأخ من الأغنياء، أو ممن يقدر على القوام^(٧) كإطعامه الطعام الطيب والتفضيل عليه باللباس اللين وما أشبه ذلك.

إِلَّا أَنَّهُ إِذَا أَضْرَرَ بَعِيَالَهِ فِي التَّفْضِيلِ عَلَى مَنْ لَيْسَ [بِهِ]^(٨) لِهِ حَاجَةٌ كَانَ أَعْظَمُ

(١) انظر: مسند أحمد. أحمد بن حنبل: ج ٢، ص ٢٥٢. مستدرك على الصحيحين. الحاكم محمد النسابوري: ج ٢، ص ١٤.

(٢) الأزهر: غني.

ظهر غني: «عَشَاءُ لَيْلَةً». جاء في الحديث عن علي بن أبي طالب (رض): قال رسول الله (ص): «أَفْضُلُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهَرٍ غَنِيٌّ، وَالْأَيْدُ الْغَلْبَانِيَّ خَيْرٌ مِنَ الْأَيْدِ السُّقْلَانِيَّ، وَإِذَا بِمَنْ تَعْوُلُ» قالوا: وما ظَهَرٌ غَنِيٌّ؟ قال: عشاء الليلة.

انظر: الترغيب والترهيب. ركي الدين المنذري: ج ١، ص ٣٢٥. الدر المنثور. عبد الرحمن السيوطي: ج ٣، ص ٣٤٤. مسند أحمد. أحمد بن حنبل: ج ١، ص ١٤٧.

(٣) الأزهر: غني.

(٤) تعول: اللُّغَةُ عَالَ الرَّجُلِ، إِذَا كَثُرَ عِيَالُهُ، وَأَعْالَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ فَهُوَ يَعُودُ إِلَى كُثُرَ الْعِيَالِ. انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهمائي الأردي: ج ١، ص ٣٦٧.

(٥) انظر: سنن النسائي: ج ٥، ص ٦٨. صحيح مسلم: ج ٢، ص ٦٩٣.

(٦) الْخَلَّةُ الْحَاجَةُ وَالخُصْلَةُ، الْمَوْدَّةُ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٩٠.

(٧) القوام: العدل. قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً}، الفرقان: ٦٧، الآية.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان الحميري: ج ٨، ص ٥٦٧١.

(٨) الأزهر: به.

إِثْمًا، وَكَذَلِكَ إِنْ^(١) أَرَأَ اللَّهُ عَنْ مَظْلَمَةٍ^(٢) أَوْ دِينٍ لَيْسَ لَهُ عِنْدُهُ وَفَاءً^(٣) [بِهِ]^(٣)، أَوْ خَرْجٍ لِحِجَّةِ وَاجِبٍ [فَإِنَّ إِلَيْهِمْ يَلْزِمُهُ إِذَا أَضْرَرَ بِعِيَالِهِ]^(٤).

وَقَدْ يَدْخُلُ عَلَى الْمُرِيدِينَ فِي ذَلِكَ أُغْلُوْطَاتٍ^(٥) مِنْ طَبَائِعِهِمْ^(٦) وَمِنْ عَدُوِّهِمْ؛ حَتَّى يُخَيِّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّ تَرْكَ الْمُوَاسَةَ أَوَّلِي، وَأَنَّ إِيَّاَرٍ^(٧) أَنْفُسِهِمْ وَمِنْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ حَقَّهُ^(٨) أَوْلَى بِذَلِكَ إِذَا خَشَى^(٩) الْآثَامَ وَمُضَيْعَ^(١٠) لِلْوَاجِبِ فِيمَا يُخَيِّلُ إِلَى الْمُرِيدِ نَفْسَهُ وَعَدُوِّهِ.

فَإِذَا فَحَصَ وَأَنْعَمَ الرَّوْيَةَ^(١١) وَالْأَنْتَرَ فِي ذَلِكَ وَجَدَ ذَلِكَ لَا يَقْرِبُهُ وَلَا لَمِنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ، وَأَنَّ الْمُوَاسَةَ أَقْرَبُ لِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ بَعْضُهَا يَجِبُ عَلَيْهِ إِذَا اسْتَقِينَ بِالْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يَتَهَمُهُ ضَرًّا قَدْ نَزَلَ بِهِ فِي غَذَاءٍ أَوْ لِبَاسٍ أَوْ مَا أَشْبَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّهُ لَخَدْعَةٌ فِي الْعَامَةِ بَيْنَهُ.

(١) الأَزْهَرُ: إِذَا.

(٢) الأَزْهَرُ: مَظْلَمٌ.

(٣) الأَزْهَرُ: بِهِ.

(٤) الأَزْهَرُ: فَإِنَّ إِلَيْهِمْ يَلْزِمُهُ إِذَا أَضْرَرَ بِعِيَالِهِ.

(٥) أَغْلُوْطَاتٌ مِنْ الْغُلْطَةِ: وَالْأَغْلُوْطَةُ مَا يَغَالِطُ بِهَا الْمَسَائِلُ.

انْظُرُ: الإِبَانَةُ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. سَلْمَةُ الصَّحَارِيِّ: ج٣، ص٦٠٣.

(٦) طَبَائِعُهُمْ مِنَ الْطَّبَاعِ: مَا جَعَلَ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ طَبَاعِ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَطْبَاعِ الَّتِي طَبَعَ عَلَيْهَا.

انْظُرُ: الإِبَانَةُ فِي الْلُّغَةِ. سَلْمَةُ الصَّحَارِيِّ: ج٣، ص٤٣٤.

(٧) إِيَّاَرٌ مِنْ آئِرٍ: وَهِيَ الْمَكْرُمَةُ أَوْ الْفَضْلُ.

انْظُرُ: الْعَيْنُ. الْفَرَاهِيدِيُّ: ج٨، ص٢٣٧.

(٨) الأَزْهَرُ: حَقْمَهُ.

(٩) الأَزْهَرُ: خَشْوَهُ.

(١٠) الأَزْهَرُ: وَتَضْيِيعُ.

(١١) الرَّوْيَةُ: وَهُوَ مَنْ تَبَّأَ عَلَى الشَّيْءِ إِذَا ذَامَ.

انْظُرُ: مَعْجَمُ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ بْنُ فَارِسِ الْقَزوِينِيِّ: ج١، ص٤٠٢.

لعلَّ الرَّجُلَ أَنْ يَعْلَمُ الضرَّ مِنْ بَعْضِ قَرَابَتِهِ أَوْ إِخْرَانِهِ أَوْ جِيرَانِهِ، فَإِذَا عَوَّبَ فِيهِمْ^(١)، قَالَ: الْفَرْضُ أَوْلَى بِنَا، وَيَحْتَاجُ^(٢) بِقَوْلِهِ: حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»^(٣)، لَعْلَّ عِنْدَهُ مَا يَكْفِيهِ لِغَذَائِهِ سِنِينَ أَوْ أَيَامًاً، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ عَنْ غَفْلَةِ مِنْ^(٤) صِحَّةِ الْمَعْنَى، وَرِبَّا كَانَ كَذِبًا مِنْهُ عَلَى عَمْدٍ؛ لِإِقَامَةِ الْحِجَّةِ وَدُفَعَ الْمَلَامِةُ^(٥) عَنْ نَفْسِهِ أَنْ يَذَمَّ^(٦) بِتَرَكِ الْمَوَاسِيَّةِ لِقَرَابَتِهِ أَوْ إِخْرَانِهِ أَوْ جِيرَانِهِ.

قَدْ يَكُونُ الضرُّ فِي نَفْسِ الْعَبْدِ أَوْ فِيهِمْ يَحْسَنُ لِلْحَسْبَةِ فِي ذَلِكَ مِنْ عِيَالِهِ مَالِهِ يَكْنِي ضَرًا يَقْطَعُ عَنْ فَرِيْضَةِ أَوْ عَنْ مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ، أَوْ لَمْ تَسْمَعِ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}^(٧)

فَالْخَصَاصَةُ: بَعْضُ الضرَّ؛ لِأَنَّهَا فِي الْلُّغَةِ هِيَ الْحَاجَةُ^(٨)، تَقُولُ الْعَرَبُ فِي تَرَاجِعِهَا^(٩) بَيْنَهَا: قَدْ أَصَابَتْ فَلَانًا خَصَاصَةً تَعْنِي حَاجَةً، فَمَدْحُومُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ فَقَالَ: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}^(١٠).

(١) الأَزْهَرُ: فِي ذَلِكَ.

(٢) الأَزْهَرُ: وَيَحْكُمُ.

(٣) جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «يَدُ الْمُعْطَى الْعُلَيَا، وَإِبْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ أَمَّكَ وَأَبَاكَ وَأَخْلَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

انْظُرْ: صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ج٢، ص٧١٨، الْمَعْجمُ الْكَبِيرُ. الطَّبَرَانِيُّ: ج٨، ص١٣٩، الْجَامِعُ الصَّحِيفُ.

سُنْنُ التَّرْمِذِيِّ: ج٥، ص٢٦٣.

(٤) الأَزْهَرُ: عَنْ.

(٥) الْمَلَامِةُ: هِيَ مِنَ الْلَّوْمِ، الْعَثْبِ وَالْعَذْلِ.

انْظُرْ: مَعْجمُ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ: ج٥، ص٢٢٢.

(٦) يَذَمَّ مِنْ ذَمَّ: وَهُوَ الْلَّوْمُ فِي الْإِسْنَاعَةِ.

انْظُرْ: تَهذِيبُ الْلُّغَةِ: مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ ج١٤، ص٢٩٨.

(٧) الْحَشْرُ: ٩، الْآيَةِ.

(٨) انْظُرْ: تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ. شَمْسُ الدِّينِ الْقَرْطَبِيُّ، أَحْمَدُ الْبَرْدُونِيُّ: ص٥٤٦.

(٩) الأَزْهَرُ: أَحَادِيثُهَا.

(١٠) الْإِنْسَانُ: ٨، الْآيَةِ.

ولم يرِدْ أَنَّهُمْ رَغْبَوْا فِي الْفَضْوِلِ لِطَبَّعِ^(١) الْغِذَا الَّذِي يَضْرُّ بِهِ أَنْ زَالَ عَنْهُ، وَمَا يَبْيَنَ
ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا اخْتَلَفَ فِي الْمُؤْثِرِيْنَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْعُلَمَاءِ^(٢)
إِنَّ الْمُؤْثِرَ^(٣) بِذَلِكَ عَلَيٌّ وَفَاطِمَة، وَقَالَ قَوْمٌ: أَهْلُ بَيْتٍ مِّنَ الْأَنْصَارِ^(٤)، فَإِنَّهُمْ
قَدْ أَجْعَوْا عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ أَثْرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ شَدَّةِ الْحَاجَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي
الْمُؤْثِرِ بِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ثَلَاثَةٌ أَقْرَاصٌ^(٥) [مِنَ الشَّعِيرِ]^(٦)، أَتَاهُمْ مُسْكِنِينَ
أَوْ لَا فَاثِرُوهُ بِأَحَدِ الْمُلَائِكَةِ وَأَبْقَوْا الْأَثْنَيْنِ لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ تَبِيعٌ فَاثِرُوهُ بِالثَّالِثِيْنَ
وَأَبْقَوْا الْثَالِثَ لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ أَتَاهُمْ أَسِيرٌ فَاثِرُوهُ بِالثَّالِثِ فَأَنْشَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ
بِذَلِكَ إِذَا تَحْمِلُوا الْضَّرَّ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَثْرُوا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِصَدَقَةٍ^(٧)
الْإِرَادَةِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِغَيْرِ طَلْبِ مَكَافَأَةٍ، وَبِذَلِكَ وَصَفَ ضَمَائِرَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا
ذَلِكَ بِقُولِهِ: {لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}^(٨)، فَأَرَادُوا وَجْهَهُ، يَقُولُ: لَمْ
يُشَرِّكُوا فِي إِرَادَتِهِمْ لِرَبِّهِمْ وَالْتَّفَضَلُ بِالْحَلَالِ عَلَى أَنْ [يَكُونُ فِي وِجْهِهِ]^(٩) الْبَرِّ

(١) الطَّبَّعُ: السَّجَيْةُ الَّتِي خَلَقَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَصْلِهِ.

انظر: العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي: ج ٢٢، ص ٢٢.

(٢) الْعَلَمَاءُ: النَّفَاشُ وَالثَّلْعَبُ وَالْقَشِيرِيُّ وَالْجَعْفِيُّ.

انظر: تفسير القرآن. شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني: ج ١٩، ص ١١٧.

(٣) الْأَزْهَرُ: الْمُؤْثِرِيْنَ.

الْمُؤْثِرُ: وَالْأَبْيَارُ: هُوَ تَكْثِيمُ الْفَيْرَ عَلَى النَّفْسِ وَمُحْظَوظُهَا الْأُثْنَيْةُ وَلَيْسَ عَنِ غَيْرِهِ عَنِ الْمَالِ، وَلَكِنَّهُ
عَنْ حَاجَةٍ وَحَصَاصَةٍ وَهِيَ الْفَقْرُ.

انظر: التَّقْفِيَّةُ فِي الْلُّغَةِ. الْيَمَانُ بْنُ أَبِي الْيَمَانِ الْبَنْدِنِيِّيِّ: ج ١، ص ٥٢.

(٤) انظر: تفسير الكشاف. جار الله الزمخشري: ص ٩٥٠. تفسير القرآن. شمس الدين القرطبي: ج ١٩، ص ١١٥.

(٥) الْفَرْصُ: وَ(الْفَرْصَةُ) وَ(الْفَرْصَةُ) مِنَ الْحُبْزِ، وَجَمْعُ الْفَرْصَةُ (فَرْصَ) لِلْعَجَّيْنِ.

انظر: جمهرة اللغة. محمد الأزدي: ج ١، ص ٢٨٨.

(٦) الْأَزْهَرُ: مِنَ الشَّعِيرِ.

(٧) الْأَزْهَرُ: بِصَدَقَةٍ.

(٨) الْإِنْسَانُ: الْآيَةُ.

(٩) الْأَزْهَرُ: يَكُونُ فِي وِجْهِهِ.

لِمَنْ يَحْبَبُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْهَا صَلَةُ الْقِرَابَةِ لِلرَّحْمِ وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءِ.

وَيَرَوْيَ عَنْ عَطَاءٍ^(١) أَنَّهُ قَالَ: (صَلَةُ الْأَغْنِيَاءِ مِنْ أُولَى الْأَرْحَامِ أَفْضَلُ^(٢) مِنْ صَلَةِ الْفَقَرَاءِ مِنْ الْغَرَبَاءِ^(٣) وَمِنْهَا بَرَّ أَهْلَ الْجَدَّةِ^(٤) لِعَالَمٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ إِعْظَامًا لَهُ وَعَلَى عِلْمِهِ، أَوْ لَأَنَّهُ يَجْرِي بَيْنَكُمَا^(٥) [مِنْ]^(٦) الْمُؤَانِسَةُ وَالْخَلْطَةُ بِأَنَّ تَسْتَفِيدَ بَعْضَ عِلْمِهِ، وَمِنْهَا بَرَّ الْمُتَعَلِّمِ يُتَّالِفُ^(٧) [بِهِ]^(٨) عَلَى مَوَاطِبِهِ عَلَى التَّعْلِمِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ؛ لَأَنَّ الْعَالَمَ وَالْمُتَعَلِّمَ يَأْسَانُ وَيَسْكُنُ إِلَى مِنْ أَدْخَلَ عَلَيْهِمَا السُّرُورِ، وَلَا سِيَّما بِالنِّيلِ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنْهَا مَا يَقِي^(٩) بِهِ الرَّجُلُ عَرَضَهُ [مِنْ]^(١٠) أَنَّ يَسْعِيَ بِهِ إِلَى سُلْطَانٍ أَوْ غَيْرِهِ.

وَفِي ذَلِكَ أُغْلُوْطَهُ تَدْخُلُ عَلَى الْعَمَالِ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَأَنْفَسِهِمْ؛ لِطَلْبِ سُرُورٍ مِنْ يَخَافُهُ لِيَنْصُرَ فَوَاعْنَ إِيَّاهُ فِي خِيلٍ إِلَيْهِمْ أَهْمَمُهُمْ يَرِيدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَتْقَانِهِمْ شَرَّ غَيْرِهِمْ بِإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ، وَيُزِينُ لَهُمُ الْعَدُوُّ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْأَثَارِ، كَالْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ: «وَمَا وَقَى بِهِ الرَّجُلُ عِرْضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١٠)، وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا وَقَى بِهِ الرَّجُلُ عِرْضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١٠)، وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا وَقَى بِهِ الرَّجُلُ عِرْضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١٠).

(١) عَطَاءُ: هُوَ عَطَاءُ بْنُ رِبَاحِ الْقَرِيشِيِّ مُفْتِيِ الْحَرَمِ، وَكَانَ مِنَ السَّادَاتِ التَّابِعِينَ فِي الْفَقْهِ وَالْعِلْمِ، حَدَّثَ عَنْ: عَائِشَةَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، حَدَّثَ عَنْهُ: قَاتَدَةُ وَعُمَرُ بْنُ شَعْبٍ، وَمَالِكُ بْنُ دِينَارٍ، وَالْأَعْمَشَ، فَاقِعُ عَطَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الْفَقْرِيِّ، تَوْفَى سَنَةُ ١١٤ هـ.

انْظُرْ: الْلَّيَابُ فِي تَهْذِيبِ الْأَنْسَابِ، ابْنُ الْأَثِيرِ الْجَزَرِيِّ: ج١، ص٤٢٢. سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ، الْذَّهَبِيِّ: ج٥، ص٧٩.

(٢) الْأَزْهَرُ: أَوْلَى.

(٣) الْغَرَبَاءُ مِنَ الْغَرْبَةِ وَالْأَغْنَابِ.

انْظُرْ: الْبَارِعُ فِي الْلُّغَةِ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ: ج١، ص٣٠٨.

(٤) الْجَدَّةُ: أَمُّ الْأُمَّ، وَأُمُّ الْأَبِّ، وَجَمِيعُهَا جَدَاتُ.

انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ، ابْنُ مَنْظُورٍ: ص٥٦٠.

(٥) الْأَزْهَرُ: بَيْنَهُمَا.

(٦) الْأَزْهَرُ: مِنْ.

(٧) الْأَزْهَرُ: بِهِ.

(٨) الْأَزْهَرُ: بَقِيَ.

(٩) الْأَزْهَرُ: مِنْ.

(١٠) جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «وَمَا وَقَى بِهِ الْمَرْءُ عِرْضَهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ».

عَلَيْهِ وَسَلَمَ: «إِنَّ مَنْ شَرَّ النَّاسَ مِنَ الْأَنْوَارِ إِلَّا يُفْحَشُ»^(١).

فتخيّل النفس إلى العَبْدِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ خَوْفُ سُقُوطِ مَنْزَلَةٍ أَوْ خَوْفُ ضَعَةٍ^(٢) عَنْدَ النَّاسِ إِذَا [ذَكَرُوا]^(٣) أَوْ أَنْفَأُوا^(٤) كَبِيرًا أَنْ يَذْكُرَهُ مَنْ [هُوَ]^(٥) دُونَهُ عِنْدَ نَفْسِهِ؛ فَيُبَذِّلُ مَا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَخْيِلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَرِيدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

والذِّي يَصْحُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ وَقِيَّ عَرْضَهُ، لِأَنَّ لَا يَذْكُرُ عَرْضَهُ فِي جَزْعٍ^(٦) لَذَلِكَ فَيُسْتَخْرِجُ مِنْهُ [الْجَزْعُ]^(٧) الْمُكْرُوْهُ فِي دِينِهِ مِثْلُ مَا نَيَّلَ مِنْهُ^(٨) [عَرْضَهُ]^(٩) وَأَدْنَى وَأَكْثَرُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ صَوْنًا مِنْهُ لِدِينِهِ وَأَبْقَى^(١٠) مِنْهُ عَلَى قَلْبِهِ أَنَّ لَا^(١١) يَتَغَيِّرُ وَيَزُولُ عَنْ رَبِّهِ.

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج ٤، ص ٤٦٢. صحيح مسلم: ج ٢، ص ٦٩٦. مسنّ الإمام أحمد: ج ٤، ص ١٢٠.

(١) انظر: فتح الباري بشرح البخاري: ج ٤، ص ٤٦٩. صحيح مسلم ج ٦، ص ٢٠٠٣.

(٢) ضَعَةٌ: خَلَفُ الرُّفْعَةِ فِي الْقُرْبَى: اثْنِيَّاطٌ وَلُؤْمٌ وَخِسْنَةٌ وَدَنَاءَةٌ نَفْصُ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد الحسيني: ج ٢، ص ٣٤٠.

(٣) الأَزْهَرُ: ذَكَرُوا.

(٤) الأَزْهَرُ: أَوْ.

(٥) الأَزْهَرُ: هُوَ.

(٦) فِي جَزْعٍ: أَبْلَغُ مِنَ الْحَزَنِ. قَالَ تَعَالَى: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَرُوعًا}، الْمَعَارِجُ: ٢٠، الْآيَةُ.

انظر: مفردات أَفْلَاقِ الْقَرْآنِ. الأَصْفَهَانِيُّ: ص ١٩٤.

(٧) الأَزْهَرُ: الْجَزْعُ.

(٨) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(٩) الأَزْهَرُ: عَرْضَهُ.

(١٠) الأَزْهَرُ: وَانْفَأُ.

(١١) الأَزْهَرُ: لَنْلَاءُ.

لَنْلَاءُ: مَعْنَاهَا: أَنْ لَا، فَأَدْعَمَتِ الْلَّامُ فِي النُّونِ، قَالَ تَعَالَى: {لَنْلَاءُ يَغْلِمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ}، الْحَدِيدُ: ٢٩، الْآيَةُ.

انظر: الإِبَانَةُ فِي الْلُّغَةِ. سَلْمَةُ الصَّحَارِيُّ: ج ٤، ص ١٨٣

وَمِنْهُ أَغْلُوْطَهُ أَدْقُّ مِنْ الْبَابِ الْأَوَّلِ عَلَى الْعُلَمَاءِ؛ فَيَخْيُلُ إِلَيْهِمُ الْعُدُوُّ وَأَنْفُسُهُمْ أَمَّهُمْ قَدْ قَامُوا بِأَعْظَمِ الْأَمْوَارِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ مِنِ الْإِشْفَاقِ عَلَيْهِمْ فِي أَدِيَانِهِمْ؛ فَيَذَلُّونَ أَمْوَاهِمْ خَوْفًا أَنْ تَنَالَ أَعْرَاضُهُمْ، وَيَخْيُلُ إِلَيْهِمْ عُدُوُّهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَنَّ ذَلِكَ إِشْفَاقٌ مِنْهُمْ عَلَى مَنْ يَخَافُونَ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَنْ لَا^(١) يَعْصُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ وَلَا يَتَلَمَّوْهُمْ أَدِيَانِهِمْ؛ فَيَطْلُبُوا إِدْخَالَ السَّرُورِ عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ سَرُّوْهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ فَيَنْصُرُونَهُمْ عَنْ أَذَاهِمْ، وَهَذِهِ مَنْزَلَةُ الصَّدِيقِينَ وَالْأَبَدَالِ^(٢) أَهْلُ الْحَسْبَةِ^(٣) فِي عِبَادَةِ اللَّهِ فِي دِيَنِهِمْ.

فَيَخْيُلُ إِلَيْهِمُ الْعُدُوُّ أَمَّهُمْ يَرِيدُونَ ذَلِكَ لِذِكْرِ الْآثَارِ لِقُولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَعْطَى الْمُؤْلِفَةَ قُلُوبَهُمْ عَلَقْمَهُ بْنَ عَلَاثَةَ^(٤) وَأَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبَ^(٥) وَالْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسَ^(٦) وَغَيْرَهُمْ حَتَّى غَضَبَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ وَقَالُوا: تُعْطِيَ أَقْوَامًا غَنَائِمَنَا وَسِيَوْفَنَا تَقْطُرُ مِنْ دَمَائِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) الأزهر: لثلا.

(٢) الإبدال: جعل الشيء مكان الآخر، ويأتي المعنى في أمم الخلفاء والأنبياء والرسول صلوات الله عليهم وهم أرباب حفائق التوحيد. قوله تعالى: {فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قُوْلًا غَيْرًا}، البقرة: ٥٩، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١١١.

(٣) الأزهر: الرحمة.

(٤) علقة بن علادة الكلابي، أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أشراف قومه، وهو صاحب المنافرة الشهيرة مع ابن عميه عامر بن الطفيلي، قال عبد الله بن عمر بن الخطاب: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يتشحر فلما فرغ من سحره جاء علقة بن علادة الكلابي فنخل عليه، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم للأكل، توفي سنة ٥٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج ٢٨، ص ١٣٨.

(٥) صخر بن حرب بن أمية بن عبد مناف تداركه الله بالإسلام يوم الفتح أطعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنائم مائة من الإبل وأربعين أوقية من الدرهم، توفي سنة ٣٢٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج ٢، ص ١٠٦.

(٦) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي، وهو عم الفرزدق، كان من سادات العرب في الجاهلية، قال الأقرع بن حابس حين نادى: يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي شين، فقال رسول الله: «ذلكم الله سبحانه»، وسمي الأقرع لقرع كأن برأسه، توفي الأقرع في خلافة سيدنا عثمان (رض).

انظر: الإصابة في تميز الصحابة. لابن حجر: ج ١، ص ٥٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المزي: ج ١، ص ١٢٤.

(٧) الأزهر: تعطى.

«أُعْطِيْتُ أَقْوَامًا حَشِيْتُ جَزَعَهُمْ وَهَلَعَهُمْ، وَوَكَلْتُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ وَمِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبٍ»^(١).

وهذا تحمل^(٢) في الإشراق عليهم وعلى أهل الإسلام معنيين أن يكون أشدق عليهم أن يعصوا الله عز وجل، وأشدق أن يتلمسوا^(٣) في الإسلام ظلماً بالارتداد^(٤) وغيرة^(٥) يتقصُّ لُهُ الجماعة ويوهُنُ لُهُ الدين، ولذلك أعطى أقواماً ومنع آخرين.

فقال له سعد^(٦): «يا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ وَفُلَانَ فَإِنِّي أَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: إِنِّي أُعْطَيْتُ رَجُلًا خَافَةً أَنْ يَكَبِّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(٧)، وقد يفعلُ المريديُّ

(١) عمرو بن تغاب: هو عميرة التغليبي من عبد قيس، روى عن النبي (ص)، له حديثان رواهما البخاري والبصري.

انظر: الأعلام. الزركلي: ج ٣، ص ٩٠.

(٢) الحديث: «وَوَكَلْنَا قَوْمًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبٍ».

انظر: صحيح البخاري: ج ٣، ص ١١٤٧. صحيح مسلم: ج ٢، ص ٧١٤. مسند الإمام أحمد: ج ٥، ص ١٠٣.

(٣) الأزهر: يتحمل.

(٤) ظلموا : من ظلم أي إذا ائسر من شفته شيء.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٥، ص ٦٥.

(٥) والارتداد: يعني الرجوع عن الشيء.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد الحسني: ج ٢٣، ص ٣٥.

(٦) وغيرة من الغرور: أي اغتر به من متع الدنيا، قال تعالى: {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِيْنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}، لقمان: ٣٣، الآية.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج ٨، ص ١٩.

(٧) هو: سعد بن أبي وقاص مالك بن عبد مناف بن كلاب القرشي، أحد العشرة الأولين المبشرين، واحد السنتة لأهل الشورى، وله في الصحيحين خمسة عشر حديثاً، حديث عنه: ابن عمر وعائشة، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، توفي سنة ٥٥٥هـ.

انظر / سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٩٣.

(٨) جاء في الحديث: «إِنِّي لُأَعْطِيَ الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ حَشِيْةً أَنْ يُكَبِّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ».

انظر: صحيح البخاري: ج ١، ص ١٩، صحيح مسلم: ج ٢، ص ٧٣٣، مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ١٨٢.

عطّيته بالإشفاق منه على غير المعطي أنْ يفسدَ غيره إِنْ مُنَعَ مِنْ ذلك.

ما رواه جابر^(١) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَسْأَلَنِي فَأُعْطِيهِ، ثُمَّ لِيَسْأَلَنِي فَأُعْطِيهِ، فَمَا يَأْخُذُ إِلَّا جَهَنَّمَ»^(٢).

فيغالط^(٣) العدو العَمَال في ذلك في طلب إدخال السرور على مَنْ خافوا مذمته، لأنَّ يخفو على قلبه ولا يعتربون الدين^(٤)، فيخيل إليهم أنَّهم فيما يبذلونه إشفاقاً^(٥) على المسلمين وعلى الإسلام، وإنَّما جزعت أنفسهم^(٦) مِنْ سقوط منزلة أو مخافَة مذمَة، والصَّحة مِنْ المرِيدِين في ذلك أنَّ يعتقدوا اعتقاداً بضمائرِهم يعلمون^(٧).

إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد عَلِمَ مِنْ ضمائرِهم [أنَّه]^(٨) لولا الإشفاق على مَنْ يتفضلون عليه من أهل الإسلام أو على بعض المسلمين أو على أديانهم أنْ يفارقوهم إِنْ ذمَوْهُمْ مَا بذلوا ذلك لِمَنْ أُعْطُوهُ وَإِنْ ذمَوْهُمْ، فإذا حصلت قلوبهم كذلك مِنْ غير أنْ يضيعوا في أنفسهم أو [في]^(٩) عيالِهِم^(١٠) أو فيما

(١) هو جابر بن عبد الله الأنصاري ابن عمر المجتهد الحافظ صاحب رسول الله (ص)، الفقيه، روى عن: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. حدث عنه: ابن المسيب، عطاء بن رياح والحسن البصري حديثاً، مات سنة ٧٧٨ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. للذهبي: ج ٣، ص ١٩٤. ١٩٠.

(٢) انظر: مسنَد الإمام أحمد: ج ٤، ص ١٨١، الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج ١، ص ٣٢٥. المعجم الكبير. الطبراني: ج ١، ص ٩٧.

(٣) فيغالط، غلط: أَنْ تَعْيَا بِالشَّيْءٍ فَلَا تَعْرِفَ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهِ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد الحسني: ج ١٩، ص ٥١٧.

(٤) الأَزْهَرُ: لذمَه.

(٥) الأَزْهَرُ: يشققون.

(٦) الأَزْهَرُ: نفوسهم.

(٧) الأَزْهَرُ: فيعلموا.

(٨) الأَزْهَرُ: إِنَّهُ.

(٩) الأَزْهَرُ: في.

(١٠) الأَزْهَرُ: عيالِهِم.

عليهم من الحقوق للعباد ما هو أولى بهم، فقد زال عنهم الجزء^(١)، وَصَحَّتْ منهم النية في إعطائهم، وقد يعترض في هذين البابين أَغْلُوْتَهُ يُخَيِّلُ إِلَى الْعَبْدِ أَنَّهُ مطِيعٌ فَيُعَصِّي اللَّهَ تَعَالَى وَيَبْذُلُ مَالَهُ عَلَى غَلْطٍ وَخَطَأٍ مِّنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْعَدُوُّ قدْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَدِرِّجَهُ بِذِكْرِ الْإِشْفَاقِ عَلَى دِينِهِ أَنْ يَكَافِئَ مَنْ أَذَاهُ، وَيَذْكُرُهُ الْإِشْفَاقَ عَلَى مَنْ يَخَافَ أَذَاهُ فَيَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْرُجَ مِنْهُ مَالَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيُعَصِّي اللَّهَ فَيَمْنَعُهُ أَعْطَاهُ؛ فَيُخَطِّرُ بِيَالِهِ الدُّعَاءَ إِلَى سُوءِ الظَّنِّ بِالْتَّهِمَةِ لَهُ [قَائِلًا]^(٢): إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَوَاسِيْهُ^(٣) أَوْ تَعْطِيْهُ وَقْعَ فِيَكَ وَشَتَمَكَ، وَقَدْ سَرَّ ذَلِكَ عَنْهُ وَلَمْ يَعْلَمْهُ يَقِيْنًا مِّنْهُ؛ فَيَعْتَقِدُ^(٤) ذَلِكَ وَيَحْقِّقُهُ^(٥) وَيَبْذُلُ مَالَهُ مِنْ أَجْلِهِ، وَرُبُّمَا كَانَ الْمَعْطِيُّ بِرِئَّا مِنْ ذَلِكَ فَجَمِعَ [الْعَبْدُ]^(٦) خَلْتَيْنِ بِسُوءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِ الْمُسْتَوْرِ [وَإِنْفَاقُ]^(٧) وَبَذْلُ مَالَهُ بِالْإِشْفَاقِ فِيمَا يُخَيِّلُ إِلَيْهِ بِسُوءِ ظَنِّ^(٨) [الَّذِي]^(٩) أَهَاجَهُ^(١٠) عَلَى

عِبَالِهِمْ مِنَ الْعُوْلَ: تَعْنِي مَا يَتَّقَلُّ مِنَ الْمَصِّبَيْهِ، فَيَقَالُ: وَبِلُّ وَعُولَهُ، وَمِنْهُ الْعِيَالُ «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعْوِلُ».

انظر: مفردات أَفْلَاثِ الْقَرْآنِ. الأَصْفَهَانِيُّ: ص ٥٩٧.

(١) الجزء: هو أَبْلَغُ مِنَ الْحَزَنِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا}، إِبْرَاهِيمٌ: ٢١٠.

انظر: مفردات أَفْلَاثِ الْقَرْآنِ. الأَصْفَهَانِيُّ: ص ١٩٤.

(٢) الأَزْهَرُ: قَائِلٌ.

(٣) الأَزْهَرُ: تَعْطِهِ وَتَوَاسِهِ.

تَوَاسِيْهُ أَصْلَهَا مِنْ أَسَاهُ أَيْ عَزَاءُهُ، وَصَبْرَهُ.

انظر: جَمْهُرَةُ الْلُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ: ج ١، ص ٢٣٨.

(٤) الأَزْهَرُ: فَعَنْدَهُ.

(٥) الأَزْهَرُ: وَتَحْقِيقُهُ.

(٦) الأَزْهَرُ: الْعَبْدُ.

(٧) الأَزْهَرُ: إِنْفَاقُ.

(٨) الأَزْهَرُ: الْظَّنُّ.

(٩) الأَزْهَرُ: الْذِي.

(١٠) أَهَاجَهُ مِنْ أَهْجَنْ: أَثَارَهُ وَاسْتَقَرَّهُ، أَهَاجَتِ الْرَّيْحُ النَّبَاتَ: أَبْيَسَتِهِ.

انظر: مَعْجَمُ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ. أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ: ج ٣، ص ٢٣٨٢.

ذلك، فهذا بابٌ غامضٌ يخندع^(١) فيه العدو^(٢)، وبعض العمال يخيل إليهم بذلك أنهم مطيعون وهم عاصون.

(١) الأزهر: يخندع.

(٢) الأزهر: العدو.

مسألة في إسرار العمل^(١)

قلت: كيف الإسرار بالعمل^(٢) من المخلوقين لا من الخالق؟

قال: الإسرار [بالعمل]^(٣) على نوعين:

أحدهما: إخفاء عمل الجوارح^(٤) من أبصارِ الخلق^(٥) وأسماعهم.

والنوع الثاني: [إخفاء]^(٦) ما تحن^(٧) [به]^(٨) القلوب وتخفيه عن العباد وأبصارهم، وإن كانت أعمال الجوارح لهم بادية، فلا يبدي الصادقون من أعمال جوارحهم^(٩) إلا ما كان إيداهه أقرب إلى مليكِهم^(١٠)، ولو أمكنهم القرابة بذلك مِنْ غير إظهار لأعمالهم لم يظهرواها؛ لأنَّهم قانعون بعلم مَنْ يعاملون، ولكن لا يمكنُهم ذلك لخلتين:

(١) الأزهر: مسألة إسرار بالعمل.

(٢) العمل: المهنة والفعل، والجمع أعمال، عملَ عملاً، وقال تعالى: {وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرِى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ}، التوبية: الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٠، ص ٣١٧٠.

(٣) الأزهر: بالعمل.

(٤) الجوارح: هي جوارح الإنسان نحو اليدين والرجلين والأذنين والعينين، وفي الحديث: «فَتَنَطِّقُ الْجَوَارِحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

انظر: جمهرة اللغة. محمد الهرمي: ج ١، ص ٤٣٧.

(٥) الأزهر: الخاتق.

(٦) الأزهر: إخفاء.

(٧) الأزهر: به.

(٨) الأزهر: الجوارح.

(٩) ملوكهم: الملك وهو الله تعالى، ملك الملوك له، قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، الفاتحة: ٤، الآية،

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ص ٤٢٦٧.

أحدما: إنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا يَمْكُنُ فَعَلَهَا سَرًّا، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ السَّرَّ والعلانية؛ فالسرَّ أَفْضَلُ مَا أَمْكَنَ الْعَمَلُ سَرًّا، فَإِذَا لَمْ يَمْكُنْ؛ فَالعلانية أَوْلَى مِنْ تَرْكِ الْعَمَلِ.

والخلة الثانية: [أَنَّهُمْ]^(١) قَدْ يَمْكُنُهُمْ [الْعَمَلُ سَرًّا]^(٢) أَنْ يَسْرُوا الْعَمَلَ، وَلَكِنْ أَظْهَرُوهُ لِلْقَدُوْةِ مِنْ غَيْرِهِمْ بِهِمْ رَغْبَةً [فِي]^(٣) أَنْ يَصْبِيُوا مِثْلَ أَجْوَرِ مِنْ أَقْتَدَى بِهِمْ مَعَ أَجْوَرِهِمْ.

وَلِيَسْتُ الْقَدُوْةُ لِكُلِّ أَحَدٍ تَجْبُزُ فِي أَكْثَرِ الْأَعْمَالِ، وَلَكِنْ لِمَنْ قَوَىَ عَلَى دَفْعِ التَّصْنِعِ^(٤) فِي وَقْتِ عَمَلِهِ، وَبَعْدَوْ^(٥) مِنَ^(٦) كَانَ يَضْعُفُ مَنْ أَظْهَرَ لَهُ مَوْضِعًا لِلْقَدُوْةِ وَالْعَبْدِ الصَّادِقِ فِيهَا يُظْهِرُ يَسْتَحِيُّ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُظْهِرَ مِنْ عَمَلِهِ أَكْثَرَ مَا يُسْرُ، بَلْ لَا يَكَادُ يَكُونُ فِي عَمَلِهِ إِلَّا وَسَرَّ أَفْضَلُ مِنْ ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ [تَعَالَى]^(٧) سُبْحَانَهُ يَنْفَرِدُ بِعَمَلِ سَرَّهُ وَإِنَّمَا يُظْهِرُ مِنْ عَمَلِهِ مَا لَا يَجِدُ بُدَّا^(٨) مِنْ إِظْهَارِهِ.

فَأَقْلُ عَمَلِهِ يُظْهِرُ مَعَ سَرِّ مِنْهُ فِي ضَمِيرِهِ إِذَا خَلَا^(٩) أَبْدَاهُ بِجُوارِهِ؛ كَالْبَكَاءِ

(١) الأَزْهَرُ: إِنَّهُمْ.

(٢) الأَزْهَرُ: الْعَمَلُ سَرًّا.

(٣) الأَزْهَرُ: فِي.

(٤) التَّصْنِعُ: تَكْلُفُ حُسْنِ السُّمْتِ وَإِظْهَارِهِ وَالْتَّرْتُّبُ بِهِ وَالْبَاطِنُ مَذْخُولٌ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهاوي: ج ٢٤، ص ٢٤.

(٥) الأَزْهَرُ: وَبَعْدِهِ.

وَبَعْدُوْ: مِنَ الْبَعْدِ: ضد القرب، بحسب اعتبار المكان، قال تعالى: {فَقُدْ ضَلَّوْ صَلَالًا بَعِيدًا}، النساء: ١٦٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٣٣. لسان العرب. ابن منظور: ص ٣٠٩.

(٦) الأَزْهَرُ: وَمِنْ.

(٧) الأَزْهَرُ: تَعَالَى.

(٨) بَدَا: أَيْ ظَهَرَ ظَهُورًا بَيِّنًا، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَنْتَسِبُونَ} الزمر: ٤٧، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١١٣.

(٩) خَلَا: خَلَأْتُهُ خُلُوا إِذَا لَزِمَ مَكَانَهُ.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٤، ص ٣٠٨.

والتحنن^(١) وشدة التضّرع، كل ذلك [يجب أن^(٢)] يستره من العباد إذا أظهر
العمل بجواره إلا ما قد غلبه منه، وقد روی في حديث:

((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَظْهَرَ الْعَمَلَ بِجُوارِهِ اسْتَوَتْ^(٣) سريرته وعلانيته، قال: الله
عَزَّ وَجَلَّ: [هَذَا]^(٤) فَلَمْ عَبْدِي حَقًا^(٥)، يعني ولّي حقًا واستواء السريره^(٦)
وَالْعَلَانِيَّة^(٧) على جهتين^(٨):

أحدهما: في الفرض^(٩) والأخرى في النّافلة^(١٠)، فمن^(١١) كان في الفرضية
فكان سريرته أكثر، أقل من علانيته فيما يخفي^(١٢) من عمل جواره، وما

(١) التحنن أصل الكلمة هي (حن)، الحنين: النزاع المتضمن مع صوت، ولذلك يعبر بالحنين، قوله تعالى: **{وَحَنَّا مِنْ لَدُنَّا وَرِزْكَاهُ وَكَانَ ثَقِيلًا}**، مريم: ١٣، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٥٩.

(٢) الأزهر: يجب أن.

(٣) الأزهر: فاستوت.

(٤) الأزهر: هذا.

(٥) انظر: الزهد. وكيع بن جراح: ج ٣، ص ٨٤٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. لأبي نعيم: ج ٢، ص ٢٠٥.

(٦) السريره: ما غمض منها واطمأن، قال تعالى: {يَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفَى}، طه: ٧، أُضيئت إليه في خفية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٠.

(٧) العلانية: وهو الظاهر الأمر الذي أمره علانية وهو خلاف السريره.
انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج ٢، ص ١٥٨.

(٨) الأزهر: وجهين.

(٩) الفرضية و (فرض) أي أوجب، والاسم (الفرضية) لـ معالم وحدود، أي أوجب عليك العمل به،
قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنَ}** القصص: ٨٥، الآية.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣٠.

(١٠) النافلة هي الصناعة، وتسمى النافلة سُيحة: وهي من صلوان وأعمال البر ليست مفروضة، وكل شيء كان زيادة على الأصل فهو نفل، أي: فضيلة، قال تعالى: **{وَمِنَ الظَّلَلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةُ لَكَ}**، الإسراء: ٨٩ الآية.

انظر: كتاب الألفاظ. يعقوب بن إسحاق: ج ١، ص ٤٦٠. لسان العرب. ابن منظور: ج ٢، ص ٤٧٣.

(١١) الأزهر: فما.

(١٢) الأزهر: يخفي.

يُخفي مِنْ ضمير قَلْبِهِ فَقَدْ جَارَ وَأَسَاءَ.

والوجه الآخر: أَنْ يكون [فِي]^(١) نَافِلَتِهِ^(٢)، [فَإِنْ] كَانَتْ^(٣) أَقْلُ مِنْ سَرِيرَتِهِ^(٤) [عَلَانِيَّة]^(٥) فِيهَا يُخْفِي^(٦) مِنْ عَمَلِ جَوَارِحِهِ، فَقَدْ يَكُونُ فِي ذَلِكَ جَائِرًا مُسِيئًا وَقَدْ لَا يَكُونُ مُسِيئًا.

فَأَمَّا الَّذِي يَكُونُ بِهِ^(٧) مُسِيئًا فَهُوَ أَنْ يَكُونُ مَا يُظَهِّرُ مِنَ الْزِيَادَةِ مِنْ عَمَلِ جَوَارِحِهِ^(٨) عَلَى مَا يُخْفِي وَيُسْتَرُ لِيَكْتَرَهَا وَيُكَمِّلُهَا تَصْنِعًا لِلْعَبَادِ وَحَبَّ^(٩) الْمَنْزَلَةِ عِنْهُمْ.

والوجه الآخر: الَّذِي لَا يَكُونُ [بِهِ]^(١٠) مُسِيئًا وَيَكُونُ مَنْقُوَّصًا أَنْ يَكُونَ يَزِدُّ دُلُّهُ عَلَى مَا يُخْفِي مِنْ نَافِلَتِهِ لِأَتَعَاصِمُهُمْ وَاعْتَبَرُهُمْ [وَلَا يَعْتَبِرُ هَذَا مُسِيئًا فِي]^(١١) نَفْصِي أَلَا تَكُونَ فِي سَرِيرَتِهِ.

فَإِنَّمَا^(١٢) يُذَكِّرُ اللَّهُ بِالْكَمَالِ إِمَّا زِيَادَةً ظَاهِرَهُ عَلَى مَا سُمِّيَّ فِيهَا يُظَهِّرُ مِنْ عَمْلِهِ فِي عَقْدِ صِدْقَةٍ فَلَا يَكُونُ [بِهِ]^(١٣) إِلَّا مُسِيئًا جَائِرًا، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا تَصْنِعًا

(١) الأَزْهَرُ: فِي.

(٢) الأَزْهَرُ: النَّافِلَةُ.

(٣) الأَزْهَرُ: فَإِنْ كَانَتْ.

(٤) الأَزْهَرُ: سَرِيرَتُهُ أَقْلُ مِنْ.

(٥) الأَزْهَرُ: عَلَانِيَّةُ.

(٦) الأَزْهَرُ: يُخْفِي.

(٧) الأَزْهَرُ: فِيهِ.

(٨) الأَزْهَرُ: الْجَوَارِحُ.

(٩) الأَزْهَرُ: وَحْبًا.

(١٠) الأَزْهَرُ: بِهِ.

(١١) الأَزْهَرُ: وَلَا يَعْتَبِرُ هَذَا مُسِيئًا فِي.

(١٢) الأَزْهَرُ: لَانَّهُ.

(١٣) الأَزْهَرُ: بِهِ.

ورِيَاءً^(١) هُمْ، والنَّاسُ فِي اسْتَوَاءِ السَّرِيرَةِ وَالْعَلَانِيَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجَهٍ :
فَإِذَا زَادَتِ الْعَلَانِيَّةُ عَلَى السَّرِيرَةِ لَمْ تَخْلُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَّةً أَوْ نَقْصًا إِلَّا مَا يَرِيدُ
بِهِ الْقُدُوْرُ.

وَإِذَا اسْتَوَتِ السَّرِيرَةُ وَالْعَلَانِيَّةُ فَذَلِكَ الْعَدْلُ مِنْ^(٢) فِعْلِ الْعَبْدِ^(٣) .
فَإِذَا زَادَتِ السَّرِيرَةُ عَلَى الْعَلَانِيَّةِ فَذَلِكَ مِنْهُ فَضْلٌ وَعَظِيمٌ درجَةٌ فِي الطَّاعَةِ
وَشَرْفٌ مَقَامٌ.

وَلَوْلَا أَنَّ الْأَثَارَ جَاءَتْ بِفَضْلِ السَّرِيرَةِ عَلَى الْعَلَانِيَّةِ، وَإِنَّ النَّفَسَ وَالْعَدُو^(٤)
يَنْازِعُانِ إِلَى طَلْبِ حَمْدِهِمْ^(٥) [لِلْمَخْلُوقَيْنِ]^(٦) وَخَوْفِ مَذْمَتِهِمْ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَا
[يَجُوزُ أَنْ]^(٧) يَأْنَسَ بِالْمَخْلُوقَيْنِ كَأَنْسِهِ بِالصَّلَاةِ، مَا كَانَ يَبْغِي لَهُ أَنْ يَكُونُ فِي
عَلَانِيَّتِهِ مِثْلُهُ فِي سَرِيرَتِهِ حَتَّى يُبَدِّي إِذَا حَضَرَهُ^(٨) مِثْلُ مَا يَتَبَغِي إِذَا حَضَرَهُ^(٩) ،
لَاَنَّهُ لَا مَعْنَى أَنْ يَخْتَارَ^(١٠) بِهِ مِنْ أَحَدٍ لَوْ يَدْرِكَ مَنْفَعَةً، فَهُمْ فِي نَفَرَتِهِمْ إِلَى عَمَلِهِ

(١) الرِّيَاءُ: إِظْهَارُ جَمِيلِ الْفَعْلِ رَغْبَةً فِي حَمْدِ النَّاسِ لَا فِي ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

انْظُرُ: مَعْجمُ الْفَرُوقِ الْلَّغُوِيَّةِ. الْعَسْكَرِيُّ: ج١، ص٥٤٧.

(٢) الْأَزْهَرُ: فِي.

(٣) الْأَزْهَرُ: بِهِ.

(٤) الْأَزْهَرُ: الْعَدُوُّ.

(٥) الْأَزْهَرُ: حَمْدٌ.

(٦) الْأَزْهَرُ: الْمَخْلُوقَيْنِ.

(٧) الْأَزْهَرُ: يَجُوزُ أَنْ.

(٨) الْأَزْهَرُ: حَضْرُوهُ.

حَضْرَهُ: يَأْمُرُهُ بِالْجَدْدِ فِي مُشَيَّهٍ.

انْظُرُ: الْمُنْتَخَبُ مِنْ غَرِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ. عَلَيْ بْنِ الْحَسَنِ الْهَنَائِيِّ الْأَزْدِيِّ: ج١، ص٢٩٧.

(٩) الْأَزْهَرُ: حَضْرُوهُ.

(١٠) يَخْتَرُ: هُوَ الْخَدِيْعَةُ بَعْيَنَهَا، هُوَ ضَعْفُ الْاجْتِهادِ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَمَا يَجْحَدُ بِأَيْمَانِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَارٍ كُفُورٌ} لِقَمَانٍ: ٣٢، الْأَيَّةُ.

انْظُرُ: مَفَرَّدَاتُ أَلْفَاظِ الْقَرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٢٧٤. تَاجُ الْعَرَوْسِ: ج١١، ص١٣٥.

وزوال النَّظَرِ مِنْهُمْ وَاحِدٌ لَا مَعْنَى يُوجَبُ نَظَرُهُمْ خَيْرًا فِي دِينِهِ، وَلَا [فِي]^(١) دِينِهِ لَأَنَّهُمْ كَالْبَهَائِمُ^(٢) فِي نَظَرِهِمْ^(٣) مِنْ جِهَةِ الْمُنْفَعَةِ لَهُ فِي دِينِهِ وَفِي أُخْرِيَّهُ إِذَا
يُمْلِكُونَ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَكِنَّ جَاءَتِ الْأَثْارُ بِفَضْلِ السَّرِّ وَهُوَ أَحْرَزُ الْعَمَلِينَ
وَأَبْعَدُ مِنْ قُوَّةِ الْخَاطِرِ، وَالْعَالَمُ الْمُحِبُّ لِلَّهِ تَعَالَى يَنْقَبَضُ^(٤) مِنْ^(٥) الْخُلُقِ وَلَا
يَأْنُسُ بِهِمْ، وَيَأْنُسُ بِالْخَالِقِ فَيُبَدِّي كُلَّ مَا عَنَّهُ [إِلَيْهِ]^(٦).

وَقَالَ: ثَلَاثُ خَلَالٍ يَرِثُهَا التَّارِكُ [مَحْبُوبَاتِهِ]^(٧) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [خَوْفًا]^(٨)
مَا^(٩) يَبْعَدُهُ مِنْهُ، إِحْدَاهَا: أَنْ يَأْلُفَ [فِي]^(١٠) الْعَمَلِ حَلَاوَةُ الْأَمَالِ فِي اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ أَنْ يَطْلُعَ بِالرَّضِيِّ عَلَى مَنْ تَرَكَ مَحَبَّتَهُ لِحَبَّتِهِ.

وَالثَّانِيَةُ: إِيَّاُنَّ النَّفْسَ مَا عَوَّدَهَا مِنَ الرُّكُونِ^(١١) إِلَى مَا يَكْرِهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
مَمَا تَلْتَذِذُ^(١٢) بِهِ وَيُسْرُّهَا لَأَنَّ مِنْ عَوْدَتِهِ عَادَةً ثُمَّ مَنْعَتُهُ لَمْ يَيَّأْسْ مَمَا عَوْدَتِهِ فَإِذَا

(١) الأَزْهَرُ: فِي.

(٢) الْبَهَائِمُ مِنَ الْبَهِيمَةِ الَّتِي لَا تُنْطِقُ لَهَا، قَالَ تَعَالَى: {أَلَّا تَكُنْ بِهِمْمَةُ الْأَنْعَامِ}، الْمائِدَةُ: ١٠.
انْظُرُ: مَفَرَّدَاتُ أَلْفَاظِ الْقَرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص ١٤٩.

(٣) الأَزْهَرُ: نَظَرُهُ.

(٤) يَنْقَبَضُ: قَرْفَقَ، يَمْضِي. كَنْوَعٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَعُوْذُ بِكَ مِنَ الْكَنْوَعِ».
انْظُرُ: مُعْجمُ مَقَائِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ: ج ٥، ص ١٤٢. غَرِيبُ الْحَدِيثِ. أَبِي عَبْدِ الْقَاسِمِ: ج ٣،
ص ٩٧٤.

(٥) الأَزْهَرُ: عَنْ.

(٦) الأَزْهَرُ: إِلَيْهِ.

(٧) الأَزْهَرُ: مَحْبُوبَاتِهِ.

(٨) الأَزْهَرُ: خَوْفًا.

(٩) الأَزْهَرُ: مَمَا.

(١٠) الأَزْهَرُ: فِي.

(١١) الرُّكُونُ: مِنْ رُكْنٍ كُلِّ شَيْءٍ جَانِبِهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَرْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}،
هُودٌ: ١١٣.

انْظُرُ: جَمِيْهَةُ الْلُّغَةِ. مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: ج ٢، ص ٧٩٩.

(١٢) الأَزْهَرُ: نَسْتَذِذُ.

أَدْمَنْتُ^(١) الْمُنْعُ^(٢) وَرَأَى^(٣) الْجَدَّ^(٤) فِي الْمُعْ لُهُ أَمَنَ^(٥) فَسَكَنَ فَإِذَا يَئِسَتَ^(٦)
النَّفْسُ فَسَكَنَتْ عَنِ الْمَنَازِعَةِ بَقِيَ الْعَمَلُ بِحَلَوَةِ مَعَالِمِهِ وَمَنَاجَاتِهِ.

والثالثة: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبُلُ عَلَيْهِ بِالْمَعْوِنَةِ لَهُ إِذَا يَسَرَ لِلسَّالِكِينَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ
تَسْهِيلُهُ وَتَحْفِيفُهُ عَلَيْهِمْ فِي صِيرَةِ الْعَمَّ^(٧) مِنْهُ فِي مَا كَانَ يَسِّرُ^(٨) [هـ] [٨] بِهِ وَ [يَصِيرُ]^(٩)
سَرَوْرُهُ فِيهَا كَانَ يَعْتَمَ [بِهِ]^(١٠) لَأَنَّ سَرَوْرَهُ كَانَ فِي إِصَابَةِ لَدْنَتِهِ^(١١) فَصَارَ سَرَوْرُهُ
فِي تَرْكَهَا رَضِيَ لِرَضِيِّ رَبِّهِ وَصَارَ غَمُّهُ فِي الرَّكُونِ إِلَيْهَا خَوْفًا^(١٢) [مِنْ]^(١٣) سَخْطَ
رَبِّهِ وَأَنَّ يَسْقُطَ مِنْ عَيْنِهِ وَمَا يَصِيبُ مِنْ لَذَّةِ التَّرْكِ لِأَجْلِ الرَّضِيِّ أَكْثَرُ مِنْ لَذَّةِ

(١) الأَزْهَرُ: أَمْنَتْ.

(٢) الْمُنْعُ: أَنْ تَحُولَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنِ الشَّيْءِ الَّذِي يُرِيدُهُ، رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ (ص)، أَنَّهُ قَالَ: (اللَّهُمَّ لَا
مَانِعَ لِمَا أَعْتَدْتَ)

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهرمي: ج ٣، ص ١٤.

(٣) الأَزْهَرُ: وَرَأَتْ.

(٤) الْجَدَّ: بالكسر ضد الم Hazel، أي عزم ومضى فيه.

انظر: الابانة في اللغة. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعُوْتَبِيُّ: ج ٢، ص ٣٤٥.

(٥) الأَزْهَرُ: أَمْنَتْ.

(٦) الأَزْهَرُ: أَيْسَتْ.

(٧) الْعَمَّ: أي كربة قال تعالى: {لَمْ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْهِمْ عُمَّةُ}، يونس: ٧١، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦١٣.

(٨) الأَزْهَرُ: يَسِرَهُ.

(٩) الأَزْهَرُ: يَصِيرُ.

(١٠) الأَزْهَرُ: بِهِ.

(١١) لَذَّتِهِ: مِنْ لَذَّةٍ: وَقَدْ لَذَّتِ الشَّيْءُ وَجَدَتِهِ لَذِيًّا، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنْهَارٌ مَّنْ حَمَرَ لَذَّةً}،
مُحَمَّدٌ: ١، الآية.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهرمي: ج ٤، ص ٢٩٤.

(١٢) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(١٣) السَّخْطُ: الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، قال تعالى: {وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ}،
النَّوْيَةُ: ٥٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٠٢.

الرکون إلى [عمل]^(١) ما يکرہ الله عزّ وجلّ.

لأنَّه لو رَکِنَ إلى ذلك [العمل]^(٢) كانت لذَّةٌ في وقتِ رکونه فقط، فإذا تركَ [شهوته]^(٣) الله تلذَّذَ به ما صحبَ الدُّنيا إذا ذَكَرَ إِنَّهُ تركَها الله وإنَّه يرجو أنْ يكون قدر رضيَّ عنْهُ وداوم عزَّ الوثيقة أكثر في القلب^(٤) من لذَّة الشهوة أنَّه يلتذَّ بموافقتِه في وقتِ شهوته [غفلَ عَنْ تَرْكَ شهوته]^(٥) فإذا عَقَلَ أَهْتَمَ أيامَ حِيَاتِه إذا كان لا يَأْمُنُ أنْ يكون قد سخطَ اللهُ تعالى^(٦) عليه بذلك فما دونِه عزَّ اللَّهُ أَكْثَرُ في قلبهِ مِنْ إِصَابَةِ اللَّذَّةِ.

(١) الأزهر: عمل.

(٢) الأزهر: العمل.

(٣) الأزهر: شهوته.

(٤) الأزهر: في القلب أكثر.

(٥) الأزهر: غفل عن ترك شهوته.

(٦) الأزهر: الله تعالى قد سخط.

مسألة في الشهرة

قلت: ما الشهرة؟

قال: هي فعلٌ أو زَيٌّ^(١) يبيّن به فاعلَه عن العوام في فعلِهِم وزيَّهُم، فتلك هي الشهرة، وذلِك كاللباس يلبسه العبد خلاف زَيِّ العوام^(٢)، أو كرُّكوب المركب أو زَيِّ المركب، أو التكليف للزَّيِّ في بدنه؛ كحلقه الشَّعر أو ترفيعه أو تطويله، وكذلك [في]^(٣) إظهار الذَّكر بجهر^(٤) الصَّوتِ، أو عَصَّة^(٥) العوام، أو ما شابه ذلك مما يبيّن به فاعلَه عن العوام.

ثم اختلفَ الناسُ فيما نُهِيَ عنِهِ مِنَ الشُّهْرَةِ و[ما]^(٦) كُرْهَةِ منها، فقالَ قومٌ: من فعلَ ما حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ لِزَيٍّ^(٧) أو غَيْرِهِ كلبسِ الحرير^(٨) والدِبَاجِ^(٩) أو لبسِ

(١) الرَّيُّ: هو الهيئة التي عليها الناس، والجمع أَرْيَاء.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٢١٠٣، ص ١٩٠٣.

(٢) العوام: هامة الراكب إذا بدأ رأسه من الصَّحراء وهو يسير، وهو الذي عليه عمامة.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٣٤، ص ٣١٧٨.

(٣) الأَزْهَرُ: في.

(٤) جهَرٌ: الجيم والهاء والراء أصلٌ واحدٌ، وهو إعلانُ الشَّيْءِ وكشفُهُ وغلُوهُ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ١، ص ٤٧٨.

(٥) العصَّةُ: الإلْفُكُ والبَهَتَانُ والقولُ الرَّذُورُ، رُوِيَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (لَا أَنْبِئُكُمْ مَا العصَّةُ؟) قالوا: بلِي يا رسولَ اللَّهِ. قَالَ: (هِيَ التَّنَمِيَةُ).

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ٩٤.

(٦) الأَزْهَرُ: ما.

(٧) الأَزْهَرُ: من زَيِّ.

(٨) الحرير: وهو القهْز ثياب بيض ناعمة من القز، يُجلب من مصر، وقد نُهِيَ عن لبسها.
انظر: المخصص. علي بن إسماعيل بن سيدِ المرسي: ج ١، ص ٣٨٦.

(٩) الدِبَاجُ: نوع من سفاف الثوب يظهر ما وراءه من رقته.

الذهب أو تطويل الشعر بغير فرق خلاف السنة، أو تطويل الشاربين أو ما أشبه ذلك مما نهي عنه في كتاب أو سُنة.

لأن كل مالم ينهى عنه في كتاب أو سنة فمباح حلال طلق، والله والرسول^(١) لا يحظر^(٢) المباح للعباد بعد إياحته إلا بالنسخ له بالنهي؛ فيدخل في باب النهي لا في^(٣) باب الإباحة، وما سوى ذلك فمباح من ليس الصوف أو ركوب على غير ما يركب العوام؛ كالرجلين إلى جانب أو كما تيسر، أو غير ذلك.

وقال قوم: الشهرة ما نهي عنه من الفعل وإن كان المفهول به ليس بمحرّم، ومن ذلك تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال في زينهم وركوبهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعنة^(٤) المتشبهات من النساء بالرجال، والمشبهين من الرجال بالنساء^(٥)، وقال: «آخر جوهم من بيوتكم»^(٦).

فإن لبس الرجل قميص برشكات^(٧) أو تقنع بمقنعة^(٨) أو صبغ قميصه

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. على الأزدي: ج ١، ص ٤٧٣.

(١) الأزهر: رسوله.

(٢) يحضر: فإذا انتهوا إلى المستقبل قالوا يحضر، بالضم، رجوعا إلى الأصل.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ١١، ص ٣٨.

(٣) الأزهر: مع.

(٤) اللعن: هو الطرد والإبعاد على سبيل السخط من الله، قال تعالى: **﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**، هود: ١٨.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٤١.

(٥) انظر: المستررك على الصحيحين. الحاكم: ج ٤، ص ٢٧٠. سنن الترمذى. محمد بن عيسى: ج ٥، ص ٩٨.

(٦) انظر: صحيح البخاري: ج ٥، ص ٢٢٠. مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٦٦. سنن الترمذى: ج ٥، ص ٩٨.

(٧) برشكات: وهو يأتي باللفظ على القميص: جمعه قمصان، فإن كانت رقبة القميص ونهاية الأكمام مزخرفة تدعى برشكات.

انظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٢، ص ٤٢.

(٨) مقنعة: تشير كلمة إلى نوع من القماش الشاش الموصلى الملون، ويصنع أيضاً من الحرير، بضمه النساء للوجه.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٣، ص ١٨٦.

بعصر^(١) أو الورس^(٢) وغير ذلك، كذلك إن لَسَ [الرُّجُل]^(٣) الْحُلُّ في يديه أو رجُلَيْه، وكذلك إن تَرَعَفَ^(٤) أو تَخْلَقَ وأمثال ذلك؛ فذلك الشهْرُ^(٥) في الرجالِ إِذَا فَعَلُوهُ وَتَزَيَّنُوا [بِهِ]^(٦) لِخَلَافِ فِعَالِ الرِّجَالِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَزِيَّهُمْ.

وكذلك النساءُ أَن يَلْبِسْنَ الْأَقْبِيَةَ^(٧) أو قُمْصِ الرِّجَالِ المُخْطُوطَاتِ، ويُظَهِّرُنَ الشَّعُورَ^(٨) كَالِّرِجَالِ، وَيَلْبِسْنَ النَّعَالَ^(٩) عَلَى حُدَّا الرِّجَالِ، وَيَتَفَرَّسْنَ^(١٠) عَلَى الدَّوَابِ^(١١) أَوْ يَتَقَلَّدُنَ السُّيُوفَ وَيَأْخُذُنَ الرَّمَاحَ، أَوْ يَتَرَدَّدُنَ فِي الطَّرَقَاتِ، أَوْ

(١) العصفر: نبات سلاقته الجراث، وقد عَصَفَتِ الثوب فَتَعَصَّفَ أَيْ صَبَغَتِه بِلُونٍ.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٩، ص ١٨٣.

(٢) ورس: نبت أصفر يكون باليمن تَنَحَّى منه الغمرة للوجه، وتعطَّر به الكوفية وردنان الثياب.
انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٨، ص ٣٣.

(٣) الأزهُر: الرجل.

(٤) تَرَعَفُ: أصل الكلمة (الزغفران): هذا الصبغ معروف وهو من الطيب.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ١٨٣٣.

(٥) الأزهُر: به.

(٦) الأقبية: هي جمع قباء: توصف للثياب المجتمعة أطرافه شديد الضيق من الأعلى، وتكون من الحرير أو الدبياج.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٥٢٣. معجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٣، ص ٣٣.

(٧) الشعور: أصل الكلمة الشعر، والشعر مذكراً ونسبة الجسم، وجمعه أشعار وشعرور.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٤، ص ٢٢٧٤.

(٨) النعل والنعلة: ما وُقِيتَ به القدم من الأرض، خرطت صدرها ودققتها مقابلتها أن تثنى ذوابة،
الشراك: سير النعل.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن المرسي: ج ٢، ص ١٥٩.

(٩) الأزهُر: وسفرهن.

وَيَقْرَسْنَ: وهي كلمة لأصل ركوب الدابة (الفرس)، وجمعها فرسن، فرسن.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٣٨٢.

(١٠) يَنْقَلِدُنَ: من قَدَ: (قَدَ) القاف واللام والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تعليق شيء
على شيءٍ وإليه به.

انظر: معجم مقلبيس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٥، ص ١٩.

(١١) يَتَرَدَّدُنَ من تَرَدَد: حيث كثرة الغلٰل.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٨١، ص ١٦٢١.

ما أشبه ذلك، فتلك الشهرة بعَيْنِها فِيهِنَّ^(١)؛ فقد نَهَى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك الرجال والنساء، وإن كانَ^(٢) الشَّابُ الَّتِي يلبِسُونَ وَيَنْزِيْنُونَ بِهَا لِيْسَ بِمُحَرَّمَةٍ.

وقالَ قومٌ: الشَّهَرَةُ خَلَافٌ مَا يَلْبِسُهُ أَهْلُ الدِّينِ مِنْ زِيَّ الرُّهْبَانِ^(٣) مِنْ الْبَرَانِيْسِ^(٤)، وَجَبَابٌ^(٥) الصَّوْفُ السَّوْدُ الَّتِي [لَبَسَتْ]^(٦) لِيْسَ بِزِيِّ الْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا خَرَجَ مِنْ زِيَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ فَهُوَ مَشْهُورٌ فِي^(٧) الْمُسْلِمِينَ إِذَا كَانَ لِيْسَ مِنْ زِيَّهُمْ وَلَا مِنْ لِيَسِهِمْ.

(١) الأَزْهَرُ: مَنْهُنَّ.

(٢) الأَزْهَرُ: كَانَتْ.

(٣) الرُّهْبَانِ: مِنَ الرُّهْبَانِيَّةِ أَيُّ غَلَوَ فِي التَّعْبُدِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَهْبَانِيَّةُ ابْنَتُهُمْ مَا كَتَبْنَا هَا عَلَيْهِمْ}، الْحَدِيدُ: ٢٧، الْآيَةُ.

انظر: مفردات أَفَاظِ الْقَرْآنِ. الأَصْفَهَانِيُّ: ص ٣٦٦.

(٤) الأَزْهَرُ: الْبَرَانِسُ.

الْبَرَانِسُ: قَلْسُوْتَهُ طَوِيلَةٌ وَكَانَ النَّسَاكُ يَلْبِسُونَهَا فِي صُدُرِ الْإِسْلَامِ، تِبْرِنِسُ أَيُّ الرَّجُلِ لَيْسَ الْبَرَانِسُ. انظر: مَعْجَمُ بِاسْمَاءِ الْمَلَابِسِ عَنِ الْعَرَبِ. رِينَهَارِتُ دُوزِيُّ: ج ٢، ص ٤٧.

(٥) الأَزْهَرُ: جَبَبُ.

جَبَبٌ: وَهُوَ رِدَاءٌ طَوِيلٌ مِنَ الصَّوْفِ مَفْتُوحٌ، وَجَاءَتِ الْكَلْمَةُ مِنْ (الْوَجْبِ) وَهُوَ سَقَاءٌ عَظِيمٌ: أَيُّ مِنْ جَلَدِ تِيْسٍ وَافِرٍ.

انظر: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج ٨، ص ٧٦٨؛ مَعْجَمُ بِاسْمَاءِ الْمَلَابِسِ عَنِ الْعَرَبِ. رِينَهَارِتُ دُوزِيُّ: ج ٣، ص ٣١.

(٦) الأَزْهَرُ: لَبَسَتْ.

(٧) الأَزْهَرُ: بَيْنَ.

فَمَّا لِبَاسُ الصُّوفِ وَالرِّقَاعِ^(١) لِلْخُرُوقِ الَّتِي تَحَدُّثُ فِيهِ، وَتَشْمِيرُ^(٢)
 الشِّيَابِ، [وَإِسْدَالُ^(٣) الشُّعُورِ]^(٤)، وَاسْتِئْصَالُ^(٥) الشِّعْرِ، وَالرَّكُوبُ فِي جَانِبِ؛
 لِيَكُونَ أَسْهَلُ لِرَكُوبِهِ، فَمَا زَالَ الرَّسُولُ وَالنَّبِيُّونَ وَالصَّالِحُونَ يَفْعَلُونَ [ذَلِكُ]^(٦)
 وَعِوَامُ الْفَقَرَاءِ وَأَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كَالْحَمَالِينَ وَالْمَلَاحِينَ وَغَيْرِهِمْ، كَيْفُ^(٧) يَكُونُ
 شَهْرَةً أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَهُ الصَّالِحُونَ [مِنْ]^(٨) قَبْلَهُ^(٩) وَمَا يَفْعَلُهُ فَقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ
 وَعِوَامُهُمْ^(١٠) وَأَهْلُ صِنَاعَاتِهِمْ^(١١).

وَهَذِهِ الْمُبَيِّنَاتُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّمَا^(١٢) هُوَ كَوَاحِدُهُمْ، بَلْ قَدْلَمَرْزِيَّ الصَّالِحِينَ قَبْلَهُ،
 وَإِنَّمَا الشَّهْرَةُ خَوَاصُ لِلْأَغْنِيَاءِ^(١٣) الْمُتَرْفِينَ بِإِحْدَاثِهِمُ الرِّزْيَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَتَرَبَّعُ^(١٤)

(١) الرُّقْعَةُ: جَمْعُهُ (الرُّقَاعُ): أَيْ يَلْحِمُ الثَّوْبَ، وَفِيهِ مَرْتَقٌ لِمَنْ يَصْلِحُهُ أَيْ مَوْقِعُ الْخِيَاطَةِ، وَكُلُّ مَا سَدَدَ خَلَةَ فَقْدَ رُقْعَتِهِ.

انْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج٣، ص١٧٠٥.

(٢) تَشْمِيرٌ: أَيْ كَفَّتُ الشَّيْءَ إِذَا ضَمَّمْتَهُ إِلَى نَفْسِكَ.

انْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج٧، ص٣٨٩٦.

(٣) إِسْدَالٌ: مِنْ سَدْلٍ، وَهُوَ سَدْلُ الشَّعْرِ وَالثَّوْبِ، أَيْ إِرْخَاؤُهُ.

انْظُرُ: مَعْجَمُ مَقَائِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ: ج٢٩، ص١٤٩.

(٤) الْأَزْهَرُ: وَإِسْدَالُ الشُّعُورِ.

(٥) الْاسْتِئْصَالُ: مِنْ الْجَذْرِ، جَذَرُ الشَّيْءٍ جَذْرًا أَيْ: اسْتَأْصَلَتْهُ.

انْظُرُ: مَعْجَمُ مَقَائِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ: ج١٠، ص٣٩٠.

(٦) الْأَزْهَرُ: ذَلِكُ.

(٧) الْأَزْهَرُ: وَكَيْفُ.

(٨) الْأَزْهَرُ: مِنْ.

(٩) الْأَزْهَرُ: قَبْلُ.

(١٠) الْأَزْهَرُ: وَعِوَامُ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَقَرَاءِ.

(١١) الْأَزْهَرُ: الصِّنَاعَاتِ.

(١٢) الْأَزْهَرُ: وَإِنَّمَا.

(١٣) الْأَزْهَرُ: وَالْمُتَرْفِينَ.

(١٤) الْأَزْهَرُ: يَتَرَبَّعُ.

به الرسل والأنبياء؛ كالطيسالسة^(١) الطرازية^(٢) والمطبقة^(٣) والثياب الناعمة.

قال قوم^(٤): الشهرة على قدر الأزمنة لا على قدر الفعل؛ لأننا قد وجدنا عدّة من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلم والتابعين قد لبسوا في حياة النبي صلّى الله عليه وسلم وبعدها البرانس، ومن ذلك ما روى وائل بن حجر^(٥): أنه رأى أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلم عليهم البرانس، ثم التابعين من بعدهم؛ شريح^(٦) وإبراهيم^(٧) والشعبي^(٨) وغيرهم، فهو في زماننا اليوم شهرة؛ لأنّه لم يتزين به إلا النصارى.

(١) الطيسالسة: من الطيسالسان: وهو كساء أسود اللون، وإنّه لباس التشريف.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج ٣، ص ٣٠.

(٢) الأزرق: الطرازية.

الطرازية: من الكلمة طَرَّزُ، الثوب تطريزاً، والطرز والطَّرَازُ تعني الهيبة.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج ٨، ص ١٨٣.

(٣) والمطبقة: من الطبق: كل غطاء لازم على شيء، والجمع أطباق معناه بعضه فوق بعض.

انظر لسان العرب. ابن منظور : ج ٦، ص ٢٦٤٠.

(٤) القوم: وائل بن علقمة، الإمام أحمد بن حنبل ٥٢٤٦هـ، الإمام مسلم بن الحاج ٥٢٦١هـ.

انظر: عون المعبد شرح سنن أبي داود. محمد أشرف أبيادي : ج ٣، ص ٣٠٦.

(٥) هو وائل بن حجر بن سعد المعروف بأبي هنيد الحضرمي، أحد الأشراف، كان سيد قومه ونزل العراق.

انظر: سيرة أعلام النبلاء. الذهبي : م ٢، ص ٥٣٧.

(٦) خوبيل بن عمرو الخزاعي ثم الكعبي، وقيل عمرو بن خوبيل وقيل كعب بن عمرو، أسلم قبل الفتح، وكان معه لواء خزاعة يوم الفتح، وروى عن النبي (ص) أحاديث، وعن ابن مسعود (رض) وعن نافع بن جبير، قال ابن سعد: مات في ٦٨هـ.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. شهاب الدين العسقلاني : ج ٧، ص ٩٨.

(٧) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن مالك بن النخعي، اليمني ثم الكوفي، الإمام الحافظ فقيه العراق، حدث عن: خاله مسروق، وزيد، وتعذر خالته من الرضاعة السيدة عائشة، روى عنه: الحكم بن عتبة،

و عمرو بن مرة حافظاً، صاحب سنة، مات سنة ٩٥٥هـ.

انظر سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٤، ص ٥٢٩.

(٨) هو عامر بن شرحبيل بن عبد الشعبي، ابن ذي كبار من قبائل اليمن، عالمة عصره، وحدث عن: سعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري، شريح، روى عنه: أبي عينة، وحمد، وأبو إسحاق، وأبو حنيفة مات سنة ١٠٤هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٤، ص ٢٩٦.

وكذلك الرقاع في الشياب^(١) [من الأذم^(٢)][^(٣)] وغيرها كما فعل عمر رضي الله عنه في زمانه، فهو اليوم شهرة في أهل الدين خاصة، لا في أهل الفقر و[المسكنة بل في^(٤)] المسلمين الذين لا يشار إليهم بالأصابع ولا ينتقد العامة زُبُرَّهم وفعلهم، وهو قول إبراهيم^(٥): «البس من الشياب ما لا يزدرىك^(٦) السفهاء^(٧) ولا يشهرك العلَماء^(٨)». فهو لباس كل زمان في علمائهم وعامتهم.

وقال قوم: ليس^(٩) للشهرة على قدر الأزمة؛ لأن الجماعة الأولى هم [أهل^(١٠) الحق، وعلى من أتى بعدهم اتباعهم^(١١)؛ ففعل الآخرين لا ينصح فعل^(١٢) الأولين من أهل الدين، بل فعل الأولين وقولهم حجّة ثابته أبداً، خولفت في زمن من الأزمة بعدهم أو لم تُخالف^(١٣) [فتليس]^(١٤)، لا البرانس ولا الرقاع ولا

(١) الأزهر: في رقاع الشياب.

(٢) ذم يذم نمّا وهو اللوم في الإساءة. أتى بما يعاب عليه، ويلام من أجله «أمر مذم». انظر: تهذيب اللغة. محمد الأزهري المهروي: ج ١٤، ص ٢٩٢.

(٣) الأزهر: من الأذم.

(٤) الأزهر: المسكنة بل في.

(٥) إبراهيم النخيبي.

(٦) يزدرىك مصدرها الإزدراء: الاحتقار وانتقاد الشيء. قال الله تعالى: (لَوْلَا أَفْوَلُ لِلَّذِينَ تَزَرَّى
أَعْيُنُكُمْ)، هود: ٣١. الآية وقول: عمر بن الخطاب (رض) عند دخوله القدس: (إن هولاء لا يرون علينا
بزة قوم، غضب الله عليهم أعينهم تزدرىنا).

انظر: تهذيب اللغة. محمد المهروي: ج ١٣، ص ١٢٥. الزهد. لأبي وكيع: ج ١، ص ٩٠.

(٧) السفهاء من السفة: استعمالها لخفة النفس ولنقسان العقل في الأمور الدنيوية، والاخروية، قال تعالى: *سِيَقُولُ السَّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ*، البقرة: ١٢٤، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤١٤.

(٨) جاء الحديث: عن الشعبي، قال: (ليس من الشياب ما لا يزدرىك فيه السفهاء، ولا يعيبه عليك العلَماء). انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج ٤، ص ٣١٨. الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري : ج ٣، ص ٨٣. الجامع الخطيب. البغدادي: ج ١، ص ٣٨٢.

(٩) الأزهر: ليست.

(١٠) الأزهر: أهل.

(١١) الأزهر: اتباع لهم.

(١٢) الأزهر: فتليس.

لباس العباد من الصوف بشهرة، ولكن زيَّ مَنْ مَضَى.

فإن أَطْبَقَ أَهْلُ الزَّمَانِ عَلَى خَلَافِهِ بِالرَّيْ وَالرُّكُوبِ، كَمَا كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَسْدِلُ^(١) أَرْجُلَهَا^(٢) مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ، فَاللِّبَاسُ [لَيْسَ]^(٣) شَهْرَةً^(٤)، وَالْقَائِمُ بِذَلِكَ لَا هُوَ [مَا]^(٥) شَهْرٌ نَفْسَهُ، وَلَكِنَّهُ تَسْكُنُ بِزِيَّ مَضَىٰ وَأَفْعَالِهِمْ، وَرَغْمُوا^(٦) هُمْ عَنْهُ لَيْسَ فِعَالُهُ^(٧) شَهْرَةً^(٨)، بَلْ [وَإِنَّمَا هُوَ]^(٩) مَقْتُدٌ مَتَّبِعٌ^(١٠)، إِنَّمَا^(١١) يَرَادُ مِنْهُ^(١٢) [الْعَبْدُ]^(١٣) صِحَّةً لِرَادَتِهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، وَفِعَالِهِ تَلْكُ عَلَى صِحَّةِ الْأَسْبَابِ.

وقال قوم: ليَسَتِ الشَّهْرُ عَلَى قَدْرِ الْأَزْمِنَةِ وَلَا عَلَى قَدْرِ الْلِّبَاسِ؛ لَأَنَّ عَامَّةَ الشَّهْرِ فِي زَمِنِنَا قَدْ فَعَلَهُ^(١٤) أَهْلُ الدِّينِ، وَإِنَّمَا هُوَ^(١٥) عَلَى قَدْرِ الرَّجَالِ فِي أَنْفُسِهِمْ، [وَإِنَّمَا]^(١٦) يَشْهُرُ الْلِّبَاسُ الرَّجَالُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ؛ لَأَنَّهُ لَوْ تَسْكُنَ بَعْضُ الْمُلُوكِ

(١) الأَزْهَرُ: يَسْدِلُونَ.

(٢) الأَزْهَرُ: أَرْجِلَهُمْ.

(٣) الأَزْهَرُ: لَيْسَ بِشَهْرَةَ.

(٤) الأَزْهَرُ: بِشَهْرَةَ.

(٥) الأَزْهَرُ: وَمَا.

(٦) الرَّغْمُ: مَحْنَةٌ أَنْ يَفْعُلَ مَا يَكْرَهُ عَلَى كَرْهِ وَذَلِكَ، وَأَرْغَمَتْهُ: حَمْلَتْهُ عَلَى مَا لَا يَمْتَنَعُ مِنْهُ.

انظُرْ: العَيْنُ. الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ: ج٤، ص٤١٧.

(٧) الأَزْهَرُ: وَفِعَالِهِمْ.

(٨) الأَزْهَرُ: وَفِعَالِهِمْ لَيْسَ شَهْرَةَ.

(٩) الأَزْهَرُ: وَإِنَّمَا هُوَ.

(١٠) الأَزْهَرُ: تَقْدِيدٌ وَاتِّبَاعٌ.

(١١) الأَزْهَرُ: وَإِنَّمَا.

(١٢) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(١٣) الأَزْهَرُ: الْعَبْدُ.

(١٤) الأَزْهَرُ: فَعَلَهَا.

(١٥) الأَزْهَرُ: هِيَ.

(١٦) الأَزْهَرُ: وَإِنَّمَا.

ثم لَيْسَ زَيَّ الْمَاكِينَ مِنَ الصُّوفِ وَغَيْرِهِ لَا سَنَكْرَتَهُ الْعَامَهُ وَشَهَرَتُهُ بِالْحَدِيثِ
وَالذِّكْرِ؛ لَأَنَّهُ خَلَافُ زَيَّهُ وَزَيَّ أَهْلَ بَيْتِهِ، لَأَنَّهُ^(١) قَدْ لَيْسَ ذَلِكَ الْبَلَاسُ مِنَ
الْعَوَامِ وَالْحَمَالِينِ، وَغَيْرِهِمْ؛ فَلَا^(٢) تُشَهِّرُهُ الْعَامَهُ وَلَا تَسْتَنِكْرُهُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ
بَعْضِ وَلَدَانِ عُمُرٍ^(٣) أَنَّهُ لَيْسَ ثَوْبًا، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ^(٤): أَمَّا عَلَيْكَ أَنْ تَفْهُو
شَهَرَهُ، وَكَذِيلَكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِزِيٍّ مِنْ زَيَّ الْأَعْنَيَاءِ فَعِيَّرْ زَيَّهُ إِلَى التَّقْشِفِ^(٥).

كَمْ مِنْ عُرِفَ بِلِيَاسِ^(٦) الْمَرْوِيِّ^(٧) (فَانْتَقَلَ إِلَى الْبَلَاسِ الصُّوفِ وَاسْتَنَكْرَتَهُ الْعَامَهُ
عَلَى قَدْرِهِ، حَتَّى أَنَّهُ لَيَكْسَارِ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ)^(٨)؛ وَهَذَا لَيَكْثُرُ^(٩) فِي الْأَحَادِيثِ، وَكُلُّ
مِنْ عُرِفَ بِلِيَاسِ [مِنْ]^(١٠) الصُّوفِ الَّذِي قَدْ لَيْسَهُ^(١١) الْعَامَهُ فَانْتَقَلَ إِلَى الْمَشْهُورِ

(١) الأَزْهَرُ: لَأَنَّهُ.

(٢) الأَزْهَرُ: فَلَا.

(٣) ولَدَانِ عُمَرُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الخطَّابِ. الْإِمَامُ الْمَجُودُ الْحَافِظُ
أَبُو عَثَمَانَ الْقَرْشِيُّ، سَمِعَ مِنْ: سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، وَالْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَنَافِعَ، وَخَالَهُ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ.
انْظُرُ: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ. الْذَّهَبِيُّ: ج٣، ص٣٥٥.

(٤) ابْنُ عُمَرَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمَرَ بْنَ الخطَّابِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَرْشِيِّ الْإِمَامُ الْمَدْحُودُ، وَفَقِيهُ،
مَحْلُ ثَقَةِ النَّاسِ، رُوِيَ عَنْ: النَّبِيِّ (ص)، أَبُو بَكْرٍ، عَمْرُ بْنِ الخطَّابِ، رُوِيَ عَنْهُ: آدَمَ بْنَ عَلَيِّ، وَأَنْسَ
ابْنَ سَيْرِينَ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، تَوْفَى سَنَةَ ٧٣ هـ جَمَادِيَ الْأَوَّلِ.
انْظُرُ: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ. الْذَّهَبِيُّ: ج٣، ص٢٠٤.

(٥) التَّقْشِفُ: لَيْسَ الثِّيَابَ الْمَرْقُعَةَ الْوَسْخَةَ، وَالْقَشْفُ: شَدَّةُ الْعِيشِ، وَالْمَنْقَشْفُ: الْمُتَرَهِّدُ.
انْظُرُ: التَّعْرِيفَاتُ الْفُقِيهِيَّةُ. مُحَمَّدُ الْبَرْكَتِيُّ: ج١، ص٦٠.

(٦) الأَزْهَرُ: بِلِيَاسِ.

(٧) الْمَصْنُفُ رَحْمَهُ اللهُ.

(٨) قَالَ الْجَنِيدُ الْبَغْدَادِيُّ: (مَاتَ أَبُو الْحَارِثَ وَفِي مَوْتِهِ كَانَ مُحْتَاجٌ إِلَى دَانِقٍ فَضَّةٍ، وَخَلَفَ أَبُوهُ مَا لَا
كَثِيرًا، وَمَا أَحَدُ مِنْهَا).
انْظُرُ: طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكَبْرِيَّةِ. السَّبْكِيُّ: ج٢، ص٢٢٧. مَذَهَبُ أَهْلِ التَّصُوفِ. الْكَلَبَادِيُّ: ج١، ص١٤.

(٩) الأَزْهَرُ: تَكْثُرُ.

(١٠) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(١١) الأَزْهَرُ: لَيْسَهُ.

منه، كالعباء المُخطَّط^(١)، والشَّمْل^(٢)، والبُرُود^(٣)، وعلى زَيِّ الأَغْرَاب، أَلَا تَرَى أَنَّ الْأَغْرَابَ لَا يَسْتَنَكُرُونَ^(٤) ذلك منهم؛ لِأَنَّهُ زَيَّهُمُ الَّذِي يُعْرَفُونَ بِهِ، وَيُسْتَنَكُرُ مِنْ غَيْرِهِمْ، ذلك دَلِيلٌ [عَلَى]^(٥) أَنَّ الشُّهْرَةَ عَلَى أَقْدَارِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الشُّهْرَةَ إِنَّمَا يُسَمُُّونَهَا هَذَا الْأَسْمَ؛ لِإِسْتَنَكَارِ النَّاسِ لَهَا صَارَتْ^(٦) عِنْدَهُمْ شُهْرَةً. وَكَذَلِكَ إِنَّ لِبَسَ الْجَوْرَبَ^(٧) كَلِيَّاًسَ الْمَلَاحِينَ أَسْتَنَكَرَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَلَا يُسْتَنَكُرُ مِنَ الْمَلَاحِينَ، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى قَدْرِ^(٨) النَّاسِ إِذَا^(٩) اتَّقَلَ^(١٠) عَمَّا يُعْرَفَ^(١١) بِهِ فِي زَيِّ أَوْ فِعْلٍ مَّا يُسْتَنَكِرُهُ الْعَامَّةُ كَانَ شُهْرَةً.

وقال قَوْمٌ: لِيَسْ هُوَ عَلَى قَدْرِ الْأَزْمَنَةِ وَلَا عَلَى أَقْدَارِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ عَلَى النَّاسِ الْأَتَّبَاعَ، وَقَدْ كَانَ الصُّوفُ وَغَيْرُهُ لَبَاسٌ مَّنْ مَضَى، وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا تَنَسَّكَ

(١) العباءة المخططة، وتسمى سبان: وهي عبارة عن ملحف صغير مفتوح من الجهة الأمامية لا أكمام لها فيها تقويرات لمد الذراعين خاصة بالبدو، وهي من الصوف الجوخ الرقيق المخطط المبروم الموزع على سطور بيضاء وسوداء.

انظر: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج ٣، ص ١٥٤.

(٢) الشَّمْلُ: هو كِتَاءٌ غَيْرُ مَطَرَّزٍ مَصْنُوعٌ مِنَ الصُّوفِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ «الْبُرْدَةُ هِيَ الشَّمْلَةُ».

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٦٤. السنن الكبرى: ج ٣، ص ٥٦٦.

(٣) الْبُرُودُ: قطعة طَوِيلَةٌ مِنَ الْقَمَاشِ الصُّوفِيِّ السَّمِيكِ، وَمُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ غَطَاءً فِي اللَّيْلِ، وَيَكُونُ لَوْنُهَا رَمَادِيًّا، وَفِي حَدِيثِ أَبِنِ عَمْرٍ: كَانَ الرَّسُولُ (ص) لَهُ بُرْدَةٌ قَصِيرَةٌ يَوْمَ الْفَقْحِ.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب: ج ٢، ص ٤٣. السنن الكبرى. البيهقي: ج ٣، ص ٣٨٨.

(٤) الْأَزْهَرُ: يَسْتَنَكِرُ.

(٥) الْأَزْهَرُ: عَلَى.

(٦) الْأَزْهَرُ: فَصَارَتْ.

(٧) الْجَوْرَبُ: الْجَمْعُ هُوَ جَوَارِبُ، وَجَوْرِيَّهُ أَيُّ الْبَسَهُ الْجَوْرَبُ فَلَبِسَهُ (الْغَةُ)، يَقُولُ الرَّحَالَةُ نَبِورُ (ان) الشَّرِقِيُّونَ يَلْفُونُ أَقْدَامَهُمْ وَسِيقَاهُمْ بِخَرْقٍ صُوفِيَّةٌ كَبِيرَةٌ، وَهَذِهِ الْخَرْقُ تَحْمِيهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، وَيَقُولُ ابْنُ

بَطْوَطَةٍ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَدُونَ الْجَوْرَبَ حِينَ طَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ؛ لِحِسَابِيَّةِ أَقْدَامِهِمْ مِنْ الْحِزَارَةِ.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي : ج ١، ص ٢٥.

(٨) الْأَزْهَرُ: أَقْدَارُ.

(٩) الْأَزْهَرُ: فَإِذَا.

(١٠) الْأَزْهَرُ: اتَّقَلُوا.

(١١) الْأَزْهَرُ: يَعْرَفُونَ.

انتَقَلَ عن زَيْهِ إِلَى زَيْيِ النَّسَائِكِ^(١)، فَمَنْ جَعَلَهُ عَلَى أَفْدَارِ النَّاسِ لَمْ يَأْمَنْ^(٢) مَنْ تَنَسَّكَ أَنْ يَنْزَعَ الْوَشِيَّ^(٣) وَالْخَزَّ^(٤)؛ لِأَنَّهُ قَدْ عُرِفَ بِهِ، وَلَا رُكُوبَ الْمَرَاكِبِ وَمَا أَشْبَهَهُ ذَلِكَ، وَقَدْ تُرَكَّهُ نَفْسُهُ عَلَى ذَلِكَ.

أَمَّا تَنْعُمُهُ بِالدُّنْيَا وَالْتَّكَثُرُ مِنْهَا^(٥) فَمَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ^(٦) يَتَقَلَّلُونَ إِذَا تَأْبُوا وَأَرَادُوا الزُّهْدَ فِي زَيْهِمْ وَأَحْوَاهِمْ إِلَى حَالِ التَّقْشِفِ فِي الْلِّبَاسِ وَغَيْرِهِ، إِمَّا حَرَاماً فِي تَقْلِيلِهِ^(٧) عَنْهُ وَيَأْخُذُونَ الْقَتْلِيلَ مِنْهُ وَيَرْفُضُونَ الرَّفِيعَ مِنَ الرَّزِّيِّ وَاللِّبَاسِ إِذَا^(٨) لَمْ يُمْكِنْهُمْ أَخْدَهُ مِنْ حُوتِهِ^(٩) يَحْلُّ فِي دُعْوَاهُ^(١٠) وَرَعَاهُ وَيَأْخُذُونَ^(١١) [فِي]^(١٢) الْأَقْلَلُ الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَبَاحِ، أَوْ يَرْهَدُوا^(١٣) فِي الدُّنْيَا وَيَدْعُونَ^(١٤) الرَّفِيعَ مِنْ

(١) النَّسَائِكُ: أي غَابِدَ، وهو من النَّسَائِكُ: الْجَبَادُ.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: ج ٢، ص ٢٦٧.

(٢) الأَزْهَرُ: يَأْمَنْ.

(٣) الْوَشِيُّ: العَمَامَةُ الصَّغِيرَةُ، وَتُطَلَّقُ عَلَيْهَا شَاشِيَّةٌ مِنَ الْوَشِيِّ قَصِيرَةٌ لَا تَدْتُورُ إِلَّا عَدَّةَ دَوْرَاتٍ عَلَى الرَّأْسِ.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ١، ص ٦٩.

(٤) الْخَزُّ: وهو قطعة صغيرة من الشاش الموصلي أو من النسيج الصوفي الذي يطوى ويلف عدّة لفات حول الطربوش.

انظر: المعجم بأسماء الملابس عند العرب. رينهارت دوزي: ج ٢، ص ٦٩.

(٥) الأَزْهَرُ: فِيهَا.

(٦) الأَزْهَرُ: النَّاسُ.

(٧) الأَزْهَرُ: فَبِنَتْقُولُونَ.

(٨) الأَزْهَرُ: إِنَّ.

(٩) الأَزْهَرُ: أَمَّا.

(١٠) الأَزْهَرُ: فِي دُعْوَنِهِ.

(١١) الأَزْهَرُ: وَيَأْخُذُونَ.

(١٢) الأَزْهَرُ: فِي.

(١٣) الأَزْهَرُ: يَرْهَدُونَ.

(١٤) الأَزْهَرُ: وَيَدْعُونَ.

الثياب^(١) وغيرها من الحلال ويفتقرُوا^(٢) على الأقل، ويُقدّموا ما أفضى^(٣) منهم لِيَوْمِ الْمَعَادِ، وإنما أُرِيدُ مِنَ الْعِبَادِ قُوَّةً قلوبِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَإِذَا صَحَّ الْعَزْمُ^(٤) مِنَ الْعَبْدِ انتَقَلَ مِنْ رِفْعَةِ الدُّنْيَا إِلَى ضَعَفَتِهَا^(٥) فِي زَيْهِ وَغَيْرِهِ وَرَعَّاً أَوْ رُهْدًا عَلَى الْمِنْهَاجِ وَالسَّبِيلِ وَإِنْ اسْتَنَكَرَ النَّاسُ حَالَهُ، لَأَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَنَكِرُهُ الْجَهَالُ الْمُهْمِكُونُ فِي الْمَعَاصِيِّ.

قدْ يَرِوْا^(٦) غَيْرَهُ مِنَ الرَّزِّيِّ [الذِي]^(٧) لَا يَجُوزُ مِنَ السَّوَادِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَسْتَنَكِرُوا^(٨) ذَلِكَ، وإنما يَسْتَنَكِرُونَ مِنْهُ خَلَافَ حَالِهِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَعْرُفُونَهُ وَلَيْسَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَّبَعَ مَا يَسْتَحِسِنُ النَّاسُ وَلَا مَا يَسْتَنَكِرُونَهُ^(٩)، وَلَكِنَ يَلْزَمُ^(١٠) الْإِيمَانُ مَضِيَّ وَيَتَّبَعُ مِنَ الْلِّبَاسِ وَالرَّزِّيِّ وَغَيْرِهِ مَا هُوَ أَصْلَحُ لِقُلُوبِهِ وَأَرْفَقُ بِهِ فِي عِيشِهِ وَدِينِهِ، وَيَلْهُو عَنِ النَّاسِ وَيُعَامِلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، أَلَا تَرَى قَوْلُ الْحَسَنِ: «حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَارِ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاَهُ»^(١١)، فَقَتِيلٌ: يَا

(١) الأزهر: اللباس.

(٢) الأزهر: يفتقرُون.

(٣) الأزهر: فضل.

(٤) العزم، والعزمية: عقد القلب على إمضاء الأمر، {إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزِمَ الْأَمْرَ}، الشورى: ٤٣، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٦٥.

(٥) ضَعَفَتِهَا: وهو الْخُضُوعُ وَالتَّلَلُ، حديث أبي بكر (رض) قال: قد تضطَعَ بهم الْدَّهْرُ لِمَا أَصْبَحُوا فِي ظَلَمَاتِ الْقُبُورِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٢٥٨٧.

(٦) الأزهر: برونو.

(٧) الأزهر: الذي.

(٨) الأزهر: يَسْتَنَكِرُونَهُ.

(٩) الأزهر: يَسْتَنَكِرُونَ.

(١٠) الأزهر: يَلْزَمُ.

(١١) جاء في الحديث: «حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشَبِّهَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاَهُ، إِلَّا مِنْ عَصَمَتِهِ اللَّهُ». انظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح. شمس الدين العسقلاني: ج ٤، ص ٦٣٥. المعجم

الأوسط. الطبراني: ج ٧ ص ٧٢. ابن مبارك. الزهد: ج ١، ص ٤٤٨.

أبا سعيد، إن الناس إذا رأواك أشarrowوا^(١) إليك بالأصابع، قال: يقولون ماذا؟ قالوا^(٢): يقولون هذا الحسن رجل صالح، قال: «الحمد لله الذي ستر الفبيح وأظهر الجميل»^(٣). إنما أريد بذلك البدع^(٤) في الدين أو الفسوق^(٥) في الدنيا، فآخر^(٦) أن الشهرة ليس هي ما هو أصلح وأفضل^(٧).

وقال قوم: إنما الشهرة على من أرادها وأخذها لغير معنى عذر، ولكن ليُبيّن بها عن العامة وليسُهُروه بها طعناً عليهم ومحالفة لهم، أو ليشهروا ذكره^(٨)، فاماً من أخذها لينفعه دين أو دنيا فليس عليه شهرة، وليسَت من شهرة عند العوام، إلا وقد يفعلها بعض الناس فلا يشتهر^(٩)، قد^(١٠) ترتفع المساكين بعضها على بعض فلا تُشَهِّر العامة بذلك.

(١) الأزهر: يشيرون.

(٢) الأزهر: قالوا.

(٣) الأزهر: «الحمد لله الذي أظهر الجميل وستر الفبيح».

انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم النيسابوري: ج ٢، ص ٢٤٠.

(٤) البدع: من البدعة: هي الأمر المحدث الذي لم يكن عليه الصحابة والتلابون، ولم يكن مما اقتضاه الدليل الشرعي.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد البركتي: ج ١، ص ٤٣.

(٥) الفسوق: من الفسق: أي خروج عن الشَّرِّ، وهو أعم من الكُفر، قال تعالى: **فَسَقَ عَنْ أُمِّ**
رَبِّهِ، الكهف: ٥٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣٦.

(٦) الأزهر: فأخذ.

(٧) الأزهر: أفضل وأصلح.

(٨) الأزهر: ليشهروه إذا ذكر.

(٩) الأزهر: يشَهِّرون.

(١٠) الأزهر: فقد.

وقد يلبسُ الأعراب^(١) الزيَ الشَّنيعَ فلا يَشْتَهِرُوا^(٢) بذلك، [أو]^(٣) ويُلْبِسُ أهْل الصناعاتِ^(٤) الْجِبَابَ^(٥) السُّودَ من الصُّوفِ وسائر الألوانِ، وكذلِكَ الملاحون وأصحابُ الْحَمَامَاتِ وغيرِهِمْ فلا يُشَهِرُهُمْ^(٦) العَوَامُ بذلك، ولو كان ذلك حَرّاً في عينِهِ لَرُمَ على هُؤُلَاءِ أَجْمَعِينَ^(٧).

ولكنَّ مَنْ أَخْدَ الشَّنِيءَ لِغَيْرِ سَبِبِ مُنْفَعَةٍ، وَلَكِنْ يُرِيدُ بِهِ الشُّهَرَةَ وَمِبَايَةَ الْعَامَةِ فَهُوَ الْمُشْهُورُ؛ كَالرَّقَاعُ^(٨) عَلَى غَيْرِ خَرْقٍ وَتَتْبِعُ الشَّنِيعَ^(٩) مِنَ الصُّوفِ فَهَذِهِ الشُّهَرَةُ بَعْيَنِهَا، فَمَنْ^(١٠) أَرَادَهَا وَقَصَدَهَا، وَأَمَّا سِوَاهُمْ مِنَ النَّاسِ فَلَيْسَ^(١١) فِعَالُهُمْ بِشُهَرَةِ.

وقالَ قَوْمٌ: إِنَّمَا كُرِّهَتِ الشُّهَرَةُ خَوْفًا أَنْ يَفْسَدَ الْقَلْبُ^(١٢) بِهَا؛ فَيَصْنَعُ أَوْ يُعْجَبُ أَوْ يَتَكَبَّرُ أَوْ يَتَرَأْسُ، فَإِنَّ الشُّهَرَةَ عَلَى قُدْرِ ضَعْفِ الْقَلْبِ وَقُوَّتِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُرَوَى عَنْ أَبْنَى الْمُسِبِّ^(١٣) أَنَّ سَائِلًا سَأَلَهُ عَنِ الْلِّبَاسِ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدُ:

(١) العرب: يطلق على ولد إسماعيل، وصار ذلك اسمًا لسكان البابية، والأعراب جمّعه.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٥٧.

(٢) الأزهر: يُشْتَهِرُونَ.

(٣) الأزهر: أو.

(٤) أهْل الصناعات: تُغْنِي الْحِرْفَةُ وَالْأَخْرِفَةُ: أي طَبِ حِرْفَةٍ لِلْمَكْسُبِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٢٨.

(٥) الأزهر: الْجِبَابُ.

(٦) الأزهر: يُشْهِرُونَ.

(٧) الأزهر: حَمِيْعًا.

(٨) الرِّقَاعُ مِنَ الرِّقْعَةِ.

(٩) الشَّنِيعُ: هي الْفَضَّاَعَةُ بِالْأَمْرِ، يَعْنِي الْفَقْحُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٦، ص ٢٣٣٩.

(١٠) الأزهر: مِمَّنْ.

(١١) الأزهر: فَلَيْسَتِ.

(١٢) الأزهر: القلوب.

(١٣) أَبْنَى الْمُسِبِّ: هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، الإمام العلم، وسيد التابعين في زمانه، رأى عمر، وسمع عثمان، وعلياً، روى عنه خلقٌ: منهم إدريس بن صبيح، وأسامة بن زيد

«نَقِّ قَلْبَكَ وَالْبَسْ مَا شِئْتُ»^(١)، فَمَنْ قَوَىَ عَلَىٰ أَخْذِ شَيْءٍ مِّنَ الزَّيّْ وَغَيْرِهِ يُرِيدُ
بِهِ رُفْقًا فِي دُنْيَا، أَوْ مَصْلَحةً لِّقَلْبِهِ، أَوْ أَيْقَاضًا^(٢) لِلْعَامَةِ، أَوْ مَبَايِنَ لِلْفَاسِقِينَ، أَوْ
لِسُلْطَانِ، أَوْ لِلْفَقَرَاءِ الْمُخَادِعِينَ ثُمَّ قَوَىَ قَلْبُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ فَعَامَلَ اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَيْسَ
ذَلِكَ مِنْهُ بِشُهْرَةٍ.

وَلَمْ تُحَرِّمِ الشُّهْرَةَ وَلَوْ كَانَتْ مُحَرَّمَةً، وَلَقَدْ كَانَ^(٣) أَصْحَابُ النَّبِيِّ^(٤) صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ دَخَلُوا فِي التَّحْرِيمِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ لَيْسُوا بِالْإِنْسَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَقَدْ
كَانَ قَوْمٌ يَفْعَلُونَ أَشْيَاءً فَهَا هِيَ^(٥) شُهْرَةٌ عِنْدَ الْعَوَامِ طَلْبٌ^(٦) رُفْقٌ فِي دِينِهِمْ أَوْ
دُنْيَا هُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَعْمَشَ^(٧) كَانَ يُقْلِبُ فِرْوَةً وَيُخْرُجُ صُوفَهُ إِلَى الْخَارِجِ؛
لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ أَرْفَقَ بِشَيْءِهِ، وَقَدْ وَضَعَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ^(٨) الْجَوَزَبَ عَلَىٰ رَأْسِهِ،
وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ.

**فَمَنْ قَوَىَ قَلْبُهُ فَلْيُأْخُذِ الْأَشْيَاءَ عَلَىٰ قَدْرِ الْمَنَافِعِ وَلَا يَخْرُجُ عَنِ اتِّبَاعِ مَنْ قَدْ
مَضَىٰ وَلَا يُرِيدُ الشُّهْرَةَ وَلَا يَأْخُذُ الشَّيْءَ لِغَيْرِ مَنْفَعَةٍ كَقَوْمِ رَكَبُوا الْقَصَبَ^(٩)**

اللَّبَثِيُّ، كَانَ مِنْ بَرِزِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، كَانَ أَبِنَ الْمُسِيبِ يَفْتَنُ وَالصَّاحِبَةَ أَحْيَاءَ، وَأَقْهَمَ فِي رَأْيِهِ،
وَأَخْذَتْهُ أَسْمَاءُ عَنْ أَبِيهَا، مَاتَ سَنَةً ٩٣٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي، ج٤، ص٢٢٠. الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج٥، ص٦٠.
الثقات. لابن حبان: ج٤، ص٢٧٣.

(١) انظر: المصنف. عبدالرازق الصناعي: ج٦، ص٣٦. مسنن الإمام أحمد: ج٢، ص١٨١.

(٢) الأزهر: انتعاضاً.

(٣) الأزهر: لدخل.

(٤) الأزهر: الرسول.

(٥) الأزهر: مما هو.

(٦) الأزهر: لطلب.

(٧) سليمان بن مهملان محمد الأسدي، شيخ المحدثين، أصله من نواحي الرزي، قد رأى أنس بن مالك.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة. العسقلاني: ج٧، ص٢٠٢.

(٨) يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطِ الْجَوَزَبَ، الْمَذَاهِدُ: مِنْ سَادَاتِ الْمُشَايخِ، لَهُ مَوَاعِظُ وَحِكَمٌ، رُوِيَ عَنْهُ مُحَلُّ بْنُ خَلِيفَةَ، وَالثُّورِيُّ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٩، ص١٧٠.

(٩) الأزهر: القصب.

القصب، والقصبة: مجاري الماء من العيون.

وَوَضَعُوا الْقَوَاصِرَ^(١) عَلَى رُؤُوسِهِم مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ وَلَا مَنْفَعَةٍ إِرَادَةٍ، وَحَلَقَ بَعْضُهُمْ لِحِيَتِهِ فَهَذَا لَا يَجُوِّرُ لَهُ وَإِنْ قَوِيَ قَلْبُهُ لِسُوءِ إِرَادَتِهِ وَمُحَالَفَتِهِ لِمَنْ مَضَى.

وَكَذَلِكَ لِيَاسُ الشَّعْرَ^(٢) إِلَّا لِضَرَورَةٍ [إِذَا]^(٣) لَا يَجِدُ مَا يَسْتَرِّ بِهِ عَوْرَتَهُ، فَأَمَّا^(٤) أَنْ يَتَعَدَّ خِلَافُ لِيَاسٍ مَنْ مَضَى فَلَا يَجُوِّرُ لَهُ، وَالذِّي أَخْتَارَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتَبَعَ الْعَبْدُ مَنْ مَضَى وَلَا يُخَالِفُهُ وَيَأْخُذُ الْأَشْيَاءَ بَعْدُ عَلَى قُدْرِ مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاِهِ، وَإِنْ اجْتَنَبَ مَا لَا يَلِيسُ إِلَّا مَنْ لَيْسَتِ^(٥) عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى طَلْبِ السَّلَامَةِ لِلْعَامَّةِ، وَإِنْ فَعَلَهُ لِمَصْلَحَةِ دُنْيَا أَوْ دِينٍ فَجَائزٌ لَهُ غَيْرُ حُرْمَمٍ، وَقَدْ كَرِهَ النَّاسُ شُهْرًا كَثِيرًا عَلَى غَيْرِ تَحْرِيمِهِ، وَلَكِنْ إِشْفَاقًا عَلَى الْمُضْعَفِينَ، وَوَجَدَنَا الْأَفْوَيَاءِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَأَعْظَمُ مِنْهُ، الَّذِينَ كَرَّهُوْا ذَلِكَ خَاصَّةً مِنْهُمُ الْحَسَنُ، قَالَ: «إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لِيَمُرُّ بِالْأَذْيَ فَمَا يَمْنَعُهُ مِنْ^(٦) رَفْعِهِ^(٧) عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى حَفَافَةِ الشَّهْرَةِ»^(٨)، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عَبَادَ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: «مِنَ الصَّدَقَةِ إِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ»^(٩)، وَقَالَ: الْإِيمَانُ بِضُعْ وَسَبْعُونَ [بَابًا]^(١٠)

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٦٤١.

(١) القواصر: أصل الكلمة قصر: هي أصول الشجر العظام، وهو من كان له في المدينة أصلٌ ونسب.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٦٤٨.

(٢) لباس الشعر: يسمى القهز: وهو ضرب من الثياب يتخذ من صوف كالمرعزي، وربما يخالطه الحرير، ويشبه الشعر اللين.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم العوتبي: ج ١، ص ٤٠٠.

(٣) الأزهر: إذا.

(٤) الأزهر: أما.

(٥) الأزهر: يلبس.

(٦) الأزهر: فلا.

(٧) الأزهر: يرفعه.

(٨) انظر: الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج ١، ص ٢٤٦. شرح معاني الآثار. أحمد الطحاوي: ج ٢، ص ٩. نخب الأفكار في تتفيق مباني الأخبار في شرح معاني الآثار. محمود بدر الدين: ج ٧، ص ٥٢٥.

(٩) صحيح مسلم. مسلم بن حجاج: ج ١، ص ٦٣.

(١٠) الأزهر: باباً.

وأَدَنَاهَا إِمَاطَةً الْأَذى عَنِ الْطَّرِيقِ»^(١).

ثُمَّ الْحَسَنُ[نَفْسُهُ]^(٢) الَّذِي كَرَهَ ذَلِكَ يَقُولُ يُذَكِّرُ النَّاسَ وَيُخْطِبُهُمْ^(٣) وَيُفْتَنُهُمْ؛ فَذَلِكَ أَعْظَمُ لِلشُّهْرَةِ^(٤) مِنْ إِمَاطَةِ الْأَذى عَنِ الْطَّرِيقِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا حَظَرَ^(٥) ذَلِكَ عَلَى الْصُّفَعَاءِ كِرَاهَتَهُ^(٦) أَنْ يَمْبَلُوا إِلَى التَّصْنُعِ وَغَيْرِهِ، قَالَ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَزُورُهُ الزَّوَارُ فَمَا^(٧) يَقُولُ اللَّيْلَ حَفَافَةَ الشُّهْرَةِ) وَعَنْ مَنْ مَضَى خَلَافُ ذَلِكَ مَا^(٨) كَانَ يُوقَظُهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ إِلَّا قِرَاءَةً مَعَادَ^(٩) الْقَارِئِ فِي اللَّيْلِ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ فِي جَهْرِهِ بِصَوْتِهِ بِاللَّيْلِ فَقَالَ: (أَوْقَظَ الْوَسْنَانَ^(١٠) وَأَطْرَدَ الشَّيْطَانَ)^(١١) فَهَذَا لِلقوِيِّ وَذَلِكَ لِلضَّعِيفِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: (إِنْ كَانَ لِلرَّجُلِ لِتَائِيَ الدَّمْعَةِ فَيَصْرُفُهَا إِلَى الضَّحَكِ)^(١٢) حَفَافَةُ الشُّهْرَةِ، وَقَدْ بَكَى مَنْ مَضَى مِنَ الصَّالِحِينَ حَتَّى ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا

(١) انظر: صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل: ج ١، ص ١٣.

(٢) الأَزْهَرُ: نَفْسُهُ.

(٣) الأَزْهَرُ: وَيُخْطِبُ النَّاسَ.

(٤) الأَزْهَرُ: شُهْرَةً.

(٥) حَظَرَ: كُلَّ مِنْ حَالٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَيْءٍ فَقَدْ حَظَرَهُ عَلَيْكَ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهاوي: ج ٤، ص ٢٦٢.

(٦) الأَزْهَرُ: كِرَاهَتَهُ.

(٧) الأَزْهَرُ: فَلَا.

(٨) الأَزْهَرُ: فَمَا.

(٩) مَعَادُ بْنُ جِيلٍ: هُوَ ابْنُ عُمَرَ بْنِ أَوْسٍ بْنِ عَاذِنَ رَوَى عَنْهُ: ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ، جَمِيعُ الْقُرْآنِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، تَابَعَهُ إِبْرَاهِيمُ التَّخْعِي عَنْ مُسْرُوقٍ، وَسَالِمُ مُولَى أَبِي حَذِيفَةَ، مَاتَ سَنَةُ ١٨٠ هـ.

انظر: سِيرُ أَعْلَامِ نَبِلَاءِ الْلَّذَّهِيَّيِّ: ج ١، ص ٤٤٤.

(١٠) الْوَسْنُ: الْغَفْلَةُ، وَالْغَفْوَةُ وَرِجْلُ وَسْنَانٍ، وَتَوْسِنَهَا: غَشِيشَةُ نَائِمَةٍ، وَيُرِى أَنَّ وَسْنَ: لِتَصْوِرِ النَّوْمِ.

انظر: مفردات أَفْلَاتِ الْقُرْآنِ. الأَصْفَهَانِيُّ: ص ٨٧٢.

(١١) انظر: الْمُسْتَدِرُكُ عَلَى الصَّحِيحِيْنِ. الْحَاكمُ التِّبَسِيُّورِيُّ: ج ١، ص ٦١٧. الْسُّنْنُ الْكَبِيرُ. النَّسَائِيُّ: ج ٢، ص ٩.

(١٢) انظر: الرَّقَةُ وَالبَكَاءُ. لَأَبِي دَنِيَا: ج ١، ص ١٣٢.

رَوَى ابن الشَّحِير^(١) عن أَبِيهِ [عَنْ جَدِّهِ]^(٢).

قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصْلِلُ فَسِمِعْتُ لِصَدْرِهِ أَزِيزًا^(٣) كَأَزِيزٍ^(٤) الْمِرْجَلَ^(٥) مِنَ الْبُكَاءِ»^(٦) وَمِنْ ذَلِكَ: ((أَنَّ عُمَرَ لَمَّا لَقِيَ أَبَا عُبَيْدَةَ بِالشَّامِ قَبْلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْ صَاحِبِهِ وَبَكَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ، وَقَدْ اجْتَمَعَتْ بِالشَّامِ أُمَّرَاءُ الْأَجْنَادِ وَأَجْنَادِهِمْ^(٧) يَنْتَظِرُونَ إِلَيْهِمْ^(٨)، وَبَكَى فِي الصَّلَاةِ حِينَ أَتَى عَلَى ذِكْرِ يَعْقُوبَ حَتَّى سَمِعَ نَشِيْجَهُ^(٩) مِنْ وَرَاءِ الصَّفَوفِ»^(١٠)، ثُمَّ الْحَسْنُ نَفْسُهُ قَالَ: الْرَّبِيعُ بْنُ صَبِّحٍ^(١١) ((مَا دَخَلْتُ عَلَى الْحَسْنِ قَطُّ إِلَّا وَجَدْتُهُ

(١) هو: يزيد بن عبد الله بن الشحير، أبو العلاء العامري، البصري، أحد الأئمة، حدث عن: أبيه، وأخيه، ومطرف بن عبد الله، وعمران بن حسين، حدث عنه: قتادة، وسعيد الجريبي، كبير القدر. مات سنة ١١١هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٤٩٤.

(٢) الأزهر: عن جده.

(٣) الأزهر: أزيرًا.

أزير: خنين في الجوف، إذا سمعته كأنه يبكي. صوت التشيش.

انظر: العين. الخليل الفراهيدي: ج ٧، ص ٢٩٨.

(٤) الأزهر: كأزير.

(٥) الرجل: الإناء الذي يغلي فيه الماء، وسواء كان من حديد أو صفر أو جحارة أو حَزَف.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٤١٧٠.

(٦) انظر: المستدرك في الصحيحين. الحاكم النسابوري: ج ١، ص ٣٩٠. مسند الإمام أحمد: ج ٤، ص ٢٧. غريب الحديث. إبراهيم الحربي: ج ٣، ص ٩٨١.

(٧) الأزهر: الأجناد.

(٨) الأزهر: إليهمـا.

(٩) النشج: الصوت، والنشيج: أشد البكاء ومثل بكاء الصبي، وفي حديث عمر رحمة الله: أَتَهُ صَلَى الْفَجْرِ بِالنَّاسِ فَقَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ حَتَّى جَاءَ نِذْكُرَ يُوسُفَ بَكَى حَتَّى سَمِعَ نَشْجَهُ خَلْفَ الصَّفَوفِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٤٤٢٠.

(١٠) انظر: المصنف. عبد الرزاق الصناعي، ج ٢، ص ١١١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علاء الدين المتنقي: ج ١٢، ص ٥٧٤.

(١١) الأزهر: صبحـ.

هو: الربيع بن صبح البصري العابد، الإمام، أعيان مشايخ البصرة، كان كبير الشأن، مات سنة ٤٦٠هـ.

عاصِيَا عَلَى أَصْبِعِهِ تَدْمُعُ عَيْنَاهُ((٢))، وَإِبْرَاهِيمُ دَخَلَ عَلَيْهِ[رَجُلٌ]((٣)) فَأَطْبَقَ الْمُصَحَّفَ وَقَالَ: ((أَلَا ((٤)) يَرَى ((٥)) هَذَا الدَّاخِلُ مِنِّي أَنَا((٦)) نَفَرَأُ كُلَّ يَوْمٍ))((٧))، دَارِي قَلْبَهُ خَشْيَةَ التَّصْنِعِ((٨))، وَقَدْ دَخَلَ [رَجُلٌ]((٩)) عَلَى أَبِي عَامِرٍ((١٠)) وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصَحَّفِ((١١)) فَقَالَ: ((فَاتَّيَ جُزْءٌ مِّنَ اللَّيلِ فَقَرَأْتُهُ))((١٢))، وَمَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ يَقْرُؤُونَ فِي مَصَاحِفِهِمْ وَمَسَاجِدِهِمْ وَغَيْرَهَا، وَإِنَّا ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ الْضَّعْفِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا مَا كَانَ خَلَفَ رِزْيَ مَنِ مَضِيَ فَلَا يَجُوزُ إِلَّا أَنْ يَضْطَرَ عَبْدًا((١٣)) إِلَيْهِ.

فَأَمَّا أَخْذُهُ لِلتَّزِينِ فَلَا، وَذَلِكَ كَالرَّجُلِ لَا يَجِدُ مَا يَسْتَرُّ بِهِ عَوْرَتَهُ إِلَّا بِمَسْحٍ أَوْ

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ٢٨٨.

(١) الأزهر: عيناه تدمع.

(٢) انظر: الرقة والبكاء. لأبي دنيا: ص ١٦٨.

(٣) الأزهر: رجل.

(٤) الأزهر: لئلا، (أَنْ لَا).

(٥) الأزهر: يرى.

(٦) الأزهر: أنت.

(٧) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية. عبد الله المقدسي: ج ١، ص ٢٦٧. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٦٠.

(٨) التَّصْنِعُ: إِجَادَةُ الْفَعْلِ، فَكُلُّ صَنْعٍ فَعْلٌ، وَلِيُّسْ كُلُّ فَعْلٍ صَنْعًا، قَالَ تَعَالَى: {صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ}، النَّمَل: ٨٨.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٩٢.

(٩) الأزهر: رجل.

(١٠) أبو عامر: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، شيخ الإسلام، حجة الأمة، مات سنة ١٧٩هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٤٩.

(١١) المصحف: مجموع من الصحف في مجلد، وغلب استعماله في القرآن الكريم، وهو مصدر الكتاب المنزَلُ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ (ص) تسمية القرآن من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، قال تعالى: {تَبَيَّنَ لَكُلُّ شَيْءٍ}، النَّحل: ٨٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٦٩.

(١٢) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٤٩.

(١٣) الأزهر: لعبد أن يضطر.

جَلْدٌ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا مُوسَى^(١) قِيلَ لَهُ أَنَّ قَوْمًا يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجَمْعِ مِنْ أَجْلِ
ثِيَّابِهِمْ - يَعْنُونُ دِنَاءَتَهَا - فَلَيْسَ قَطِيفَةً ثُمَّ خَرَجَ فَخَطَبَ بِالنَّاسِ فِيهَا وَصَلَّى بِهِمْ
الْجَمْعَةَ.

(١) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، الإمام الكبير صاحب رسول الله (ص)، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ، أَفْرَأَ أَهْلَ الْبَصْرَةَ، وَفَقِهُهُمْ فِي الدِّينِ، بَعْثَهُ عَمَرٌ

أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةَ، تَوَفَّى سَنَةُ ٥٤٤ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٣٩٦.

مسألة فيمن أُمّ قوماً فألزم قلبه الحذر
من الخطأ واللحن ماذا له وماذا عليه؟

قلت: فما تقول في الرجل يوم^(١) القوم فيما يجهّر به، فيلزم^(٢) قلبه الحذر أن يُخطئ في قراءته أو يُلحن^(٣) فيها ماذا له، وماذا عليه؟

قال: إن ذلك على وجوه، فمنها ما هو عليه، فأمّا الذي هو له فهو أن يغلب على قلبه حب إكمال صلاته وتمام قراءته وتلاوته^(٤) كتاب ربّه على ما أنزله لا يقارن ذلك خطأ ولا لحن إذا علم أن ذلك محبة لربه فيغلب على قلبه الرغبة في ذلك والحدّر من التقصير عنه لعيدي فرضه كاملاً ويسعّ الله تعالى منه تلاوة كلامه^(٥) كما يحب أن يتلوه عباده إذا أقاموا بين يديه لأداء فرضهم^(٦) أو يتلوه في غير صلاة، فذلك مأجور على حذر ومتّاب^(٧) على قدر^(٨) همته ونيّته، وأعظم مقاماً من ذلك وأجزأ^(٩) ثواباً من نوى مع حذره

(١) أم، يوم: تعني الإمام تقىض الولاء، ويُكون اسم ظرف.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ١٣٩.

(٢) فيلزم: أي إلزام، إلزام بالحكم، قال تعالى: **{أَلْرَمْكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ}**. هود: ٢٨.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٤٠.

(٣) اللحن: له ستة معانٌ منها اللُّغَةُ، والغُنَاءُ، والفُطْلِيَّةُ، لقوله تعالى: **{وَلَتَغْرِفُهُمْ فِي لَهْنِ الْقُوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ}**، محمد: ٣٠.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٤٠١٤.

(٤) الأزهر: تلاوة.

(٥) الأزهر: كتابه.

(٦) الأزهر: فروضَهم.

(٧) الأزهر: ويتّاب.

(٨) الأزهر: قدر.

(٩) الأزهر: وأجل.

من الخطأ في تلاوة كلام ربِّه واللَّحن فيه أن يَكُون مُناجيًّا^(١) لربِّه بلسانه وقلبه؛ يَفْهَم ما يَتْلُو ويعْقِل مَمَّا يَقُول، فَهُوَ مَعَ حَذْرَه لِلْخَطَأِ وَاللَّهُنْ مُهَمَّ بِالْفَهْمِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا، يَتْلُو عَالِمًا^(٢) بَيْنَ يَدِي مَنْ هُوَ وَلِيَنَ^(٣) يُنَاجِي وَرَضِيَ مَنْ يَطْلُبُ فِي مَقَامِهِ وَمُنَاجَاتِهِ.

وأَعْظَمُ مَنْ^(٤) ذَا مَنْزِلَةً مِنْ قَرْن^(٥) مَعَ هَذِهِ الْهَمَّةِ عَظِيمُ الرَّغْبَةِ، وَحَسْنِ الظَّنِّ، وَهِيَ جَانِبُ [رَغْبَة]^(٦) الْأَمْلَ أَنْ يَرْضِي عَنْهُ فِي مَقَامِهِ، وَيَقْبَلَهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَيَحْوِلَهُ عَمَّا هُوَ مَقِيمٌ عَلَيْهِ وَيَطْهُرُهُ مَا يَتَدَنَّسُ^(٧) بِهِ رَاجِ^(٨) لِذَلِكَ، مَعْلِقًا^(٩) [بِهِ]^(١٠) قَلْبَهُ [وَ]^(١١) بِمَا عَنْدَ رَبِّهِ يَتَرَضَّاهُ وَيَتَمَلَّقُهُ وَمُسْتَبْصِرٌ^(١٢) بِهِ، مَتَوْقَعًا لَهُ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ.

(١) مُنَاجِيًّا: وهي مُنَاجَاهُ اللَّهُ فِي السُّرِّ وَالْعَلَانِيَّةِ قَالَ تَعَالَى: {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجِيُوا بِالْأَنْتُمْ وَالْغُدُوَانِ} المجادلة: ٩، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٩٣.

(٢) الْأَزْهَرُ: عَالَمٌ.

(٣) الْأَزْهَرُ: مَنْ.

(٤) الْأَزْهَرُ: مِنْهُ.

(٥) الْأَقْرَانُ: مَنْ قَرْنٌ: وَهُوَ الْأَزْدِوَاجُ فِي كُونِهِ اجْتِمَاعُ شَيْئَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: {الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنَيْنِ}، الزُّرْخُ: ٥٣.

انظر: التَّقْيِيَّةُ فِي الْلُّغَةِ. الْيَمَانُ بْنُ أَبِي الْيَمَانِ الْبَنْدِنِيِّيِّ: ج ١، ص ١٨٤.
(٦) الْأَزْهَرُ: الرَّغْبَةُ.

(٧) يَتَدَنَّسُ مِنَ الدَّنْسِ: ضَدِ النَّظَافَةِ وَالنَّقَاءِ.

انظر: جَمِيْهَةُ الْلُّغَةِ: مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ دَرِيدِ الْأَزْدِيِّ ج ٢، ص ٦٤٨.

(٨) الْأَزْهَرُ: رَاجِيًّا.

(٩) الْأَزْهَرُ: مَتَعْلِقًا.

(١٠) الْأَزْهَرُ: بِهِ.

(١١) الْأَزْهَرُ: وَ.

(١٢) الْأَزْهَرُ: وَيَتَبَصَّرُ. لَغَةُ أَهْلِ مَصْرُ فِي الَّذِي يَنْظَرُ بِلَذَّةِ وِلْهَفِ.

مُسْتَبْصِرٌ: مَنْ بَصَرَ وَالْتَّبَصَرُ فِي الشَّيْءِ: التَّأْمِلُ وَالتَّعْرِفُ، هُوَ أَنْ يَتَضَعَّ لَهُ الْأَمْرُ حَتَّى كَأْنَهُ يَبْصُرُهُ.

انظر: الْعَيْنُ. لِلْفَرَاهِيْدِيِّ: ج ٧، ص ١١٧. الْفَرْوَقُ الْلُّغَوِيُّ. الْحَسَنُ بْنُ الْعَسْكَرِيِّ: ج ١، ص ٨٢.

وأقلّ من ذلك أن ينظر إليه بالرضا والمحبة، وقد ألزم قلبه مع ذلك هيungan الخوف وحركة الخدر والتهاب الإشفاقة^(١) وانكسار الرّهبة^(٢) والوجل^(٣) لما قد مضى من سالف ذُنوبه ولما هو مقيم عليه لم يزغ^(٤) عنه إلى ربّه فهو قائم يبن يديه بغير^(٥) ظهارة^(٦) ولا أعذار فيها أوجب عليه فهو خائف مُشفقٌ من مقت^(٧) ربّه وجّل^(٨) راهب^(٩) فزع^(١٠) فرق^(١١) أن ينظر إليه بالبغضة^(١٢)، وأن يلقاه بالمقت

(١) الإشفاقة: هو العناية مختلطة بخوف، قال تعالى: **{وَهُم مِنَ السَّاعَةِ مُشْفَقُونَ}**، الأنبياء: ٤٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٥٨

(٢) الأزهر: الزهد.

(٣) الوجل: أي: وجّل يُوجّل استشعار الخوف، قال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّ قُلُوبُهُمْ}**، الانفال: ٢.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٥٥

(٤) الأزهر: يتزحزح عنه.

يزغ: أي الميل عن الاستقامة قوله تعالى: **{فَلَمَّا زَاغُوا أَزْغَ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ}**، الصف: ٥، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٨٧

(٥) الأزهر: بلا.

(٦) الأزهر: طهارة.

طهارة: يعني بالظّهارة: من البروز في الشيء، قال تعالى: **{فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْهِ أَحَدًا}**، الجن: ٢٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٤١

(٧) المقت: أشد الإبغاض، لمن نراه تعاطي القبيح، قال تعالى: **{إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتَنِ وَسَاءَ سَبِيلًا}**، النساء: ٢٢، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧٧٢

(٨) الوجل: استشعار الخوف، قال تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّ قُلُوبُهُمْ}**، الأنفال: ٢.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٥٥. الإبانة في اللغة العربية: ج ٤، ص ٥٣٣

(٩) راهب من ربّه: مخافة مع تحزّز واضطراب، قال تعالى: **{وَاصْنُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ}**، القصص: ٣٢، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٦٦

(١٠) الفزع: انقباض والنفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، قوله تعالى: **{لَا يَخْرُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ}**، الأنبياء: ١٠٣.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣٥

(١١) الفرق: هو يقارب اعتباراً بالانصال، قال تعالى: **{وَإِذْ فَرَقْنَا بَعْضَ الْبَحْرَ}**، البقرة: ٥٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣٢

(١٢) بالبغضة: نفّار الشيء عن الشيء ضدّ الحبّ، قال الله تعالى: **{وَلَقِيَنَا بِيَنَّهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ}**

والسخط فلا يرحم مقامه ولا يُحِبُّ دعوته ولا يُغْيِثُ^(١) تضرعه^(٢)، ويُحِبُّ عنه صوته ولا يقبل صلاته إذا كان جميع ذلك مستحقاً من ربه؛ فالخوف والرجاء قد غلباً على قلبه مع تيقظه وشدة^(٣)، [وـ]^(٤) فهمه لما يتلو من كلام ربّه؛ فتارة يكاد [قلبه]^(٥) أن يطير فرحاً لما هاج من الأمل والرجاء أن ينظر إليه سيده وموله^(٦) بالرضا والخطوة، وتارة أخرى يكاد أن يندوب [قلبه]^(٧) غمّة^(٨) ويطير قلبه فرعاً [ورعياً]^(٩)، ويغلب على قلبه تعباً عند هيجان المخافة، والحدر والإسقاف والرهبة من نظر المولى إليه بالمقت والبغضة؛ فينصرف بلا يأس^(١٠) ولا خيبة^(١١).

المائدة: ٦٤

¹³⁶ انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٣٦.

^{٦١٧} انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦١٧.

(٤٢) تصرّعه: من التصرّع: أي ضَعْفٌ وذُلٌّ: قال تعالى: **الْعَلَمُ يَتَضَرَّعُونَ**، الأنعام: ٤٢.

^{٥٠٦} انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٠٦.

(٣) الأزهر: وشدة تبنته.

(٤) الأَزْهَرُ : وَفِيهِمْ

(٥) الأَزْهَرُ : قَلْبَهُ.

٦) الأَزْهَرُ : مَوْلَاهُ وَسَدِيهُ.

الأشهر : قوله (٧)

(٨) غمًا: من الغم: الكرب أو الخزن يحصل للقلب بسبب ما، قال تعالى: **لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةٌ**، يومن: ٧١.

^{٦١٤} انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦١٤.

الآذهر: (٩)

(١٠) يأس: الياء والهمزة والسين. كلمتان: إداهما اليأس: قطع الرجاء.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس الرازي: ج٦، ص١٥٣.

(١١) خيبة: من خاب: الخسran، عدم تحقق الأمل، قال تعالى: {فَتَخَبَتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ}، الحج: ٥٤.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهانی: ص ٢٧٢.

فهو [يَنِّ][^(١)] في هاتين الحالتين يتردّد، ولمعاني كلام رَبِّهِ [^(٢)] يفهمُ مع ما [^(٣)] يغلُّ على قلبه في أكثر أحواله في صلاته [من][^(٤)] إجلالٍ مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدِيهِ وَتَعْظِيمٍ مِنْ قَصْدَ إِلَيْهِ وَتَحْبِبَةٍ مَنْ مَنَّ [^(٥)] عَلَيْهِ بِمَنْاجاتِهِ، فَذَلِكَ دَائِبٌ [^(٦)] حَتَّى يَنْصُرَفَ مِنْ صلاته، فَإِذَا انْفَتَلَ [^(٧)] [كَانَ][^(٨)] مِنْهَا وَجْهُهُ غَيْرُ الْوَجْهِ الَّذِي دَخَلَ بِهِ [فِي][^(٩)] هَيَّأَتِهِ وَسَخْتَهُ [^(١٠)]؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَزُلْ يُلْحُنُ [^(١١)] عَلَى قلبه بالفُهْمِ عَنْ رَبِّهِ بِالرَّجَاءِ [^(١٢)] وَالْوَجْلِ وَالْإِشْفَاقِ مِنْهُ، وَلِلرَّجَاءِ [^(١٣)] وَالْطَّمَعِ إِلَى مَا عِنْدَهُ، وَالْتَّبَّاجِيلِ [^(١٤)] وَالْتَّعْظِيمِ جَلَالِهِ؛ فَانْصَرَفَ بِوْجِهٍ يَنْكُرُهُ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ إِشْرَاقِهِ مَعَ انْكِسَارِ قَدْ شَابَهُ [^(١٥)].

(١) الأَزْهَرُ: بَيْنَ.

(٢) الأَزْهَرُ: رِبِّهِ.

(٣) الأَزْهَرُ: لَمَّا.

(٤) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(٥) المَنْ: النَّعْمَةُ: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالْفَعْلِ، قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}، آلُ عُمَرَانَ: ١٦٤. انْظُرُ: مُفَرَّدَاتُ أَفْلَاطُ الْفَرَنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص ٧٧٧. النَّظَمُ الْمُسْتَعْذِبُ فِي تَقْسِيرِ غَرِيبِ الْأَفْلَاطِ. مُحَمَّدٌ بَطَالُ الرَّكْبِيُّ: ج ١، ص ٧٣

(٦) دَائِبٌ: دَائِبٌ فِي عَمَلِهِ: جَادُ، مُنْهَمِكُ، وَهِيَ مِنَ الْعَادَةِ وَالْمَلَازِمَةِ. انْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج ٣، ص ١٣١٠.

(٧) فَتَلَ، يَفْتَلُ، مَصْدَرُ فَتَلٌ فَهُوَ أَفْتَلُ، وَهِيَ فَتْلَاءُ أَيْ انْصَرَفَ فَلَانَ عَنْ صَلَاتِهِ. انْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج ٧، ص ٣٣٤٤.

(٨) الأَزْهَرُ: كَانَ.

(٩) الأَزْهَرُ: فِي.

(١٠) سَخْتَهُ: مِنْ تَغْيِيرِ اللَّوْنِ إِذَا حَسْتَهُ سَخْتَهُ.

انْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج ٧، ص ٩..

(١١) يُلْحُنُ: الإِقْبَالُ عَلَى الشَّيْءِ لَا يَفْتَرُ عَنْهُ.

انْظُرُ: الْعَيْنِ. الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ: ج ٣، ص ٢٩.

(١٢) الأَزْهَرُ: الرَّجَاءُ.

(١٣) الأَزْهَرُ: الرَّجَاءُ.

(١٤) التَّبَّاجِيلُ: مِنَ التَّبَّاجِيلِ أَيْ وَقْرٌ وَالْتَّعْظِيمُ.

انْظُرُ: الْزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلْمَاتِ النَّاسِ. مُحَمَّدُ بْنُ الْفَاسِيِّ: ج ١، ص ١٨٨.

(١٥) شَابَهُ: مَا جَاءَ عَلَى صُورَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَأُنْثَوَيْهُ مُنْتَشِبِهِمَا}، الْبَقْرَةُ: ٢٥.

وإِنَّ ذَلِكَ لَمَوْجُودٌ فِي فِطْرَنَا^(١) أَنَّ^(٢) أَحَدُنَا لَيُدْخِلَ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ أَوْ
بَعْضِ مَنْ يَطْمَعُ فِيهِ وَيَخَافُهُ^(٣) فَيَقُولُ بَيْنَ يَدِيهِ غَيْرَ الْقِيَامِ الَّذِي كَانَ فِيهِ قَبْلَ
أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ وَيَخْرُجَ عَنْهُ^(٤) بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي دَخَلَ بِهِ، فَكَيْفَ بَرَّ الْعَالَمِينَ
الْقَدِيمِ الَّذِي لَمْ^(٥) يَزِلْ وَلَا يَزَالُ، وَالَّذِي لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌ كَانَ وَلَا يَكُونُ.

وَأَمَّا الَّذِي عَلَيْهِ فَهُوَ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى قَلْبِهِ خَوْفَ مَذْمَةٍ مِنْ خَلْفِهِ إِنْ أَخْطَأْ أَوْ
لَحَنْ، وَالرَّغْبَةُ فِي مَعْرِفَتِهِمْ إِيَّاهُ بِالْحَفْظِ وَحُسْنِ التَّلَاوَةِ؛ لِيَعْرِفُوا أَنَّهُ قَدْ قَرَأَ عَلَى
الرِّجَالِ وَأَنَّهُ حَافِظٌ لِلْقُرْآنِ، وَقَدْ تُصَبِّيْهُ هَذِهِ الْفَتْنَةُ فِي صَلَاتِهِ وَ[قَدْ تُصَبِّيْهُ]^(٦)
قَبْلَهَا لِعَلَّهُ^(٧) يَظْلِمُ بَعْضَ نَمَارِهِ أَوْ لِيَلِهِ يَتَلَوُ السُّورَةَ الَّتِي يَرِيدُ قِرَاءَتَهَا وَيَتَعَاوَهُ
خَطَاهَا^(٨) وَحَوَاهَا^(٩) خَوْفًا أَنْ يَتَلَوُهَا فِي صَلَاتِهِ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَلَيْسَ عَهْدَهُ بِتَلَوِّهِ
قَرِيبٌ^(١٠).

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٣٤.

(١) فِطْرَنَا: من الفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا الْمَوْلُودُ، وَقُولُ النَّبِيِّ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّ
عَلَى الْفِطْرَةِ».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٤٣٤.

(٢) الأَزْهَرُ: فَإِنْ.

(٣) الأَزْهَرُ: وَيَخَافُ مِنْهُ.

(٤) الأَزْهَرُ: مِنْ عَنْدِهِ.

(٥) الأَزْهَرُ: ذَلِكَ وَمِنْ.

(٦) الأَزْهَرُ: قَدْ تُصَبِّيْهُ.

(٧) الأَزْهَرُ: الْعَلَّةُ.

(٨) خَطَاهَا: مِنَ الْخُطُوَّةِ مَا بَيْنَ الْقَدَمَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَتَبَغُوا خُطُوَّاتِ الشَّيْطَانِ}، الْبَقْرَةُ/١٦٨.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٨٨.

(٩) حَوَاهَا: مِنْ حَوَى الشَّيْءَ: جَمْعُهُ، يَحْوِي الْكِتَابُ مُخْتَارَاتٍ وَاصْلَهُ مِنْ حَوْبَتِهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٧١.

(١٠) الأَزْهَرُ: قَرِيبًا.

مُسْتَعِدًا لَهُمْ بِالْحَذْرِ وَالتَّلَوَّةِ قَبْلَ أَنْ لَا يَدْخُلَ^(١) فِي صَلَاتِهِ لَا يَرِيدُ [وَجْهَهُ]
 (٢) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ بِذَلِكَ، وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِهِ إِلَّا مُخَافَةً تَخْطِيئِهِمْ^(٣) إِيَاهُ وَالْحَذْرُ مِنْ
 [ذَلِكَ وَمِنْ] ذَمِّهِمْ حَتَّى يَدْخُلَ فِي صَلَاتِهِ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنْ أَجَادَ الْقِرَاءَةَ وَحْفَظَ
 مُوَاضِعَ مَا كَانَ يَخَافُ^(٤) مِنْ الْخَطْأِ وَاللَّحْنِ سُرًّا وَاسْتَبِشَ لِغَيْرِ التَّقْرُبِ إِلَى اللَّهِ
 عَزَّ وَجَلَ بِذَلِكَ، وَإِنْ أَخْطَأَ وَلَحْنَ حَزَنَ [لِذَلِكَ]^(٥) وَاغْتَمَ^(٦) لِغَيْرِ مُخَافَةٍ نَقْصٍ
 فِيهَا بَيْنُهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ فَضْلِ التَّالِيَّنَ لِكَلَامِ رَبِّهِمْ كَمَا يَحْبُّ مِنْهُمْ، فَكَفَى بِذَلِكَ
 بَلِيهَ^(٧) إِذْ صَارَ عَامَّةً فَرْحَهُ وَحُزْنَهُ فِي صَلَاتِهِ لِغَيْرِ طَلْبِ رَضْيِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
 وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُشْتَغَلٌ بِالْحَزْنِ وَالْفَرَحِ [بَعِيدًا]^(٨) عَنْ فَهْمِ مَا يَتَلَوُ مِنْ كَلَامِ رَبِّهِ،
 وَأَنْ^(٩) يَؤْدِي فَرَضَةً بِحُضُورِ عَقْلِهِ، فَلَيْسَ بِمَأْجُورٍ عَلَى مَا تَلَّا^(١٠) قَبْلَ صَلَاتِهِ إِذَا
 كَانَ لَمْ يَتَلَوْهُ^(١١) لَخْشِيَّةً وَلَا إِرَادَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا لَثَوَابِ التَّلَوَّةِ عَلَيْهِ. فَأَمَّا^(١٢)

(١) الأَزْهَرُ: يَدْخُلُ.

(٢) الأَزْهَرُ: بِذَلِكَ.

(٣) الأَزْهَرُ: تَخْطِيئُهُمْ.

(٤) الأَزْهَرُ: يَخْشِي.

(٥) الأَزْهَرُ: لِذَلِكَ.

(٦) وَاغْتَمَ: مِنْ غَمَ الشَّيْءِ: فَازَ بِهِ، رَبِحَهُ، نَالَهُ بِلَا مُشَفَّةَ، عَكَسَهُ غَرَمٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «الصُّومُ فِي الشَّتَاءِ الْغَنِيمَةِ الْبَارِدَةِ»

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٣٠٧.

(٧) بَلِيهَ: هِيَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْأَخْتِبَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَتَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَشَّتَهُ}، الْأَنْبِيَاءُ: ٣٥.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٢، ص ٣٥٥.

(٨) الأَزْهَرُ: بَعِيدًا.

(٩) الأَزْهَرُ: عَنْ.

(١٠) ثَلَاثَ الشَّيْءَ: شَيْعَهُ ثُلُوْثًا فَلَانَ الْقُرْآنَ يَتَلَوُ تِلَافِيًّا.

انظر: العين. الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ عُمَرَ بْنِ تَمِيمٍ الْفَرَاهِيدِيِّ: ج ٣، ص ١٨٤.

(١١) الأَزْهَرُ: بِيَتَهُ.

(١٢) الأَزْهَرُ: وَامَّا.

فِرْضُهُ فَهُوَ مُجْزَئٌ عَنْهُ وَالتَّلَاوَةُ فِيهِ لِكَلَامِ رَبِّهِ، غَيْرَ أَنَّ^(١) مَعَهُ تَقْصِيرٌ^(٢) فِي تَلَاوَةِ كِتَابِ رَبِّهِ أَنْ يَتَلَوَّهُ كَمَا أَنْزَلَهُ مُولَاهُ وَكَمَا يَحِبُّ رَبُّهُ أَنْ يَسْمَعُهُ مِنْهُ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكُ فَتْنَةً أَنَّهُ مُتَهَمٌ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي صَلَاتِهِ مُعْتَقِدًا لَأَيِّ سُورَةٍ يَقْرَأُهَا^(٣) مَا فِيهَا التَّخْوِيفُ الَّذِي يَسْتَهِرُ الشَّجَوُ^(٤) وَالْأَحْزَانَ مَا بِهِ [يَكُونُ]^(٥) صَلَاحُ قَلْبِهِ، وَلَا يَبِيجُ الْخُوفُ وَالْحَزْنُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَلْبِهِ، وَلَكِنْ لِيَحْظَى بِذَلِكَ عِنْهُمْ وَيَخْفُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَيَسْتَهِوْهُمُ الْصَّلَاةُ خَلْفَهُ فَيَدْخُلُهَا بِهَذِهِ الْهَمَّةِ ثُمَّ يَقْرَأُ السُّورَةَ الَّتِي قَدْ أَعْدَهَا فِيْحَنَّ صَوْتُهُ وَيَثْبِتَ^(٦) عِنْدَ مَوَاقِفِ التَّخْوِيفِ [وَالْتَّحْزِينِ]^(٧) وَالْتَّشْوِيقِ لِيَحْظَى بِذَلِكَ عِنْهُمْ وَيَخْفِ^(٨) عَلَى قُلُوبِهِمْ غَافِلًا فِي ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ كَانَهُ أَمْنٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى خُوفٍ، قَدْ أَتَاهُ الْأَمَانُ^(٩) مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ فَرَغَ مِنْ أَمْرِ أَمَانِ نَفْسِهِ، فَهُوَ يَخْوَفُ غَيْرَهُ وَيُخْزِنُهُ كَانَهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ، وَهُوَ أَحْوَجُهُمْ^(١٠) لَوْ^(١١) يَعْقُلُ.

(١) الأَزْهَرُ: أَنَّهُ.

(٢) الأَزْهَرُ: مَقْصُرٌ.

(٣) الأَزْهَرُ: يَقْرُؤُهَا.

(٤) الشَّجَوُ: مِنَ الشَّجَنِ: الْهَمَّ وَالْحُزْنُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٦، ص ٢٢٠١.

(٥) الأَزْهَرُ: يَكُونُ.

(٦) الأَزْهَرُ: يَثْبِتُ.

(٧) الأَزْهَرُ: تَخْزِينٌ.

(٨) خَفَّ: وَيَقَال خَفِيفٌ فِيمَا يَسْتَهِلِيهِ النَّاسُ، أَنْسَتُ^{بِهِ}، قَالَ تَعَالَى: {الآنَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ}، الْإِنْفَالٌ ٦٦:

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٨٨.

(٩) الأَزْهَرُ: الْأَمْنُ.

(١٠) أَحْوَجُهُمْ: مِنَ الْحَاجَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {لِتَبْتَلُوا عَلَيْهَا حَاجَةً}، غَافِرٌ ٧٩:

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٤، ص ١٠٣٨.

(١١) الأَزْهَرُ: لَمْ.

وأَعْظَمُهُمْ^(١) غَفْلَةً وَأَشَدُهُمْ^(٢) فَتْنَةً إِذْ جَعَلُوهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُوَ الْمُخْلَفُ^(٣)
 خَلْفُهُمْ فِي سَوَاءٍ هُمْ مُتَعَرِّضُونَ لِلْمَقْتِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ رَبِّهِ، لَعَلَّ بَعْضَهُمْ مُعَذِّلُهُ
 يَنْتَفِعُ إِمَّا بِعَزْمٍ يَحْدُثُهُ عَلَى تَوْبَةٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ فِيهَا يَسْتَقْبِلُ، أَوْ تَوْجَعَ فِي مَقَامِهِ
 ذَلِكَ خَوْفٌ، فَهُوَ يَطْلُبُ نِجَاتِهِ^(٤) بِهَلَاكِهِ^(٥) وَيَخْوُفُهُمْ بِمَا يَرِيْدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 غَدَّا خَوْفًا فِي مَقَامِهِ وَفِي مَحْسِرِهِ؛ لَأَنَّ هَمَّتْهُ^(٦) فِي غَيْرِ اللَّهِ وَقَصْدُهُ إِلَى سَوَاءٍ يَخْوُفُ
 مِنْ خَلْفِهِ بِقَرَاعَتِهِ وَهُوَ آمِنٌ لِمَقْتِ^(٧) اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى سَوَاءٍ^(٨) هَمَّتْهُ، فَمَنْ سَمِعَ
 بِأَعْجَبِ^(٩) مَنْ يَخْوُفُ^(١٠) بِالْأَمْنِ وَيَشْوُقُ^(١١) بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَشْوُقِ^(١٢) إِلَيْهِ، وَأَعْظَمُ^(١٣) مِنْ ذَلِكَ
 وَأَعْجَبُ^(١٤) أَنَّهُ يَخْوُفُهُمْ بِالْتَّعَرَضِ؛ لَأَنَّ يَحْقِّكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَا يَخْوُفُهُمْ بِهِ مِنْ
 الْعَذَابِ، وَيَشْوُقُهُمْ لِمَا^(١٥) يَتَعَرَّضُ^(١٦) لَهُ^(١٧) بِتَشْوِيقِهِ إِلَيْاهُمْ [مِنْ]^(١٨) الْحَرْمَانِ^(١٩)
 لِمَا يَشْوُقُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ جَوَارِهِ.

(١) الأَزْهَرُ: وأَعْظَمُ مِنْهُ.

(٢) الأَزْهَرُ: وأَشَدُ.

(٣) الْمُخْلَفُ: أَحْمَقُ، قَالَ وَأَنْ يَفْعُلُ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ٢٣، ص ٢٧١.

(٤) الأَزْهَرُ: نِجَاهُ غَيْرِهِ.

(٥) بِهَلَاكِهِ: مِنْ هَلَكَ الشَّيْءَ يَهْلِكُهُ التَّهْلِكَةُ، مِنْ نُوادرِ المَصَادِرِ وَلَيْسَ لِلْقِيَاسِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٩٠.

(٦) هَمَّتْهُ: مِنَ الْعَزَمِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٤٧٠٢.

(٧) الأَزْهَرُ: مِنَ مَقْتِهِ.

(٨) الأَزْهَرُ: بِسَوَاءِ.

(٩) الأَزْهَرُ: بِمَا.

(١٠) الأَزْهَرُ: لَهُ.

(١١) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(١٢) الْحَرْمَانُ: مِنَ الْجَرَمِ الْمَمْنُوعِ مِنْهُ، قَالَ تَعَالَى: {وَحَرَمَنَا عَلَيْهِ الْمَرْاضِعَ}، الْقَصْصَ: ١٢.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٢٩.

وأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ بَلِيةٌ وَأَعْظَمُ^(١) فِتْنَةً مِنْ حَوْلِهِ هَذَا الْمَقَامُ فِي طَلْبِ عَظِيمٍ
 مَنْزِلَةٍ عَنْهُمْ وَشَرِفُ الْحَمْدِ مِنْهُمْ أَنَّهُ^(٢) يَحْزُنُ وَيَخْوْفُ وَيَشْوُقُ وَيَرْجُعُ بِتَلَاقِهِ
 لِيُسْتَدِلُوا [عَلَى]^(٣) أَنَّهُ مِنَ الْخَائِفِينَ الْمَحْزُونِينَ وَمِنَ الرَّاغِبِينَ الْمُشْتَاقِينَ وَلَيْسَ
 ذَلِكَ عِنْدَهُ، كَذَلِكَ فِيمَا يَوْهِمُهُمْ إِيَاهُ مِنْ نَفْسِهِ لَوْلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَفْسٌ هَمْتَهُ [وَ]^(٤) أَنَّهُ
 مُسْلَخٌ^(٥) مِنَ الْحُزْنِ وَالْخُوفِ، إِذَا^(٦) كَانَ هَمْتَهُ أَنْ يَوْهِمُهُمْ بِتَحْزِينِهِ وَتَخْوِيفِهِ
 أَنَّهُ خَائِفٌ لِرَبِّهِ مَحْزُونٌ^(٧) لَا خَرِيَّةٌ كَانَ^(٨) بِهِمْتَهِ^(٩) هَذِهِ أَمَانًا، فَكِيفَ تَأْمِنُ نَفْسَهُ
 فِي أَحْوَالِهِ قَبْلِ دُخُولِهِ فِي صَلَاتِهِ، وَكَذَلِكَ هَمْتَهُ فِي تَشْوِيقِهِ لِزَوَالِ الرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ
 أَنْ يَعْطِيهِ مَا يَشْوَقُهُمْ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ يَتَحَبَّ إِلَيْهِمْ بِمَا يَتَغَضَّ بِهِ إِلَى رَبِّهِ، وَيَتَقَرَّبُ
 [إِلَيْهِمْ]^(١٠) بِمَا يَتَبَاعِدُ بِهِ مِنْهُ، وَيَتَحَضَّ^(١١) عَنْهُمْ بِالْتَّعَرُّضِ بِالسَّقْوَطِ مِنْ عَيْنِهِ.
 لَوْ تَطَلَّعُوا عَلَى هَمْتَهِ لِمَقْتَوِهِ عَلَيْهَا، فَكِيفَ بِمَنْ قَدْ اطَّلَعَ عَلَيْهَا كِيفَ أَمَنَهُ أَنْ
 يَمْقُتُهُ عَلَى سَوْءِ ضَمِيرِهِ؟ وَإِنْ بِرَأً^(١٢) عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَرْحَمَهُ وَلَا يَجِيدَ دُعَاءَهُ؟

(١) الأَزْهَرُ: وأَشَدُ.

(٢) الأَزْهَرُ: أَنْ.

(٣) الأَزْهَرُ: عَلَى.

(٤) الأَزْهَرُ: وَأَنَّهُ.

(٥) السَّلْحُ: كُشْطُ الْإِهَابِ عَنْ زَيْدٍ: كُشْطُهُ، وَسَلَخَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ دُرْعَهَا.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٦، ص ٢٠٦٢.

(٦) الأَزْهَرُ: فإذا.

(٧) الأَزْهَرُ: مَخْزُونٌ.

(٨) الأَزْهَرُ: وَكَانُ.

(٩) الأَزْهَرُ: بِهِمْتَهِ.

(١٠) الأَزْهَرُ: إِلَيْهِمْ.

(١١) وَيَتَحَضَّ مِنْ حَضَى: وَفُوْهْيُجُ الشَّيْءِ، شَدِيدُ الْحَمْرَةِ وَيَكُونُ فِي النَّارِ خَاصَّةً.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٢، ص ٧٤.

(١٢) بِرَيْءُ الْقَصْيِيْ مَا يَكُرِهُ مَجَاوِرَتِهِ وَمِنْهُ دِينٌ وَعَيْنٌ، قَالَ تَعَالَى: [بِرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]، التَّوْبَةُ، الآيَة.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٢١.

و[كيف]^(١) لا يَأْمَنُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَهْتَكَ [الله]^(٢) سُرُّهُ عَنْهُمْ وَيَفْضَحُهُ عَنْهُمْ لَا أَبْدَا لَهُ مِنْ سُوءٍ سَرِيرَتِهِ؟ وَأَدْنِي ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَفْضَحُهُ عَنْهُمْ بَعْيَدٌ يَظْهَرُهُ مِنْهُ عَنْهُمْ أَنْ يَثْقِلُهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ أَجْلِ كَذِبِهِ الَّذِي أَصْمَرَ فِي قَلْبِهِ، فَقَدْ تَمَقَّتَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى رَبِّهِ وَإِنْ حَظِيَ عَنْهُمْ بِغَيْرِ عَوْضٍ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَكُونَ، [فَهُوَ]^(٣) يَحْظِي عَنْهُمْ بِمَا يَعْرِضُ^(٤) لِلسُّقُوطِ مِنْ عَيْنِ سَيِّدِهِ، وَغَدَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدِيهِ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَفْضَحُهُ^(٥) عَلَى رَوْسَهِمْ وَرَوْسَهِمْ الْخَلَائِقِ؛ [لَا هُوَ]^(٦) إِنْ لَمْ يَعْمَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَ[بَلْ]^(٧) أَقْرَبَ إِلَى الْعِبَادِ بِالْمُقْتَدِيَّةِ^(٨) [مَوْلَاه]^(٩) [وَيَجِبُ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَفْسِرَ الْقُرْآنَ بِقَلْبِهِ وَيَتَلَوَهُ بِلِسَانِهِ لِيَنْجُو]^(١٠).

أَمَّا قَوْلُهُ: {يَسْمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ يَرْجُعُ تِبَالِيَهَا^(١١) مِنْ قَلْبِهِ بِالْمَعْرِفَةِ^(١٢) بِاسْمِ مَنْ لَهُ الْإِلَاهِيَّةُ^(١٣)، وَالْإِلَاهِيَّةُ هِيَ الْكِبَالُ، وَكُلُّ مَنْقُوصٍ بِأَقْلَلِ الْمَعْانِي لَا تَجْبُ لَهُ الْإِلَاهِيَّةُ، وَلَا يَمْكُنُهُ اخْتِرَاعُ الْأَشْيَاءِ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ}.

(١) الأزهر: كيف.

(٢) الأزهر: الله.

(٣) الأزهر: فهو.

(٤) الأزهر: يرضه.

(٥) الفَضْحُ: فَعْلٌ مَجَاوِزٌ مِنَ الْفَاضِحِ إِلَى الْمَفْضُوحِ، افْتَضَحَ الرَّجُلُ يَفْتَضِحُ افْتَضَاحًا إِذَا رَكِبَ أَمْرًا سِيِّئًا فَاشْتَهِرَ بِهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٤٢٥.

(٦) الأزهر: لآنه.

(٧) الأزهر: بل.

(٨) الأزهر: عليه.

(٩) الأزهر: مولاه.

(١٠) الأزهر: ويجب على العامل أن يفسر القرآن بقلبه ويتلوه بلسانه لينجو.

(١١) الأزهر: بتاليها.

(١٢) الأزهر: إلى المعرفة.

(١٣) الأزهر: الإلهية.

{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}^(١): الذي له الرحمة صفة له بها يرحم أهل الدنيا في دنياهم وعافاهم، وبها رحم أهل الآخرة في الآخرة؛ ينجيهم من العذاب ويسكنهم جنته.

ومعنى: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}، أنَّ لِهِ الرَّحْمَةُ كقولِ العرب: (نديم وندمان).

{الْحَمْدُ لِلَّهِ}: الشُّكْرُ لِلَّهِ. [القائمُ على كُلِّ شَيْءٍ بالربوبية]^(٢).

{رَبُّ الْعَالَمَيْنَ}^(٣): يعني الجنّ والأنسَ.

{الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}^(٤): اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر.

{الرَّحْمَنُ}: المُرْتَحِمُ.

{الرَّحِيمُ}: العطوف بالرحمة.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}^(٥): يعني القادر على إقامة يوم الدين وهو الحسابُ،

{وَالْمَالِكُ}: هو القادر، ومن قرأتها (ملك) فمعناها^(٦): الذي يلي إقامة الدين على جميع الخلائق فيعذب من يشاء ويرحم من يرید.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: أيَّ أَنْتَ نَعْبُدُ نَوْحُدُكَ ونطيعكَ.

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}^(٧): أيَّ وَأَنْتَ نَتَّقُو بِكَ ونُسألكَ معونَتَكَ على عبادِكَ.

(١) الفاتحة: ١، الآية.

(٢) الأزهر: القائم على كل شيء بالربوبية.

(٣) الفاتحة: ٢، الآية.

(٤) الفاتحة: ٣، الآية.

(٥) الفاتحة: ٤، الآية.

(٦) الأزهر: فمعناها.

(٧) الفاتحة: ٥، الآية.

{اهدِنَا}: اسلك بنا ووقفنا.

الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ^(١): الطريق الذي هو السبيل إليك لا نميل عنك^(٢) به فيها ارتضيَت وأحبيَت.

صَرَاطٌ: طريق.

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ: مَنْ أَنْعَمْتَ عليهم يعني الذين استخلصتهم فحملتهم على رضوان^(٣) رضوانك ثم استثنى من النعم **عَلَيْهِمْ**، لَأَنَّهُ قد أَنْعَمَ على الكافرين من الدنيا.

فقال: **غَيْرِ الْمُغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**: يعني سوى من غضبت عليهم، وقد قيل هم اليهود.

وَلَا الضَّالِّينَ^(٤): وَسَوْيِ الظَّالِّينَ من ضَلَّ عن طريقك، وقد قيل هُم النصارى^(٥).

و[قد]^(٦) يروى عن أبي الأحوص^(٧) عن عبد الله^(٨) قال: «لَكُلَّ آيَةٍ من

(١) الفاتحة: ٦، الآية.

(٢) الأزهر: ولا يميل بنا.

(٣) الرضوان: من الرضا الكثير، خص لفظ الرضوان في القرآن، قال تعالى: **بَيْتُنَعْوَنَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**، الفتح: ٢٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٥٦.

(٤) الفاتحة: ٧، الآية.

(٥) انظر: فهم الصلاة - المصنف رحمه الله: ص ٣٦٧.

(٦) الأزهر: قد.

(٧) أبو الأحوص: هو سلام بن سليم الحنفي، الإمام الثقة الحافظ: ثقة مات سنة ١٧٩ هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٢٨٢. تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني: ج ٣، ص ٢٨٣.

(٨) هو: عمرو بن عبد الله بن علي الهمданى الكوفى، أبو إسحاق السبىعى، الحافظ، شيخ الكوفة وعالمها كبير القدر، حدث عنه: محمد بن سيرين وهو من شيوخه، والزهرى، وقناة. ثقة، مات سنة ١٢٧ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي، ج ٥، ص ٣٩٣.

كتاب الله عز وجل ظهر وبطن وحد ومطلع^(١)، وقال أبو عبد الله: «أما ظاهرها فتلاؤتها، وأما باطنها فتاویلها، وأما حدها فمتهى فهمها^(٢)» وعند هذه الخلة فرق الله سبحانه بين الكاذبين والصادقين من تلها أو من عرف تفسيرها ولم يبلغ متهى فهمها، أو صادق بلغ متهى فهمها؛ لأن أقل الصدق من المريد المؤمن بعد الإيمان بالآية أن يفهمها عن ربها وإن لم يعمل بها، وإنما قصر بالناس عن فهمها قلة^(٣) تعظيمهم لقاتلها، وأما «مطلعها فمجاورة حدها بالغلو والتعمق والتجور والمعاصي»، فمن ذلك قول الله عز وجل: **﴿تُلَكَ حُدُودُ الله فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾**^(٤).

قال عبد الله^(٥) وذكر الحديث: «إن الجنة حفت^(٦) بالمكاره، والنار حفت بالشهوات^(٧)، ومن اطلع الحجاب واقع ما وراءه، يعني من جاور حجاب^(٨) النار وقع فيها؛ لأن حجابها الشهوات^(٩)، ومن جاور حجاب الجنّة دخل؛ لأن

(١) انظر: ص ٤٢٢. مسن الإمام أحمد: ج ٥، ص ١٧. الزهد. ابن مبارك: ج ١، ص ٤٥٥. سنن الترمذى: ج ٥، ص ١٧٨.

(٢) انظر: المعجم الأوسط. الطبراني: ج ١، ص ٤٣٣. البحر الزخار. أحمد بن عمرو: ج ٥، ص ٤٤٢.

(٣) الأزهر: لقنة.

(٤) البقرة: ٢٢٩، الآية.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٩٣.

(٦) حفت: حافة الطريق أي جانبها، ومنه حفت الجنة بالمكاره، وقوله في محفظتها هي شبه المهدج إلا أنه لا قبة عليها.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٩، ص ٤٩.

(٧) جاء في الحديث: «حُبِّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُبِّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارَهِ».

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني: ج ٤، ص ٣٢٨. مسن الإمام أحمد: ج ٢، ص ٣٧٤.

(٨) حجب من الحجاب: وهو المنع من وصول شيء، وما يحجب عن الفؤاد، قوله تعالى: **﴿وَيَبْهِمُهَا حِجَابُهَا﴾**، الأعراف: ٤٦، الآية. يعني فيه المنع من الوصول إلى اللذة لأهل الجنة إلى أهل النار، وأنية أهل النار لأهل الجنّة.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢١٩.

(٩) الشهوة: نزوح النفس إلى ما تريد وذلك في الدنيا، قوله تعالى: **﴿يُنَزَّلُ إِلَيْكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾**، آل عمران: ١٤.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٦٨.

حجابها المكروهات، فمن تحمل^(١) المكروهات^(٢) دخل الجنة، ومن أتى الشهوات دخل النار، إلا أن يعفو الله عز وجل؛ لأن الله تعالى أمر عباده أن يتحملوا المكروه حتى يدخلوا الجنة، وأمرهم بترك الشهوات حتى ينجوا^(٣) من النار.

والمناجاة كُلُّ مَنْ خَاطَبَ بِهِ مَخَاطِبٌ وَسَمِعَهُ مِنْكَ^(٤) قريب، فإذا بعْدَ^(٥) كانت مناداة لا مناجاة.

مِنْ^(٦) ذَلِكَ مَا يُرُوِيُّ عَنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ نُودِيَ، [حيث]^(٧) قال: (يا رب أَيُعِيدُ فَأَنَادِيكَ أَوْ^(٨) قَرِيبٌ فَأَنْجِيكَ^(٩)، قال^(١٠) الله تعالى: {وَنَادَيْتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطَّوْرِ الْأَكْبَنِ}^(١١)، ثمَّ قال: {وَقَرَّبَنَاهُ نَجِيًّا}^(١٢)، فَجَعَلَ الْمَنَاجَاةَ بِالْقَرْبِ مِنَ السَّمْعِ، فَكُلُّ مَنْ قَرَأَ قُرْآنًا أَوْ دَعَا بِدُعَاءٍ أَوْ ذَكَرَ اللَّهَ بِلِسَانِهِ بِتَحْمِيدٍ أَوْ تَبْحِيدٍ فَقَدْ نَاجَىَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىَ بِهِ لِقَصِيْدَهِ^(١٣) إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ وَلَقِرْبِ اللَّهِ مِنْهُ،

(١) الأزهر: حمل.

(٢) مكروهات: جمع فعل مكرهه: أي ما يُستحسن تر��ه، قال تعالى: {لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا}، النساء: ١٩.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٨٦٥.

(٣) الأزهر: ينجوا.

(٤) الأزهر: منه.

(٥) البُعْدُ: ضد القرب، وليس لها حد محدود، قوله تعالى: {فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} المؤمنون: ٤١، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن: ص ١٣٣.

(٦) الأزهر: ومن.

(٧) الأزهر: حيث.

(٨) الأزهر: أَمْ.

(٩) انظر: كنز العمال في السنن والأقوال. علاء الدين بن علي المتقى : ج ١، ص ٤٣٣. جامع الأحاديث القدسية: عصام الدين الصباطي ج ٣، ص ٣٧.

(١٠) الأزهر: فقال.

(١١) مريم: ٥٢، الآية.

(١٢) مريم: ٥٢، الآية.

(١٣) الأزهر: بقصده.

الله^(١) تعالى أَقْرَبُ إِلَى كَلَامِهِ^(٢) مِنْ كَلَامِكَ إِلَى لِسَانِكَ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «فَلَا يَتَنَاجِي أَنْتَانِ دُونَ الْثَالِثِ»^(٣).

وَقَالَ: [النَّبِيِّ]^(٤) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ]^(٥): «إِنِّي أَنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي»^(٦).

(١) الأَزْهَرُ: فَالله.

(٢) الأَزْهَرُ: كَلَامِكَ.

(٣) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن حجاج القشيري : ج ٤، ١٧١٨. السنن الكبرى. البيهقي: ج ٣، ٢٣٣ ص. المعجم الأوسط. الطبراني: ج ١، ص ٢٩٦.

(٤) الأَزْهَرُ: النَّبِيِّ.

(٥) الأَزْهَرُ: لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ.

(٦) انظر: صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل : ج ٦. ص ٢٦٧٩. صحيح مسلم: مسلم بن حجاج القشيري: ج ١، ص ٣٩٥.

مسألة في إزالة الخوف

قلت: ما الذي يزيل الخوف^(١)؟

قال: الذي يزيل الخوف من قلوب الخائفين بعد ما تمكن فيها، والذي حال بين المغترين^(٢) وبين الخوف الأمين والغرر، والأمن والغرر يحلا في القلب بالغفلة عن عظيم حقوق الله عز وجل والجهل بواجب طاعته، والعجب باليسير من عمله، واستكثار القليل من عمله، فإذا كان كذلك أمن واغتر حتى يغفل^(٣) عن عظيم إساءاته ويستعظام^(٤) القليل من عمله.

(١) الخوف: توقع مكره عن معلوم، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية، والأخروية. قال تعالى: **{وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ}**، الإسراء ٥٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٠٣.

(٢) المغترين: والمغتر: اسم المفعول من أغتر، أغتر الرجل: غفل، والغرر: وهي غفلة في اليقظة، وجمعها مغترين، قال تعالى: **{بِأَيْمَانِهِ اِلْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَأْكَ الْكَرِيمِ}**، الانفطار، الآية ٦.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٠٣.

(٣) الأزهر: غفل.

يغفل: من غفل: أي جاهل بأمره لا يعرف ما عنده.

انظر: الإبانية في اللغة. سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري: ج ٣، ص ٥٣٧.

(٤) الأزهر: واستعظام.

وكذلك يُروى عن ابن مسعود^(١) أنَّه قال: «الهلاكُ في اثنتين؛ القُنوطُ^(٢) والْعَجَبُ^(٣)»، فَمَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ وَنَسِيَ^(٤) عَظِيمَ ذَنْبِهِ لَزِمَ^(٥) الْأَمْنُ وَالغَرَّةُ قُلْبُهُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى الْأَمْنِ صِلَابَةُ الْقَلْبِ وَتَجَلِّدُهُ عَلَى وَعِيدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَلِكَ [هَيَّ]^(٦) الْقَسْوَةُ، فَهُوَ^(٧) عَقُوبَةُ الْأَمْنِ، وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ قَسَّتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}^(٨)، الآية، وَقِيلَ فِي التَّفَسِيرِ كُلَّ {مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}^(٩)، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْحِجَارَةَ مَعَ^(١٠) صِلَابَتِهَا تُنْجَرُ^(١١) وَتُشَقَّقُ^(١٢) وَتَسْقُطُ خَوْفًا مِّنْهُ، وَالْأَمْنُ الْقَاسِي قَلْبُهُ لِصَلْبِهِ مِنْهَا، وَعَلَى وَعِيدِ اللَّهِ لَا يُنْكَسِرُ وَلَا يَخَافُ مَقِيمًا^(١٤) على مَا يَكْرُهُ مَضِيًّا^(١٥) لَمَّا أَحَبَّ.

(١) ابن مسعود: هو عبدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودَ، الْإِمَامُ الْخَيْرُ، فَقِيهُ الْأُمَّةِ، كَانَ مِنَ السَّالِقِينَ الْأُولَئِنَ وَمِنَ النُّجَيَّبِ الْعَالَمِينَ، رَوَى عِلْمًا كَثِيرًا، حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو مُوسَى وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَرَوَى عَنْهُ الْفَرَاءَةَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلْطَنِيُّ، تَوْفَى سَنَةُ ٥٣٢ هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٤٦٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة. علي كرم الجبزي: ص ٧٣٧.

(٢) القُنوطُ: اليأسُ مِنَ الْخَيْرِ، قَالَ تَعَالَى: {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}، الزَّمَر: ٥٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٨٥.

(٣) الْعَجَبُ: أصلُ الْعَجَبِ فِي الْلُّغَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى مَا يَنْكِرُهُ وَيَقُلُّ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهمروي: ج ١، ص ٢٤٧.

(٤) انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أحمد بن عبد الله الأصفهاني: ج ٧، ص ٢٩٨.

(٥) الأزهري: نسي.

(٦) الأزهري: ولزم.

(٧) الأزهري: هي.

(٨) الأزهري: فهي.

(٩) سورة البقرة: ٧٤، الآية.

(١٠) سورة البقرة: ٧٤، الآية.

(١١) الأزهري: على.

(١٢) الأزهري: تُنْجَرُ.

(١٣) الأزهري: وَتُشَقَّقُ.

(١٤) الأزهري: مقيم.

(١٥) الأزهري: مضيّع.

وأَمَّا الْغَرَّةُ فَالدَّلِيلُ عَلَيْهَا تَمَنِي الْمَغْفِرَةِ وَطَبِّنَ النَّفْسِ [بَهَا]^(١)، وَسَرَوْرُهَا فِيهَا نَظَنٌ^(٢) أَنَّهُ حُسْنٌ ظَنٌّ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَجَا^(٣) لَهُ مَعَ الْمَقَامِ عَلَى الْمُعْصِيَةِ، وَتَلِكَ الْغَرَّةُ لَا رَجَا^(٤)؛ لَأَنَّهُ مِنَ وَضْعِ الرَّجَاءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَهُوَ مُغَرِّرٌ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَجَا الْتَّائِبِينَ أَنْ لَا يَقْنُطُوا [وَلَا يَعْصُوَا]^(٥)، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ غَفُورٌ[رَحِيمٌ]^(٦)، وَرَجَا الْمُعَالِمِينَ^(٧) أَنْ لَا يَمْسِكُوا عَنِ الْعَمَلِ لَمَا كَانَ مِنْ تَفْرِيْطِهِمْ فَقَالَ: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيْكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ}^(٨) الآيَةِ.

فَرُوْيَ عَنِ الْبَرَاءِ^(٩) فِي تَفْسِيرِهَا: «أَنَّ الْعَبْدَ كَانَ يَصِيبُ الذَّنَبَ الْعَظِيمَ فَيَقُولُ: قَدْ هَلَكْتُ، فَيَمْسِكُ عَنِ النَّفْقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَنَهَا اللَّهُ سَبِيلَهُ عَنِ الْقُنُوطِ^(١٠) وَأَمْرَهُ بِالْتَّقْرِبِ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ»^(١١)، وَقَالَ: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا}^(١٢)، قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: {يَرْجُوُنَ الْقَاءَ رَبِّهِ}، فَأَمْرَ اللَّهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ الرَّجَاءُ فِي

(١) الأَزْهَرُ: بَهَا.

(٢) الأَزْهَرُ: يَظْنُ.

(٣) الأَزْهَرُ: رَجَاء.

رَجَا: الظَّنُّ يَقْتَضِي حَصْوَلَهُ فِي مَسْرَةٍ، قَالَ تَعَالَى: {وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}، النَّسَاءُ: ٤، ١٠٤، الآيَةُ. اَنْظُرْ: مَفَرَّدَاتُ أَلْفَاظِ الْقَوْلَنَ، الأَصْفَهَانِيُّ: ص ٣٤٦.

(٤) الأَزْهَرُ: رَجَاء.

(٥) الأَزْهَرُ: لَا يَعْصُوَا.

(٦) الأَزْهَرُ: رَحِيمٌ.

(٧) الأَزْهَرُ: الْعَالَمِينَ.

(٨) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١٩٥، الآيَةُ.

(٩) الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبِ الْحَارِثِ، الْفَقِيْهُ الْكَبِيرُ أَبُو عَمَارَةِ الْأَنْصَارِيِّ نَزِيلُ الْكُوفَةِ، مِنْ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ، رَوَى حَدِيثًا كَثِيرًا وَشَهَدَ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً مَعَ النَّبِيِّ (صَ)، وَرَوَى عَنْ: أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، حَدَّثَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمَيِّ، تَوَفَّى سَنَةُ ٥٧٢ هـ..

انْظُرْ: سِيرُ أَعْلَمِ الْبَلَاءِ، الْذَّهَبِيُّ: ج ٣، ص ١٩٥.

(١٠) الْقُنُوطُ: الْإِيَّاسُ مِنَ الْخَيْرِ.

انْظُرْ: تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ، مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ: ج ٩، ص ٢٥.

(١١) اَنْظُرْ: صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ، مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلُ: ج ٦، ص ٢٧.

(١٢) سُورَةُ الْكَهْفِ: ١١٠، الآيَةُ.

ثلاثة موضع:

أحدها: أن لا نقنطَ بعدما أصبنا الذنوب فنمسكَ عن التوبة فتوب إليه رجاءً^(١) أن يقبلها^(٢) كما رجانا، فإنْ عارضنا القنوطَ رجينا أنفسنا مغفرةً، ولقوله: **﴿وَإِنِّي لَعَفَّاً لِمَنْ تَابَ وَأَمْنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾**^(٣)، حتى تسخو^(٤) أنفسنا بالتجة.

وأما الموضع الآخر، [الثاني]^(٥): فهو أنْ نذكر ما كانَ مِنَّا من الذنوب فنمسك عن العمل الصالح خوفَ أنْ لا يقبل^(٦)، فأمّرنا أن لا نقنطَ وأن نعمل، فإنْ أبْتَ أنفسنا رجيناها القبول حتى تسخو بالرجاء؛ فأمّرنا بالرجاء^(٧) في هذين الموضعين.

وأما الموضع الثالث: فالرجاء الذي يبعثنا على العمل الصالح، إن^(٨) استشققتْ أنفسنا العمل الصالح رجيناها كريم الشواب [من]^(٩) الله عزَّ وجلَّ، وجزيلٌ عطائه حتى يخففَ علينا العمل؛ لأنَّ كثیرَ الأجر^(١٠) هو الذي خفَّ عن العمالِ أعمَّا لهم، وكذلك قالَ عزَّ وجلَّ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا**

(١) الأزهر: رجاء.

(٢) الأزهر: يقبلنا.

(٣) سورة طه: ٨٢، الآية.

(٤) تسخو، يسخُّو، فهو سخىٌ والجمع: أُسْخِيَّاً: أي رجلٌ سُبْطُ اليهود.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. : سلامة بن مسلم العوتبي الصنحاري: ج ٣، ص ٢١٧

(٥) الأزهر: الثاني.

(٦) الأزهر: ألا نقبل.

(٧) الأزهر: الرجاء.

(٨) الأزهر: فإن.

(٩) الأزهر: من.

(١٠) الأزهر: العطاء.

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ^(١).

وقيل للحسن البصري^(٢): قوم يقولون نرجو أو يضيعون العمل، قال: هيئات تلك أماناتهم يترجحون فيها، من رجاء شيئاً طلبه، ومن خاف من^(٣) شيئاً هرب منه^(٤)، وروي نحوه عن مسلم بن يسار^(٥) «فَأَمْرَنَا بِالْخُوفِ عَنْدَ الْمُعْصِيَةِ»^(٦)، وعند تضييع واجب حقه فعلينا أن نخوف أنفسنا من سخطه وأليم عقابه، حتى تذعن^(٧) بتراكِ الذنب^(٨) وأداء واجب الحق، فممن وضع الخوف حيث وضعه الله عز وجل والرجاء، حيث وضعه ثم لم يقنط ولم يغتر^(٩) أراه قد بقي منه فقد تأدّب بأدب الله عز وجل.

(١) سورة البقرة: ٢١٨، الآية.

(٢) الأزهر: البصري.

(٣) الأزهر: من.

(٤) الأزهر: شيء.

(٥) انظر: كتاب الزهد. لابن مبارك: ص ١٩٠.

(٦) مسلم بن يسار: القدوة، الفقيه، الزاهد، أبو عبد الله البصري، تابعي، ثقة، روى عن: ابن عباس وابن عمر، كان لا يُقتضي عليه أحد، حديث عنه: ابن سيرين، وفتادة، مات سنة ١٠٠هـ. (إن الحسن البصري لما مات مسلم بن يسار قال: واعلموا).

انظر: سير أعلام النبلاء. الذبيبي: ج ٤، ص ٥١١، ٥١٣. البرج والتعديل. محمد عبد الرحمن التميمي: ج ٢، ص ١٩٩.

(٧) انظر: الجامع الصحيح. الترمذى: ج ٥، ص ٤٩٤. الأحاديث القدسية: عصام الدين الصباطي: م ٢، ص ١٧٠. الزهد. لأبي مبارك: ص ٤٦٣.

(٨) الأزهر: نذعن.

تذعن: أي تقاد بدون إرادة، قال تعالى: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ حُكْمٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعَنِينَ}، النور: ٤٩، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٢٨.

(٩) الأزهر: ذنوب.

(١٠) الأزهر: فلم.

(١١) الغرّة: الغفلة، وقد اغتر، والإسم منهما الغرّة.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٥، ص ١٦.

فالمغترٌ قلَبَ أَدْبَ الله تعالى واستعمل الرجا^(١) حيث أمر [الله تعالى]^(٢) أن يستعمل الخوف؛ فعصى [الله]^(٣) وأساء وطَبَّ نَفْسَهُ بذِكْرِ مغفرة الله تعالى^(٤) وتفضله، فأقام على المعصية وتنى المغفرة، فكان أولى به أن يخوّف نَفْسَهُ كَمَا نَدَبَ الله عزَّ وجلَّ، فإنْ خَافَ فَأَرَادَ^(٥) أن يقلع ثم عارضه القنوط أن لا يُقبل منه التوبة رجاء نَفْسَهُ حتى تسخو بالتوبية، فحيثَذِ وَضَعَ الخوف موضعه، ووضعَ الرجاء موضعه كَمَا أَمْرَهُ الله تعالى، والمغترٌ حَوَّلَهُ عن موضعه فوضع الرجا^(٦) موضع الخوف وظنَّ أنَّ ذلك حُسْنٌ ظنٌّ بالله، وتلك الغرُّه، ولذلك رُوِيَ عن وهب بن منبه^(٧) قال: «حُسْنُ الظنٌّ بالله ما جانَبَ الغرَّة»^(٨).

(١) الأزهر: الرجاء.

(٢) الأزهر: الله تعالى.

(٣) الأزهر: الله.

(٤) الأزهر: عز وجل.

(٥) الأزهر: وأراد.

(٦) الأزهر: الرجاء.

(٧) وهب بن منبه: هو ابن كامل بن سيف بن ذي كبار، العالمة الإلخباري، حدث عن: ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، حدث عنه: ولدها: عبد الله وعبد الرحمن، تابعي ثقة، مات سنة ١١٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج٤، ص٥٤٥. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. يوسف بن عبد الرحمن الكلبي: ص٤٧٧. الطبقات الكبرى. لابن سعد: ص٣٧٤.

(٨) جاء في الحديث: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنَّ عَنْدِي بِي».

انظر: شرح النووي. مسلم: ج٤، ص٣٣٠. فتح الباري في شرح الصحيح البخاري: العسقلاني ج٤، ص٣٨٩.

ورُويَ عن لقمان^(١) أَنَّهُ قَالَ لَابْنِهِ^(٢): ((يَا بْنِي، إِيَّاكَ وَالغَرَّةِ بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ تَضَيِّعَ أَمْرَهُ وَتَتَمَنِي مَغْفِرَتَهُ^(٣)). وَلَذِلِكَ مُثْلُ يَبْيَنَ^(٤): ((لَوْ أَنَّ رَجُلًا وَعَدْكَ إِنْ جَعَلْتَهُ الْيَوْمَ أَعْطَاكَ أَلْفَ دَرْهَمٍ، وَإِنْ أَخْرَتَ الْمُجِيءَ إِلَى غَدٍ عَاقِبَكَ وَحَبْسَكَ، فَقُلْتَ فِي نَفْسِكَ هُوَ كَرِيمُ الْخَلْقِ أَوْخُرُ الْمُجِيءِ إِلَى الْغَدِ وَيَعْفُو عَنِي وَيَعْطُنِي الْأَلْفَ دَرْهَمٍ الَّتِي وَعَدْتَنِي تَفْضِلًا مِنْهُ، كَنْتُ قَدْ اغْتَرَرْتَ إِلَيْهِ؛ لَأَنَّهُ إِنَّمَا وَعَدَكَ الْأَلْفَ [دَرْهَمٌ]^(٥) عَلَى مُجِيءِ الْيَوْمِ وَوَعَدْكَ الْعِقَابَ عَلَى تَأْخِيرِ الْمُجِيءِ مِنَ^(٦) الْغَدِ، فَأَخْرَتَ^(٧) الْمُجِيءَ إِلَى الْغَدِ تَرْجُو أَنْ يَعْطِبُكَ ثَوَابُهُ مَعَ التَّضَيِّعِ لِأَمْرِهِ رَجَاءً مِنْكَ لِفَضْلِهِ، وَلَوْ جَعَلْتَهُ لِيَوْمِكَ^(٨) لَوْفَ^(٩) لَكَ بِمَا وَعَدْكَ، فَتَرْكْتَ الْوَثِيقَةَ وَغَرَرْتَ بِنَفْسِكَ بِتَأْخِيرِكَ لِأَمْرِهِ الَّذِي رَجَاكَ عَلَى فَعْلِهِ وَتَوَعَّدَكَ عَلَى

(١) لقمان بن عنقاء بن مرید بن صاوون وكان نوبیاً، من النوبية في السودان عبّاداً صالحًا، كان لقمان عبّاداً حبشيّاً نجراً، وقال يحيى بن سعيد الأنباري: كان لقمان من سودان مصر أعطاء الله الحكمة ومنعنة النبوة، قال رسول الله (ص): «اتخذوا السودان لثلاثة منهم من سادات الجنّة: لقمان الحكيم، النجاشي، وبلال المؤذن».

انظر: القرآن الكريم: سورة لقمان: ١٣. تفسير الكشاف. الزمخشري، ج ٢١، ص ٨٣٦. مروج الذهب ومعادن الجوادر. المسعودي: ج ١، ص ٢٠.

(٢) الأزهر: لولده.

(٣) انظر: تفسير الكاشف. الزمخشري: ج ٦، ص ٣٣٧. الزهد. ابن مبارك: ص ٤٦٣.

(٤) يَبْيَنَ: هو من الْبَيْنَةِ: الشَّاهِدُ، لَا يَبْيَنُ الشَّيْءَ، أَيْ: يُوَضِّحُهُ، قال الله تعالى: {حَتَّىٰ تَأْتِيهِمْ الْبَيْنَةُ}، البينة: ١، الآية.

انظر: حلية الفقهاء. أحمد بن فارس بن زكريا الفرويني: ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) الأزهر: درهم.

(٦) الأزهر: إلى.

(٧) الأزهر: فاخترت.

(٨) الأزهر: اليوم.

(٩) الأزهر: لو في.

تضييعه، فَضَيَّعْتَ تَرْجُوكَ^(١) الشَّوَابَ فِي مَوْضِعٍ يُسْتَوْجَبُ بِهِ^(٢) الْعَقَابُ^(٣).

(١) الأزهر: ترجو.

(٢) الأزهر: تستوجب فيه.

(٣) انظر: الزهد. لابن مبارك: ص ٣٤١.

مسألة في النوافل

وقال: جميع ما تطوع به العباد ل النوافل^(١) التي لم تفرض عليهم ست خصال:

إحداها: تكبير السينات^(٢) و تكميل ل الفرائض، وكذلك جاء عن النبي^ص صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه عنْهُ أبو هريرة و تميم الداري^(٣): «أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُعْرُضُ [عليه]^(٤) صَلَاةُ الْفَرِيضَةِ، فَإِذَا^(٥) كَانَتْ كَامِلَةً قَبْلَهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا نُفَصَانٌ^(٦)، قِيلَ: انْظُرُوا هَلْ لَهُ مِنْ تَطْوِعٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطْوِعٌ، قَالَ: أَكْمَلُوا^(٧) بِهَا^(٨) فَرْضَهُ^(٩).

قال: أبو هريرة في حديثه عن النبي^ص صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى سَائِرِ ذَلِكَ^(١٠).

(١) الأزهر: من النوافل.

(٢) الأزهر: الذنوب.

(٣) تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي، صاحب رسول الله (ص)، أبو رقية، وتميم عدة أحاديث، وحديثه يبلغ ثمانية عشر حديثاً، منها في صحيح مسلم حديث واحد، حديث عنه: ابن عباس. وابن موهب عبد الله، وأنس بن مالك، لم يزل بالمدينة حتى تحول بعد قتل عثمان إلى الشام، مات سنة ٤٤٠ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٤٤٢.

(٤) الأزهر: عليه.

(٥) الأزهر: فإن.

(٦) الأزهر: ناقصة.

(٧) الأزهر: أكملوها.

(٨) الأزهر: به.

(٩) انظر: تحفة الأحوذى بشرح الترمذى. عبد الرحمن المباركفورى: ج ٢، ص ٤٦٢.

(١٠) جاء في الحديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحْسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَّتْهُ، فَإِنْ صَلَّتْ فَفَقَدْ

وقال تميم الداري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل حديث أبو هريرة، إلا آنَّه قال: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ طَوْعٌ أَخْذَ بِطْرَفِهِ فَأُلْقِيَ^(١) فِي النَّارِ»^(٢)، فسبحان الله [الله]^(٣) من يتفضُّل على العبد حتى يُكمل بتطوعه فرضه حتى كان التطوع عمله^(٤) فرضاً في الدنيا، وأمّا^(٥) تكفير السيئات فمثل قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى السُّوقَ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كُفَّرْتُ عَنْهُ الْفَيْ سَيِّئَةً»^(٦)، وقال: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَجُلٍ حُمْرِيًّا مُلْبِيًّا فَغَابَتْ [عَنْهُ]^(٧) إِلَّا غَابَتْ بِذُنُوبِهِ فَعَادَ كَيْوَمْ وَلَدْتُهُ أَمْهُ»^(٨).

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَعَسَلَ وَجْهَهُ فَذَكَرَ [الله]^(٩) أَنَّهُ يَكْفُرُ^(١٠) عَنْهُ عَنْ كُلِّ عُضُوٍّ مَا أَصَابَ مِنَ الذَّنْبِ مَا أَصَابَ الْمَاءَ»^(١١)، وقال: «وَخَفَقَانُ

أَفْجَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِيرٌ، إِنْ اتَّقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هُلْ لِعَيْبِي مِنْ شَطْوٍ؛ فَيَكْمَلُ بِهَا مَا اتَّقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»
انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. السقلاوي : ج ٥، ص ١٤١.

(١) الأزهر: واللقي.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. السقلاوي : ج ٥، ص ١٤١.

(٣) الأزهر: الله.

(٤) الأزهر: عمل تطوع.

(٥) الأزهر: أما.

(٦) انظر: الأحاديث القدسية. عصام الدين الصبابطي : ص ٨٣. الترهيب والترغيب في الأحاديث. زكي الدين المنذري : ج ٢، ص ٣٣٧.

(٧) الأزهر: عنه.

(٨) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٣٦٨. روائع التفسير. لابن رجب الحنفي: ج ٢، ص ١٤٨.

(٩) الأزهر: الله.

(١٠) الأزهر: كفر.

(١١) انظر: المستررك على الصحيحين: ج ١، ص ٣٤٢. الترغيب والترهيب. زكي الدين المنذري: ج ١، ص ٩٣. مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٥٧١.

القلب في سبيل الله محاجة^(١) للذنوب^(٢)، فياليته يفعلُ بنا ذلك، وإنما خصّه بالنافلة التي لا يكملُ بها فرضٌ، ولا يكفرُ بها ذنبٌ منْ غفرَ لهُ ما تقدّمَ من ذنبه وما تأخر.

وكذلك يرويه ابن مبارك^(٣) أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في مسيرة لهُ فَأَوْتَرَ عَلَى بَعِيرَهُ وَنَزَلَ^(٤) ابْنَ رَوَاحَةَ^(٥) فَأَوْتَرَ بِالْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابنَ رَوَاحَةَ، أَمَّا لَكَ فِي أُسْوَةٍ» قَالَ: بَلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنَّكَ تَعْمَلُ فِي عِتْقٍ^(٦) وَأَنَا أَعْمَلُ فِي رِقٍ^(٧)»^(٨).

(١) الأزهر: يحات.

محاجة: اسم أداة ثمّي بها الكتابة، شُتُّتمل لمحو الخطأ وإزالة الخطأ المكتوب.
انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ج ٣، ص ٢٧٣.

(٢) انظر: الجامع الصحيح: محمد بن عيسى الترمذى: ج ٤، ص ١٧٥. حلية الأولياء. الأصفهانى: ج ٥، ص ٢٠٩. مسند أبي يعلى: ج ٧، ص ٣٠٧.

(٣) عبد الله بن المبارك ابن واضح الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، سمع من: أبي عبد الرحمن الحنظلي، وأبي حنيفة، حدث عنه: معمراً والثوري وطافحة من شيوخه، كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي (ص) وأصحابه، مات في سنة ١١٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٣٧٩.

(٤) الأزهر: ترك.

(٥) عبد الله بن رواحة الأنباري ابن ثعلبة بن امرئ القيس، كان حارس النبي وشاعر، مات سنة ٥٩هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٢٣١. أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج ١، ص ٦٤٠.

(٦) عتق من العتique: الکريم الرائع، ولمن خلا من الرق.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهانى: ص ٥٤٥.

(٧) الرق: المملوك منهم، العبيد.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهانى: ص ٣٦١.

(٨) انظر: المستدرك صحيح على الصحيحين. الحاكم النيسابوري : ج ١، ص ٦٠١. صحيح مسلم: ج ١، ص ٤٨٧. الجامع الصحيح. الترمذى : ج ٢، ص ٣٣٦.

وأماماً الخصلةُ الثانيةُ: فشكُّ النعم؛ ليرضي بذلك المنعمُ ولا يُزيلها [عنك]^(١)، ومن ذلك ما روى مسعود^(٢) و[سفيان بن عيينة]^(٣) عن زياد بن علاقة^(٤) عن المغيرة بن شعبة^(٥) أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ حَتَّى تُوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَقَيْلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا^(٦)؟ وَكَانَ عَلَيْهِ بَنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا جَاءَهُ شُيْءٌ يَعْجِبُهُ قَالَ^(٧): «الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) الأزهر: عنك.

(٢) مسعود بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق أبو سلمة الهلالي الكوفي، روى عن: عدي بن ثابت، وعمرو بن مراء، وزياد بن علاقة، ومحمد بن المنذر، روى عنه: سفيان بن عيينة، ويحيى القطان. مات سنة ١٥٥هـ..
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ١٦٤.

(٣) الأزهر: سفيان.

سفيان بن عيينة: أبو عمران، أخو الضحاك بن مزاحم الإمام الكبير حافظ العصر، طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جمًا، فسمع من: عمرو بن دينار، زياد بن علاقة، حدث عنه: الأعمش، وابن جريج، وشعبة -وهؤلاء من شيوخه-، من أعلم الناس بحديث الحجاز، مات سنة ١٩٦هـ..
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٨، ص ٤٥٥.

(٤) زياد بن علاقة ابن مالك أبو مالك الشعبي الكوفي، من الفتايات المعمرين. يقال: إنه أدرك ابن مسعود، وقد حدث عن: قطبة بن مالك، وجرير بن عبد الله البجلي، حدث عنه: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وقال النسائي: ثقة، وأبو حاتم: صدوق، توفي ١٢٥هـ..
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٢١٥. كتاب العلل. عبد الرحمن الرازي: ج ٣، ص ٣١.

(٥) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب، أبو محمد، من كبار الصحابة أولى الشجاعة، شهد بيعة الرضوان روى عنه: الزهري، وهو أول من وضع ديوان البصرة، وولي على الكوفة في زمن عمر (رض)، مات سنة ٥٥٠هـ..
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ٢٢. ٢٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة. الجزمي: ص ١١٦٢.

(٦) انظر: صحيح مسلم: ج ٤، ص ٢١٧٢. صحيح البخاري: ج ٤، ص ١٨٣١، ص ٥٠. الجامع الصحيح. الترمذى: ج ٢، ص ٢٦٩.

(٧) الأزهر: يقول.

الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُ الصَّالِحَاتُ ^(١)، وَرُوِيَ عَنْهُ: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا مُحَاطِبًا ^(٢) فَخَرَّ ^(٣) أَسَاجِدًا، وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُجْعَلْنِي مِثْلَ زَنِيمِ ^(٤)» ^(٥).

وَأَمَّا الْحَصْلَةُ الْثَالِثَةُ: فَتُجْرِيدُ الْقُلُوبَ وَحِيَاةُهَا ^(٦) وَعِمَارَةُهَا ^(٧)؛ لِرِجْعِ ذَلِكَ إِلَى قُلُوبِهِمْ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: **(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادُهُمْ هُدًى وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)** ^(٨)، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثُ [الْقَدِيسِيِّ] ^(٩)، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «مَا تَعَدَّ لِي عَبْدٌ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ ^(١٠) عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ ^(١١) يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحِبْتُهُ كُنْتُ سَمَعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ، وَلِسَانُهُ الَّذِي يَنْطُقُ بِهِ، وَعَقْلُهُ الَّذِي يَعْقُلُ بِهِ» ^(١٢)، وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ:

(١) انظر: ابن ماجة: ج ٢، ص ١٢٥٠. البحر الزخار. أحمد بن عمرو: ج ٢، ص ١٦٦. مختصر الأحكام. الطوسي: ج ٤، ص ٢٤١.

(٢) وَرَجُلٌ حَاطِبٌ لَّهُ: يَكْتَلِمُ بِالْغَثَّ وَالسَّمِينِ، مُخْلَطٌ فِي كَلَامِهِ وَأَمْرِهِ، لَا يَقْنَدُ كَلَامَهُ، كَالْحَاطِبِ بِاللَّهِ الَّذِي يَحْطُبُ كُلَّ رَدِيءٍ وَجَيْدٍ؛ لَأَنَّهُ لَا يُبَصِّرُ مَا يَجْمُعُ فِي حَلْلِهِ، وَهُوَ شَبَهُ الْجَانِي عَلَى تَقْسِيمِهِ بِلِسَانِهِ. انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. الكجراتي: ج ٥: ص ٣٨٢. لسان العرب. ابن منظور: ج ١: ص ٣٢٢.

(٣) فَخَرَّ: مَعْنَاهُ كُلُّهُ سَقْطٌ وَأَصْلُهُ السَّقْطُ مِنْ عَلَوْ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٠، ص ١١٥.

(٤) **(الْزَّنِيمُ): الدَّاعِيُ الْمُلْصَقُ بِالْقَوْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ.** وَرَجُلٌ زَنِيمٌ: ذُو عَلَمَةٍ سُوءٍ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {عُثْلُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ}. ١٣، الْقَلْمَ الْأَيَّة.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن: ج ٢، ص ٨٣٨. لسان العرب. ابن منظور: ج ١٢، ص ٢٧٧.

(٥) انظر: المصنف. لابن أبي شيبة: ج ٥، ص ٤٥٩. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي العسقلاني: ج ٢، ص ٤٧١.

(٦) الأَزْهَرُ: وَحِيَاتِهَا.

(٧) الأَزْهَرُ: وَعِمَارَتِهَا.

(٨) محمد: ١٧: الْأَيَّة.

(٩) الأَزْهَرُ: الْقَسْيِ.

(١٠) الأَزْهَرُ: افْتَرَضَتْهُ.

(١١) الأَزْهَرُ: عَبْدِي.

(١٢) صحيح البخاري محمد بن إسماعيل: ج ٥، ص ٢٣٨٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري.

أَنَّ (١) يَقُومَ لِهُ عَقْلُهُ وَجَوَارِحُهُ لطاعتِهِ، لَا أَنَّ اللَّهَ يَسْكُنُ فِي الْعُقُولِ وَالْجَوَارِحِ
تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (٢).

وَقَالَ: عَبْدُ اللَّهِ [ابن مبارك] (٣): الْذِكْرُ يُبَثِّتُ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ (٤)،
وَقَالَ الْحَسَنُ (٥): إِنَّ الْعَبْدَ لِيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَتَكُونُ نُورًا فِي قَلْبِهِ (٦)، وَرُوِيَ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ دَائِمُ التَّفْكِيرِ مِتَّوَاصِلُ الْأَحَزَانِ (٧).
وَذَلِكَ [هُوَ] (٨) عَمَارَةُ لِلْقَلْبِ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَكْيَسِ (٩)
الْمُؤْمِنِينَ كَيْسًا، قَالَ: أَكْثُرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذَكَرًا (١٠)، وَأَثْنَيَ عَلَى رَجُلٍ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ
[الصَّلَاةَ] (١١) وَالسَّلَامُ: كِيفَ ذَكْرُهُ لِلْمَوْتِ؟ قَالُوا: مَا هُوَ كَثِيرُ الذِّكْرِ (١٢)

العسقلاني : ج ١، ص ٣٥٠. السنن الكبرى. النسائي: ج ١، ص ٣٤٦.

(١) الأزهر: أنة.

(٢) النحل: ١٢٨، الآية.

(٣) الأزهر: بن مبارك.

(٤) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص ٩٩. كنز العمال في السنن والأقوال. علاء الدين المتقي: م ،
ص ٤٠٦.

(٥) الحسن البصري.

(٦) انظر: المصنف. لأبي شيبة: ج ٨، ص ٢٥٦.

(٧) انظر: المعجم الكبير. للطبراني: ج ٢٥، ص ٢٤٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي
الهيثمي: ج ٨، ص ٢٧٤.

(٨) الأزهر: هو.

(٩) أكيس: أعقل، أي المؤمنين أكيس أي أعقل.

انظر: غريب الحديث. لابن الجوزي: ج ٢، ص ٣٠٧.

(١٠) انظر: سنن ابن ماجه: ج ٥، ص ٣٢٧. حلية الأولياء. أصبهاني: ج ١، ص ٣١٣. الزهد. لأبي
مبارك: ص ١٤ .

(١١) الأزهر: الصلاة.

(١٢) الأزهر: لذكر.

للموتِ، قال: ليس صاحبكم حيثُ تذهبون^(١).

وقال عليه السلام: «من استحيى من الله حقَّ الحياة ولم ينسَ المقابر والبل»^(٢)،
وقال عليه السلام: «الجليسُ الصالحُ مثلَ صاحبِ العطرِ إِنْ لَا يَجُدُكَ عَطْرُهُ
يَعْبُقُ بَكَ مِنْ رِيحِهِ»^(٣)، رُوِيَّ عنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ^(٤) [أَنَّهُ]^(٥) قِيلَ لَهُ:
(لَمْ لَا تَجَالِسَ أَصْحَابَكَ؟! قَالَ^(٦): إِنَّهُ إِذَا فَارَقَ ذَكْرَ الْمَوْتِ قَلْبِي سَاعَةً فَسَدَ
عَلَى قَلْبِي)^(٧).

وقال الحسنُ: (إِنَّ الرَّجُلَ لِيَجْلُسُ الْمَجْلِسَ فَيَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، وَيَأْكُلُ الْأَكْلَةَ
فَيَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ، أَلَا تَرَاهُ يَنْدُبُ^(٨) إِلَى تَرَكِ مَا يَغْيِرُ^(٩) عَلَى الْعَبْدِ قَلْبُهُ)، وقال

(١) انظر: المصدر نفسه: ص ١١٣.

(٢) انظر: الترغيب والترهيب في الأحاديث. ركي الدين المنذري: ج ٣، ص ٢٦٩.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٣٢، ص ٣٩٩. المستدرك على الصالحين. الحاكم النيسابوري: ج ٤، ص ٣١٢. الكفاية في علم الرواية. أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ج ١، ص ٦٠.

(٤) الريبع: هو جامع بن أبي راشد الكاهلي الصيرفي الكوفي، قال الريبع: لو أعلم أي العمل أحبَّ
إِلَى الله لَعَنِ أَكْفَلِهِ، انظر: الطبقات. لابن سعد: ج ٨، ص ٤٤٦. تهذيب التهذيب. العسقلاني: ج ١،
ص ٢٨٨. موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل: ص ٣٦٧.

(٥) الأزهر: أَنَّهُ.

(٦) الأزهر: فقال.

(٧) انظر: التاريخ الكبير. تاريخ ابن خيثمة: ج ١، ص ٩٨. موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل:
ص ١٩٩.

(٨) الأزهر: يدل.

يَنْدُبُ: هو احْتِرَاقٌ ولَدُغٌ مِّنَ الْحُزْنِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٧٥٤.

(٩) الأزهر: ما بغير.

أبو حازم^(١): لقاءُ الإخوانِ يُلْقَحُ القلوبَ، و[في]^(٢) الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
بِالْحِكْمَةِ الْقُلُبَ»^(٣) كَمَا يُحِبُّ الْأَرْضَ بِوَابِلِ السَّمَاءِ^(٤).

والخصلة الرابعة: جُزْعٌ مِنْ خسْرَانِ الْعُمْرِ أَنْ تَضَيِّعَ [مِنْهُ]^(٥) سَاعَةً
بِغَيْرِ طَاعَةٍ، وَكَذَلِكَ يُرُوَى فِي التَّفْسِيرِ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَا تَنْسَ نَصِيبِكَ مِنَ
الدُّنْيَا}^(٦)، قَالَ: لَا تَدْعُ أَيَّامَ عُمْرِكَ [دُونَ]^(٧) أَنْ تَعْمَلَ فِيهَا لِنَفْسِكَ، وَكَذَلِكَ
جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْعَبْدَ تُعَرَّضُ لِهِ السَّاعَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا مَرَّتْ سَاعَةٌ لَمْ
يَذْكُرْ اللَّهُ فِيهَا كَانَتْ عَلَيْهِ حَسْرَةً^(٨)»^(٩)، وَرُوِيَ عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «أَدْرَكْتُ
أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى سَاعَاتِهِمْ أَشَحُّ مِنْكُمْ عَلَى دِنَارِكُمْ وَدِرَاهِمِكُمْ»^(١٠)، وَرُوِيَ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مُجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ

(١) أبو حازم: هو سلمة بن دينار، الإمام القدوة، الواضع، شيخ المدينة النبوية الزاهد، وروي عن: سعيد بن المسيب، وروي عنه: ابن شهاب، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، وعمارة بن غزية، وفقيه ابن معين، لم يكن في زمانه مثله.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ٩٧.

(٢) الأزهر: في.

(٣) الأزهر: قلوب.

(٤) ورد الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْقُلُوبَ بِنُورِ الْحِكْمَةِ كَمَا يُحِبُّ اللَّهُ الْأَرْضَ بِمِيَّتَةِ بِوَابِلِ السَّمَاءِ».

انظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: ج ١، ص ٦٨٤. المعجم الكبير. الطبراني: ج ٨، ص ٢٠٠.

(٥) الأزهر: منه.

(٦) القصص: ٧٧، الآية.

(٧) الأزهر: دون.

(٨) الحسنة: الغُمُّ عَلَى مَا فَاتَهُ وَالنَّدَمُ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّهُ لَحَسْنَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}، الْحَاجَةُ: ٥٠.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٢٣٥.

(٩) انظر: المعجم الكبير. الطبراني: ج ٢٠، ص ٩٤. غذاء الألباب في شرح مقطوعة الآداب. محمد السفاريني: ج ٢، ص ٤٩٣.

(١٠) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص ٥٢. المعجم الكبير. الطبراني: ج ١٠، ص ٩٤. البحر الزخار.
أحمد بن عمرو: ج ٥، ص ٥٢.

عليهم حسرةً يوم القيمة»^(١)، ورويَ عنه^(٢) [النبيّ]^(٣) عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَنَزَّلْتُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ»^(٤).

ورُوِيَّ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنْ ذَكْرَنِي خَالِي^(٥) ذَكْرُكَ خَالِيَا، وَإِنْ ذَكْرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكْرُكَ فِي مَلَأٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقْرَبَتِ إِلَيَّ فِتْرًا^(٦) تَقْرَبَتْ إِلَيْكَ بَاعًا^(٧)، وَإِنْ أَتَيْتَنِي تَسْعِي أَتَيْتُكَ هَرَوْلَةً»^(٨)، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ الْعَطَايَا بِالْمَعْوِنَةِ وَالْتَّوْفِيقِ^(٩) مَعَ الرَّحْمَةِ، لَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(١٠) يَنْزُلُ^(١١) إِلَيْ

(١) انظر: مسنن الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٢٤. مُجمِعُ الرَّوَايَاتِ وَمِنْبَعُ الْفَوَائِدِ. نور الدين علي: ج ١، ص ٧٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. علام الدين علي: ج ١، ص ٤٢.

(٢) الأزهر: عن

(٣) الأزهر: النبي.

(٤) انظر: مسنن الإمام أحمد: ج ٣: ص ٤٩. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع. عبد الفتاح الغني: ج ١، ص ٣٨٢.

(٥) الأزهر: خاليَا.

(٦) فِتْرًا: مقدار ما بين طَرْفِ الإِنْهَامِ وَطَرْفِ الْمُشِيرَةِ، وَفَتَرَتِ الشَّيْءُ فَتَرَا بِفَتْرِيِّ، وَشَبَرَتِهِ شَبَرَا بِشَبَرِيِّ.

يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ فِي الشَّيْءِ.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٨، ص ١٤. معجم مقاييس اللغة. أحمد الرازى: ج ٤، ص ٤٧٠.

(٧) باع: نحو ذرعه إذا قرَّه بذراعه.

انظر: أساس البلاغة. الزمخشري: ج ١، ص ٨٢.

الأزهر: ذراعاً.

(٨) انظر: المستدرك على الصحيحين. الحاكم النسابوري: ج ٥، ص ٣٥١. صحيح مسلم: ج ٤، ص ٢١٠٢.

التَّرَغِيبُ وَالْتَّرْهِيبُ فِي الْحَدِيثِ، زَكِيُّ الدِّينِ الْمَذْنُرِيُّ: ج ٢، ص ٢٥٢.

(٩) الأزهر: والتَّوْفِيقُ وَالْمَعْوِنَةُ.

(١٠) الأزهر: لأنَّ.

(١١) الأزهر: تعالى.

(١٢) الأزهر: لا ينزل.

أَحَدٌ أَطَاعَهُ أَمْ عَصَاهُ.

وَأَمّا الْخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ: وَهِيَ أَعْظَمُ الْخَصَالِ، وَهِيَ الَّتِي تَهْبِجُ مِنْ قُلُوبِ أَهْلِ الْأَشْتَغَالِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالْمَحِبَّةِ لَهُ، وَهِيَ الْكُرَاهَةُ^(١) وَالْجَزَعُ مِنْ مَدْخُلِ طَرْفَةِ عَيْنٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ [بِالْغَفْلَةِ] حُبًّا لَهُ^(٢) وَاشْتَغَالًا بِذِكْرِهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مُحِبٍ لِحُبِّهِ وَيَجْزُعُ مِنْ كُلِّ حَائِلٍ يَحْوِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسْبَابِ الْمُشْغَلَةِ؛ كُرَاهَةً أَنْ تَحْلَّ فِي قُلُوبِهِمْ الْغَفْلَةُ عَنْ رَبِّهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ أَبَاءَ جَهَنَّمَ^(٣) أَهْدَى إِلَيْهِ رِدَاءً^(٤) مُعْلِمًا^(٥) وَأَخَذَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَاءً^(٦) أَنْبُجَانِيَّا^(٧)، فَلِمَا صَلَّى فِيهِ وَانْصَرَفَ نِزْعَهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنَّ هَذَا شَغَلَ قَلْبِي^(٨) آنِفًا^(٩)، اذْهَبُوا بِهَا^(١٠) إِلَى أَيِّ جَهَنَّمَ وَأَتُوْنِي بِأَنْبُجَانِيَّتِهِ^(١١). وَسَرَّتْ عَائِشَةُ رَضِيَ

(١) الأَزْهَرُ: الْكُرَاهِيَّةُ.

(٢) الأَزْهَرُ: حَبَالَهُ.

(٣) أَبُو جَهَنْ بْنُ حَذِيفَةَ الْقُرْشِيِّ الْعُدُوِّيِّ، وَكَانْ عَالِمًا بِالنِّسْبَ، كَانَ مِنْ بَنِي الْبَيْتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِي النَّبِيِّ (ص)، لِفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، إِذْ خَطَبَهَا: أَمَا أَبُو جَهَنْ فَإِنَّهُ ضَرَابٌ لِلنِّسَاءِ. انْظُرْ: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ. الذَّهَبِيُّ: ج٢، ص٥٥٧.

(٤) الأَزْهَرُ: ثُوَبًا.

(٥) وَهِيَ الْبِرْدَةُ مِنْ نَوْعِ سِبَانِ مَخْطَطَةٍ تُمْتَهَنُ تَعْرِيفَهَا.

(٦) الْكَسَاءُ: وَهُوَ الْبَلَاسُ، قَالَ تَعَالَى: {أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةِ^(١٢)، المَانِدَةُ: ٨٩}.

انْظُرْ: مَفَرَّدَاتُ أَفَاتِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٧١١.

(٧) الْكَسَاءُ الْأَنْجَانِيُّ: وَهُوَ كَسَاءٌ يُتَخَذُ مِنَ الصُّوفِ لَهُ حَمْلٌ وَلَا عَلَمُ لَهُ.

انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ ابْنِ مَنْظُورٍ: ج١، ص٣٧٢.

(٨) الأَزْهَرُ: شَغَلَ هَذَا قَلْبِي.

(٩) آنِفًا: أَيِّ مِبَادَأٍ، قَوْلَهُ تَعَالَى: {مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}، مُحَمَّدٌ: ١٦، الْأَيَّةُ.

انْظُرْ: مَفَرَّدَاتُ أَفَاتِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٩٥.

(١٠) الأَزْهَرُ: بَيِّنٌ.

(١١) انْظُرْ: صَحِيحُ مُسْلِمٍ: ج١، ص٣٩٢. سِنَنُ ابْنِ مَاجَةَ: ج٢: ص١١٧٦. السِّنَنُ الْمَأْتُورَةُ لِلشَّافِعِيِّ: ج١، ص٢٤٦.

الله عنها بآبها بستٍ^(١) فقال: «يا عائشة انزععيه، فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا»^(٢).

ولبس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتماً من ذهبٍ ثم صعدَ [على]^(٣) المنبر فَرَمَاهُ، وقال: «نظرةٌ إِلَيْهِ وَنَظْرَةٌ إِلَيْكُمْ إِنَّهُ شَغَلَنِي عَنْكُمْ»^(٤)، وَشَرَكَ نعله بشرالك جديده، فقال: «انزعوه وأعيدوا^(٥) الأول»^(٦)؛ فإنه أشغل قلبي^(٧) «أَفَلَا ترَاهُمْ يَجْزِعُونَ فِي الصَّلَاةِ مِنْ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ»^(٨).

فهم الصلاة. للحارث المحاسبي: ص ٣٧٤.

(١) السُّنْنَةُ: الظلُّ، وظلُّ الشَّجَرَةِ، أي: سُنْرَاهَا وَتَطْبِينَهَا، والكِلَّةُ: السُّنْنَرُ الرَّقِيقُ، والقرام إذا خيط فصار كالبيت، فهو كلّة، وعلى الباب قرَام» في الحديث.
انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم المؤونتي: ج ٣، ص ٤٥٧. تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٨، ص ١٢١.

(٢) جاء في الحديث الشريف: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرْجَةً، ثُمَّ دَخَلَ وَقَدْ عَلِقَتْ قَرْلَمَا فِي الْخَيْلِ أَوْلَادُ الْأَجْيَحَةِ، فَلَمَّا رَأَهُ، قَالَ: انْزِعْهِ». فتح الباري شرح صحيح البخاري. زين الدين عبد الرحمن الدمشقي : ج ١٠، ص ٥٤. سنن النسائي: ج ٨ ص ٤٥٨. الزهد. لأبي مبارك: ص ١٤٥.

(٣) الأزهُرُ: على.

(٤) الشَّرَكُ: شبور من جلد يدخل ذلك في الثقب من الطرف الآخر، ويُنْزَمُ بها المنطقة على الوسط، الشَّرَالُكُ سِنْرُ النَّعْلِ على القدم.
انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن: ج ٢، ص ٧٤٣.

(٥) الأزهُرُ: وائتوني.

(٦) الأزهُرُ: بالأول.

(٧) الأزهُرُ: شغل.

(٨) انظر: الزهد. لأبي مبارك: ص ١٤٦.

وأمام الخصلة السادسة: فلخفة الحساب^(١) وقلة الحبس^(٢)، و[و][٣] القربة من الله عز وجل^(٤) في الآخرة في الارتفاع بالدرجات^(٥)؛ لأنهم إنما يدخلون الجنة بعد الرحمة بالتقى، ويعلون في درجاتها بالقربة إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة، ألا تراه يقول تبارك وتعالى: **فَاسْتِبْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا**^(٦).

وقال: **{فَيَنْهُمْ ظَالِمُونَ لِنُفْسِيهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدُ}**^(٧)، الآية. وقال: **{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقْرَبُونَ}**^(٨).

وقال: **{وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ}**^(٩).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتاني جبريل فعرض علي خزائن الأرض، فقال: يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض فخذها ولا

(١) الحساب: هو صفة من صفات الله استثار بها فلا يشركه فيها شيء. إن سوء الحساب أن لا يقلل منه حسنة.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٩٩. المحكم المحيط الأعظم. علي بن إسماعيل: ج ١، ص ٧٤. معجم في المصطلحات والفرق اللغوية الكليات. أبوبن موسى الحسيني: ج ١، ص ٥٣.

(٢) والحبس والمحبس: موضعان للمحبوس، فالمحبس يكون سجنًا، الحبس يعني زاهد.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٣، ص ١٥٠.

(٣) الأزهر: و.

(٤) الأزهر: تعالى.

(٥) الأزهر: في الدرجات.

(٦) المائدة: ٤٨، الآية.

(٧) فاطر: ٣٢، الآية.

(٨) الواقعة: ١١، ١٠، الآية.

(٩) البقرة: ١٨٥، الآية.

ينقصُ^(١) مَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا، فَقُلْتُ: اجْمَعُوهَا لِي جَيْعًا فِي الْآخِرَةِ^(٢). فَنَزَّلَتْ: {تَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ حَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا}^(٣). وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَلَالَ^(٤): «يَا بَلَالُ، مَا لَيْلَةٌ مُوْضِعًا مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا سَمِعْتُ حِسْكَ فِيهَا»^(٥). قَالَ^(٦): «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوْضَاتٍ، وَلَا تَوْضَاتٍ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ»^(٧).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظَرُونَ إِلَيْنَا كَمَا يَنْظَرُونَ إِلَيْنَا الْكَوْكِ الدَّرِّي فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَابِكُرَ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنَّعَمَا»^(٨)، وَقَالَ [النَّبِيُّ]^(٩) عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَكَرَ الْمُتَحَايِّنِ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ: «هُمْ قَوْمٌ لَيُسُوا بِأَنْيَاءِ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْتَطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَلِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزِيزٍ».

(١) الأزهر: تتفق.

(٢) انظر: فتح الباري للبخاري شرح صحيح البخاري. زين الدين عبد الرحمن: ج٤، ص٧٤٤. مسند الإمام أحمد: ج٣: ص٤٨٩. جامع الأحاديث القدسية. عصام الدين الصباطي: ج٦، ص٢٧٠.

(٣) الفرقان، ١٠: الآية.

(٤) هو بلال بن رياح (رض)، أبا عبد الكري姆 وهو مؤذن رسول الله (ص) وخازنًا، روى أبو الدرداء: فنزل دارياً في خولان، فقال لهم بلال (رض): قد أثنيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهداانا الله، وكنا مملوكين فأعْنَقْنَا الله، وكنا فقيرين فأعْنَقْنَا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تزدونا فلا حول ولا قوة إلا بالله، فزوجوهما، دفن في حلب سنة ١٧٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج١، ص٣٤٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين الجزري: ص١٣٠.

(٥) الأزهر: فيه.

(٦) الأزهر: فقال.

(٧) انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل: ج١، ص٣٨٦.. مسند الإمام أحمد: ج٥، ص٣٥٤.

(٨) انظر: المصنف لأبي شيبة: ج١، ص٤٤٧. الجامع الصحيح. الترمذى: ج٤، ص٦٠٧. سنن أبي داود: ج٤، ص٣٤.

(٩) الأزهر: النبي.

وَجَلَ، فَجَّهَا^(١) رَجُلٌ مِنْ أَقَاصِيَةٍ^(٢) الْقَوْمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ مِنْ النَّاسِ لَيْسُوا بَأَنْيَاءٍ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمْ^(٣) الْأَنْيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٤)؟

فَسَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُؤَالِ الرَّجُلِ إِيَاهُ، فَقَالَ: «نَعَمْ هُمْ قَوْمٌ؛ نَاسٌ مِنْ أَفَنَاءِ^(٥) الْقَبَائِلِ^(٦) وَنَوَازِعِ^(٧) الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، يَتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ وَيَتَجَالِسُونَ فِي اللَّهِ وَيَتَزَارُوْنَ فِي اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَجْعَلُ اللَّهُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابُهُمْ نُورًا، فُوْضِعَ^(٨) لَهُمْ مَنَابِرٍ [مِنْ نُورٍ]^(٩) فَأَجْلَسُوا عَلَيْهَا، يَحْزَنُ النَّاسُ وَلَا يَحْزُنُونَ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْيَاءُ

(١) الأزهر: فحبأ.

فَجَّهَا: بَرَكَ. جَلَسَ عَلَى رُكْبَتِيهِ، وَأَيْضًا جُثِّ جُثًا، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنَذَرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُثْنِيَا} مَرِيم: ٧٢. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٢، ص ١٢٧.

(٢) أقصيَة: أي أقصيَة المعمورة: من آخر الدنيا المكان البعيد.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٦.

(٣) يغبطهم: أي أغبطهُمْ: هُوَ إِذَا اشْتَهَيْتَ أَنْ يَكُونُ أَكَ نَعْمَةُ أَوْ رَزْقُ مُثْلِ شَخْصٍ أَخْرَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ مَا هُوَ فِيهِ، انظر: الفروقُ اللغویَّةُ. العسكري: ج ١، ص ١٢٨. لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ٣٥٧.

(٤) الأزهر: تعالى.

(٥) أَفَنَاءُ الْقَبَائِلِ: أي الْأَمْصَارِ وَنَوَاجِهِا، رَجُلٌ مِنْ «أَفَنَاءِ» النَّاسِ، أَيْ لَمْ يَعْلَمْ مَنْ هُوَ، وَلَا يَقُولُ فِي الْوَاحِدِ رِجْلٌ مِنْ أَفَنَاءِ النَّاسِ، وَهُمْ قَوْمٌ نَرَاعٌ مِنْ هَهُنَا وَهَهُنَا.

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. جمال الدين الكجراتي : ج ٤، ص ١٧٩.

(٦) الأزهر: الناس.

(٧) وَنَوَازِعُ: يَنْزَعُ إِلَى أُوْطَانِهِ، غَرَائِبُ نَزْعِنَ عنْ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنَسَاءُ نَزَائِعُ: تَزَوَّجُنَ فِي غَيْرِ عَشَائِرِهِنَّ. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٨، ص ٣٥٠.

(٨) الأزهر: وَوْضُع.

(٩) الأزهر: مِنْ نُورٍ.

وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَ (١) «فَلَهُنَّهُنَّ الْمُتَّخِصُّونَ بِعَوْنَى الْعُمَالِ».

وقد يعمُل العبد بخصلةٍ منها وبخصلتين وأكثُر، وقد يجمعها العاقل المُرِيد [الله] (٤) فيعمل بها، وذلك العامل بالله عزَّ وجلَ المشغول به وهي ستُ خصالٍ تكميلاً للفرائض وتكفيراً للسيئات وتجريداً (٥) للقلوب وحياةً لها وعهاراً (٦) وشكراً للنعمَة وربحاً للعُمر، جزعاً أن ينسر منه ساعةٌ في غير طاعة، وكراهةٌ وجزعاً أن يدخل بين المُرِيد وبين رَبِّه عَفْلَة، ولدَوام الاستغلال به والإقبال عليه ولخفة الحسابٍ وطول الحبسٍ في الموقف للقرية (٧) مِنَ الله تعالى والارتفاع في الدرجات.

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) انظر: الzedd. لأبي مبارك: ص ٤٧٧. مسند الإمام أحمد: ج ٥، ص ٣٤٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين علي: ج ١٠، ص ٢٧٧.

(٣) المُرِيد أصولها تمرد: عصى خرج عن الطاعة، من ظهر شرُه، هو من الجن والإنس.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مُسْلِم العوتبِي الصُّحَارِي: ج ٤، ص ٣٤٥.

(٤) الأزهر: الله.

(٥) تجريداً أي التجريد: مصدر جرد الجلد حلق شعره أو صوفه.

انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفرقون اللغوية. أيبوب بن موسى الحسيني: ج ١، ص ٢٧٤.

(٦) الأزهر: وللقرية.

مسألة (١)

قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ حَقَّاً فِي الْقَلْبِ دُونَ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ فِي جَمِيلِهَا ثَلَاثَةٌ:

أولها: اعتقاد^(٢) الإيمان ومحاجنة^(٣) الكفر.

والثاني: اعتقاد السُّسَّةِ ومحاجنة البدعة.

والثالث: اعتقاد الطاعة^(٤) ومحاجنة الإصرار على ما كرَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ تفترق هذه الخصال الثلاث لفروع^(٥) لا تُحصى من أعمال القلب خاصةً، ومن هموم القلب بعمل^(٦) الجوارح، فَمِنْ أَعْمَالِ الْقَلْبِ خَاصَّةً الَّتِي تَكُونُ عَنْ هَذِهِ الْجَمِيلَةِ:

(١) الأزهر: من أعمال القلوب.

(٢) اعتقاد: اسم اطمئنان القلوب على شيء، اعتقاد وتصديق بالقلب. فَذَلِكَ الإيمانُ الَّذِي يُقَالُ لِلْمُؤْسُوفِ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٣٣. الكليات: . معجم في المصطلحات والفرق اللغوية. أيوب الحسيني: ج ١، ص ٧٤.

(٣) محاجنة: أي الجنب: وجَنَّبَ الشيءَ واجتَهَبَهُ: بَعْدَ عَنْهُ، قوله تعالى: **وَاجْهُنِي وَتَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**، إِبْرَاهِيمٌ: ٣٥.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٧٨. القاموس المحيط: . مجد الدين الفيروز آبادي ج ٦٩.

(٤) الطاعة: من الطوع وهو تقييض الكُرْهَ، إِذَا أَنْقَادَ لَهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٢٤٠. تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج ١، ص ١٧٧.

(٥) الأزهر: إلى فروع.

(٦) الأزهر: بأعمال.

اعتقاد التواضع ونفي الكبر، واعتراف^(١) في الظاهر أَمْنًا مِنَ الله تعالى ونفضل ونفي للعجب، واعتقاد لنصح العباد^(٢) وحبّ الخير لهم.

واعتقاد الكراهة لنزوٰل البلاء بال المسلمين نصّحاً لهم وانقأة الشّماتة^(٣).

واعتقاد الخوف ونفي الأمان.

واعتقاد الحذر والشفقة والوحْل مع^(٤) العمل الصالح ونفي الغرّة بالله.

واعتقاد السلام للعباد ونفي الحقد وتنبي البلاء.

واعتقاد الصبر ونفي الجزع.

واعتقاد الرضى ونفي السخط.

واعتقاد اليأس ممّا في أيدي العباد^(٥) يقيناً بالمدور ونفي الطمع.

واعتقاد الثقة بالله والتوكل عليه يقيناً؛ لأنَّه المالك لا مالكٌ غيره، ولا مُقدمٌ لما أخر ولا مؤخرٌ لما قدم، ولا زائد^(٦) لما قللٌ ولا مُقللٌ لما كثُر، وأنَّه أنظرُ للعبد من نفسه وأعلمُ بما يصلحُه^(٧).

واعتقاد الرُّهُد^(٨) ونفي الرغبة.

(١) الأزهر: اعتقاد.

(٢) الأزهر: النصح للعباد.

(٣) للشماتة: من (شمت): الشماتةُ: فرُح العدو بليلة تنزل بِمِن يُعاديه، قوله تعالى: **فَلَا تُشْمِتُ بِي الأَعْدَاءَ، الْأَعْرَافُ: ١٥٠**.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٣، ص ٢١٠.

(٤) الأزهر: من.

(٥) الأزهر: الناس.

(٦) الأزهر: زائد.

(٧) الأزهر: بمصالحة.

(٨) (الرُّهُد) ضُد الرَّعْبَةِ في الشيء، والرُّهُدُ: التَّعْدُدُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُّرْهُدٌ».

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي : ج ٢، ص ٨٧.

واعتقاد اليقين ونفي الخوف والرجاء^(١) من المخلوقين.

[واعتقاد الإخلاص^(٢)، ونفي الرياء وكظم^(٣) الغيظ^(٤)، ونفي الغضب^(٥) أن يستعمله^(٦) فيما كرها الله تعالى بقلبه دون جوازه، [وقال]^(٧): مِنْ أَغْتَاثَ فَلَمْ يَسْتَعْمِلْ غَيْظَهُ لَسْتَ خَلَلٌ :

لَمْ يَكَافِئْ بِمَعْصِيَةٍ؛ بِشَتْمٍ^(٨) وَلَا ضَرَبٍ وَلَا تصادم^(٩) فَوْقَ ثَلَاثٍ .
وَلَمْ يَتَمَنَّ بِقَلْبِهِ لَمْ يَغْتَاثَ عَلَيْهِ بَلَاءً فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، إِلَّا أَنْ يَتَمَنِي لَهُ
رَجَا أَنْ يَتَعَظَّ^(١٠) وَتَكُونَ لَهُ كُفَّارَةً، وَتَرْكُ الْمُنْيَ بِذَلِكَ أَفْضَلُ، [بَلْ]^(١٠)
يَتَمَنِي لَهُ التَّوْفِيقُ بِلَا بَلَاءً أَوْلَى بِأَنْ يَتَمَنِي لَهُ الْبَلَاءَ، وَلَمْ يَعْضُهُ بَعْضًا لَا
يَسْتَحْقِهُ فِي الدِّينِ يَسْتَقْلُهُ^(١١) بِذَلِكَ، [بَلْ]^(١٢) وَيُعْرَضُ عَنْهُ إِذَا رَأَهُ بَعِيشًا لَا

(١) الأزهر: الرجال.

(٢) الأزهر: اعتقاد الإخلاص.

(٣) كظم: كظمت الغيظ إذا أمسكت على ما في نفسك، قال الله عز وجل: **{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ}**، آل عمران: ١٣٤.

انظر: أساس البلاغة. : محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ج ٢، ص ١٣٨.

(٤) الغيظ: فُلُّ في مُهَلَّةٍ مِنْهُمَا جَمِيعًا، يباريه ويعالبه، وتأتيه كغيره.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو الزمخشري جار الله: ج ١، ص ٧١٨. تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٨، ص ١٥٧.

(٥) الأزهر: استعمله.

(٦) الأزهر: قال.

(٧) الشتم: وهو السبُّ، والاسم الشنيعُ، والشائعُ: التسابُ، والشتم هو وصف الرجل بما فيه إزراءٌ سيما فيما يتعلق بالنسب.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مسلم العونبي: ج ٣، ص ٣٢١.

(٨) الأزهر: تصارم.

(٩) الأزهر: يتغيظ.

(١٠) الأزهر: بل.

(١١) الأزهر: فيستقلهُ.

(١٢) الأزهر: بل.

فَعَلَ^(١) مَا^(٢) لَا يَبْغُضُ بِهِ الْفَاسِقِينَ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ هَذِهِ السَّتَّ خَصَالَ فَقَدْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَمْ يَسْتَعْمِلْ غَيْظَهُ إِذَا^(٣) كَانَ غَيْظَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَغْتَمْ^(٤) بِهِ لَا رَأَى بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ وَيَحْبُبُ زَوَالَهَا، وَلَمْ يَفْرَحْ بِهَا يَنْزُلُ بِهِ مِنْ مَصِيبَةٍ.
وَقَالَ: حُكْلَةٌ^(٥) [وَاحِدَةٌ]^(٦) مِنَ الْخَلَالِ^(٧) لَا تَنْفَضُ مَعَهَا مِنْ الْعَارِفِ فِي كُلِّ
حَالٍ وَهِيَ: التَّيقِظُ.

وَخُلَّةٌ لَا زِيَادَةُ مَعَهَا مِنْ عَارِفٍ^(٨) وَلَا جَاهِلٌ وَهِيَ: الْفَقْلَةُ وَالنَّسِيَانُ.

وَقَالَ: آفَةٌ^(٩) الْمُرِيدُ الَّتِي أَغْفَلَتُهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِتَحْرِي^(١٠) رَضَاهُ عَنَّهُ
خَاطِبَةُ الْخَلْقِ وَمُعَامَلَتِهِمْ؛ ذَكْرُهُ بِقُلْبِهِ طَلْبُ رَضَاهُمْ وَمُجَانِبَةُ سُخْطِهِمْ^(١١) فِي
مُجَاوِرَتِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ، فَإِذَا بَدَا بِذِكْرِ رَضَاهُمْ وَمُجَانِبَةِ سُخْطِهِمْ [أَشَغَلَهُ]^(١٢)

(١) الأَزْهَرُ: عَمَلٌ.

(٢) الأَزْهَرُ: بِمَا.

(٣) الأَزْهَرُ: إِذَا.

(٤) الْغُثْمَةُ: هُوَ الْفُرْزُ بِالشَّيْءٍ مِنْ غَيْرِ مُشَقَّةٍ، قَالَ تَعَالَى: {وَاغْلُمُوا أَنْتُمَا غُثْمَةً مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ اللَّهَ
خُسْنَةً}، الْأَنْفَالُ: ٤.

انظُرْ: تهذيبُ الْلُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ: ج٨، ص١٤١. لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج١، ص٢٩٠.

(٥) الأَزْهَرُ: خَصْلَةٌ.

(٦) الأَزْهَرُ: وَاحِدَةٌ.

(٧) الأَزْهَرُ: الْخَصَالُ.

(٨) الأَزْهَرُ: لِعَارِفٍ.

(٩) آفَةُ: هِيَ الْأَرْضَةُ، دُودَةٌ بِيَضَاءِ شَبَّهَ الْمُلْمَةَ تَنْظُهُ فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ.

انظُرْ: الْمُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ. عَلَيْ بْنِ إِسْمَاعِيلَ: ج٨، ص٢٢١.

(١٠) الأَزْهَرُ: عَنْ تَحْرِيٍ.

(١١) السُّخْطُ: الْغُضْبُ التَّشِيدُ الْمُقْتَضِي لِلْعَقَوْبَةِ.

انظُرْ: مُفَرَّدَاتُ أَفْلَاتِ الْقُرْآنِ. رَاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٤٠٢.

(١٢) الأَزْهَرُ: أَشْغَلَهُ.

ذلكَ عن ذِكْرٍ^(١) رضي^(٢) الله عَزَّ وَجَلَّ وَمَجَانِبَةَ سَخْطِهِ؛ فَصَارَ ذِكْرُ رِضا هُمْ شَعَارًا لِلْزَمَّ^(٣) قَلْبُهُ يَحْرُكُ^(٤) [بِهِ]^(٥) جَوَارِحُهُ، وَلَهُ يَنْطُقُ بِلِسَانِهِ، وَصَارَ رَضِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَمَنِي تَمَنِيَا وَهَالَ قَدْ زَالَ عَنْهَا يَتَوَجَّعُ لَهَا، ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَاوِدَةِ أَنْ يَبْدِأ^(٦) بِذِكْرِ رِضا هُمْ قَبْلَ رَضِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِذَا كَانَ قَدْ اسْتَحْكَمَ هَذَا الدَّاءُ فِيهِ وَاعْتَادَتِهِ نَفْسُهُ بِطُولِ الْمَوَاظِبَةِ عَلَيْهِ فَصَارَ ذِكْرُ رِضا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَطْرَاتُ^(٧)، فَإِنَّ أَرَادَ بَعْضُهُمْ [أَنْ]^(٨) تَعْظِمُ^(٩) نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْتَقِلُ عَنْ عَادَتِهِ فَلَا بَدَّ مِنَ الصَّبَرِ عَلَى خَلْتَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: يَبْدِأ^(١٠) بِهَا فَيَجْعَلُهَا أَصْلًا فِي قَلْبِهِ، وَهِيَ الْإِهْتِمَامُ وَالْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَحْأُرُهُ مَحَاوِرُ^(١١) وَلَا يَعْمَلُهُ مَعَالِمُ فِي أَمْرِ دُنْيَا وَلَا أُخْرَةٍ^(١٢) إِلَّا بِذِكْرِ رِضِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ بَقْلِبِهِ قَبْلَ ذِكْرِ مَحَاوِرِهِ^(١٣) وَمُعَامَلَةِ، فَإِذَا لَزَمَ هَذَا الْأَصْلُ قَلْبُ

(١) الأَزْهَرُ: ذِكْرُهُ.

(٢) الأَزْهَرُ: رَضِيَ.

(٣) الأَزْهَرُ: لَزْمٌ.

(٤) الأَزْهَرُ: تَحْرِكٌ.

(٥) الأَزْهَرُ: بِهِ.

(٦) الأَزْهَرُ: فَيَبْدِأُ.

(٧) الْخَاطِرُ: مَا يَحْتَطِرُ فِي الْأَقْلَبِ مِنْ تَدْبِيرٍ أَوْ أَمْرٍ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١، ص ١٠٤.

(٨) الأَزْهَرُ: أَنْ.

(٩) الأَزْهَرُ: تَقْطُلُ.

تَعْظِمُ: مِنَ الْعَظَمَةِ، وَعُظَمَاءُ الْقَوْمِ: سَادُوهُمْ وَذُوو شُرْفِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى فِي النِّسَاءِ: {إِنَّ كَيْدَنَّ عَظِيمٌ} يُوسُفُ: ٢٨، الآيَةِ.

انظر: مفردات أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الأَصْفَهَانِيُّ: ص ٥٧٣.

(١٠) الأَزْهَرُ: يَبْتَدِي.

(١١) الأَزْهَرُ: يَجَاوِرُهُ مَجَاوِرُهُ.

(١٢) الأَزْهَرُ: آخِرَتِهِ.

(١٣) الأَزْهَرُ: يَجَاوِرُهُ.

قرن^(١) إلَيْهِ الْخَذْرُ مِنْ أَنْ يَفْجُؤُهُ^(٢) مُعَامَلَةً وَهُوَ عَلَى غَفْلَةٍ؛ فَيُسْبِقُ ذِكْرَ رِضَاهُمْ عَلَى [ذِكْرِ]^(٣) رِضَى^(٤) رَبِّهِ^(٥).

وَالخَلْلَةُ الثَّانِيَةُ: إِذَا لَقِيَهُمْ فَعَالِمُهُمْ أَوْ حَاوِرُهُمْ^(٦) تَيْقَظُ؛ فَذِكْرُ رِضَى^(٧) اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ رِضَاهُمْ، فَإِنْ خَشِيَتِ النَّفْسُ وَنَازَعَتْ إِلَى عَادِتِهَا ذَكَرُهَا عَظِيمٌ قَدْرُ خَالِقِهِ^(٨) وَأَطْلَاعِهِ عَلَى ضَمِيرِهِ وَجُواهِرِهِ وَصَغْرِ قَدْرِهِمْ؛ لِيَعْظُمَ بِذَلِكَ قَدْرُ رِضَى [اللَّهِ]^(٩) خَالِقِهِ فِي قَلْبِهِ وَيَصْغُرُ [قَدْرَ]^(١٠) رِضَاهُمْ.

فَإِنْ غَفَلَ وَنَسِيَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِهِ لَمَّا يَغْلِبَ عَلَيْهِ مِنْ الْأَشْغَالِ فَزَعَ فَزَعَ الْمَطْلُوبُ الْهَارِبُ مِنْ الْهَلْكَةِ وَاسْتَغْفَرَ [وَاسْتَعَانَ بِ]^(١١) اللَّهِ، وَاعْوَدَ ذِكْرَ [رِضَى]^(١٢) اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِنْ هُوَ دَامَ عَلَى ذَلِكَ تَقْلِبَتْ أَحْوَالُهُ وَأَبْصَرَ مَا مَضِيَ مِنْ طَوْلِ غَفْلَتِهِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخَلْقِهِ؛ فَصَارَ ذِكْرُ رِضَى اللَّهِ شَعَارًا قَدْ لَزَمَ قَلْبَهُ يَهْبِطُ مِنْ قَلْبِهِ الذِّكْرُ

(١) قرن: يستعمل في الجمع بين الشرين.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. راغب الأصفهاني: ص ٦٦٧.

(٢) الأزهـر: يـجـأـهـ.

يـفـجـؤـهـ: مـنـ أـفـجـيـ: أـيـ مـتـبـاعـدـ بـمـسـاحـةـ وـاسـعـةـ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٦.

(٣) الأزهـر: ذـكـرـ.

(٤) الأزهـر: رـضـاـ.

(٥) الأزهـر: اللـهـ عـزـ وـجـلـ.

(٦) الأزهـر: جـاـوـرـهـ.

(٧) الأزهـر: رـضـاـ.

(٨) الأزهـر: خـالـقـهـ.

(٩) الأزهـر: اللـهـ.

(١٠) الأزهـر: قـدـرـ.

(١١) الأزهـر: اسـتـعـانـ بـ.

(١٢) الأزهـر: رـضـىـ.

حين يُعَانِيهِمْ^(١) ويُحْسِنُ بِهِمْ^(٢) قبل معاْملَتِهِمْ ومحاورَتِهِمْ^(٣).

فإِذَا عَامَلَهُمْ أَوْ حَاوَرَهُمْ^(٤) لَمْ تَزُلِّ الْمَنَاجَةُ بِقَلْبِهِ لِرَبِّهِ؛ فَقَلْبُهُ مَشْغُولٌ بِالْمَنَاجَةِ
رَبِّهِ، وَأَحَوَالُهُ وَجُوَارُهُ مَشْغُولٌ بِمَا يَرْضِي رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ؛ فَقَدْ اجْتَمَعَتْ لَهُ
خَصَالٌ ثَلَاثَةً^(٥) :

إِحْدَاهَا: فَرْحُ لِآمَالِ الرَّضِيِّ [الَّذِي]^(٦) يَهْبِطُ مِنْ قَلْبِهِ رَجَاءً^(٧) [لِرَضَا]^(٨)
أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ رَبِّهِ بَيْنِ الْعَامِلِينَ وَلَا يَسْبِي^(٩).

الْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: سَلَامَتُهُ مِنَ الْأَثَامِ^(١٠)؛ اشْتَغَلَ^(١١) قَلْبُهُ بِالْمَنَاجَةِ رَبِّهِ عَزْ وَجَلْ.

الْخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ: سَلَامَتُهُ مِنَ الْأَثَامِ الَّتِي كَانَتْ مِنْهُ طَوْلَ دَهْرِهِ^(١٢) فِي

(١) الأَزْهَرُ: يَعْتَبِهِمْ.

يُعَانِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ خَاسِهُ الرُّؤْيَةُ وَ(عَانِيَ) الشَّيْءَ رَأَهُ يُعَيِّنُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}، ط: ٣٩.
انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٩٩.

(٢) الأَزْهَرُ: إِلَيْهِمْ.

(٣) الأَزْهَرُ: مَجاوِرَتِهِمْ.

(٤) الأَزْهَرُ: جَارِهِمْ.

(٥) الأَزْهَرُ: ثَلَاثَ خَصَالٍ.

(٦) الأَزْهَرُ: الَّذِي.

(٧) الأَزْهَرُ: الرَّجَاءُ.

(٨) الأَزْهَرُ: لِرَضَا.

(٩) الأَزْهَرُ: بِنَاسٍ.

(١٠) الإِثْمُ، وَالْأَثَامُ: اسْمُ الْأَفْعَالِ الْمُبَطَّنَةِ عَنِ الْثَوَابِ، وَجَمِيعَ الْأَثَامِ، قَالَ تَعَالَى: {فُلِّ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ
وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، البقرة: ٢١٩.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٣.

(١١) الأَزْهَرُ: فَاشْتَغَلَ.

(١٢) دَهْرُهُ: مِنَ الدَّهْرِ: اسْمُ مَدَةِ الْعَالَمِ مِنْ مِبْدَأِ وَجُودِهِ إِلَى انْقِضَائِهِ، وَيَعْبَرُ بِهِ عَنْ كُلِّ مَدَةٍ كَثِيرَةٍ،
وَهُوَ خَلَفُ الزَّمْنِ؛ فَإِنَّ الزَّمْنَ يَقْعُدُ عَلَى الْمَدَةِ الْقَلِيلَةِ وَالكَثِيرَةِ، قَالَ تَعَالَى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاشَا
الدُّنْيَا ثُمَّ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}، الجاثية: ٢٤.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٢٠، ٣١٩.

معاملتهم ومحارتهم^(١) من غير ازيداً في دين ولا دنيا، فهذا المراقب لربه والخائف منه في سريرته، والمؤثر لحبته على محبة نفسه، والمنقطع إلى الله سبحانه عن خلقه فظاهره ظاهر أهل الدنيا، وباطنه باطن المخلين^(٢) الهائين^(٣) لربه؛ لأنَّه في ظاهر أحواله كأحواله الأولى التي كانت بالغفلة من قبله، فلما صرَّفَ قلبه إلى ربِّه اشتغل بذكر رضي ربِّه عن ذكر رضي خلقه فطاب في الدنيا عيشه، وتطهر من آثامه، وأنزل الخلق بالمنزلة التي أنزلهم [فيها]^(٤) ربُّهم عبيداً أذلاء لا يملكون له ضراً ولا نفعاً؛ فاثر رضي الله^(٥) على رضاهم وساخت^(٦) نفسه برضي الله عزَّ وجلَّ، وإن سخط جميع خلقه برضي^(٧) الله تعالى يُسخط كل أحدٍ ولا يُسخط الله تعالى برضي أحدٍ من خلقه، وملك^(٨) أمره في جميع ذلك؛ ترك الاستعمال ولزوم التأني والثبت ليراقب الرقيب عليه ولا يتعجل فيسخط عليه، وسائل ابن المبارك فقال لهُ رجل: إني أعزُّم على الاجتهاد فأجتهدُ ثمَّ أفتر^(٩)، ثمَّ

(١) الأزهر: مجاورتهم.

(٢) الأزهر: المخلين.

مخلين: ناقة صافوف: تصف بديها. أي تضم بدها عند إعطائها ما عندها من الحليب. وقد تعطي ما عندها في الجامع بين مخلين أو ثلاثة في حلبة واحدة، وهي تضع حفَّ رجُلها موضع حفَّ يدها في الحلب.

انظر: المعجم الاستقافي المؤصل للفاظ القرآن الكريم. محمد جبل: ج ٣، ص ١٢٣١. لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٣٣٨.

(٣) الهائين: من (الهيبة) المهابة وهي الإجلال والمخافة.

انظر: كتاب الألفاظ. ابن السكين: ج ١، ص ١٢٨.

(٤) الأزهر: فيها.

(٥) الأزهر: ربِّه.

(٦) الساخت: أي ارتياح شديد، وهي الأصل كلمة فارسية، مستخدمة عند العرب.

انظر: الإبانة في اللغة. سلمة بن مسلم العوتي الصخاري: ج ١، ص ٢٥٢.

(٧) الأزهر: يرضي.

(٨) الأزهر: وملك.

(٩) أفتر: من الفُتُور: سكون بعد حدة، وضعف بعد قوة، قال تعالى: **فَدْ جَاءُكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةِ** {، المائدة: ١٩، الآية.

أَعُودْ فَأَجْتَهْدُ ثُمَّ أَفْتَرُ، فَقَالَ لَهُ أَبْنَ مَبَارِكَ: فَأَنْتَ عَلَى اجْتِهَادِكِ؛ لَأَنَّكَ تَنْوِي الْاجْتِهَادَ وَإِنْ فَرَّتْ، أَرَأَيْتَ^(١) شَارِبَ الْخَمْرِ يَشْرِبُهُ مَرَّةً ثُمَّ يَمْكُثُ عَشْرَ سَنِينَ لَا يَشْرِبُهَا وَهُوَ يَنْوِي شُرُبَهَا، أَلَمْ^(٢) يَكُنْ مَدْمَنًا عَلَيْهَا؟ فَكَيْفَ يَحْسُبُ اللَّهُ ذَلِكَ فِي الشَّرِّ وَلَا يَحْسُبُهُ فِي الْخَيْرِ.

وَقَالَ^(٣): أَسْرَعُ الْأَشْيَاءِ إِزَالَةً لِغُلْظِ الْقَلْبِ وَانْكِسَارًا لِهِ ذُكْرُ اطْلَاعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِالْتَّعْظِيمِ، وَأَسْرَعُ الْأَشْيَاءِ اسْتِشَارَةً لِلْخَوْفِ مِنْ قَلْبِ الْعَارِفِ مَعَ ذِكْرِ سَالِفِ^(٤) الْذَّنَوبِ، وَمَعَ ذُكْرِ خَشْيَةِ حَلُولِ الْغَضْبِ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهَا، وَأَسْرَعُ الْأَشْيَاءِ إِزَالَةً لِلَاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا عِنْدِ الْمَعَايِنَةِ وَالْمَبَاشِرَةِ وَالْأَعْتِبَارِ بِهَا وَالنَّظَرِ بِهَا إِلَى مَا غَابَ مِنَ الْآخِرَةِ.

وَأَسْرَعُ الْأَشْيَاءِ هِيَ جَانِبُ تَعْظِيمِ اللَّهِ عَزَّ جَلَّ فِي الْقَلْبِ تَأْمُلُ الْآيَاتِ وَالدَّلَائِلِ فِي التَّدَبِيرِ^(٥) الْمُحْكَمِ وَالصَّنْعَةِ الْمُتَقْنَةِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَ فِيهَا [مِنْ]^(٦) دَلَائِلَ نَاطِقَةٍ^(٧) وَشَوَاهِدٍ وَاضْحِيَّةٍ، [وَ]^(٨) أَنَّ الَّذِي صَرَرَهَا عَظِيمٌ قَدْرُهُ نَافِذَةٌ مُشَيَّتَهُ عَزِيزٌ فِي سُلْطَانِهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٢.

(١) الأزهر: فأنت مثل.

أَرَيْتَ: من رأى: وَيَجْرِي فِي الْكَلَامِ مَجْرَى الْاسْتِخْبَارِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَرَيْتَ الَّذِي يَنْهَا عَبْدًا إِذَا صَلَّى} العَلْقَ: ٩، الْآيَةِ.

انظر: العين : الفراهidi: ج ٨، ص ٣٧.

(٢) الأزهر: لم.

(٣) المحاسبي رحمة الله.

(٤) السُّلْفُ: سَلَفَ الشَّيْءَ: إِذَا تَقَعَّمَ، وَمِنْهُ قِيلَ: حَدِيثُ مَأْوَرٍ، أَيْ يَدْكُرُهُ خَلْفَ عَنْ سَلَفٍ، قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا سَلَفَ وَأَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ}، الْبَرْقَةُ: ٢٧٥، الْآيَةِ. يَعْنِي يَتَجَافِي عَمَّا تَقَعَّمُ مِنْ ذَنْبِهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٢٠. الْظُّنُمُ الْمُسْتَعْذَبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ أَلْفَاظِ الْمَهَدِّبِ. محمد بن أَحْمَدَ: ج ٢، ص ١٥٩.

(٥) الأزهر: التَّدَابِيرِ.

(٦) الأزهر: من.

(٧) الأزهر: باطنة.

(٨) الأزهر: و.

وأشد الأشياء إماتة للشهوات لزوم الأحزان للقلب، وأكسر^(١) الأشياء عن القلب نشاطاً للدنيا الْكَمْدُ^(٢) من بَعْدِ الحزن، وليعد^(٣) الأشياء على سخا^(٤) النفس لترك الشهوات [و]^(٥) الشوق إلى جوار العزيز الكبير.

وأشد الأشياء إزالة للمكاثرات في علو الدرجات في منازل العبادات لزوم القلب محبة الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ^(٦)، وأنعم^(٧) الأشياء لقلوب العارفين وأدومها سروراً الشوق إلى قرب الله جَلَّ وَعَزَّ^(٨) واستماع^(٩) كلامه والنظر إلى [رحمة]^(١٠) وجهه الكريم عَزَّ وَجَلَّ.

وأطهُر الأشياء لقلوب المريدين: التوبية النصوح للعرض على رب العالمين، وتلك طهارة المتدينين ومن بعدها طهارة المحبين، وهي في قطع الاستغال بشيء من الدنيا عن محبوبهم، فإذا طهَّرَ القلب من كل شيء سوى الله عَزَّ وَجَلَ خلا من ذُكْرِ كل قاطع عن الله، وزال عنه كل حاجب يحجب^(١١) عنه؛ فتمَّ بالله تعالى سروره وصفاً ذكره في قلبه فاستثار له سبيل الاعتبار.

فَكَانَتِ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا عَيْنًا يَنْظُرُ بِهَا إِلَى سِرِّ مَا يَحْجُبُ مِنَ الْمَكْوُتِ، فَحِينَئِذٍ دَامَ بِاللَّهِ شَغْلُهُ وَطَارَ إِلَيْهِ حَنِينٌ وَقُرْتَ بِاللَّهِ عَيْنَهُ؛ فَالْحَزْنُ وَالْكَمْدُ^(١٢) قد كسرَا

(١) الأزهر: وأكثر.

(٢) الْكَمْدُ: الحزن المكتوم والْكَمْدَةُ: تغيير اللون.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٥، ص ٣٣٤.

(٣) الأزهر: واعون.

(٤) الأزهر: مخالفة.

(٥) الأزهر: و.

(٦) الأزهر: عز وجل.

(٧) الأزهر: عز وجل.

(٨) الأزهر: رحمة.

(٩) الأزهر: يحجبه.

(١٠) الْكَمْدُ وَالْكَمْدَةُ: تغيير اللون وَدَهَابُ صَفَائِهِ وَبِقَاءُ أَثْرِهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٣، ص ٣٨٠.

قليله والمحببة والشوق قد أنسخا^(١) إلى الله عز وجل^(٢) فؤاده؛ فشوقه إلى طلب القرب وحزنه لفوت^(٣) المحببة خشيه أن يحال بينه^(٤) وبينه^(٥).

وفي^(٦) رسالة الكلثوم بن عمرو^(٧) : ((أما بعد، فإني كتبت^(٨) إليك والناس في فتنه^(٩) وتحير^(١٠) قد عمى على الذي توجه [فيه]^(١١) مذهبة فيما كان فيه من

(١) سخا يَسْخَى: من الججاد.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده: ج ٥، ص ٢٨٥.

(٢) الأزهر: قد أَسْخَطَ قلبه على الدنيا.

(٣) لفوت من فات: اي أديب: نقىض الإقبال، قال تعالى: **{الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}**، الأنفال: ٥٠، الآية.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٢، ص ٦٥٤. مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٠٧.

(٤) والنوى: النية: عزم القلب على عمل من الأعمال فرض أو غيره.

انظر: الظاهر في غريب ألفاظ الشافعى: ج ١، ص ٢٤. جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج ١، ص ٤٩.

(٥) بينه وبينه: من التبيّن: أي المتصل به ليس بينه وبينه حاجز شيء، قوله تعالى: **{تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ}**، سيا: ٣، الآية.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ١، ص ٦٩١.

(٦) الأزهر: من.

(٧) هو الكلثوم بن عمرو بن أبيوب العتaby، صاحب المعلقة، نشأ في قنسرين فتعلم ما كان في خزائن الكتب بمرو، عاد ذلك على شعره بثمرات يائعة، ومدح العتaby البارمكية فنال حظوظهم ووصلوه بالرشيد، الخليقة العباسى فقرره إليه، حدثنا الجاحظ: كان الكلثوم العتaby يضع من قدر أبي نراس، يصف شعره بالسرقة من أبي هذيل الجامحى، رثى العتaby سيدنا عثمان بقصيدة، منها: ضَحَّوا بأشmost عُنوان السجود به^{*} يقطع الليل تسبيحاً وقرآنًا. توفي العتaby سنة ٢٠٨.

انظر: الأنساب. عبد الكريم بن محمد السمعانى: ج ٩، ص ٢١٦. مروج الذهب ومعادن الجواهر. المسعودي: ج ٣، ص ٢٩٤.

(٨) الأزهر: أكتب.

(٩) فتنه: من الفتن: هو معنى إدخال الذهب النار لظهور جودته من رداته، وفي إدخال الإنسان النار، قال تعالى: **{لَوْفُوا فَتَنَّكُمْ** الذاريات: ٤، أي عذابكم، وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهم يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٣.

(١٠) الأزهر: وبحر.

(١١) الأزهر: فيه.

أَدْبِهِ وَعَقْلِهِ^(١) مَعْ قَلَّةِ الْمُؤْنِسِينَ^(٢) لَهُ عَلَى طَرِيقِ الطَّاعَةِ، قَدْ كَانَ يُقَالُ إِنَّ الْمُغْبُونَ مَنْ غَبَّ^(٣) دِينِهِ فَلَا تَغْبِنَنَّ دِينَكَ، وَاعْلَمُ أَنَّ الْاِحْتِرَاسَ مِنَ النَّاسِ عَقْلٌ حَاضِرٌ؛ فَاحْتِرَسْ مِنْ سَلْكَ طَرِيقَ الْجَهَلِ إِنَّكَ تَغْنُمُ^(٤)، وَإِيَّاكَ وَمَخَالِطَتِهِمْ إِنَّكَ تَنْدُمُ، وَالْعَزْلُ شَرْفٌ وَالرَّيْنُ^(٥) وَالْاِخْتِلَاطُ بِالنَّاسِ فِي زَمَانِكَ هَذَا عَارٌ^(٦)، وَشَيْئُنْ يَلْزُمُكَ مِنْهُمْ وَكُلُّ تَبَعَّنَهُ^(٧)، وَيَلْحُقُ مِنْ مَجَالِسِهِمْ كُلُّ ذَلَّةٍ؛ فَإِنَّ طَرِيقَهُمْ مَذْهَبُكَ وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ نَظَرَ الْعَاقِلِ الْلَّبِيبِ^(٨)، وَلَا تَكُنْ عَنْهَا غَافِلًا فَنَكُونُ غَيْرَ أَدِيبٍ، وَحَاسِبُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَسْلُكُ بِهَا طَرِيقَ النَّجَاهَةِ يَوْمٌ تَحْتَاجُ إِلَى التَّقْرِبِ^(٩) مِنْ دَارِ الْفَائِزِينَ، وَتَخَلَّصُ مَا قَدِرْتَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الرَّضْيِ بِمَا يَأْتِيَكَ مِنْ أَخْبَارِ الْمُفْسِدِينَ، فَإِنَّ الرَّضْيَ بِذَلِكَ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ الدِّينِ، وَإِنْ كَانَ نَفْسُكَ

(١) الأَزْهَرُ: غَفَلَةً.

(٢) الْمُؤْنِسِينَ: مِنْ أَئْسَ شَيْئًا: أَيْ عَلِمْتُهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَنْخُلُوا بِيُؤْنَتُكُمْ حَتَّى تَشْتَأْسِفُو وَتَسْلَمُوا}، النُّورُ: ٢٧، الْآيَةُ.

انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج٦، ص١٥.

(٣) غَبَنْ: الْغَيْنُ، بِالسُّكِينِ، فِي الْبَيْنِ، وَالْعَيْنُ، بِالثَّرْبِ، فِي الرَّأْيِ. أَيْ شَيْئِهِ وَضَيْعَتِهِ. شَيْئِهِ وَأَغْفَلَهُ وَجَهَلَهُ.

انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج١٣، ص٣٠٩.

(٤) الأَزْهَرُ: تَقْيِيمٌ عَلَيْهِ مَعْهُمْ.

(٥) الأَزْهَرُ: زَيْنٌ.
وَالرَّيْنُ: الْطَّبَعُ.

انْظُرْ: الْمُنْتَخَبُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ. عَلَيْ بْنِ حَسَنِ الْازْدِيِّ: ج١، ص٣٩٨.

(٦) عَارٌ: كُلُّ شَيْءٍ لَزِمْتُ بِهِ سَبَبَيْةً أَوْ عَيْبٍ.

انْظُرْ: الإِبَانَةُ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَوْنَانِيِّ الصَّحَارِيِّ ج٣، ص٥١١.

(٧) تَبَعَّتْهُ: فَعَلَكَ شَيْئًا بَعْدَ شَيْئٍ. تَقُولُ: تَبَعَّتْ عَلَمَهُ، وَالْمَتَابِعَةُ أَنْ تُشَبِّهَهُ هَوَاهُ وَقَلْبُكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَأَتَأْتَيْهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ فَأَتَيْهُ الشَّيْطَانُ}، الْأَعْرَافُ: ١٧٥، الْآيَةُ.

انْظُرْ: الْعَيْنُ. لِفَرَاهِيْدِيِّ: ج٢، ص٧٨.

انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ. الْأَصْفَهَانِيِّ: ج٨، ص٤.

(٨) الْلَّبِيبُ: مِنْ لَبَّ، لَرْوِمٍ وَنَثَبَاتٍ، الْلَّبِيبُ: الْعَاقِلُ.

انْظُرْ: مَعْمَعُ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ: ج٥، ص١٩٩.

(٩) الأَزْهَرُ: الْقَرْبُ.

تنازعك إلى مُحَادِثِهِ الإِخْوَانِ وَمُنَادِمِهِ الْخَلَانِ فَاحْتَرِزُ^(١) مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ وَدًا^(٢) وَيُبَطِّنُونَ شَرًا، وَهَكُذَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ مَؤَاخِاتِهِ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَىِ، وَلَا^(٣) تَأْمِنُ شَرَّهُمْ أَبَدًا، وَهَبَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ السَّلَامَةَ وَغَفَرَ لَنَا وَلَكَ يَوْمَ الْعُرْضِ وَالْحَسَابِ^(٤).

(١) فَاحْتَرِزُ: مِنَ الْحِرْزَ: أَيْ تَوَقَّأُهُ مِنْهُ، الْمَوْضِعُ الْحَسِينُ.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ٣، ص ١٤٣٠.

(٢) وَدًا: الْقَوْا وَالْذَّالُ: كَلِمَةٌ تَنْلُ عَلَى مَحَبَّةِ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٦، ص ٧٥.

(٣) الْأَرْهَرُ: ولا.

(٤) جاء في كتاب التراث العربي (عرف المحاسب) كثوم بن عمرو، روى عنه رسالة دعا فيها إلى الزهد.

انظر: كتاب التراث العربي. فؤاد سزكين: ج ٤، ص ١١٣. تاريخ الأدب العربي. بروكلمان: ج ٢، ص ٣٥.

مسألة في الصّمت والكلام في الوعظ^(١)

وللبلاغة قلت: الصّمت أَفْضَلُ أَمَّا الْكَلَامُ؟

قال: الصّمت أَسْلَمٌ والكلام أَفْضَلُ عند الله تعالى إذا أُرِيدَ به وجهه وقصد فيه مع الإصابة، يُكَلِّمُ كُلَّ قومٍ على قدر فهمهم ولغة أُسْتَهْمُ، ولا يفْرَطُ أَيْضًا في الصّمت كما لا يفْرَطُ [أَيْضًا]^(٢) في الكلام، إِلَّا أَنَّهُ أَنْ^(٤) أَفْرَطَ في الصّمت ضيئعَ كثِيرًا من حقوق الله تعالى أَنْ يَقُومَ بِهَا بِلِسَانِهِ يَعْتَرِي^(٥) مِنِ الْإِفْرَاطِ آفَات^(٦) كثِيرَةً.

قال: عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ^(٧)، قُلْتُ لِرَزِيدَ بْنِ عَلَيْ^(٨): الصّمت خَيْرٌ أَمَّا الْكَلَامُ؟

(١) الأَزْهَرُ: مسألة في الصّمت والكلام في الوعظ والبلاغة.

(٢) أَمْ: إذا قُوِّيلَ به أَلْفُ الْاسْتِهْمَامِ فمعناه: أي، قوله تعالى: {أَنْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}، ص: ٦٣، الآية. معناه: أي زاغت.

انظر: مفردات أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الأَصْفَهَانِيُّ: ص: ٨٨.

(٣) الأَزْهَرُ: أَيْضًا.

(٤) الأَزْهَرُ: إِذَا.

(٥) يَعْتَرِي: عرَاهُ أَمْرٌ يَعْرُوهُ عَرَوْهُ إِذَا غَشَيْهِ وَأَصَابَهُ.

انظر: المين. الفراهيدِيُّ: ج ٢، ص: ٢٣٣.

(٦) أَفَاتُ: أَفَاتُ فُلَكَنًا عَلَى الْأَمْرِ إِفَاءَةً إِلَّا أَرَادَ أَمْرًا، فَعَدَلَتْهُ إِلَى أَمْرٍ غَيْرِهِ.

انظر: لسانِ الْعَرَبِ. ابنِ مَنْظُورٍ: ج ١، ص: ١٢٥.

(٧) عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ حُصَيْنِ الْعَنْبَرِيِّ بْنُ عَمْرُو بْنِ تَمِيمٍ، وُلِيَ قِضاَءَ الْبَصْرَةِ، وَكَانَ مُحَمَّدًا نَقْهَةً عَالِقَةً مِنِ الرِّجَالِ، سَمِعَ عَنْ: دَاوُودَ بْنَ أَبِي هَنْدٍ وَخَالِدَ الْحَذَّاءِ وَسَعِيدَ الْجَرِيْبِيِّ، رُوِيَ عَنْهُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ، وَمَعَاذَ بْنَ مَعَاذَ الْقَاضِيِّ، وَخَالِدَ بْنَ الْحَارِثِ الْمَهْبِيِّ، قَدِمَ بَغْدَادَ أَيَّامَ الْمُهَدِّيِّ، كَانَ فَقِيئًا، مَاتَ سَنَةُ ١٦٨ هـ.

انظر: الْأَسْسَابِ. السَّمْعَانِيُّ: ج ٤، ص: ٢٤٦. تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَالْفَلَقَاتِ. مَحْبِيُّ الدِّينِ يَحْبِيُّ بْنُ شَرْفَ الْنَّوْوَىيِّ ج ١، ص: ٣١١.

(٨) زَيْدُ بْنُ عَلَيْ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رُوِيَ عَنْهُ: أَبِيهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَأَخِيهِ الْبَاقِرِ، وَلَهُ

فقال: (آخرَى)^(١) الله الساكنة^(٢) فِي أَفْسُدُهَا لِلسانِ وَأَجْلِبُهَا لِلضَّبْجَرِ،^(٣)
وَالله لِرَارَةٌ^(٤) فِي هَذَا الْعَيِّ^(٥) هِي أَسْرَعُ فِي هَدْمِ الْغَيِّ^(٦) مِنَ النَّارِ فِي يَابِسِ
الْعَرْفَجِ^(٧)، وَمِنَ السَّيْلِ^(٨) إِلَى الْجَذْوَرِ).

تُفَاسِيرُ فِي الْقُرْآنِ عَاشَ نِيَّقًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقُتِلَ يَوْمَ ثَانِي صَفَرَ سَنَةً ١٢٢٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٩٠.

(١) أَخْرَى: خَرَبَ خَرْبًا: أَيْ عَلِمَ ذَلِيلًا وَهَلَانَ، وَأَخْرَأَهُ اللَّهُ أَنَّهُ وَاهَانَهُ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن عبد الرزاق الحسني: ج ٣، ص ٥٤٤.

(٢) الْأَزْهَرُ: السكتة.

الساكنة من السُّكُون: هُوَ يَقِينُ النَّفْسِ وَتَلْحِيقُ الصَّدْرِ بِمَا عُلِمَ.

انظر: الفروق اللغوية. الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: ج ١، ص ٨١.

(٣) الصَّبَرُ: إِذَا بَدَتَ عَدَاوَتُهُ فَلَمْ يَقْرَرْ عَلَى كُثُمَهَا.

انظر: المخصوص. علي بن إسماعيل بن سيد المرسي: ج ١، ص ٢٤٦.

(٤) الْمَزَرَةُ: نسبهما إلى المراة لِمَا فِيهِمَا مِنْ مَرَّةِ الْأَمْمَ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهمروي: ج ١٥، ص ١٤١.

(٥) الْعَيِّ: عجز يلحق من تولي الأمر بالكلام، وهو لا دواء له، قوله تعالى: **وَلَمْ يَعْيِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ**، الآية ٣٣.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٠٠.

(٦) الْأَزْهَرُ: الْعَيِّ.

الْغَيِّ: جهل من اعتقاد فاسد، وانهماك في الباطل، قوله تعالى: **وَإِخْوَانُهُمْ يَمْدُونُهُمْ فِي الْغَيِّ**، الآية ٢٠٢.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٦٢٠.

(٧) الْعَرْفَجُ: نبات من نباتات وهو سريع الانتقاد إذا كان يابساً يسمى في العراق (القصب).

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٢، ص ٣٢٢.

(٨) السَّيْلُ: جمعه: سُيُولٌ. وَمَسِيلُ الْمَاءِ، وَجَمْعُهُ أَمْسِلَةٌ: وهي مياه الأمطار إذا سالت.

انظر: العين. الفراهيدي: ج ٧، ص ٢٩٩.

وقال في هذا الحديث بعض الحكماء^(١) في هذا الحدث قد عرفَ زيدُ آنَّ المرارة مذمومةٌ إِلَّا أَمَّا أَقْلُ ضررًا مِن السكوتِ الذي يورثُ البَلَادَةَ^(٢) ويختل العقل ويورثُ علَّا^(٣) ويولَّدُ أَدْوَاءً^(٤) أَيْسَرَها العَيِّ؛ فَالإِفْرَاطُ مِنْهُ [في الصمت]^(٥) يضرُّ^(٦)، إِلَّا أَنْ يسْكُتَ عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ، وَمَا^(٧) لَا يُعْرَفُ مِنَ القَوْلِ أَوْ عَنْ بَعْضِ الْكَلَامِ بِالْخَيْرِ^(٨) إِذَا غَلَبَ عَلَى قَلْبِهِ فَتَتَّهُ وَهَبَّمَ التَّصْنِعَ لَهُ، وَقَوْةُ^(٩) نَوَازُعُ الْعَجَبِ بِهِ، فَإِذَا سَلَمَ الْكَلَامُ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاتِ سَكَتَ عَنْهُ أَيْضًا إِلَّا أَنْ يَنْطَقَ فِي مَوْضِعِهِ وَفِي أَوَانِهِ وَلِمَنْ يَنْتَفِعُ، وَإِلَّا فَالصَّمْتُ أَوْلَى بِهِ.

(١) الأَزْهَرُ: بعض الحكماء في الحديث.

(٢) بَلَادَةً: هو المَعْنُوْهُ، المَنْقَطَعُ بِهِ، راجعٌ إِلَى الْحَيْرَةِ.

انظر: المَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ. عَلَيْ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيِّدِ الْمَرْسِيِّ: ج٩، ص٣٤٤.

(٣) علَّا: من الْعَلَّةِ: خَبْثُ النَّفْسِ وَضَعْفُهَا.

انظر: المَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ. عَلَيْ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيِّدِ الْمَرْسِيِّ: ج١، ص١٢٤.

(٤) أَدْوَاءً: مِنَ الدَّاءِ: الْمَرْضُ، وَالْجَمْعُ أَدْوَاءً. اسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَرْضٍ وَعِيْبٍ فِي الرِّجَالِ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ.

انظر لسان العرب. ابن منظور: ج١، ص٧٩.

(٥) الأَزْهَرُ: في الصمت.

(٦) الأَزْهَرُ: يَضَرِّ.

(٧) الأَزْهَرُ: أَوْ مَا.

(٨) الأَزْهَرُ: في الْخَيْرِ.

(٩) الأَزْهَرُ: وَقَوْيَةً.

وقد نهى العلماء^(١) أن ينطق كثيرون من العلماء^(٢) بعض الحكم^(٣)، إذا غلب عليه في التلطف أسباب الفتنة، ولو سلم المتكلّم من الفتنة ومن جميع^(٤) الآفات، ووُجِدَ لها مَوْضِعًا وأهلاً يَأْمُلُ المُفْتَنَةَ هُم بِقَوْلِهِ لِكَانَ مَعَ ذَلِكَ أَوْلَى بِهِ أَنْ يَخَافَ الْمُفْتَنَةَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ يَتَحَقَّقُ [من قائله]^(٥) لما يقول من فعله^(٦) وأخلاقه وآدابه [فهو ممقوت^(٧)]، كما خاف عمر رضي الله عنه على الأحنف بن قيس^(٨) والربيع بن زياد^(٩) أن يكونا غير محققين لما يقولان. وقال عمر بن ذر^(١٠): «المستعانُ اللَّهُ عَلَى الْسَّنَةِ تَصُفُّ وَالْقُلُوبُ تَعْرِفُ

(١) العلماء الذين نهوا عن الحكم: أبو موسى الأشعري ٤٤ هـ. الحسن البصري ١١٠ هـ. محمد بن إدريس الشافعى ٢٠٤ هـ. عبد الله بن مبارك ١٨١ هـ. عبد الله بن سعيد ٢٤٢ هـ.

انظر: بيان فضل علم السلف على علم الخلف. عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى: ص ٤٩.

(٢) العلماء الذين نطقوا بالحكمة: يحيى النحوي ٢٧ هـ. يعقوب بن إسحاق الكندي ٢٥٦ هـ. حنين بن إسحاق ٢٦٠ هـ.

انظر: الواقى بالوفيات. صلاح الدين الصفدى: ج ٢، ص ٣٣٧. الملل والنحل. الشهريستاني: ج ٣، ص ٥٠. عيون الأنبياء في طبقات الأطباء. أحمد بن أبي أصيبيعة: ج ٦، ص ١٥١.

(٣) الحكمة المنهى عنها: هي (الفلسفة) باليونانية، والفلسوف هو: فيلا سوفاً: تعنى فيلا هو (المحب)، وسوفا هي (الحكمة).

انظر: كشف الظنون. حاج جلبي: ج ٢، ص ٣٠. الملل والنحل. الشهريستاني: ج ٢، ص ٣٦٤.

(٤) الأزهر: كل.

(٥) الأزهر: من قاتل.

(٦) الأزهر: بفعله.

(٧) الأزهر: فهو ممقوت.

(٨) الأحنف بن قيس ابن معاوية بن حصين، الأمير الكبير، العالم النبيل، اسمه الضحاك، مات في الكوفة سنة ٦٧ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٨٧.

(٩) الربيع بن خثيم ابن عائذ، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، إنه عندما كان يدخل عليه الداخل وفي حجره المصحف فيغطيه، توفي الربيع بن خثيم قبل سنة ٦٥ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٥٨. ٢٦٠.

(١٠) عمر بن ذر: عبد الله بن زرارة، الإمام الزاهد العابد أبو ذر الهمданى الكوفي. وكان ثقة، توفي في سنة ١٥٣ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ٣٨٨.

وأعمالٍ تخالفُ^(١).

وقال: جعفر بن برقان^(٢) لميمون بن مهران^(٣)، أَنَّ^(٤) قول الله تعالى: {كَبُرَ مَقْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}^(٥)، هو للرجلِ بذُكْرٍ من نفسه مالم يعملُ، أو يأْمُرُ بما لَمْ يَفْعُلُ، قال: (كلا هما مَعْقُوت).

(١) الأَزْهَرُ: عمر رضي الله عنه.

انظر: البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ٢٨٤. الكشكوك. محمد بهاء الدين العاملي : ص ٣٦٧.

(٢) جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، الْجَزَرِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعَ مِنْ: مَيْمُونَ بْنُ مَهْرَانَ، ثَقَةٌ، ماتَ سَنَةُ ٥١٥٤هـ.

انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي : ج ٩، ص ٢٣٢. الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي : ج ٢، ص ١٨٧. الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس : ج ٢، ص ٤٧٤.

(٣) ميمون بن مهران: الإمام الحجة، عالم الجزيرة ومجتبيها، أبو أيوب الجزري، إلهٌ من ضمن العلماء الأربع للناس في زمن هشام بن عبد الملك، مكحول، والحسن، والزهري، وميمون بن مهران. توفي سنة ١١٧هـ.

تتظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٧٢.

(٤) الأَزْهَرُ: فِي.

(٥) الصَّفَ: ٣، الآيَة.

قال الشاعر: (١)

ابدأ بنَفِسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيْهَا
فَإِذَا انتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ تُسَمِّعُ (٢) إِنْ وَعَظْتَ
وَيُقْتَدِي (٣) بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبِلُ التَّعْلِيمُ.

وفي هذا أحاديث كثيرة تركتناها، ومع ذلك إنْ أَرَادَ أَنْ يُعِظَ (٤) فقد أَمَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِقْسَارِ الْخُطَبِ وَبِالْإِيْجَازِ فِي الْكَلَامِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعْثَنِي بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَأَخْتَصَّ بِالْحَدِيثِ اخْتَصَارًا» (٥).

(١) الشاعر: هو أبو أسود الدؤلي (ظالم بن عمرو بن سفيان)، كان مشهوراً بمحاصبته على بن أبي طالب (رض)، وكان على المكانة وقاضياً في البصرة في الحديث والفقه، ولد في أيام النبوة وحيث عن عمر (رض). وعلي (رض)، وأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، قرأ القرآن على عثمان (رض)، وعلى (رض). ومن أكملهم عقلاً ورأياً، أبو الأسود هو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف، وحرف الرفع والنصب والجر والجزم، ثقة، كان أول من تكلم في النحو، كان معهوداً في الفقهاء والشعراء، والمحاذين، والأشراف، والفرسان والأمراء، والدهاء، عاش ٨٥ سنة، مات سنة ٦٩ هـ. انظر: الباب في تهذيب الأنساب. الجزي: ج ١، ص ٥١٤. الإصابة في تميز الصحابة. أحمد بن علي: ج ٤، ص ٢٨٦. نزهة الألباء وطبقات الأباء. عبد الرحمن بن محمد الأنصاري: ج ٣، ص ٢٠.

(٢) الأزهر: يسمع.

(٣) الأزهر: يقتدي.

(٤) يُعْظَمُ الْوَعْظُ: هو التذكير بالخير فيما يرث لِهِ القلب، قال تعالى **لِيُعْظُمُ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ**، النحل: ٩٠، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٧٦.

(٥) جاء في الحديث **بِعِنْدِ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَنَصِرْتُ بِالرُّغْبِ**، فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَتَيْتُ بِمَفَاتِيحِ حَرَائِنِ الْأَرْضِ فُوْضِعْتُ فِي يَدِي».

انظر: صحيح مسلم: ج ١، ص ٣٧٢. صحيح البخاري: ج ٣، ص ٨٧. مسند الإمام أحمد: ج ٢، ص ٤٥٥.

وَذَمَّ بَعْضَ الْبَيَانِ^(١)، وَقَالَ: «هُوَ مِنَ النَّفَاقِ»^(٢)، وَمَدَحَ بَعْضَ الْعَيَّ، فَقَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^(٣)، وَلَمْ يَقُلِ الْبَيَانُ كُلَّهُ.

وَقَالَ: النَّابِغَةُ^(٤) قَالَ: (وَجَاءَتْ بُنْوَةُ تَمِيمٍ^(٥) لِيُعَارِضُوهُ بِالْبَلَاغَةِ بِخُطْبِهِمْ وَشَاعِرِهِمْ فَخَطَبَ خَاطِبَهُمْ وَأَنْشَدَ شَاعِرَهُمْ)^(٦)، فَقَالَ^(٧): ثَابَتْ بْنُ قَيْسٍ^(٨): فَقَامَ فَخَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: لَحْسَانُ بْنُ ثَابَتٍ^(٩) فَقَامَ فَأَنْشَدَ شِعْرَهُ فَعَلَاهُمُ الْبَيِّنُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) الْبَيَانُ: هُوَ الْكِتْفُ عَنِ الشَّيْءِ وَهُوَ أَعْمَّ مِنَ النَّطْقِ، يَكُونُ: الْأُولُ بِالْتَّسْخِيرِ، وَالثَّانِيَةُ بِالْأَخْتِيَارِ. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ١٥٨.

(٢) الْمُسْتَرِكُ عَلَى الصَّحِيحِينِ. الْحَاكِمُ الْنِيَّابُورِيُّ : ج ٤، ص ٨٠٦.

(٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٦٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٣، ص ٣٣٠. الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِسِنْنِ التَّرمِذِيِّ. التَّرمِذِيُّ: ج ٤، ص ٢٤٨.

(٤) قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدْسٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ جَعْدَةَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةِ يُكَيَّى (النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ)، شَاعِرُ زَمَانِهِ، وَقَدْ حَدَثَ عَنْهُ: يُعْلَى بْنُ الْأَشْدَقُ، عَشَرَ مِائَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً، شَاهِدُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ (ص)، وَأَنْشَدَ لَهُ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ١٧٨.

(٥) بَنُو تَمِيمٍ: هُيَّ مِنْ أَكْبَرِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ وَيُنْقَسِّمُونَ إِلَى عَدَدٍ عَشَّانِيَّرٍ مِنْهَا: بَنِي عُمَرٍو، بَنِي الْحَارِثِ، بَنِي مَرٍ، بَنِي الْعَنْبَرِ.

انظر: جمهرة النسب. لابن الكلبي: ص ٢٥٢. جمل من أنساب الأشراف. البلاذري: ج ١٣، ص ٧.

(٦) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٣، ص ٦٨٥. الْجَامِعُ الصَّحِيحُ. التَّرمِذِيُّ: ج ٥، ص ٦٨٩. مسند أَحْمَدَ: ج ٤، ص ٤٣٢.

(٧) رَسُولُ اللَّهِ (ص).

(٨) ثَابَتْ بْنُ قَيْسٍ، ابْنُ شَمَاسٍ بْنِ زَهِيرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ امْرَى وَكَانَ جَهِيرُ الصَّوْتِ، وَلَمَّا قَدِمَ وَفَدَ بْنِ تَمِيمٍ، وَافْتَخَرَ خَطِيبَهُمْ بِأَمْرِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ص) لِثَابَتَ بْنَ قَيْسٍ: قُمْ فَأُجْبِ خَطِيبَهُمْ. فَقَامَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَلْبَخَ، وَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ (ص)، وَالْمُسْلِمُونَ بِمَقَامِهِ، تَوَفَّى سَنَةُ ١٢٥هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١، ص ٣١٢.

(٩) حَسَانُ بْنُ ثَابَتٍ بْنِ الْمَنْذُرِ النَّجَارِ شَاعِرُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَصَاحِبُهُ، تَوَفَّى سَنَةُ ٥٤٥هـ..

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ص ٥١٣.

وقالت بنو تميم: وأبيك إنَّ خطيبه أخطبُ من خطيبنا، وإنَّ شاعرَه أشعرُ من شاعرنا، فذَّمَ بعضَ البيانِ وقالَ^(١): «إِنَّ اللَّهَ يَبغضُ الْبَلِيغَ مِنْ الرِّجَالِ»^(٢)، ثُمَّ لم يدعه مقطوعًا فيكون كلُّ بلِيغٍ بِيغْضُ اللَّهَ، فقالَ: «[وَهُوَ]^(٣) الَّذِي يَتَخلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخلَّلُ الْبَقَرَةُ بِلِسَانِهَا»^(٤)، وقالَ النَّبِيُّ: «يَا كُلُّ بِلِسَانٍ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرَةُ بِلِسَانِهَا»^(٥)، فَأَمَرَ^(٦) بِالإِحْجَارِ مَعَ الْبَيَانِ لِلْحَقِّ وَنَهَى عنِ الْإِكْثَارِ.

(١) الأَزْهَرُ: جاء.

(٢) انظر: الجامع الصَّحِيفَةُ. التَّرمذِيُّ: ج٥: ص١٣٠. سُنَّةُ أَبِي دَاوُودٍ: ج٤، ص٣٠٢. الْمُصْنَفُ. لِأَبِي شَبِّيَّةَ: ج٦، ص٢١٢.

(٣) الأَزْهَرُ: وَهُوَ.

(٤) انظر: الْبَحْرُ الْزَّيْخَارُ: ج٤، ص٤٨. مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: ج١، ص١٨٤.

(٥) جاء في الحديث: «لَا تَقْرُمُ السَّاعَةَ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِالْسِّنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ بِالْسِّنَتِهِمَا».

انظر: الْمَعْجمُ الْبَسيِطُ. الطَّبَرَانِيُّ: ج٦، ص٤٣. تَحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ. الْمَبَارِكَفُورِيُّ: ج٨، ص١٢٢.

(٦) الأَزْهَرُ: امْرَنَا.

قال: «حدثنا سعيد بن داود^(١) قال: أبو سفيان^(٢) عن معمر^(٣) عن قادة^(٤) قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فناداهُ من وراء الْحُجُّرَاتِ، فقال: «يا مُحَمَّدُ، إِنَّ مَدْحِي رَبِّي وَإِنَّ ذَمِي شَيْءٌ، فقال: وَيْلَكَ ذَلِكَ اللَّهُ وَيْلَكَ ذَلِكَ اللَّهُ»^(٥)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُّرَاتِ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}^(٦).

(١) سعيد بن داود، الإمام الحافظ، محدث الثغر أبو علي حسين بن داود، صاحب التفسير الكبير، حدث عن: جعفر بن سليمان الصباعي، وأبي بكر بن عياش، وعبد الله بن المبارك، حدث عنه: أبو بكر الأثمن، مات في سنة ٦٢٦ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ١، ص ٦٢٨.

(٢) سفيان سعيد بن حبيب، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، مصنف كتاب الجامع، حدث عنه: ابن جريج، وجعفر الصادق، وجعفر بن برقان وأبو حنيفة، أعلم رجل بالحال والحرام سفيان الثوري، قد كان رأساً في الزهد، قال سفيان: زينا العلم والحديث بأنفسكم ولا تنتزعنوا به، ودبرت أنفقي قرأت القرآن ووقفت عنده لم أتجاوزه إلى غيرها، أوصي إلى عمار بن سيف في كتبه فأحرقها.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٧، ص ٢٦٣.

(٣) معمر بن راشد، الإمام الحافظ، أبو عمرو الأزدي، نزيل اليمن، شهد جنازة الحسن البصري وطلب العلم وهو حدث، روى عن: معمر، وشعبة والتوري، حدث عنه: أيبوب، وأبو إسحاق، وعمرو بن دينار، تقى، رجل صالح بصري، سكن صناع، وتزوج بها، ورحل إلى سفيان الثوري، مات سنة ٥٤ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٧، ص ٦.

(٤) قادة بن دعامة بن قادة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، البصري الضرير الأكماء، روى عن: عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، روى عنه: أمّة الإسلام أيبوب السختياني، وابن أبي عربة، ومعمر بن راشد، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فقيه زمانه، مات سنة ١٢٨ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٥، ص ٢٧٠.

(٥) جاء في الحديث «يَا مُحَمَّدُ إِنَّ مَدْحِي رَبِّي، وَإِنَّ شَنْمُي شَيْءٌ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ (ص)، فَقَالَ: وَيْلَكَ ذَلِكَ اللَّهُ».

انظر: مسن الإمام أحمد: ج ٤، ص ٩. الجامع الصحيح. الترمذى : ج ٥، ص ٣٦٢. صحيح البخاري.

محمد إسماعيل : ج ٤، ص ١٨٣٤.

(٦) الْحُجُّرَات: ٤، الآية.

حدثنا سنيد قال: يا حجاج^(١) عن أبي بكر بن عبد الله^(٢) أَنَّ وَفَدَ تَمِيمَ
قَدَمُوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمُ الْقَعْدَاعُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ زَرَارَةَ^(٣)،
وَخَالِدِ بْنِ رَبِيعِ الْنَّهَشِلِيِّ^(٤)، وَلَبِيدِ بْنِ عَطَارِدَ^(٥)، وَالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسَ،

(١) حجاج بن محمد، الإمام الحجة الحافظ، أبو محمد المصيصي، الأئور، ترمذى الأصل. سكن بغداد، ثم تحول إلى المصيصة، سمع من: ابن جريج فأكثر، وأقىن، ومن يونس بن أبي إسحاق، حدث عنه: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق، وأبو خيثمة، ذكره أحمد بن حنبل فقال: ما كان أضيشه، وأصح حديثه، كان نقا، فمات ببغداد في سنة ٢٠٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٤٤٨. الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل: ج ١١، ص ٢٣٤.

(٢) عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أمير المدينة ثم قاضى المدينة، أحد الأئمة الأثبات، كان أعلم أهل زمانه بالقضاء، روى عن: أبيه، وعن عباد بن تميم، وعن سلمان الأغر، حدث عنه: ابنه عبد الله ومحمد والأوزاعي، وأفلاج بن حميد والمسعودي، لم يكن على المدينة أمير أنصارى سواه، وقيل: كان كثير العبادة والتهجد، توفي سنة ١٢٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣١٤. الإصابة في تميز الصحابة. أحمد بن علي: ج ٧، ص ٢٣. الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع: ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) القعقاع بن معبد بن زراة التميمي، من سادات العرب يقال له (تبار الفرات لسخائه)، وأدرك الإسلام مع وفد بنى تميم إلى رسول الله (ص)، ويوم كان حنين بعثة النبي (ص) أن يأتيه بالخبر.

انظر: أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري ج ٢، ص ٨٦٣. الأعلام. للزرکلي: ج ٥، ص ٢٠٢.

(٤) خالد بن ربيع النهشلي، التميمي، ويقال: خالد بن مالك بن الربعي، التميمي أحد وفود بنى تميم إلى رسول الله (ص)، كان خالد مقدماً في رهطه، وكان متنافر هو والقعقاع بن معبد، فقال لهما رسول الله (ص) «عرفتكم».

انظر: الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل: ج ٣، ص ١٥٩. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٢، ص ٨٩.

(٥) لبید بن عطَارَدُ بْنُ صَاحِبِ التَّمِيمِيِّ، كَانَ أَحَدَ الْوَفَودِ الْقَادِمِينَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ، هُوَ الْحَاجُ الَّذِي ضَرَبَ بِهِ الْمُثَلُ، عَنِّدَمَا رَهَنَ قَوْسَهُ لَدِيْ كَسْرَى مَلِكِ الْفَرْسِ بِأَلْفِ جَمَلٍ، وَعَادَ بِالْجَمَالِ وَأَرْجَعَ قَوْسَهُ الْمَرْهُونَةَ.

انظر: الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٦، ص ٦. الأنساب. محمد بن طاهر: ج ٤، ص ١٢. تاريخ دمشق. محمد بن مكرم بن على: ج ٥٠، ص ٥٠.

ومعاوية بن صعصعة^(١)، وقيس بن عاصم^(٢)، والزبرقان بن بدر^(٣) آخر بنى هدلة، وعمرو بن الأهتم^(٤)، فلما دفعوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان له تسع حُجَّراتٍ^(٥) من شَعْرٍ^(٦) معلقة بخشب العَرْعر^(٧)، فناداه القومُ من وراءَ الْحُجَّراتِ أَنْ «يَا مُحَمَّدَ اخْرُجْ إِلَيْنَا»، وكان فيهم

(١) يزيد بن الأصم، عبد عمرو بن عدس بن معاوية بن صعصعة، الكوفي، التابعي، كان ثقة، كثير الحديث، هو ابن اخت زوجة النبي (ص)، ميمونة، رأى النبي (ص) وسعد بن أبي وقاص، وسمع من ابن عباس، وأبي هريرة، ومعاوية، عائشة وميمونة، (رضي الله عنهم)، روى عنه: جعفر بن البرقان، عبيد الله بن ميمون، سكن الرقة، توفي سنة ١٥١٣هـ.

انظر: الثقات. أحمد بن حبان : ج٥، ص٥٣١. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج٦، ص١١٤. تهذيب الأسماء واللغات. محيي الدين يحيى: ج٢، ص١٦١.

(٢) قيس بن عاصم بن سنان المتفقى التميمي، صحابي جليل، وهو الذي قدم على رسول الله في وفد بنى تميم فأكرمه، وقال له: «هذا سيد أهل الوير»، فأمره النبي أن يغشل بما وسر. روى عنه: الحسن البصري، والأحنف، وخليفة بن حصين.

الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج٥، ص١٠١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ج٨، ص٣١٣.

(٣) ابن خلف بن بهلة بن عوف بن كعب بن تميم، وكان اسمه الزبرقان حصين، وكان شاعرًا جميلاً يقال له نجد، وكان في وفد بنى تميم الذين قدموا على رسول الله (ص)، فأسلم واستعمله رسول الله (ص) على صدقة قومه بنى سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان ينزل أرض بنى تميم ببادية البصرة وينزل البصرة كثيراً.

انظر: الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج١، ص٥٣١. الثقات. أحمد بن حبان : ج٣، ص١٤٢. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني : ج٣، ص٣.

(٤) عمرو بن الأهتم، شبيب بن شيبة بن عمرو الأهتم، التميمي، أبو عمر البصري، الخطيب، شاعر بليني في قومه وسيمي بالاهتم ضرب قوس استانه فهتمها، صالح صدوق، روى عن: حسن البصري، وعطاء بن رباح، ومحمد بن المنذر.

انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال : جمال الدين ابن الزكي ج١٢، ص٣٦٨. الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج٤، ص٢٨٦.

(٥) الحُجَّرات: جمع حِجَّةٌ وَهِيَ الْبُيُوتُ، وَمِنْهُ حُجَّراتٌ أَرْوَاجٌ النَّبَيِّ (ص).

انظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. الكجراتي : ج٤، ص١٤٥.

(٦) وَشَعْرٌ: مَكَانٌ دُوَّ شَجَرٌ، بِالْمُوَصَّلِ جِبْلٌ يَقَالُ لَهُ شَعْرَانُ، سَمِّيَ بِهِ لِكَثْرَةِ شَجَرِهِ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج١، ص٢٦٩. العين. الفراهيدى: ج١، ص٢٥٣.

(٧) عَرْعَرٌ: شجر من الفصيلة الصنوبرية له ساق عالٌ متين، خشبته جيد حسن المنظر.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن الأزدي: ج١، ص١٩٧.

رجلٌ شاعرٌ، فقال: «يا محمد اخرج إلينا فو الله إن مدحِي زَيْنُ، وإنَّ ذَمَّيْ شَيْنُ فخرَجَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُغْضِبًا فقالَ من قائلِ الكلمةِ، فقيلَ: شاعرٌ، فقالَ: «كذبَتْ، بل ذَلِكَمُ اللهُ».

قالَ: وبعثَ رسولُ الله إلى بني العبر^(١) عُيَيْنةَ بنَ حَصْنٍ^(٢) فقتلَ المقاتلةَ وسبي^(٣) الذراري^(٤) فجاءَ بسباياهم، فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْتَقَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ فَلَيَعْتَقْ هُؤُلَاءِ»^(٥).

ورجعَ الحديثُ إلى حديثِ أبي بكر^(٦)، قالَ فحدثنيُّ محمدُ بنُ المنكدر^(٧) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لِلْقِعْدَاعَ بْنَ مَعْبُودٍ وَخَالِدَ بْنَ مُلَكَ بْنَ رَبِيعٍ: «قَدْ

(١) بني العبر: هم بنو عمرو بن تميم، وبنو كعب بن تميم، وهم قبيلة عربية من قبائل بني تميم.
انظر: جمهرة النسب. لابن الكلبي: ص ٢٥٥.

(٢) عُيَيْنةَ بنَ حَصْنٍ بن حُدَيْفَةَ الْقَزَّارِيِّ، واسمه عَمْرُو، واسمه عَمْرُو، وكان ضربه أَخْ لَهُ فَقَرَرَهُ فَسُمِيَ فَقَرَرَةً، فَجَهَّذَتْ عَيْنَاهُ فَسُمِيَ عُيَيْنةَ دَخَلَ عَلَى عَمْرٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تَقْسِيمُ بِالْعَدْلِ، وَلَا تُعْطِيَ الْجَزْلَ، فَغَضِبَ عَمْرٌ (رَضِيَّ) غَضِبًا شَدِيدًا حَتَّى أَنْ يُوْقَعْ بِهِ، قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «هَذَا أَحْمَقُ مُطَاعَةً». كَانَ مِنَ الْعَرَبِ الْجَفَافَةِ.

انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. العسقلاني: ص ٩٨٠.

(٣) سَبِّيْ: أَخْدُ شَيْءٍ مِنْ بَلِّي إِلَى بَلِّي أَخْرَ كُرْهَا، سَبَّيِ الْجَارِيَةَ يَسْبِبِهَا سَبِّيَا فَهُوَ سَابِّيَ وَالْمَأْخُوذَةُ سَبِّيَةً.
انظر: تهذيب اللغة. محمد الهرمي: ج ١٣، ص ٦٩. معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٣، ص ١٣٠.

(٤) الذراري: تعني الذرية: يعني الخلق، قوله تعالى: [يَدْرُؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]، الشورى: ١١، الآية.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن عبد الرزاق: ج ١، ص ٢٣٣.

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٢، ص ٢٠٥. مَجْمُعُ الرَّوَايَاتِ وَمَهْبُطُ الْفَوَائِدِ.
نور الدين علي: ج ١٠، ص ٤٧. معجم الكبير. الطبراني: ج ٤، ص ٢٤١.

(٦) عبد الله بن أبي بكر بن حزم.

(٧) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهذير بن عامر، الإمام الحافظ القدوة وحدث عن النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وأبي قتادة وطائفة مرسلاً عنه: عمرو بن دينار، ثقة، كان المنكدر خال عائشة، كان هو غاية في والحفظ والزهد، مات سنة ١٣٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٥٤. أنساب الأشراف. البلاذري: ج ١٠، نص ٤٤٢.

عرفتكما»^(١)، وذلك أَنَّهَا سافرا إلى ربيعة بن حداد أخِي بني أَسِدِ بن خزيمة. قال: محمد بن المنكدر: [أَرَادَ]^(٢) أَنْ يستعمل أَحدهما على بني تميم، فقالَ أبو بكر: يا رسولَ اللهِ لَتَسْتَعْمِلَ^(٣) فلاناً، وقالَ عمر: يا رسولَ اللهِ اسْتَعْمِلْ فلاناً، فقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا أَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تَخْتَلِفَانِ عَلَيَّ أَحْيَانَا»^(٤)، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٥): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِ اللهِ وَرَسُولِهِ^(٦)} الآية، وَأَنْزَلَ فِي نَدَاءِ الْقَوْمِ: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادَوْنَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجَّرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}^(٧).

قال: وبلغنا أَنَّهُمْ قالوا: يا رسولَ اللهِ إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لَخَطِيبِنَا فِي خطبٍ ولشاعرنا فينشدُ، فقامَ عمرو بن الأَهْمَنْ وليبيد بن عطارد، فقالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا وَهُوَ أَهْلُ الدِّيْنِ) جعلنا ملوكاً وجعل لنا أَمْوَالاً عظيماً نفعُلُ فيها المَعْرُوفَ^(٨)، فَمَنْ لَهُ مَثْلُ أَمْوَالِنَا وَمَنْ لَهُ مَثْلُ فَعَالَنَا، أَلْسُنَانِ نَرَوْيِ عنَّ الْعَرَبِ وَنَرَوْيِ فَضْلِهِمْ، وَإِنَا لَنَسْتَحِيْبِي مِنَ الْإِكْثَارِ فِيهَا أَعْطَانَا)، ثُمَّ كَانَ لِقَوْلِهِ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرٍ»، بَأْنَ قَالُهُ عِنْدَهُ.

(١) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. العسقلاني: ص ٣٢٢. الجامع الصحيح: الترمذى ج ٥، ص ٣٦.

(٢) الأزهر: أراد.

(٣) الأزهر: استعمل.

(٤) جاء في الحديث: «أَمَّا إِنَّكُمْ لَوْ اجْتَمَعْتُمَا لَأَخْذَتُ بِرَأْيِكُمَا، وَلَكُمَا تَخْتَلِفَانِ عَلَيَّ أَحْيَانَا». انظر: العلل الكبير. الترمذى: ج ٢، ص ٥٢٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٨، ص ٤٦٥.

(٥) الأزهر: فنزل قوله تعالى.

(٦) الحجرات: ١، الآية.

(٧) الحجرات: ٤، الآية.

(٨) الأزهر: بالمعروف.

لأنه [حينما]^(١) وفد إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم والزيرقان، فقال عمرو [عن الزيرقان]^(٢): ((إنه مانع لحوزته مطاع في أذنيه^(٣)، فَقَالَ الرَّبِّرِقَانُ: حَسَدَنِي يَا رَسُولَ اللهِ لَمْ يَقُلِ الْحَقُّ، وَإِنَّهُ^(٤) لِي عِلْمٌ أَفْضَلُ مَا قَالَ، فَغَضِبَ عُمَرُ، فَقَالَ: هُوَ وَاللهِ زَرِي^(٥) الْمَرْوِعَةُ ضَيْقُ الْمَنْطَقِ لَئِمُّ الْحَالِ^(٦)، فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [إِلَى عُمَرَ]^(٧) فِي عَيْنِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَضِيَتُ فَقِلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ وَغَضِبْتُ فَقِلْتُ أَسْوَأَ مَا عَلِمْتُ وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأَوَّلِ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَةِ))^(٨)، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيْانِ لَسِحْرًا»^(٩).

قال أبو عبيد^(١٠): ((أَخْبَرَ أَنَّ مِنَ الْبَيْانِ أَنْ يُذَمَّ فَيَقُولُ الْحَقُّ، وَيَمْدُحُ فَيَقُولُ الْحَقُّ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيْانِ مَا يَصْوِرُ الْبَاطِنَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ حَتَّى يَسْحِرَ الْعُقُولَ فَيَعْتَقِدُ

(١) الأزهر: حينما.

(٢) الأزهر: عن الزيرقان.

(٣) أَذْيَه: مَحْلُسٌ يَنْدُو إِلَيْهِ مَنْ حَوَالَهُ، وَلَا يُسَمِّي نَادِيَهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ، وَهُوَ التَّدِيُّ، وَيَجْمَعُ أَذْيَهَ وَسَمِّيَ بِهِ لَأَنَّهُمْ يَنْدُونَ إِلَيْهِ نَدْوَهُ وَنَدْوَهُ، وَبِهِ سَمِّيَ دَارُ النَّدْوَهُ بِمَكَّةَ.

انظر: العين. *الخليل البصري*: ج ٨، ص ٣٦.

(٤) الأزهر: فإنه.

(٥) زَرِيَّ مِنْ زَرِيْتُ: أَيْ قَصَرْتْ بِهِ.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. *الأصفهاني*: ص ٣٧٩.

(٦) الأزهر: الحال.

(٧) الزهر: إلى عمرو.

(٨) انظر: عمدة الكتاب. *الثَّخَاسُ أَحْمَدُ النَّحْوِي*: ج ١، ص ٣٢٧.

(٩) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٢٦٩. المستدرك على الصحيحين. *الحاكم النيسابوري*: ج ٤، ص ٤٥

(١٠) هو سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، لإمام الحافظ المجتهد من كبار علماء الحديث، وسمع عن: إسماعيل بن جعفر وسفهان بن عبيدة، وعبد الله بن المبارك، مفتتا في أصناف علوم الإسلام من القرآن، والفقه والعربة توفى سنة ٤٢٢هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. *الذهبي* : ج ١، ص ٤٩١. أ腓ية العراقي. بالتبصرة والتذكرة في علوم الحديث. زين الدين عبد الرحيم بن الحسين : ج ٢، ص ٢٧٩.

الباطلُ أَنَّهُ حَقٌّ) (١).

وقال الشاعر (٢):

أَلَا رُبَّ خَصْمٍ (٣) ذِي فُنُونٍ عَلَوْتُهُ
وَإِنْ كَانَ مَنْ يُشَبِّهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ.

قال بعض الحكماء (٤): ((البلاغة إظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق)) (٥).

(١) انظر: غريب الحديث. سلام الهرمي: ج ١، ص ٢٢٧. لواح الأنوار السننية. محمد بن أحمد بن سالم السفاريني: ص ٢١٣.

(٢) هو عمرو بن كلثوم العتبي. وأسند الشعر في كتاب البيان والتبيين إلى (ابن المقفع). انظر: البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ٢٢٠. ديوان المعاني. لأبي عساكر: ج ٢، ص ٤٣٥.

(٣) خصم: الْخُصُومَةُ: الْجَذْلُ. غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ. انظر: لسان العرب. ابن منظور ج ١، ص ١٨٠.

(٤) الأزهر: الحكماء. الحكماء: عبد الله ابن المقفع، ١٤٢هـ. عبد الملك بن قريب الأصمعي ٢١٦هـ. عمر بن كلثوم العتبي ٢٠٨هـ. النابغة النباني ١٦٦هـ. الفرزدق ٥٩هـ. انظر: ديوان المعاني. لأبي عساكر: ج ٢، ص ٤٣٥.

(٥) انظر: ديوان المعاني. لأبي عساكر: ص ٢٢٠.

حدثنا^(١): [القاسم]^(٢) بن سلام^(٣) قال: حدثنا: أبو عبد الله الفزارى^(٤) عن مالك بن دينار^(٥) قال: ((ما رأينا أحداً أَنْفَقَ^(٦) مِنْ الْمَحَاجَجِ^(٧)، إِنْ كَانَ لِرِقَّى الْمَنْبَرِ فَيُذَكِّرُ إِحْسَانَهُ إِلَى أَهْلِ الْعَرَاقِ^(٨) وَصَفَحَّهُ^(٩) عَنْهُمْ وَإِسَاعَتُهُمْ إِلَيْهِ، حَتَّى أَقُولُ: فِي نَفْسِي إِنِّي لِأَحْسِبُهُ صَادِقًا، وَإِنِّي لِأَظْنَهُمْ كَاذِبِينَ ظَالِمِينَ لَهُ))^(١٠).

(١) القول عن المحاسبي رحمة الله.

(٢) الأزهر: القاسم.

(٣) سلام بن عبد الله الهموي البغدادي، أبو عبد القاسم.

(٤) أبو عبد الله الفزارى: هو مروان بن معاویة، الإمام الحافظ، التقة، الكوفي ثم الدمشقي، عن أ Ahmad بن حنبل، قال: ثبت حافظ. تقة، مات سنة ١٧٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٩، ص ٥٢.

(٥) مالك بن دينار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، وسمع من أنس بن مالك وحدث عن: الأخفف بن قيس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، حدث عنه: سعيد بن أبي عروبة، له نحو من أربعين حديثاً، تقة، توفي ١٣٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٥، ص ٣٦٢.

(٦) أَنْفَقَ مِنَ النَّفَاقِ: وهو الدخول بالشرع من باب والخروج عنه من باب، قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمَنَّاَقِينَ وَالْمَنَّاقِفَاتِ وَالْكَفَّارَ نَازَ جَهَنَّمَ حَالِيْنَ فِيهَا}، التوبه: ٦٨، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني : ص ٨١٩.

(٧) هو: الحاج أبو محمد الحاج بن يوسف التقفي، من أبرز ولادة بنى أمية، والساسة الدهاء، توفي سنة ٩٥٩ هـ.

انظر: جمهرة أنساب العرب. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى القرطبي: ج ١، ص ٢٦٧.

(٨) العراق: ويسمى عراق إعرافاً، عراقاً: الأصول، أي الحد العلوى لأرض العرب وأهل الحجاز على ما هو قريب من البحر عرفاً، وقد سميت من باب آخر هذه التسمية لشاطئيه دجلة والفرات، ومن باب آخر لاتصال عروق الأشجار والنخيل به كأنه عرقة، ثم جمع على العراق، وال伊拉克 يتكون من قسمين رئيسيين: أرض السواد، والجزيرة، وسميت أرض السواد؛ لكثر النخل والشجر وخضرتها لكثافتها وتقابر السواد. والجزيرة هي ما بين دجلة والفرات من شمال بغداد سامراء تكريت الفلوجة. انظر: معجم البلدان. الحموي: ج ٤، ص ١٠٧. البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ١٨٥.

(٩) وصفجه من صفح: وأصل الصفح أن تصرف عنه وتوليه صفة وجهك، قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ}، الزخرف: ٨٩، الآية.

انظر: التقيقة في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البنتننجي: ج ١، ص ٣٩٧.

(١٠) انظر: غريب الأحاديث. الخطابي: ج ١، ص ٢٢٨.

فهذا من البيان الذي كأنه سحرٌ يسحرُ العقول حتى يميلوا^(١) إلى قوله، ومثل هذا قولُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْصُمُ الْبَلِいْغَ مِنْ الرِّجَالِ»^(٢)، فلم يذمُّ البيانَ عن الحقِّ بالإخلاصِ بغيرِ تشقيقٍ، ولا مدحُّ العيَّ عن الحقِّ وتركُ البيانِ له للمرميد.

ولكن ذمَّ البيانِ الذي جاوزَ المقدارَ كما ذمَّ التقير^(٣) والسرف^(٤)، ومدحُّ الجُود^(٥) بغيرِ سرفِ والإمساك^(٦) لغيرِ تضييعِ الحقِّ ولا تقصيرِ عن الفضل، فمدحُّ البيانِ لا غُلُوْاً ولا تقصيرًا ولا خطلًا^(٧)، كما حبسَ عمرُ رضيَ اللهُ عَنْهُ الأَحَنفَ [بن قيس]^(٨) لما سمعَ ببلاغتهِ فحبسَهُ سنةً خفافَةً أَنْ تكونَ ببلاغتهِ على غيرِ صدقٍ.

ثم قالَ: بعْدَ سَنَةٍ سمعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [يقول]^(٩) :

(١) الأزهر: تميل.

(٢) انظر: سنن أبي داود: ج ٤، ص ٣٠٢. الجامع الصحيح. الترمذى: ج ٥، ص ١٣٠.

(٣) التقير: ضاقَ عيشهُ، قوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْثُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوْمًا»، الفرقان: ٦٧، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهانى: ص ٦٥٥.

(٤) السرف: تجاوزُ الحدِّ في كلِّ فعلٍ يفعلهُ الإنسانُ، قوله تعالى: «وَلَا تُأْكِلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا»، النساء: ٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهانى: ص ٤٠٧.

(٥) الجُود: شيءٌ جيدٌ على فيعمل، وبذل المقتنيات مالًا كانَ أو علمًا،

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهانى: ص ٢١١.

(٦) الأزهر: الامتلاك.

(٧) خطلًا من الخطل: الإضطراب، والخطل في الكلام: اضطرابه واختلافيه.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج ١، ص ٦١٠.

(٨) الأزهر: بن قيس.

(٩) الأزهر: يقول.

«احذروا مُنَافِقًا عَلَيْمَ اللّٰسَانِ»^(١).

فِإِذَا أَنْتَ لَسْتَ مِنْهُمْ، فَعَلِمَ مِنْهُ بِلَاغَةَ قَوْلٍ مَعَ حُسْنِ إِيمَانٍ وَصَدْقَ،
وَإِنَّمَا نَهَىٰ عَنِ الْمُرَاءَةِ^(٢)، وَالْتَّزِيَّدِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالْبَذْخِ^(٣)، وَالْتَّهَارَةِ^(٤)،
وَالْتَّشَعِّبِ^(٥)، وَالْمَغَالِبِ^(٦)، وَالْمَبَايِنِ^(٧)، وَلَمْ يَنْهَهُ عَنِ الْبَيَانِ لِلْحَقِّ بِإِرَادَةٍ
اللّٰهُ عَزٌّ وَجٌلٌّ.

(١) انظر: مسنـد الإمام أـحمد: ج ١، ص ٢٤. الـبـحر الـزـخارـ. أـحمد بن عـمـرو : ج ١، ص ٤٣.

(٢) مَرَاءَةٌ: هي من الـرـيـاءـ: يُـظـهـرـ أـمـامـ النـاسـ خـلـافـ ما يـبـطـنـ.

انـظـرـ: لـسـانـ الـعـربـ. اـبـنـ مـنـظـورـ: ج ١، ص ١٥٥. تـاجـ الـعـروـسـ من جـواـهـرـ القـامـوسـ. مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ

بـنـ عـبـدـ الرـزـاقـ: ج ٣٨، ص ١٠٣.

(٣) الـبـذـخـ: الـكـبـيرـ، وـتـطـاـوـلـ.

انـظـرـ: لـسـانـ الـعـربـ. اـبـنـ مـنـظـورـ: ج ٣، ص ٧.

(٤) تـهـارـةـ: إـذـا دـعـىـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـ عـلـىـ صـاحـبـهـ بـاطـلـاـ، ثـمـ قـيلـ تـهـارـتـ الـبـيـنـاتـ إـذـا شـاقـقـتـ وـبـطـلـتـ.

انـظـرـ: الـمـنـتـخـ بـغـرـبـ الـكـلـمـ الـعـربـ. عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ الـهـنـائـيـ الـأـزـديـ: ج ١، ص ٣٤٨.

(٥) الـأـزـهـرـ: وـالـشـعـثـ.

وـالـشـعـثـ: تـهـيـجـ الشـرـ، وـأـرـيـكـ لـكـ اـرـتـيـابـ فـيـ فـهـمـكـ بـالـشـبـهـاتـ.

انـظـرـ: لـسـانـ الـعـربـ. اـبـنـ مـنـظـورـ: ج ١، ص ٥٠٤. تـاجـ الـعـروـسـ من جـواـهـرـ القـامـوسـ. مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ

بـنـ عـبـدـ الرـزـاقـ: ج ٣، ص ١٥٠.

(٦) مـغـالـيـةـ: مـصـدـرـةـ غـلـبـ، اـسـتـئـوـىـ عـلـيـهـ قـهـرـاـ، قـوـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ: {فـإـنـ جـنـدـنـاـ لـهـمـ الـغـالـلـيـونـ}،
الـصـافـاتـ: ١٧٣، الـآـيـةـ.

انـظـرـ: الـمـنـجـدـ فـيـ الـلـغـةـ. عـلـيـ بـنـ الـحـسـنـ الـهـنـائـيـ الـأـزـديـ: ج ١، ص ٢٧٣.

(٧) مـبـاـيـنـةـ: (هـاجـزـهـ) وـفـارـقـهـ.

انـظـرـ: تـاجـ الـعـروـسـ من جـواـهـرـ القـامـوسـ. مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الرـزـاقـ: ج ٤، ص ٣٠٠.

فإذا جاوز ذلك كان هو الخطأ والتبيه (١)، وللمتشدقين (٢) والثرثارين (٣) والمتغيفين (٤)، وكل ذلك قد ذمَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونمى عنه، فلم يرو عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أَصْحَابِهِ أَنَّهُمْ تَشَدَّقُوا وَلَا أَغْدَقُوا (٥) وَلَا تَعْمَقُوا، ورويَ: عَمَّنْ بَعْدُهُمْ وَكَانَ قَلِيلًا ثُمَّ قَدْ كَثُرُ.

قال الشاعر (٦):

شَادَقَ حَتَّى مَالَ بِالْقَوْلِ شُدُّهُ
وَكُلُّ خَطِيبٍ لَاَبَالَكَ (٧) أَشَدَّ.

(١) التبيه: استقبالك الرجل بأمرٍ تُفْرِّغُ به، وهو منه بريء.

انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي: ج ٦، ص ١٣٣.

(٢) المتشدقون: مصدر مُتَشَدِّق: فُهُمُ الْمُتَوَسِّعُونَ فِي الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاطٍ وَاحْتِرَازٍ، وَفِي الْحَدِيثِ «أَبْعَضُكُمْ إِلَيَّ التَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١٠، ص ١٧٣.

(٣) الترثارون: مصدرها ترثار لا يكُلُّ ولا يمل، مهذار يكثُر الكلام في تكُلُّ وخروج عن الحد، لا يؤمن على سرّ، وروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَبْعَضَكُمْ إِلَيَّ التَّرْثَارُونَ الْمُتَقْبِيُّونَ».

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٥، ص ٤٣.

(٤) المتقبيون مصدرها اتفهق في الكلام، وتقييق الذي يتتوسع في كلامه ويتفهق به فمه والذى يتفتح بالبدخ أيضاً، قيل: يا رسول الله، وما المتقبيون، قال: «المتكبرون».

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ٥، ص ٢٦٢.

(٥) أغدقوا مصدرها غدق: هُوَ الْكَثِيرُ الْوَاسِعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

انظر: المحكم المحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج ٥، ص ٣٨٣.

(٦) جاء قول الشاعر: في عمرو بن سعيد الأشدق.

انظر: البيان والتبيين. الجاحظ: ج ١، ص ١٢١. عريب الحديث. للخطابي: ج ١، ص ٤٤١.

(٧) لآأيا لك: قيل هيَ كَلَمَةٌ مَدْحُودَةٌ، أَنْتَ شُجَاعٌ مُسْتَغْنٌ عَنْ أَبٍ يَنْصُرُكَ، وَفِي لُغَةِ الْعَزَبِ هَذَا لَكَ كَلَمَاتٌ يُرِيدُونَ مِنْهَا بَاطِلًا.

انظر: الكليات. أَيُوبُ بْنُ مُوسَى الْحَسِينِيِّ الْقَرِيمِيُّ الْكَفُوَيِّ: ج ١، ص ٩٧٠. الإيابة في اللغة العربية. سلَّمَةُ الْعَرَقِتِيُّ: ج ٤، ص ٦٣.

وقال معاوية^(١): و[قد]^(٢) تكلَّمْتُ عندهُ الخطباءُ (واللهُ لآرْمِنَّهُمْ بالخطيبِ
الأشدِّ، قُمْ يَا يَزِيدُ^(٣)]^(٤).

وإِنَّا سَمِّيَ عَمَرُ وَبْنُ سَعِيدَ^(٥) الْأَشَدَّ؛ لِتَشَادِقِهِ فِي الْكَلَامِ.

حدَّثَنَا عَتَابُ بْنُ زَيَادٍ^(٦) قَالَ: يَا ابْنَ مَيَارِكَ، قَالَ: يَا الْأَوْزَاعِي^(٧) عَنْ
عَرْوَةَ^(٨) قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: »شَارُوا أَمْتَيَ الَّذِينَ وَلَدُوا فِي
النَّعِيمِ وَغَدُوا بِهِ هَمَّتْهُمُ الْوَانُ الطَّعَامِ وَالْوَانُ الشَّيْءِ يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ«^(٩).

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، روى عنه: ابن عباس وسعيد بن المسيب، مات معاوية سنة ٦٥٥هـ.
انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين ابن الأثير: ص ١١٤٦٠.

(٢) الأزهر: قد.

(٣) الأزهر: زياد.

(٤) انظر: البيان والتبيين الجاحظ: ج ١، ص ١٢٢.

(٥) عمرو بن سعيد بن العاص بن أبي أحيحة سعيد بن العاص، الملقب بالأشدق لفصاحته، راوي
أحاديث، وروى عنه: ابنه إسماعيل، وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة لهذا اليوم، مات سنة ٥٧٠هـ.
انظر: الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج ١، ص ٤٥٢. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي:
ج ٦، ص ٣٦٤.

(٦) عتاب بن زياد الخرساني المزروي، ثقة، صاحب حديث، مات سنة ٢١٢هـ.
انظر: الجرح والتعديل: ج ٧، ص ١٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ص ٢٥٧.

(٧) الأوزاعي: هو عبد الرحمن بن يحمد، شيخ الإسلام، عالم أهل الشام، ثم تحول إلى بيروت
مرابطاً بها إلى أن مات، وكان ثقة، وكان خيراً، فاضلاً، مأموناً كثيراً العلم والحديث والفقه، حجة، توفي ١٥٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٧، ص ١٠٩.

(٨) عروة: هو عروة بن رُوِيْمَ اللَّحْمِيَّ، الفقيه المحدث، أبو القاسم، حدث عن: أبي ثعلبة الخشنى،
فقيل سمع منه، وعن أنس بن مالك وأبي إدريس الخولاني، روى عنه: الأوزاعي، كان يخرج آخر الليل
ينادي يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ الصَّلَادَةِ، مات في البصرة سنة ١٢٥هـ.

انظر: الثقات. ابن حبان: ج ٥، ص ١٩٦. الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي: ج ٦، ص ١١٢.

(٩) انظر: الزهد. لأبي وكيع: ج ١، ص ٤٠٢.

حدثنا: محمد بن كنasaة^(١)، قال: مسعر بن كدام^(٢) عن عدّي^(٣) وقال:
خَطَبَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ لَوْ زِدْتَنَا، فَقَالَ: «إِنَّمَا أَمْرَنَا بِإِقْصَارِ
الْخُطَبِ»^(٤).

(١) الأزهر: محمد بن كنasaة.

محمد بن كنasaة: محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى بن عبد الله، الإمام العالمة، الثقة البارع الأديب
الشاعر، أبو عبد الله، وسمع من: هشام بن عروة، والأعشن، واسماعيل بن أبي خالد، سمع عنه:
أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة، وابن نمير، وأبو حيّثمة، ثقة، مات في الكوفة سنة ٢٠٧هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٩، ص ٥٠٩.

(٢) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق أبو سلمة الهمالي
الكوفي، روى عن: عدّي بن ثابت، وعمرو بن مرة، والحكم بن عتبة، وثابت بن عبيد، وقادة بن
دعامة، روى عنه: سفيان بن عبيدة، وبيهقي القطان وسليمان التبّمي، ثقة، ثابت، توفي سنة ١٥٥هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٧، ص ٦٤.

(٣) عدّي بن ثابت، الإمام الحافظ الوعاظي الأنصارى الكوفي، روى عن أبيه، وعن البراء بن عازب،
وسليمان بن صرد، وعنـه: علي بن زيد بن جدعان، وبيهقي بن سعيد الأنصارى، ومسعر، ثقة، صدوق،
وثابت صحابي كبير، مات سنة ١١٦هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٥: ص ١٨٨.

(٤) انظر: سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث: ج ٢، ص ٣٢٥.

حدَثَنَا عبدُ اللهِ بْنُ بَكْرٍ بْنُ السَّهْمِيِّ^(١)، قَالَ: جُوَيْبِرٌ^(٢) عَنْ كَثِيرِ بْنِ زِيَادٍ^(٣) عَنْ الْحَسْنِ^(٤) قَالَ: ((قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيَّاً^(٥) فَأَوْجَزَ فِي الْخُطْبَةِ، ثُمَّ قَالَ لَأَبِيهِ بَكْرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُمْ فَاخْطُبْ، فَقَامَ دُونَ مَقَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَطَبَ دُونَ خَطْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لِعُمُرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُمْ فَاخْطُبْ، فَقَامَ دُونَ مَقَامِ أَبِيهِ بَكْرٍ وَخَطَبَ دُونَ خَطْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ آخَرَ: قُمْ فَاخْطُبْ، فَذَهَبَ يُطْبِعُ^(٦) وَيُشَقِّقُ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْكُتْ؛ إِنَّ الشَّقِيقَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ مِنَ الْبَيْانِ لَسِحْرًا»^(٧)، ثُمَّ قَالَ: لَابْنِ مُسَعُودٍ قُمْ فَاخْطُبْ، فَقَامَ فَتَشَهَّدَ وَحَمَدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيَّهَا النَّاسُ إِلَّا أَنَّ^(٨) اللهَ رَبُّكُمْ^(٩)).))

(١) عبد الله بن بكر السهمي، ابن حبيب، الحافظ الحجة، أبو وهب السهمي الباهلي البصري، نزيل بغداد، سمع أباه بكر بن حبيب شيخ العربية، وحميدا الطويل، ج، ثقة، وكان أحد الفقهاء وأصحاب الحديث، مات سنة ٢٠٨هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء الذهبي: ج ٩، ص ٤٥١.

(٢) جوَيْبِرُ بْنُ سَعِيدِ الْأَزْدِيِّ الْبَلْخِيُّ، عَدَادُهُ فِي الْكُوفَيْنِ، سُكِنَ بِغَدَادٍ وَيَقَالُ: اسْمُهُ جَابِرُ وَجَوَيْبِرُ لَقَبُ، رُوِيَ عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَجَوَابِ التَّيْمِيِّ وَذِكْرُهُ أَبِي صَالِحِ السَّمَانِ وَالضَّحَّاكِ بْنِ مَزَاحِمٍ، تَلَمِيذُهُ: إِسْحَاقُ بْنُ بَشَرٍ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ زِيَادٍ. مات سنة ١٥٠هـ.

انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن الزكي: ج ٥، ص ١٧١. الكامل في ضعفاء الرجال: ج ٢، ص ٣٣٩.

(٣) كَثِيرُ بْنِ زِيَادٍ، أَبُو سَهْلِ الْعَنْكَبِيِّ الْبَصْرِيِّ، سَكَنَ بِلَخٍ، وَرُوِيَ عَنْ: تَوْبَةِ الْعَنْبَرِيِّ، وَالْحَسْنِ الْبَصْرِيِّ، وَعُمَرُو بْنُ عَثَمَانَ، حَدَثَ عَنْهُ: جَعْفَرُ بْنُ زِيَادٍ، جوَيْبِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلْخِيِّ، وَالْحَسْنُ بْنُ يَحْيَى، رُوِيَ لَهُ: أَبُو دَاوُدُ التَّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ.

انظر: الجرح والتعديل: ج ٧، ص ١٥١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين ابن زكي: ج ٤، ص ١١٢.

(٤) الحسن البصري.

(٥) الأزهر: فخطبنا.

(٦) أَطَنَبَ، إِطَنَابًا: الْمِبَالَغَةُ بِالْكَلَامِ، وَأَطَنَبَ الرَّجُلُ فِي الْمُتَدْحَ وَالذَّمِّ، إِذَا بَالَغَ فِيهِ.

انظر: جمهرة اللغة. محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ج ١، ص ٣٦٣.

(٧) انظر: مسنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: ج ٤، ص ٧٢

(٨) الأزهر: إن.

(٩) انظر: الآدَابُ الشَّرِعِيَّةُ وَالْمَنْحُ الْمَرْعِيَّةُ. حَمْدُ بْنُ مَفْلِحٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيِّ: ج ٢، ص ٩٠.

حدَّثنا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ^(١)، قَالَ حَدَّثَنَا: مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ^(٢) عَنْ أَبِي مُسْلِمَةَ^(٣) عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِنُكُمُ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّ تَشْقِيقَ الْكَلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٤).

(١) يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ابْنُ زَادِي الْإِمَامِ الْقَوْدَةِ شِيخِ الْإِسْلَامِ أَبْوَ خَالِدِ الْسَّلْمِيِّ، سَمِعَ مِنْ: عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، وَبِحَبِيِّ بْنِ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ الْفَقِيْهِ، وَسَلِيمَانَ التَّمِيِّيِّ، حَدَّثَ عَنْهُ: بَقِيَّةُ بْنِ الْوَلِيدِ مَعَ تَقْرِيمِهِ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَأَحْمَدُ بْنِ حَنْبَلَ، كَانَ رَأِيْسًا فِي الْعِلْمِ وَالْعَوْلَمِ، ثَقَةُ حَجَّةَ، كَبِيرُ الشَّأْنِ، مَاتَ سَنَةُ ٢٠٦ هـ.

انظر: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ الْذَّهَبِيِّ : ج٧، ص٢٥٨. الإِكْمَالُ فِي مِشْكَاهِ الرَّجَالِ: ص١١٧.

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنُ عَلْقَمَةَ بْنُ وَقَاصِ، الْإِهْمَامُ، الْمَحْدُثُ، حَدَّثَ عَنْ يَحِيَّيَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَ عَنْهُ: مَالِكُ، وَالْثَّوْرِيُّ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ. حَدَّثَ فِي الْعَرَاقِ مَاتَ سَنَةُ ٤٤٥ هـ.

انظر: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ الْذَّهَبِيِّ : ج٦، ص١٣٦.

(٣) أَبُو مُسْلِمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَبُونِ عَوْفٍ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ، الْحَافِظُ، أَحَدُ الْأَعْلَامِ بِالْمَدِينَةِ، مَاتَ سَنَةُ ٤١٠ هـ.

انظر: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ الْذَّهَبِيِّ : ج٤، ص٢٨٥.

(٤) جَاءَ الْحَدِيثُ «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضُ قُولَكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِيْكُمُ الشَّيْطَانُ».

انظر: مسند أَحْمَدَ: ج٤، ص٢٥. عَوْنُ الْمَعْبُودِ شَرْحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ. مُحَمَّدُ أَشْرَفٌ: ج١٣، ص١٣٤.

حدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ^(١)، قَالَ: حَدَثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ^(٢)، قَالَ: حَدَثَنَا شَعْبَةُ^(٣)، قَالَ: سَمِعْتُ قَنَادَةَ عَنْ مَصْرُوفٍ^(٤) عَنْ أَبِيهِ^(٥) قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللَّهُ، قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلًا وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلًا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيَقُولُ أَخْدُكُمْ بِقَوْلِهِ وَلَا يَسْتَهْوِيَنُّهُ الشَّيْطَانُ»^(٦).

(١) محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان، الإمام الحافظ، أستاذ الإمام البخاري، كتب عن بندار نحو خمسين ألف حديث، كان يحفظ حديثه، مات سنة ٢٥٢ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ١٢، ص ١٤٥.

(٢) محمد بن جعفر بن غذر، أبو عبد الله الهذلي البصري، الحافظ المجدد الثبت، وابن جريج هو الذين سماه غذرًا صدوقاً، مؤذنًا، ثقة، مات سنة ١٩٣ هـ.

انظر: كشف النقاب عن الأسماء والألقاب. عبد الرحمن بن علي الجوزي: ج ٢، نص ٣٤٦. سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٩، ص ٩٩.

(٣) شعبة ابن الحجاج بن الورد الواسطي، الإمام الحافظ، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل، مات سنة ١٦٠ هـ. في البصرة.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٧، ص ٢٠٣.

(٤) الأزهر: مطرف.

صرف: هو محمد بن طلحة بن مصرف اليامي، الإمام الحافظ المقرئ، روى عن: أبيه طلحة بن مصرف، إبراهيم بن عبد الأعلى بن عامر، وأبي صخرة جامع بن شدآن، حدث عنه: أحمد بن عبد الله، سود بن عامر، مات سنة ١٦٧ هـ.

انظر: الثقات. ابن حبان : ج ٧، ص ٣٨٨.

(٥) أبيه: طلحة بن مصرف ابن عمرو بن كعب، الإمام الحافظ المقرئ، تابعي من أهل الكوفة، أما عن ميلو طلحة وأرائه، فقد خالف أهل الكوفة في حبه لعثمان (رض)، وحدث عن: أنس بن مالك، ومرة الطيب، وزيد بن وهب، حدث عنه: ابنه محمد بن طلحة ومنصور، والأعمش، رجل لا يخطئ ولا يلحن إذا قرأ، ما خلف مثله، توفي في سنة ١١٢ هـ.

انظر سير أعلام النبلاء. الذهبي : ج ٥، ص ١٩٠.

(٦) انظر: مسنـد الإمامـ أـحمدـ: ج ١٢، ص ٥٢٠.

حدّثنا: روح بن عبادة^(١)، قال: حدّثنا حسين المعلم^(٢) عن عبد الله بن بردة^(٣): أنَّ عمرَ بن الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنْهُ جَمَعَ النَّاسِ لِقدْوَمِ الْوَفْدِ، فَقَالَ لِإِذْنِهِ^(٤) عَبِيدَ اللهِ^(٥) أَوْ عَبْدَ اللهِ بْنَ الْأَرْقَمَ^(٦) انْظُرْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَأَذْنَ^(٧) لَهُمْ أَوْلَ النَّاسِ ثُمَّ الْقَرْنَ^(٨) الَّذِينَ يَلْوُنُهُمْ، قَالَ: فَدَخَلُوا فَصُفُّوا^(٩) قِدَّامَهُ^(١٠)، قالَ:

(١) روح بن عبادة بن العلاء بن حسان بن عمرو، الحافظ الصدوق، صدوق ليس به بأس، حديثه يدل على صدقه، مات سنة ٢٠٥هـ.

انظر: تهذيب التهذيب. أحمد بن علي: ج ١، ص ٦١٤. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٤٠٣.

(٢) حسين بن ذكوان المعلم، من أهل البصرة عالم ثقة، صاحب حديث، وقد احتج به صاحب الصحيحين يقول عنه: الكتاب إما حسين ذكوان أو حسين المكتب. مات سنة ١٥٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٣٤٦. التفات. ابن حبان: ج ٦، ص ٢٠٧هـ.

(٣) عبد الله بن بردة بن أبي موسى الأشعري، الإمام، الفقيه، الثبت، اسمه كنيته، ابن صاحب رسول الله^(ص)، مات سنة ١٠٧هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٣٦٤.

(٤) الأزهري: لابنه عبد الله.

(٥) عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

(٦) عبد الله بن الأرقام بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف وكان من حسن إسلامه، كتب للرسول (ص) وكان يكتب ويختتم لبعض الملوك، وكتب لأبي بكر، ولعمر، وولاه عمر بيت المال، روى عنه: عروة وغيره، توفي سنة ٦٤هـ.

انظر: الإصابة في تميز الصحابة. العسقلاني: ج ٤، ص ٣٣. الطبقات الكبرى. لابن سعد: ج ٦، ص ٧٢.

(٧) أذن أو الأذن: الاستماع للشيء، قوله تعالى: {أَذِنْ لَهُ حَتَّى إِذَا فَرَّعَ}، سبا: ٢٣، الآية.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مسلم العوتبى الصحراوى: ج ٨، ص ١١٥.

(٨) والقُنْ: الأمة.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٥، ص ١٤١.

(٩) فصّوا من صَفَّ: أي في سهولة وسراح، (وأدراكَ الْأَمْرِ عَفْوًا، صَفْوًا: أي في سهولة وسراح).

انظر: المحمى المحيط. علي بن إسماعيل بن سيده المرسي: ج ٢، ص ٣٧٣.

(١٠) قِدَّامُهُ: أي يسبقُهُ، والقِدَّامُ المَحْرَكَةُ: السَّابِقَةُ فِي الْأَمْرِ، أَقْدَامُ وَحْيٍ، وَقُولُهُ، (ص): «وَلَا تَقْدِمُوا رَمَضَانَ بِصَيْامٍ قَبْلَهُ».

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١١، ص ٥٣٧.

فنظر فإذا رجل ضخم عليه^(١) ثم ساق الحديث، ثم قال عمر: (عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخوف ما أخاف عليكم مُنافق عالم اللسان)^(٢).

حدَّثنا: روح بن عبادة، قال: حدَّثنا ابن عون^(٣) عن الحسن^(٤) قال: إِنَّمَا والله ما كانوا بالهاترين^(٥)، ولَكُنَّهُمْ كانوا يجمعون الكلام ليعقلُّونَ عَنْهُمْ.

حدَّثنا: يزيد بن هارون، قال: حدَّثنا المسعودي^(٦) عن عون بن عبد الله قال: إِنَّ الْحَلْمَ وَالْحَيَاةَ وَالإِيمَانَ^(٧) وَالْعِيَّ عَيْ اللسان لاعي العفة والقلب، وهُنَّ مَا ينقصُ في الدُّنْيَا وَيُزِيدُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا يُزِيدُ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ مَا ينقصُ بِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّ الْجُفَاءَ وَالْبَيَانَ وَالْبَدَاعَةَ مِنَ النِّفَاقِ وَهُوَ مَمَّا يُزِيدُ فِي الدُّنْيَا وَيُنَقْصُ مِنَ الْآخِرَةِ، وَمَا

(١) عليه من العلو: عال، عليه كل شيء: أعلاه، والعرب تقول: عليهم بضم الهاء والميم، ورجلٌ مِنْ عليه: أي من أعلاه.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مسلم الغوثي الصهاري: ج ٣، ص ٤٨٧. المنتخب من كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٨٩.

(٢) انظر: المفهم من تلخيص كتاب مسلم. أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي: ج ٦، ص ٥٧٢.

(٣) ابن عون، عبد الله بن عون بن أرطبيان العثماني، الإمام القدوة عالم البصرة، أبو عون المزنبي، تقة، مات سنة ١٥١ هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ٣٦٥. الوفي بالوفيات. صلاح الدين خليل الصفدي: ج ٧، ص ٢١١.

(٤) الحسن البصري رحمة الله.

(٥) الهاطرين أصولها هنر: مرق العرض. رجلٌ مُسْتَهْنَرٌ لا يُبالي ما قيل فيه. وما شئت به. وأهْنَرُ الرجل: فقد عُفِّله من الكبر فهو المهتر.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٤، ص ٣٢.

(٦) المسعودي: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المسعودي الهنلي، كان من أهل الكوفة محدث، قدم بغداد وحدث فيها أصبح في نهاية عمره أصمًا، تقة، مات ببغداد سنة ١٦٠ هـ.

انظر: تاريخ مدينة السلام. الخطيب البغدادي: ج ١١، ص ٤٨٥.

(٧) الأزهر: من الإيمان.

(٨) الأزهر: يزيد.

ينقصُ من الآخرة أَكْثُرُ مَا يُزِيدُ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: (يُزِيدُ^(١) الْبَيَانُ الْفَصَاحَةُ لِلْبَلَاغَةِ).
قَلْتُ: فَالصَّمْتُ أَسْلُمُ.

قَالَ: أَجَلُ، وَالْكَلَامُ أَفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ إِذَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ وَقَصْدَ فِيهِ مَعِ الإِصَابَةِ، فَكَلَّمَ كُلَّ قَوْمٍ عَلَى قَدْرِ فَهْمِهِمْ وَلَغُو^(٢) أَسْتِتْهُمْ، وَلَا تَفْرُطُ^(٣) أَيْضًا فِي الصِّمْتِ كَمَا لَا تَفْرُطُ^(٤) فِي الْكَلَامِ؛ لَأَنَّهُ إِنْ أَفْرَطَ فِي الصِّمْتِ ضَيَّعَ كَثِيرًا مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَقُومَ بِهَا بِلِسَانِهِ، وَيَعْتَرِي^(٥) مِنَ الْأَفْرَاطِ آفَاتٍ كَثِيرَةٍ؛ فَإِذَا سَلَمَ الْكَلَامَ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ سَكَتَ عَنْهُ أَيْضًا، إِلَّا أَنْ يَنْطِقَ فِي مَوْضِعِهِ وَفِي أَوَانِهِ وَلَمْ يَتَفَعَّلْ بِهِ، وَإِلَّا فَالصَّمْتُ أَوْلَى بِهِ، وَلَوْ سَلَمَ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ وَوَجَدَ لِقَوْلِهِ مَوْضِعًا وَأَمْلًا^(٦)، فَأَمَلَ الْمَنْفَعَةَ لِهِ بِقَوْلِهِ لِكَافٍ^(٧) مَعَ ذَلِكَ أَوْلَى بِهِ أَنْ يَخَافَ الْمَقْتَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ مَنْ لَيْسَ يَتَحَقَّقُ لِمَا يَقُولُ مِنْ فَعْلِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَأَدَابِهِ، كَمَا خَافَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ وَالرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ أَنْ

(١) الأَزْهَرُ: يُرِيدُ.

(٢) لَغُو: أي صوت.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٢، ص ٣١٠.

(٣) الأَزْهَرُ: يُفْرِطُ.

نَفَرَطُ مِنَ الْفَرْطِ: أي التَّقْصِيرُ وَالْعَجْزُ.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مُسْلِمَ الْعَوْتَبِي الصُّحَارَى: ج ٣، ص ٦٤٣.

(٤) الأَزْهَرُ: يُفْرِطُ.

(٥) يَعْتَرِي مِنْ عَرَبِي: عَرَاهُ أَمْرٌ يَعْرُوهُ عَرْوًا: إِذَا غَشِيَهُ وَأَصَابَهُ.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٢، ص ٢٣٣.

(٦) أَمْلًا مِنَ الْأَمْلِ: الرَّجَاءُ وَالتَّبَشُّرُ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الهروي: ج ١٥، ص ٢٨٤.

(٧) كَافٍ: أي كاف لهم بالمعصية، قوله تعالى: {كَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا}، النساء: ٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٧١٤.

يكونا غير محققين^(١) لما يقولان، وقال عمر بن ذرٌّ: «المستعان الله^(٢) على ألسنته تصف وقلوبٍ تعرف وأعمالٍ تخالف»^(٣).

(١) محققين أصلها: (الْحَقُّ): وهي ضدُّ الْبَاطِلِ، والْجَمْعُ (مُحَقَّقُونَ)، وَكَلَامُ (مُحَقَّقٌ) أَيْ رَصِينَ وَجَبَ. انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مُسلم العُزَّتي الصُّحَارَيِّ: ج ٢، ص ٢٨٦.

(٢) الأَزْهَرُ : الله المستعان

(٣) انظر: آداب الدنيا والدين. الماوردي: ج ٣، ص ٢٠٠.

مسألة في الجدال في أسباب الدنيا

قلت: والجدال في أسباب الدنيا منه مذمومٌ ومدحٌ^(١).

قال: نعم، أمّا المدح من مجادلتك عن المظلوم عند حاكم أو غيره،
تجادل بالحق؛ لتدفع عنه ظلمًا، أو لتسخرج له حقًا، وكذلك المكذوب عليه
فتُجادل عنه بالحقّ لتردّ عنه الكذب، أو المظنون به^(٢) السوء وهو مستور عندك
فتُجادل عنه لتزول عنه التهمة، أو من اغتيب فتجادل عنه بغير تكذيب للسائل،
ولكن تجادل له^(٣) لتقييم عليه الحجّة لما حرم الله عزّ وجلّ عليه من الغيبة، ولما أمر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ستر عورات المسلمين، وكذلك مجادلتك
عن نفسك في جميع ذلك.

قلت: فمجادلتي في هذا الوجه أفيه^(٤) آفة أكون فيها مذمومًا؟

قال: نعم، تجادل لتردّ ظلمًا أو غيبة أو كذبًا أو لتسخرج حقًا، إلا أنك
تجادل بغير الحقّ.

قلت: وكيف ذلك؟

(١) المذموم من المدح: أثني عليه بما له من الصفات الحسنة.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ٧، ص ١١١.

(٢) الأزهر: فيه.

(٣) الأزهر: تجادل.

(٤) الأزهر: هل فيه.

قال: تدعى^(١) فوق الحق [الذي تريده أن تستخرجه]^(٢) وفوق الظلم الذي تريده ردّه، أو تجادل بالسّفه والشتّم للظالم بما لا يحلّ لك، أو تحمل^(٣) شهوداً زور^(٤) على أن يشهدوا [عليه]^(٥)، وإن كانَ الذين يشهدوا عليه حقاً إلا أنّهم يشهدوا على ما قد علّموه يقيناً، وأن^(٦) تستعين عليه بمن يظلمه أو يشتمه ليصيّر إلى الحق والرجوع عن الظلم؛ فأنّت غير مذموم بقصدك، وأنْ تردد الظالم وأنت مذموم إذا جادلته بغير حق، أو خرّجت إلى السّفه والشتّم أو اشتغالك بها لا يحلّ من أشهاد بالزور واستعانت على ظلمٍ منْ يجادله وإنْ كانَ ظالماً فيما تطالبه به لنفسك أو لغيرك.

وأمّا الجدال المذموم فمجادلتك عن الظلم؛ لتردّ عنه أخذ الظلمة منه، أو عن الكاذب على مسلم أو معاهدي^(٧) ليصدق ولا يكذب، أو عن الظّان بالسوء ليتحقق ظنه، وعنّ الذي اغتاب لتشبّث ما غاب^(٨) به المشتوم ليبرأ من عيّبه^(٩)، وكذلك مجادلتك عن نفسك في جميع ذلك لدفع عنك أخذ ظلامتك^(١٠)، أو لتمنّع حقاً

(١) تدعى أصلها دعى؛ وهي تدعى حقاً لك ولغيرك.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٢، ص ٢٢١.

(٢) الأزهر: الذي تريده أن تستخرجه.

(٣) الأزهر: تحلم.

(٤) زور: الكذب، وقد زور الشهادة، أي: كذبها، وزور كلامه تزويراً: نمقة وأصلحة.

انظر: المنجد في اللغة. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٢٢١.

(٥) الأزهر: عليه.

(٦) الأزهر: أو أن.

(٧) معاهيد: الدّمّي لأنّه معاهد ومبایع على ما عليه من إعطاء الجزية والكف عنه.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ١، ص ١٠٢.

(٨) الأزهر: عاب.

(٩) الأزهر: غيبة.

(١٠) الأزهر: ظلمة.

أو ليصدق كذبك، أو لتحقق ظنك السوء^(١)، أو لتبث عيّا بغية مسلم.

فُلْتُ: فإنْ جادلْتُ عن ظالمٍ أو كاذبٍ فعلمْتُ بظلمه أو كذبه أو لمْ أعلمْ.

قال: ذلك على نوعين، والناسُ فيه فرقان:

أمّا أحد الوجهين أن^(٢) تكون علمت ذلك منه وأنَّ خصمُه بريءٌ أو مظلوم، فذلك أعظمُ عند الله تعالى وأنت شريكُ للظلم بقدْرٍ^(٣) مجادلتك عَنْهُ وبتجويزك^(٤) لفعله، وبفعلك صاحب الحق عن حقه.

والوجه الآخر: أنَّ تجادلَ عن الظالم والكافر أو الظاهر أو المغتاب وأنت لا تعلم^(٥)، فالناسُ في هذا الوجه نوعان: فنوعٌ من الإخوان وغيرهم قد عرفت براءتهم في مثل ذلك لطويل^(٦) خبرتك بهم، وإنْ كانَ أحدهم قد علم وأنت لا تعلم فأنْت مَدْحُونٌ؛ لأنَّك جادلَت بما علمت من طويل خبرتك بهم ومعرفتك بآئمِّهم^(٧) مجانبون مثل ذلك من الورع لله عَزَّ وجلَّ، والقول بالسُّنة، أنت^(٨) مطينٌ إذا جادلَتْ عنهم لعلمك المتقدم، إلا أنْ يُبَيِّنَ خصمٌ منْ تجادلَ عَنْهُ حُجَّةً واضحةً لا يمكنُ فيه غلط، فإنْ لمْ يُبَيِّنْ خصمُه حُجَّةً فلنك أنت تجادل عنه، إلا

(١) الأزهر: سوء ظنك.

(٢) الأزهر: فإن.

(٣) الأزهر: بعد.

(٤) بتجويزك الاختيار: السُّلُوك.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج٥، ص٣٢٧.

(٥) الأزهر: تعلمه.

(٦) الأزهر: بطول.

(٧) الأزهر: بأنه.

(٨) الأزهر: فأنت.

أَنْ تَكُونَ مُعَالَمَة^(١) عَلَى الْمُنَاظِرَة^(٢) لِخَصْمِهِ؛ لِيُبَيَّنَ حَجَّتُهُ أَوْ يُطَلَّ^(٣) حَجَّتُهُ.

وَ[أَمَّا]^(٤) النَّوْعُ الثَّانِي: أَنْ^(٥) تَكُونَ لَمْ تَخْبِرُهُمْ بِالْوَرْعِ وَلَا بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَمُجَانِبَةِ الْبَدْعِ^(٦)، فَلَا تَجَادِلُ عَنْهُمْ، وَإِنْ كَانُوا عِنْدَكَ مُسْتَوْرِينَ فَإِنَّهُ قَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ قَدْ فَعَلَ خَلَافَ ظَاهِرٍ^(٧) سَرَّهُ، فَتَشَبَّهَ وَلَا تَجَادِلَ فِيمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ.

وَقَدْ نَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ: {وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنَيْنَ حَصِيبَّاً وَاسْتَغْفِرْ^(٨) اللَّهَ}، الْآيَةُ كُلُّهَا، وَذَلِكَ أَنْ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اخْتَانَ^(٩) رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ خِيَانَةً فَرَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ لَظَاهِرٍ سُرُّ الْإِسْلَامِ^(١٠)، فَنَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَدَّ عَنْهُ عَنِ ذَلِكَ^(١١)، فَلَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجَادِلَ عَمِّنْ لَمْ تَنْطِلِ

(١) الأَزْهَرُ: فِي مُعَالَمَتِهِ.

(٢) الْمُنَاظِرَةُ: الْجَدَالُ وَأَنْ يَسْتَخْرُجَ الرَّجُلُ مِنْ مُنَاظِرَهُ كَلَامًا وَمَعَانِي الْحُصُومَةِ وَغَيْرِهَا. انظر: تهذيب اللُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ: ج ١٥، ص ٤٠٤.

(٣) الأَزْهَرُ: لِيُطَلَّ.

(٤) الأَزْهَرُ: أَمَا.

(٥) الأَزْهَرُ: فَإِنْ.

(٦) الأَزْهَرُ: الْبَدْعَةُ.

(٧) لَظَاهِرٌ: أَيْ غَائِبٌ بَعِيدٌ عَنِ الْحَقِّ، وَقِيلَ: زَائِلٌ، قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَمْ يُظَاهِرْ مِنَ الْقُولِ بِلْ رُؤْنَ}، الرعد: ٣٣، الآيَةُ.

انظر: تهذيب اللُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ: ج ٦: ص ١٣٥.

(٨) النَّسَاءُ: ١٠٥، الآيَةُ.

(٩) اخْتَانَ: مِنَ الْخِيَانَةِ.

انظر: مُعَجمُ دِيَوَانِ الْأَدْبِ. الْفَرَابِيُّ: ج ٣، ص ٤٤٦.

(١٠) الأَزْهَرُ: بِالْإِسْلَامِ.

(١١) انظر: تَفْسِيرُ الْكَاشِفِ. الزَّمْخَشِريُّ: ص ٢٨٥. تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ. ابْنُ كَثِيرٍ: ج ٢، ص ٤٥٠. مَسْنُدُ أَحْمَدَ: ج ٦، ص ٣٢٠.

خبرتك به بالورع والتقوى، ولكن مناظرةً مع ثبت ولا لظليم^(١) لخصمه حتى تعلم. ومن الناس مَنْ تَعْرُفُه^(٢) بالظلم فيعرض له من يطلب منه ظلامته ولم تعلم آنَّه قد ظلمه، فلا تجادل عنْه ولا تنازره في أمره وأمسك واطلب السلامه^(٣) منه.

ومعنى ثالث: تدخل بينَ الرجلين أو القوم لصلاح بينهم وقد غيب عنكَ من الظالم منهم من المظلوم، فيكون لك هواءٌ في أحدهم لقرابته أو صحبته أو مرفق^(٤) يدخل عليك من ناحيته؛ فتجادل عنْه بجادلةَ مَنْ قَدْ استيقنَ آنَّه مظلومٌ وتطلُّم خصمه، فذلك جورٌ منك وظلمٌ له إذا جادلت عنْه عَمَّنْ لا^(٥) تعلم أَمْظالُمْ أَمْ ظالِمٌ^(٦) ، بل تكون بينهم كالقاضي لا تميل ولا تحيط^(٧) ، وكل^(٨) مَنْ صَحَّتْ لَهُ حُجَّة، كُنْتَ مَعْهُ حتَّى تُخْرِجَ الْآخَرَ مِنْهَا بِرَهَانٍ أو تكونَ لِيَسَ لَكَ في واحِدٍ مِنْهُمْ هُوَ [في إِحْدَاهُمَا]^(٩) فتتجوَّرَ في محاورتك، فتظلم مَرَّةً هَذِهَا وَمَرَّةً هَذِهَا^(١٠) بِغَيْرِ عِلْمٍ تُرِيدُ بِذَلِكَ الصُّلْحَ فَهَذَا لَا يَحِيُّ لَكَ.

قلتُ: فأين قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا كَذَبَ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ»^(١١).

(١) الأَزْهَرُ: عن ظالم.

(٢) الأَزْهَرُ: يُعْرَفُ.

(٣) الأَزْهَرُ: الظلامة.

(٤) والمرفق: أي الْأَمْرُ الرَّافِقُ بِكَ أَنْ يَجْمِعَكَ وَإِيَّاهُ رُفْقَةً.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني: ج ٢، ص ٤١٨.

(٥) الأَزْهَرُ: لم.

(٦) الأَزْهَرُ: ظالم أو مظلوم.

(٧) تَحْفَفُ: مَا يَرِيدُ فَتَنَقْصُهُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٩، ص ٦٠.

(٨) الأَزْهَرُ: فَكَلَ.

(٩) الأَزْهَرُ: هُوَ في إِحْدَاهِمَا.

(١٠) الأَزْهَرُ: هَذِهِ مَرَّةٌ وَهَذِهِ مَرَّةٌ.

(١١) انظر: صحيح مسلم. مسلم بن الحاج: ج ٤، ص ٢٠١٢..سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث: ج ٤، ص ٢٨١.

قال: ليس معنى ذلك [أن^(١)] يظلم^(٢) مُسْلِمًا بغير عِلْمٍ، ولكن مداراة وعارضه ليرى^(٣) ما في صَدْرٍ كُلٌّ واحدٌ على صاحبِه أو صَدْرٍ الغَضِيبَانِ منها، أو الضارٌّ حتى يصطاحاً، فلا يجوزَ أنْ يُعِينَ^(٤) ظالماً ولا مظلوماً إِلَّا بالحَقِّ، [لَا]^(٥) بِتَصْرِيحٍ^(٦) ولا بِتَعْرِيضٍ^(٧) ولا بِشَهْدَهُ^(٨).

(١) الأزهر: أن.

(٢) الأزهر: تظلم.

(٣) الأزهر: لترى.

(٤) يُعِينُ من العين: ويقال للمراعي الشيء عين، قال تعالى: **{فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}** الطور: ٤٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٥٩٨.

(٥) الأزهر: لا.

(٦) تصريح: أعطاء إذناً، فهو التبيين وانكشاف الأمر.

انظر: معجم الصواب اللغوي. أحمد مختار عمر: ج ١، ص ٢٣٥.

(٧) التعريض أصلها عرض: افْطَعُوا الْأَمْرَ فِيهِ، جانبية.

انظر: التعريفات. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: ج ١، ص ٦٢.

(٨) الأزهر: شاهد.

يشهد: وهي الشهادة إما بالبصر أو البصيرة، قال تعالى: **{عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}** السجدة: ٦، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٤٦٥.

ما حَدَثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ^(١)، قَالَ: حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ^(٢) قَالَ: أَيُّوبُ^(٣) عَنْ هَارُونَ بْنَ رَئَابٍ^(٤) عَنْ زَيْدِ بْنِ سُوِيدِ الرِّقَاشِيِّ^(٥)، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسِيبِ: «مَنْ مَشَّى مَعَ حَصْمِ^(٦) يَرِى خَصْمُهُ أَنَّهُ شَهَدَ^(٧) عَلَيْهِ فَهُوَ شَاهِدُ رُورٍ»^(٨).

(١) سَلِيمَانُ بْنُ حَرْبٍ، أَبُو أَيُّوبِ الْإِمَامِ النَّفْعَةِ الْحَافِظِ، الْبَصْرِيُّ، فَاضِيُّ الْمَكَّةِ، مَاتَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ ٥٢٤ هـ.

انظر: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ الْذَّهَبِيِّ: ج١٠، ص٣٣١.

(٢) حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، أَبُو دَرَهْمٍ، الْعَالَمَةُ، أَبُو إِسْمَاعِيلِ الْأَزْدِيُّ، أَبُو كَسْرَىٰ، وَفَقِيهُ عُمَرٍ (رَضِيَّ اللَّهُ عَنْهُ)، مَاتَ سَنَةَ ١٧٩ هـ.

انظر: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ الْذَّهَبِيِّ: ج٧، ص٤٥٧.

(٣) أَيُّوبُ: هُوَ يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، الْإِمَامُ الْمَهْدُوُ الْغَافِقِيُّ الْمَصْرِيُّ، احْتَجَ بِهِ الْأَئِمَّةُ الستَّةُ فِي كِتَبِهِمْ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٦٨ هـ.

انظر: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ الْذَّهَبِيِّ: ج٨، ص٩.

(٤) هُوَ هَارُونُ بْنُ رَئَابَ بْنِ رِيَابِ الْأَسِيدِيِّ التَّمِيمِيِّ الْبَصْرِيِّ، أَبُو بَكْرٍ، مِنْ أَهْلِ السُّنْنَةِ رُوِيَّ لَهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدٍ، وَالْبَخَارِيُّ.

انظر: حَلِيَّةُ الْأُولَى إِلَاءِ الْأَصْفَهَانِيِّ: ج٣، ص٥٥. التَّفَاتُ. لَابْنِ حَبَّانِ: ج٧، ص٥٧٨.

(٥) زَيْدُ بْنُ سُوِيدِ الرِّقَاشِيِّ: سُوِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ سُوِيدِ الرِّقَاشِيِّ الْبَصْرِيِّ رُوِيَّ عَنْ أَبِيهِ وَالْمُسِيبِ، وَرُوِيَّ عَنْهُ: سُقْطَةُ وَهَارُونَ.

انظر: التَّفَاتُ. لَابْنِ حَبَّانِ: ج٦، ص٣١٥. الْجَرْحُ وَالْتَّعْدِيلُ. عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ إِدْرِيسِ: ج٤، ص٢٣٩.

(٦) حَصْمٌ مِنَ الْخُصُومَةِ: وَالْخَصْمُ الْمَدْعِيُّ وَالْمَدْعَى عَلَيْهِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: {هَذَا حَصْمَانٌ اخْتَصَمُوا فِي زِيَّهِمْ}، الْحِجَّةُ ١٩: الْآيَةُ.

انظر: لِسَانُ الْعَرَبِ. لَابْنِ مَنْظُورِ: ج١٢، ص١٨٠.

(٧) الْأَزْهَرُ: يَشَهِّدُ.

(٨) انظر: مَوْطَأُ الْإِمَامِ مَالِكٍ. مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ: ج١، ص٢٧٤. الْسُّنْنُ الْكَبِيرُ. النَّسَائِيُّ: ج١٠، ص٢٠٠. الْمَبْسُوتُ. مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ أَبِي سَهْلِ السَّرْخِسِيِّ: ج١٦، ص١٤٥.

حَدَّثَنَا: سُرِيعٌ^(١) عَنْ حَمَادَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَيُوبَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْدَةِ^(٢) عَنْ هَارُونَ بْنِ رَبَّابَ عَنْ زَيْدَ بْنِ سَوِيدِ الرَّقَاشِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسِيبِ، مَثْلُهُ.

(١) الأَزْهَرُ: شَرِيعٌ.

هُوَ سُرِيعُ بْنُ أَبِي بُونَسِ، هُوَ الْإِمَامُ الْقُدوَّةُ الْحَافِظُ أَبُو الْحَارِثِ الْمَرْوُزِيُّ مِنْ الْأَئْمَةِ الْعَابِدِينَ، مَاتَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ٥٢٣٥ هـ..
انظُرُ: الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ. لِأَبِي حَاتَمٍ: ج٤، ص٣٥.

(٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَيْدَةِ: هُوَ يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَا، ابْنُ أَبِي زَيْدَةِ الْحَافِظِ، الْعِلْمُ، جَدُّهُ مَيْمُونُ بْنُ فَيْرُوزٍ، أَفْقَهُ أَهْلَ الْكُوفَةَ، ثَقَةُ مُسْتَقِيمِ الْحَدِيثِ أَسْنَدَ لَهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَرَوْنَ أَهْلَ عَلَيْنِ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِيَ فِي أَفْقَ السَّمَاوَاتِ، إِنَّ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ لَمْنَهُمْ وَأَنْعَمُ»، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَفَ الْكِتَبَ بِالْكُوفَةَ، مَاتَ سَنَةَ ١٨٣ هـ..

انظُرُ: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ. الْذَّهَبِيُّ: ج٨، ص٣٣٨. الْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ. عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ إِدْرِيسِ: ج٩، ص١٤٤.

مسألة في التفويض

قلت: ما التفويض إلى الله عزَّ وجلَّ؟ فإنَّ الله [تعالى]^(١) سبحانه مدحَ مؤمن آل فرعون فأخبرَ بها ناجاه به حينَ بَيَّنَ^(٢) قومَهُ وأظَهَرَ لهمَ الخلافَ، فقالَ: (وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)^(٣)، وقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَوَضَّا أَمْرَكُمَا إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ تَسْتَرِيحاً)^(٤)، وقالَ: عامر بن عبد الله^(٥) لأخْتِهِ (فَوَضَّيَ أَمْرُكِ إِلَى اللَّهِ تَسْتَرِيحي)^(٦).

قالَ: إنَّكَ سَأَلْتَ عنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ مَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ ذَلِكَ زَالَتْ عَنْهُ هُمُومُ الدُّنْيَا والمخافَةُ لِلْعِبَادِ وَالظُّمْعُ لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَتَرَكَ النَّظَرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ إِلَى حِيلَةٍ^(٧) نَفْسِيهِ،

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) بَيَّنَ مِنْ تَبَيَّنَ: استخفَ به.

انظر: كتاب الأفعال. علي بن جعفر بن علي السعدي: ج ٢، ص ٣١٩.

(٣) غافر: ٤٤، الآية.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر. ابن الأثير: ج ٧، ص ٣٢٥٩. الجامع لشعب الإيمان. أحمد الهيقي: ج ١٤، ص ٣٦٣.

(٥) عامر بن عبد الله ابن عبد قيس العنبري، زاهد البصرة، من التابعين، زكي النفس، زاهد في الدنيا، لزم أبا موسى الأشعري في سلمه وحربه، كان ثقة من عباد التابعين، حدث عنه: الحسن البصري، وأبا سيرين، كان يصلي بالليوم ألف ركعة، ترك البصرة مرغماً، واختار بيت المقدس دار إقامته، مات في زمن معاوية.

انظر: تاريخ دمشق: ج ٢٦، ص ٢٢. سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ١٦.

(٦) جاء في الرواية: أنَّ عامر عبد الله العنبري قال لابن عم له: «فَوَضَّا أَمْرَكَمَا إِلَى اللَّهِ تَسْتَرِيحاً».

انظر: تاريخ دمشق. لابن عساكر: ج ٢٧، ص ٢٩.

(٧) حِيلَةٌ: لأنَّ شَيْءاً أَحْيَلَ مِنْ جَهَةٍ إِلَى جَهَةٍ أُخْرَى، وَالْقُدْرَةُ عَلَى دَقَّةِ التَّصَرُّفِ.

انظر: المحكم والمحيط. علي بن إسماعيل بن سعيد المرسي: ج ٤، ص ٦.

فهذه راحة للقلوب وفراغ^(١) منها لطاعة [الله]^(٢)، ويدلّك على ذلك قول المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذ قَالَ لِرَجُلِينَ: «فَوَّصَ أَمْرَكُمَا إِلَى اللهِ تَسْرِيْحَا»

والتفويض: عَمَلٌ نِيَّةٌ، لَا مَؤْوِنَةٌ^(٣) لِهُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، بِلْ فِيهِ الرَّاحَةُ لِلْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، وَكِيفَ تَلْحُقُ الْمَؤْوِنَةُ^(٤) وَالْهُمْ مَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَتَبَرَّأَ هُوَ مِنَ النَّظَرِ فِيهِ إِلَى نَفْسِهِ أَوْ إِلَى أَحَدٍ سُوَى مَنْ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ؛ لَأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ فَفَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى مَنْ طَمَعَ أَنْ يَقُومَ لَهُ بِلِسْتِرِيْجٍ^(٥) الْقَلْبُ وَالْبَدَنُ قَلِيلُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَالْاِهْتِيَامُ وَالْاِحْتِيَالِ.

فَكِيفَ بِمَنْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلَكَ الْأَعْلَى، الَّذِي لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَرَادَهُ وَدَبَرَهُ وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ وَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّهُ أَمَرَ بِالْتَّفَوِيْضِ إِلَيْهِ وَضَمَّنَ لِلْمَفْوِضِينَ [إِلَيْهِ]^(٦) الْكَفَايَةُ لِمَا هُمْ وَالْقِيَامُ لَهُمْ بِمَا فَوَضُوا إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَالْتَّفَوِيْضُ مِنْ خَالِصِ التَّوْكِيلِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِلثَّقَةِ بِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِنَفَادِ قَدْرِهِ وَرَحْمَتِهِ وَرَأْفَاهِهِ.

فَالْتَّفَوِيْضُ: الْإِلْجَاءُ^(٧) مِنْ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، [فِي]^(٨) الْأَمْوَارِ كُلُّهَا الَّتِي تَخَافُ وَتُرْجَأُ، أَوْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا مِنْ أَمْوَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَوْمُ الْحِسَابِ.
(١) فَرَغَ مِنْ يَقْرَئُ: أي خالي، قال تعالى: وَقُولُهُ تَعَالَى: {وَاصْبِحْ فُؤَادُ أُمٌّ مُوسَى فَارِغاً} القصص: ١٠، الآية.
انظر: العين. الفراهيد: ج ٤، ص ٤٠٨.

(٢) الأَزْهَرُ: الله.

(٣) الأَزْهَرُ: مَوْنَة.

مَوْنَةٌ مِنَ الْمُتَوْنَةِ: أي النَّقْلُ.

انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي: ج ٢، ص ٥٨٦.

(٤) الأَزْهَرُ: الْمَوْنَة.

(٥) الأَزْهَرُ: لِمَسْتَرِيْج.

(٦) الأَزْهَرُ: إِلَيْهِ.

(٧) الْإِلْجَاءُ: أي الاضطرار، يكون فيما لا يجد الإنسان عنه بدأً من أفعال نفسه.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ١٥٢. الفروق اللغوية. للعسكري: ج ١، ص ١٣٢.

(٨) الأَزْهَرُ: فِي.

والمریدون في ذلك رجلاً:

رجلٌ اعتقدَ من قلبه أَنَّهُ أَجَأَ أَمْوَارَهُ كُلَّهَا [إِلَى اللَّهِ]^(١) إِلَيْهِ مُتَبَرِّئٌ مِّنَ الْحَوْلِ^(٢) وَالْقُوَّةِ مِنْ نَفْسِهِ، وَمِنَ الْخَلْقِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَنْتَظِرُ صُنْعًا وَلَا لُطْفًا^(٣) إِلَّا مَنْ عِنْدَهُ، قَدْ طَابَتْ^(٤) وَسَحَّتْ نَفْسُهُ بِإِلْحَائِهِ أَمْوَارَهُ^(٥) إِلَى مَوْلَاهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى خَطَرٍ أَنْ يَخْتَدِعَهُ الشَّيْطَانُ فَيُدْخِلَ إِلَيْهِ^(٦) عَلَى النَّسِيَانِ وَالْغَفْلَةِ^(٧) [فِي]^(٨) أَنَّهُ يَمْلُكُ أَمْرَهُ، [وَلَكِنَّهُ]^(٩) عَجَزَ عَنْهُ فَأَجْلَاهُ إِلَى مَوْلَاهُ، [فَعِنْدَ] ذَلِكَ^(١٠) قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ [مِنَ الشَّيْطَانِ]^(١١) بَابٌ مِّنَ الْعَجَبِ دَقِيقٌ لَا يَقْطُنُ لَهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ السَّمَاوَرَةُ^(١٢).

(١) الأَزْهَرُ: إِلَى اللَّهِ.

(٢) الْحَوْلُ: أَيْ لَيْسَ لَهُ حِيلَةً، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كُنْزٌ مِّنْ كُنْزِ الْجَنَّةِ».

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مسلم الغوثي الصُّحَارَى: ج ٢، ص ٢٠٦.

(٣) الأَزْهَرُ: لَطْفًا وَلَا صُنْعًا.

(٤) طَابَتْ: وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِالشَّيْءِ إِذَا سَمِّحَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ كَرَاهَةٍ وَلَا غَضَبٍ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٥٦٦.

(٥) الأَزْهَرُ: الْأَمْرُ.

(٦) الأَزْهَرُ: عَلَيْهِ.

(٧) الأَزْهَرُ: فِي.

(٨) الأَزْهَرُ: وَلَكِنَّهُ.

(٩) الأَزْهَرُ: عَنْ ذَلِكَ.

(١٠) الأَزْهَرُ: مِنَ الشَّيْطَانِ.

(١١) السَّمَاوَرَةُ: الدَّلَالُونَ بِكَلَامِ الْفَرِسِ، وَعِنْ كَلَامِ الْعَرَبِيِّينَ الْأَوْيَاشِ: تَعْنِي الْجَمَاعَاتُ وَالْأَخْلَاطُ مِنْ قَبَائِلَ شَنَّى.

انظر: شرح غريب ألفاظ المدونة. الجبي: ج ١، ص ٧٤. المُسْتَعْذِبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ أَلْفَاظِ الْمَهْذَبِ. محمد الرَّكَبِيُّ: ج ٢، ص ٢٧٧.

و[الرجل]^(١) الثاني: اعتقاد في قلبه أنه لا أمر له ولا حول له ولا قوة ولا ملك له يحتاج يلْجأه إلى ربّه، ولكن ربّه مالك نفسه وجميع أمره، فإنّا معناه بتقويضه أمره أنه فوّض الأمور التي لا يملّكها إلى الله عز وجل، يقول في نفسه الأمور كلّها الله وبالله تكون وتنصرف فأجلّ الأمور كلّها إلى الله تعالى^(٢) لأنّا مُستظرٌ لما يقضى^(٣) ويقدر أحسن الظن به إذ من^(٤) على بالانتظار؛ لذلك أن يلطفَ لي^(٥) وينظر [إلي]^(٦) ويحسن [إلي]^(٧) ويختار [لي]^(٨) فلا أمر لي فأنقضه والأمر كلّه لربّي.

فقد فوّضت إليه الأمور كلّها وأجلّها مُستظراً لصُنعه ولطفه، وإنّما قولي أفوّض أمرِي إلى الله [أي]^(٩) الذي لا مالكه، وإنّما تسمّيتي ليس أعني [بها]^(١٠) ملكي، إنّما قولي أمري معناه أمري الذي أحتاج إليه [من ملك ربّي]^(١١) لست أملكه^(١٢) [فهو المالك له]^(١٣) كقولي: أحتاج إلى أن يأتيني رزقي ولم أملكه بعد؛

(١) الأزهر: الرجل.

(٢) الأزهر: عز وجل.

(٣) قضى يقضى قضاء، فهو قاض، وأُوفى بِنَدْرَه، إذا حكم وفصل، انظر: التّقّيّة في اللغة. اليمان بن أبي اليمان البَنْدِنِيِّي: ج ١، ص ١٣١.

(٤) مَنْ: هي من المَنَّة.

(٥) الأزهر: يطاف بي.

(٦) الأزهر: إلى.

(٧) الأزهر: إلى.

(٨) الأزهر: لي.

(٩) الأزهر: أي.

(١٠) الأزهر: بها.

(١١) الأزهر: من مَلَكَ ربِّي.

(١٢) الأزهر: لا من ملكي.

(١٣) الأزهر: فهو المالك له.

فكذلك أفوض أمرِي التي يحتاج إليها بملكة^(١) ربي لا أنا، فهو المالك له.

فهذا الذي لم تدخل عليه أغلوطةٌ ووضع نفسه من العبودية حيث وضعها مولاه، وأفرد الله بالربوبية والقدرة على جميع الأمور والتدبر لها دونَ مَنْ سواه فهذا الذي يكفيه الله ويختارُ له، فإنْ غلطَ رجوتُ له أنْ يتجاوزَ [الله]^(٢) عن غلطِه إذا كان الغالب على قلبه تفويضُ جميع الأمور [كلها]^(٣) إلى ربِه والمفوض^(٤) مكتفي^(٥) مستريح، ألم تسمع مولاي^(٦) يقول ويخبر عن قولِ العَبْدِ الصالِحِ وكيف فعلَ به حينَ فوْضَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ، فقال: (وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)^(٧).

قالَ: الله عَزَّ وَجَلَّ: (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا)^(٨) الآية.

قلتُ: فَيَمَّ^(٩) ينالُ التفويضُ [الله عَزَّ وَجَلَّ]^(١٠).

قالَ: بغيرِ كبيرِ مؤونةٍ في قلبِه، ولا تَعْبُ بَدْنَه، ولا تَعْلِيمٌ مِنْ أحدٍ، ولا إِنْفَاقٌ مِنْ مالٍ، ولا عَمَلٌ جارحةٌ إِلَّا المناجاةُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ باللسانِ بعدِ اعتقادِ

(١) الملكة: هي صفة راسخة في النفس، وملكة الشيء تملّكها، أي جعله ملّكاً لها.

(٢) الأزهر: الله.

(٣) الأزهر: كلها.

(٤) المفوض: أي الموكل أمره إلى الله سبحانه.

انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون. عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري : ج ٣، ص ٣٢١.

(٥) الأزهر: مكتف.

(٦) الله سبحانه وتعالى.

(٧) غافر: ٤٤، الآية.

(٨) غافر: ٤٥، الآية.

(٩) فَيَمَّ: أداة استعظام مركبة (يَمَّ تكتب) قوله تعالى: {فَيَمَّ نَبْشَرُونَ}، الحجر: ٥٤، الآية.

انظر: مجمع اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عبد الحميد عمر: ج ١، ص ٢٤٧.

(١٠) الأزهر: الله عز وجل.

[القلب]^(١)، وهو أن يتفكر المريد المؤمن في صغير قدره في نفسه وما أزيل عنها من الطلب لشيء من نفسه أو من غيره إلا ما أعطاه مولاه وَمَنْ^(٢) به عليه؛ فيعقل مِنْ صُغْرٍ قَدْرٍ نفسه (وَمَا أَزْبَلَ عنها من الطلب لشيء من نفسه)^(٣)، (أو مِنْ غيره إلا ما أعطاه مولاه)^(٤).

وضعفها ومهانتها وقلة حيلتها وضعف جميع الخلق^(٥) ومهانتهم أن يزيدوا أو يحدوا^(٦) مَنْ فَعَلَ خَيْرًا وصرف مكروهًا إلا ما دبره المولى الكريم، ويتفكر ويتذكر أنَّ الرَّبُّ هو القادر [وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ]^(٧) إِلَّا هُوَ^(٨)، لَهُ الَّذِي لَا يَكُونُ^(٩) إِلَّا ما أَرَادَ وَدَبَرَ، وَأَنَّهُ لَا يَعْجِزُ شَيْءًا أَرَادَهُ، وَأَنَّهُ وَجْهُ الْعِبَادِ لَا يَنْالُونَ خَيْرًا إِلَّا مِنْ عَنْدِ رَبِّهِمْ، وَلَا يَصْرِفُونَ عَنْ أَنفُسِهِمْ سَوْءًا^(١٠) إِلَّا مَا صَرَفَهُ عَنْهُمْ.

(١) الأزهر : القلب.

(٢) الأزهر : من.

(٣) فيعقل من العقل: ضد الجهل، سمى عقل الإنسان وهو تمييزه الذي به فارق جميع الحيوان عقلًا لأنَّه يعقله.

انظر: تهذيب اللغة: محمد الهروي: ج ١، ص ١٦٠.

(٤) الأزهر. لم ترد فيها: (ج.س.).

(٥) جاءت الأقواس كما في مخطوطة: (الأصل)

(٦) الأزهر : الخلق.

(٧) الأزهر: إنهم لا يريدون أو يحددون.

(٨) الأزهر: وأنَّه لَا إِلَه.

(٩) إِلَّا هُوَ: هو الله سبحانه، قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، البقرة: ٢٥٥، الآية.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد عيمم الإحسان المجددي البركتي: ج ١، ص ١٢.

(١٠) الأزهر: يكون.

(١١) سَوْءٌ، السوء: تعني جهنم، والسوء نعت لكل شيء رديء.

انظر: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب. محمد بن يوسف بن علي : ج ١، ص ١٥٣. العين. الفراهيدية: ج ٧، ص ٣٢٧.

فإذا عقل ذلك علم أنه^(١) جهل منه أن ينظر إلى نفسه أو إلى أحد سوى مولاه، فقال في نفسه: الجات أمروري كلها إلى رب المالك لا مالك لها سواه، ولا أنتظر ولا أتكل ولا أمل ولا أخاف ولا أحذر غيره.

فالمريد ينال التفويض بهذه المعرفة عن هذه الفكرة والتنذير كما وصفت لك.

قلت: فما يورث^(٢) الله المفوض إليه الأمور [كلها]^(٣).

قال: زوال جميع هموم الدنيا، وزوال خوف جميع العباد، وزوال الرجال لأحدٍ منهم، وترك التطلع والاستشراف^(٤) لما يكون منهم، وزوال الانكال^(٥) على حيلة^(٦) نفسه، فلما حل هذا محل لم يستعمل جارحة من جواره تقرباً إلى أحد سواه رجاء مفعة منه، ولا دفع ضر عنه، ولا^(٧) فقر واستغنى [بإله]^(٨).

قلت: وكيف يجوز له طلب معاش أو اهتمام لأمر دينه أو معاية نفسه على ما صنع أو عزم على طاعة أو معاش يقوّم له، وقد فوض أمره إلى الله تعالى وبرأ نفسه من تدبير شيء من أمره.

(١) الأزهر: أن.

(٢) يورث أصلها الوراثة، والإرث: وهو الحصول على شيء من غير تعب، قوله تعالى: {أَوْرَثْنَاهَا قُومًا آخرين} الدخان: ٢٨، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٦٣.

(٣) الأزهر: كلها.

(٤) الاستشراف: هو التشرف للشيء التطلع والنظر إليه، وفي الحديث: «استشرف لهم ناس»، أي رفعوا رؤوسهم وأبصّرهم بالتعجب له.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٩، ص ١٧٢.

(٥) الانكال: أي يكلِّ الأمر إلى غيره، ويتوانى ولا ينهض بالأمر أي اعتمد، ومنه حديث الدعاء: «لَا تكُلني إلى نفسي طرفة عين فأهلك».

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ١١، ص ٧٢٧٥.

(٦) الأزهر: حياة.

(٧) الأزهر: لا.

(٨) الأزهر: بالله.

قالَ: إِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يُعَاتِبَ نَفْسَهُ عَلَى تَفْرِيظِهَا وَتَعْذِّذِهَا^(١) عَلَى ذَنْبِهَا اتَّبَاعًا لِمَا أَمْرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ أَنْ يَفْعُلَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَصُرْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي فَوْضَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، فَبَعْثَهُ وَفَقَهُ عَلَى عَذَّلِ نَفْسِهِ وَلَذَّهَا وَقَدْرَ لَهُ ذَلِكَ أَنْ يَفْعُلُهُ.

وَكَذَلِكَ إِنْ عَزَّمَ عَلَى أَمْرٍ لَا خَرْتَهُ أَوْ طَلَبَ مَعَاشٍ^(٢) يَقْوِيهِ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ لَمْ يَعْزِمْ عَلَى ذَلِكَ؛ لَأَنَّ الْأَمْرَ إِلَيْهِ^(٣)، وَلَكِنَّ مَرَّ^(٤) بِالْعَزَّمِ عَلَى مَا يَقْرُبُ إِلَى مَوْلَاهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعَاشٍ لَا تَقْوِيُ الطَّاعَةِ إِلَّا بِهِ مِنْ قَوَامٍ^(٥) أَوْ قُوَّةٍ عَلَى قُرْبَيْهِ إِلَى رَبِّهِ، فَهُوَ قَبْلَ أَنْ يَعْزِمَ يَتَكَلَّفُ^(٦) الْعَزَّمَ، وَيَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ التَّكَلُّفُ مِنْ مَوْلَاهُ هُوَ^(٧) مَنْ^(٨) يَهُ عَلَيْهِ.

(١) الأَزْهَرُ: وَيَعْزِلُهَا.

تَعْذِلُهَا أَصْلُهَا الْعَذْلُ: عَذَّلَ يَعْذِلُ، وَهُوَ اللَّوْمُ، وَالْعُذَالُ الرَّجَالُ، وَالْعُذَلُ النِّسَاءُ.

انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج٩، ص١٢٠. انْظُرْ الْعَيْنَ. الْفَرَاهِيدِيُّ: ج٢، ص٩٩.

(٢) الأَزْهَرُ: مَعَاشًا.

(٣) الْقَصْدُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(٤) الأَزْهَرُ: مَنْ أَنَّ اللَّهَ.

مَرَّ: الْمَرْرُ، وَ (مَرَّ) عَلَيْهِ وَمَرَّ بِهِ مِنْ بَابِ رَدَّ أَيِّ اجْتِنَازٍ.

انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج٥، ص١٦٥.

(٥) (قَوَامٌ) نِظَامٌ وَعِمَادٌ، وَامْتِلَاكٌ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تُؤْثِرُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً}، النِّسَاءُ: ٥، الْآيَةُ.

انْظُرْ: الْزَّاهِرُ فِي مَعْنَى كَلْمَاتِ النَّاسِ. مُحَمَّدُ بْنُ الْفَاسِمِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ بَشَّارٍ: ج١، ص٣٣٥.

(٦) يَتَكَلَّفُ مِنَ الْكَلْفِ: شَدَّةُ الْحَبْ وَالْمَبَالَغَةُ فِيهِ،

انْظُرْ: الإِبَانَةُ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَوْنَبِيِّ الصُّنْحَارِيِّ: ج٤، ص١٢٥..

(٧) الأَزْهَرُ: فَهُوَ.

(٨) هِيَ الْمَنَّةُ.

فإِذَا عَزَمَ عَلِمَ أَنَّ الْعَزَمَ هُوَ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، وَإِذَا طَلَبَ رِزْقًا أَوْ طَاعَةً فَيَفْوَضُ^(١) إِلَى مَوْلَاهُ أَنْ يَقْدِرَ ذَلِكَ لَهُ^(٢)، فَإِنْ خَطَرَ^(٣) [لَهُ]^(٤) خَاطِرُ^(٥) يَدْعُوهُ إِلَى رِجَاءِ حِيلَتِهِ، أَوْ تَدْبِيرِهِ، أَوْ مَعْوِنَةِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَنَفَى ذَلِكَ وَرَجَعَ إِلَى انتِظَارِ الْمَقْدُورِ مِنْ رَبِّهِ فَهُوَ فِي طَلَبِهِ كَأَنَّهُ لَيْسَ يَطْلَبُ.

لَأَنَّهُمْ^(٦) أَنْ [إِلَّا]^(٧) يَتَمَّ لَهُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ قَبْلِ أَحَدٍ مِنْ الْخَلْقِ عَنْ قَلْبِهِ زَائِلٌ لَا يَلْزَمُ قَلْبُهُ خَوْفٌ مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْخَلْقِ مَا يَخَافُهُ، أَوْ يَكْرُهُ أَنْ يَقْعُدْ بِهِ وَلَا يَلْزَمُ قَلْبُهُ طَمْعٌ فِيهَا عِنْدَ غَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَمْرٍ كَانَ إِلَى الْخَطَرَاتِ^(٨)، بِذَلِكَ لَا يَنْفِيْهَا^(٩) إِلَّا بِذَكْرِ قَدْرِ مَوْلَاهُ^(١٠)، وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلُّهَا بِيَدِهِ.

قَلْتُ: كَيْفَ سَمَّيْتُهُ تَفْوِيْضَ إِلْجَاءِ وَزَعَمْتَ أَنَّ الْمَفْوَضَ هُوَ الْمَنْتَظَرُ الْنَّاظِرُ إِلَى رَبِّهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ، وَلَمْ تُسَمِّيْهِ مَحْبَةً وَلَا رَضْيًّا وَلَا سَرْوَرًا؟

قَالَ: لَأَنَّ التَّفْوِيْضَ قَبْلَ نَزْوِلِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لَمْ يَكُنْ فَوْضًا فِيهِ الْمَفْوَضُ،

(١) الأَزْهَرُ: فَوْضٌ.

(٢) الأَزْهَرُ: لَهُ ذَلِكَ.

(٣) خَطَرُ: الْقَدْرُ وَالْمَكَانَةُ.

انظُرْ: مَعْجمُ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ الْقَرْوَبِيُّ: ج٢، ص١٩٩.

(٤) الأَزْهَرُ: لَهُ.

(٥) الْخَاطِرُ: رَاهِنَةُ بَيْلَهُ مِنْ بَابِ دَخْلٍ، وَ (أَخْطَرَهُ) اللَّهُ بِبَالِهِ.

انظُرْ: أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ. مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ، الزَّمْخَشِرِيُّ: ج١، ص٢٥٥.

(٦) أَلَّهُمْ: الْحُرْنُ، وَمَا هَمَتْ بِهِ مِنْ أَمْرٍ فِي نَفْسِكَ.

انظُرْ: تَهذِيبُ الْلُّغَةِ: مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ ج٥، ص٢٤٨.

(٧) الأَزْهَرُ: إِلَّا.

(٨) الْخَطَرَاتُ: جَمْعُ خَطَرٍ، وَهِيَ مِنْ خَطَرِ الشَّيْءِ فِي قَلْبِهِ.

انظُرْ: طَلَبَةُ الْطَّلَبَةِ. نَجَمُ الدِّينِ النَّسْفِيُّ: ج١، ص٦٧٦. مُوسَوِّعَةُ كَشَافِ اسْطِلَاحَاتِ الْفَنُونِ وَالْعُلُومِ. مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْفَاظِيِّ: ج١، ص٧٥٣.

(٩) يَنْفِيْهَا مِنْ يَنْفِيْ: أَيْ تَنْحَىُ، وَدَفَعَهُ وَأَرْزَالَهُ.

انظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ. أَبْنُ مَنْظُورٍ: ج١٥، ص٣٣٦.

(١٠) قَدْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فِلَمَ كَانَ تَفْوِيْضًا فِيمَا يَسْتَقْبِلُ سَمْيَتُهُ إِلْجَاءً، وَبَعْدَ الْإِلْجَاءِ [سَمْيَتُهُ انتظارًا لِأَنَّهُ]^(١) نَظَرًا إِلَى^(٢) مَوْلَاهُ لَا إِلَى غَيْرِهِ، وَالرَّضَا وَالسُّرُورُ [يَكُونُ]^(٣) بِمَا قَدْ نَزَلَ بِهِ [مِن]^(٤) الْقَضَاءِ^(٥) وَالْقَدْرِ، وَالرَّضى فِي الْمَكْرُوهِ وَحْدَهُ^(٦) بَعْدَ وَقْوَى الْقَضَاءِ، وَرُوِيَ عَنْ عَمَّارٍ^(٧) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَأَسَأَلُكَ الرَّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ»^(٨)، فَأَمَّا قَبْلَ الْقَضَاءِ^(٩) فَإِنَّمَا هُوَ نَيَّةُ الرَّضَا إِنْ نَزَلَ بِهِ الْمَكْرُوهُ، وَقَدْ يَبْيَنَا ذَلِكَ فِي *كِتَابِ الرَّضَا*^(١٠).

(١) الأَزْهَرُ: سَمْيَتُهُ انتظارًا لِأَنَّهُ.

(٢) الأَزْهَرُ: إِلَى.

(٣) الأَزْهَرُ: يَكُونُ.

(٤) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(٥) الأَزْهَرُ: قَضَاءُ.

(٦) وَحْدَهُ: أَيْ وَحْدَ مَعْنَاهُ لَا يُدْخَلُهُ فِيهِ أَحَدُ، إِلَيْمَانٌ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَاللهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ دُوَّرْ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْتَّوْحِيدِ. انْظُرُ: الْمَازِهِرُ فِي مَعْنَى كَلْمَاتِ النَّاسِ. مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ: ج١، ص١٤٩. إِلَبَانَةُ فِي الْغُلَمَانِيَّةِ. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَوْتَبِيِّ الصُّنْهَارِيُّ: ج٥، ص١٢٥.

(٧) عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: ابْنُ عَامِرٍ بْنُ مَالِكٍ بْنُ كَنَانَةَ بْنُ قَيْسٍ بْنُ الْوَذِيمِ، وَقِيلُ بَيْنَ قَيْسِ الْوَذِيمِ حَصِينِ بْنِ الْوَذِيمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَوْفٍ، عَدَةُ أَحَادِيثٍ: فِي مَسْنَدِ بَقِيِّ لِهِ اثْنَانٌ وَسَتُونَ حَدِيثًا، وَمِنْهَا فِي «الصَّحِيفَتَيْنِ» خَمْسَةً، رَوَى عَنْهُ: ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبْوَ مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَأَبْوَ أُمَّةَ الْبَاهِلِيِّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَى سَبْعَةَ رَفَقَاءَ نَجَابَاءَ وَزَرَاءَ، وَإِنِّي أُعْطَيْتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ: حَمْزَةُ، وَأَبْوَ بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيُّ، وَجَعْفَرُ، وَحَسْنُ، وَحَسِينُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبْوَ ذَرٍ، وَالْمَقْدَادِ، وَحَذِيفَةَ، وَعَمَّارَ، مَاتَ فِي صَفَيْنِ سَنَةَ ٥٣٧هـ. انْظُرُ: سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ. الْذَّهَبِيُّ: ج١، ص٤٧.

(٨) انْظُرُ: مِرْقَاهُ الْمَفَاتِيحُ شَرْحُ مَشْكَاهِ الْمَصَابِيْحِ. نُورُ الدِّينِ الْمَلاِ الْهَرَوِيُّ: ج٥، ص٤١٤. كِتَابُ الْعَمَالِ فِي سُنْنِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. عَلَاءُ الدِّينِ عَلَى بْنِ حَسَامِ الدِّينِ: ج٢، ص١٧٤.

(٩) الأَزْهَرُ: قَضَاءُ.

(١٠) كِتَابُ الرَّضَا، وَرَدَ كِتْبَةً فِي مَكْتَبَةِ Nagpur. الْهَنْدِيَّةِ، (١٣. ٨٢٠)، رَقْمٌ ١٣. نُشِرَتْ بِهِ نَسْخَةٌ ١٩٣٤، سَنَةَ ٢٨٩، مِنْ ٦٢١هـ. نُشِرَتْ كِتْبَةً كَمَحْقِقٍ لَهَا الْكَاتِبُ O. Spics: فِي مَجَلَةِ إِسْلَامِيَّةٍ، العَدْدُ ٦، ص٢٨٣.

انْظُرُ: تَارِيْخُ الْأَدْبُرِ الْعَرَبِيِّ. كَارْلُ بُرُوكْلَمَانُ: ج٤، ص٦. تَارِيْخُ التِّرَاثِ الْعَرَبِيِّ. فَوَادُ سِزْكِينُ: ج١، ص١١٨.

قلت: فلَمْ لَا سَمِيَّتِهِ التَّفْوِيْضُ تَوْكِّلًا وَهُوَ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَشْيَاءِ؟

قَالَ: لِأَنَّ التَّفْوِيْضَ عَنِ التَّوْكِّلِ، وَالتَّوْكِّلُ عَنِ الثَّقَةِ [بِهِ]^(١) إِذَا وَثَقَ
تَوْكِّلَ، وَإِذَا تَوْكَّلَ فَوْضَ المَفْوَضِ وَهُوَ الْمُتَجَحِّي إِلَيْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْوَارُهُ عَنِ
الْتَّوْكِّلِ وَالثَّقَةِ بِهِ مُنْتَظَرٌ^(٢) لِمَوْاقِعِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ لُحْسَنِ الظَّنِّ بِهِ أَنْ يَنْزَلَ
الْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ بِمَا يُحِبُّ وَيَأْمُلُ الصُّنْعَ وَاللَّطْفَ لَهُ^(٣).

(١) الأزهر: به.

(٢) الأزهر: انتظار.

(٣) الأزهر: به.

مسألة في معرفة النفس

قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْأَزْرَاءِ^(١) عَلَى النَّفْسِ، كَيْفَ هُوَ؟

قَالَ: مَعْرِفَتَكَ بِعَدْرِهَا^(٢) وَسُوءِ رَغْبَتِهَا وَأَفْعَالِهَا، وَمَعْرِفَتَكَ بِقَدْرِهَا أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ بُنِيَتْ فِي طَبَائِعِهَا وَهِيَّهَا، وَكَيْفَ اسْتَقْنَعَهَا^(٣) لِطَرِيقِ نَجَاتِهَا^(٤) مِنْ غَيْرِ بُعْضٍ لِلنَّجَاةِ، وَلَكِنْ كَرَاهِيَّةِ حَمْلِ الْمُؤْنَ [وَكَرَاهَةِ]^(٥) تَرُكٍ^(٦) مُحِبَّبِهَا^(٧) مِنْ عَاجِلٍ^(٨) الدُّنْيَا، وَكَيْفَ اسْتَخْفَافَهَا لِمَا فِيهِ هَلْكَتُهَا^(٩) مِنْ غَيْرِ حُبِّ الْهَلْكَةِ^(١٠) فِي

(١) الأَزْهَرُ: الْأَزْرَاءُ.

وَالْأَزْرَاءُ: التَّهَاوُنُ بِالشَّيْءِ.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. الحموي: ج ٥، ص ٢٧٨٨.

(٢) الأَزْهَرُ: بِقَدْرِهَا.

(٣) اسْتَقْنَاعُهَا مِنْ اسْتَقْنَاعٍ: الَّذِي قَدْ اسْتَقْنَعَ نُومًا، نَامَ فَسَالَ لَعَابَهُ.

انظر: المخصص. علي بن إسماعيل بن سيده: ج ١، ص ٤٩٤.

(٤) نَجَاتُهَا أَصْلُهَا نَجَاتٌ: إِذَا سَلِيمٌ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ١٠، ص ٦٥٠٣.

(٥) الأَزْهَرُ: كَرَاهَةُ.

(٦) الأَزْهَرُ: لَرْكَ.

(٧) اللَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى.

(٨) عَاجِلٌ: هِي مُؤْتَ رُعَافٌ، وَالزَّعَافُ الْكَذَبُ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ٣، ص ٨.

(٩) الأَزْهَرُ: هَلَكَهَا.

(١٠) الْهَلْكَةُ: أَيْ هَلَكَ.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق: ج ٧، ص ٤٠٧.

آخرتها، ولكن بمفارقةٍ لذاتها ومجانبةٍ هوها في غير عاجلٍ دُنِيَاها^(١).

هذا مع إقرارها بأنَّ ثوابَ الآخرةِ وعقابَها أَعْظَمُ وأَبْقَى، وأنَّ محبوبَ^(٢) الدُّنْيَا ومكرُوهُها الدُّنْيَا^(٣) الفاني^(٤) هي تُؤثِّرُ بَعْدِ الْعِلْمِ والمعرفةِ بذلك [الدُّنْيَا]^(٥) الفاني على العظيم الباقي^(٦) من غيرِ جحودٍ منها للعظيم الباقي، ولكن لتعجيلِ دُنْيَا من لَذَّةِ تُصِيبُها أو راحَةٍ من مكروهِ نَالَتُهُ، أو يشغُلُها عن محبوبها ويعلمُ أنَّ طبعها قائمٌ يطلبُ^(٧) ما يوافِقُها من الدُّنْيَا لا يغفلُ عن ذلك طرفةَ عينٍ، تتقلبُ من^(٨) الْطَّلْبِ بِقُدْرَةِ الْأَسْبَابِ وَالْحَاجَاتِ إِذَا نالتُ ما تَرِيدُ من شَيْءٍ تَعْلَقَتْ بَآخِرٍ لَا تَنْفَكُ دَائِمَةً مِنْ ذَلِكَ وَمَرَادِهَا^(٩) [ما]^(١٠) هي عليه قائمَةً.

وَجَوَارِحُهَا لَهُ مُذْرِكَةٌ وَهِي لَا تَنْسِي مَا تَهُوِي وَلَا تَرْكُهُ طرفةَ عينٍ حتى

(١) الأزهر: دنيا

(٢) الأزهر: محبوبات.

(٣) الأزهر: دنيا.

الدُّنْيَا: الخبيث، الخبيث البطن والفرج.
انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٧٨.

(٤) الأزهر: فان.

الفاني: ذهبت قوتها إذ استهلكت.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ٣٢٩.

(٥) الأزهر: الدنيا.

(٦) الله سبحانه وتعالى.

(٧) الأزهر: بطلب.

(٨) الأزهر: ينقلب في.

(٩) مرادها: أصلها مَرَادٌ وهي رمالٌ مُبَطِّحةٌ لا تُثْبَتُ فيها، ومنه للمرأة التي لا تلد عاقر.

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهمائي الأزدي: ج ١، ص ٤١٩.

(١٠) الأزهر: ما.

تَقْصِرُ^(١) قَصَرًا وَتُجْبِرُ^(٢) جَبَرًا، وَيُحَالُ^(٣) بَيْنَهَا وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالذِي بِهِ تَقْصُرُهَا^(٤) وَتُجْبِرُهَا لِنَسِيَّهُ حَاضِرًا تَدْرُكُهُ فَتَخَافُهُ أَوْ تَأْمَلُهُ، وَلَكِنَّهُ غَائِبٌ عَنْهَا فَلَا تَنَالُهُ إِلَّا بِالْتَّكْلِفِ، وَتَرْدَادُ^(٥) الْفِكْرِ فِيهِ لَعْظِيمٌ قَدْرُهُ، وَلَا يَنْأِيُ التَّكْلِفُ لِذَلِكَ إِلَّا بِالْتَّيْقِظِ وَتَرْكِ^(٦) إِشْغَالِهَا بِلَذَّاتِهَا؛ فَحَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ أَرَادَ نِجَامَهَا أَنْ لَا يَغْفِلُ الْتَّيْقِظَ وَلَا يَدْعُ التَّفْكِرَ وَلَا يَغْفِلُ عَنْهَا وَلَا يَأْمُنُهَا، [بَلْ]^(٧) وَيُزِيلُ حَسْنَ الظَّنِّ^(٨) عَنْهَا^(٩) وَيُسْعِ إِلَيْهَا بِالْتَّهَمِ إِذَا سَارَتْ إِلَى طَلْبِ النِّجَاهِ.

إِذْ كَانَ يَعْرُفُ مِنْهَا خَلَافَ ذَلِكَ مَا تَقْدَمَ مِنْ سُوءِ فَعْلَهَا وَسُوءِ رَغْبَتِهَا؛ لَأَنَّهُ قَدْ عَرَفَهَا مُسْتَقْلَةً لِطَرِيقِ النِّجَاهَ، مُسْتَخْفَةً^(١٠) لِطَرِيقِ الْهَلْكَةِ، [وَ]^(١١) لَنْ تَنْقَادَ إِلَى سُبُلِ النِّجَاهِ إِلَّا بِالْقَصْرِ^(١٢) وَاجْبَرْ وَمَعَ اِنْقِيَادِهَا تَجَاذِبِهِ^(١٣)، فَإِنْ مَنَعْتُ الْمُجَادَبَةَ^(١٤) طَلَبَتْ أَنْ تَجْعَلْ سُبُلَ النِّجَاهِ سُبُلَ الْهَلْكَةِ، فَطَلَبْتُ التَّصْنِعَ بِالطَّاعَةِ

(١) الأَزْهَرُ: تَقْسِرُ قَسْرًا.

تَقْصُرُ: يَدْلُلُ عَلَى أَلَا يَتَّلَعُ الشَّيْءُ مَذَاهُ وَنَهَايَتُهُ.

انْظُرُ: مُعجم مقاييس اللُّغَةِ. أَحْمَدُ فَارِسٌ: ج٥، ص٩٦.

(٢) تَجْبِيرُ مِنْ جَبَرٍ: وَهَذَا مِنْ أَحَدِ مَا جَاءَ عَلَى فَعْلَتِهِ، فَقَعْلَ، جَبَرُ الْعَظِيمِ جَبُورًا. انْظُرُ: جُمِهُرَةُ اللُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ: ج١، ص٢٥٦.

(٣) يُحَالُ: الَّذِي يَقْبَلُ.

انْظُرُ: تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ. مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّزَاقِ: ج٢٨٣، ص٢٨٣.

(٤) الأَزْهَرُ: تَقْسِرُهَا.

(٥) تَرْدَادُ مِنْ تَرْدَدٍ، تَرْدَادُ: تَرَاجُعٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدًا}، الْقَصْصُ: ٣٤، الْآيَةُ.

انْظُرُ: الْمُحْكَمُ وَالْمُحِيطُ الْأَعْظَمُ. عَلَيْ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيِّدِهِ: ج٩، ص٢٦٨.

(٦) الأَزْهَرُ: بَلْ.

(٧) الأَزْهَرُ: بِهَا.

(٨) مُسْتَخْفَةٌ مِنْ اسْتَخْفَةٍ: وَهِيَ مُسْتَبِرَّ.

انْظُرُ: تَهذِيبُ اللُّغَةِ. مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ الْأَزْهَرِيِّ الْهَرَوِيُّ: ج٧، ص٢٤٣.

(٩) الأَزْهَرُ: وَ.

(١٠) الأَزْهَرُ: تَقْسِرُ.

(١١) الأَزْهَرُ: تَحَارِبُ.

(١٢) الأَزْهَرُ: الْمُحَارِبَةُ.

والعجب بعظيم النعمة والتكبر بكثير المنة والحسد لمن فضل عليها.

والغرّة لمن لم تقاد له إلا كارهةً، فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ صَفَّةً فَقَدْ حَلَّتْ تَهْمَةً وأَبَيَّحَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِ بَلْ يَقِينًا^(١) لَا شَكَ فِيهِ أَنَّهُ كَذَلِكَ، فَلَا تَدْعُ تَهْمَتَهَا عَنْدَ مُسَارِعَتِهَا^(٢) إِلَى طَرِيقِ النَّجَاهَةِ حَتَّى تَوَقِّعُهَا وَتَفْتَسِّرُهَا أَنْ لَا^(٣) تَكُونَ أَصْمَرَتْ فِيهِ بَلِيلَةً^(٤) لِتَنَالَ عَاجِلَ دُنْيَاها.

قالَ عَبْدُ اللَّهِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفِّتْ بِالْمُكَارِهِ وَالنَّارُ حُفِّتْ بِالشَّهْوَاتِ، وَمَنْ اطَّلَعَ الْحِجَابَ وَاقِعًا مَا وَرَاءَهُ»، يَعْنِي مِنْ جَازَ^(٥) حِجَابَ النَّارِ وَقَعَ فِيهَا؛ لِأَنَّ حِجَابَهَا الشَّهْوَاتُ، وَمَنْ جَاَوَرَ حِجَابَ الْجَنَّةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّ حِجَابَهَا الْمَكْرُوهَاتُ، فَمَنْ تَحْمَلَ الْمَكْرُوهَاتِ دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَمَنْ أَتَى الشَّهْوَاتِ دَخَلَ النَّارِ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ أَمْرَ عَبْدِهِ بِأَنْ يَتَحَمِّلُوا الْمَكْرُوهَ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَأَمْرَهُمْ بِتَرْكِ الشَّهْوَاتِ حَتَّى يَنْجُوا مِنْ النَّارِ، وَقَالَ: ثَلَاثُ خَلَالٍ يَلْزَمُهَا قَلْبُكَ:

أَوْلَاهَا: الْيَقِينُ^(٦) بِأَنَّ الْمُقْدُورَ^(٧) يَأْتِي وَإِنْ لَمْ يُقْدِرْ لَا يَأْتِي، فَمَنْ أَيْقَنَ بِذَلِكَ وَرَرَّ اللَّهُ قَلْبُهُ خَصْلَتِينَ أَحَدَهُمَا:

أَنْ يَأْمَنَ قَلْبُهُ أَنْ يَفُوتُهُ مَا قَدَرَ لَهُ.

(١) الأزهر: يقينًا.

(٢) الأزهر: منازعتها.

(٣) الأزهر: لنلا. في اللغة العربية هي تعطي نفس المعنى.

(٤) بَلِيلَةٌ مِنَ الْبَلَاءِ: وَالْبَلَاءُ، فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَقَعَ فُلَانٌ فِي وَرْطَةٍ وَفِي بَلِيلَةٍ وَفِي هُوَةٍ.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٨، ص ٣٤٠.

(٥) الأزهر: جاَوَرَ.

(٦) الْيَقِينُ: إِزْاحَةُ الشُّكُّ، قُولَهُ تَعَالَى: {وَإِنَّهُ لَحَقَ الْيَقِينُ}، الْحَالَةُ: ٥١، الْآيَةُ.

انظر: الْمُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ. عَلَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيِّدِ الْمَرْسِيِّ: ج ٦، ص ٥١٠.

(٧) الْمُقْدُورُ: الْمُقْدُورُ وَالْقُدْرَةُ كِلَاهُمَا وَاقِعٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ.

انظر: الْكَلِيلَاتِ. أَيُوبُ بْنُ مُوسَى الْحَسِينِيِّ الْقَرِيمِيِّ: ج ١، ص ١٦١.

والثانية: أن يأسَ أن ينال مالم يقدِّرُ له، فمِنْ لِزَمْ^(١) قلْبُهُ الْأَمَنَ أنْ لا يفوتهُ رِزْقُهُ وَإِلَّا يَئِسَ أنْ ينال مالم يقدِّرُ له، قل همَّهُ وَغَمَّهُ وَخَضْوعُهُ لِلْخَلْقِ وَالْمَدَارَةِ لِهِمْ لَأَنْ يَنالُ بَهِمْ مَنْفَعَةً، فَهَذَا الْغَنِيُّ بِاللَّهِ.

والخَلَّةُ الثَّالِثَةُ: الْحَذْرُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ [لَا]^(٢) يَغْفِلَ [عَنْهُ]^(٣) فَيَنْزِلُ^(٤) فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِهِ^(٥)؛ لَأَنَّ الْحَذْرَ يَوْقَظُهُ وَالْتَّيقُظُ يَذْكُرُهُ وَالذَّكْرُ يَنْبَهُهُ حَتَّى يَرَاقِبَ [مَوْلَاهُ وَ]^(٦) مَلِيكُهُ.

الخَلَّةُ الْأَنْتَلِثَةُ: ذَكْرُ اطْلَاعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي ضَمِيرِهِ وَجُوَارِهِ، فَإِنْ ذَلِكَ يُورِثُهُ الْحَيَاةَ، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مَا يَكْرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَكْرَ^(٧) النَّظرِ وَخَافَ [مِنْ]^(٨) الْمَقْتَ إِنْ رَكَنَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ عَرَضَ لَهُ مَا فِيهِ النَّفْسُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحْرَماً اسْتَحْيَا^(٩) مِنَ اللَّهِ تَعَالَى^(١٠) أَنْ يَرَاهُ مُقْصَراً عَمَّا يُحِبُّ مَوْلَاهُ مَعَ مَا قَدْ اسْتَوْدَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَعِرْفَةِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ وَكَبْرِيَاءِ جَلَالِهِ.

(١) الأَزْهَرُ: لِزَمْ.

(٢) الأَزْهَرُ: لَا.

(٣) الأَزْهَرُ: عَنْهُ.

(٤) فَيَنْزِلُ مِنْ يَنْزِلُ: رَفِيقٌ.

انظر: المُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ. علي بن إِسْمَاعِيلِ بْنِ سَيِّدِهِ الْمَرْسِيِّ: ج ٩، ص ٦.

(٥) الأَزْهَرُ: عَيْنُ اللَّهِ.

(٦) الأَزْهَرُ: مَوْلَاهُ وَ.

(٧) الأَزْهَرُ: الرَّبُّ.

(٨) ذَكْرُ مِنْ يَنْتَكِرُ: أي قُولُهُ تَعَالَى: {يَنْتَكِرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذَّكْرُى}، الفجر: ٢٣، الآية.

انظر: تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني: ج ١١، ص ٣٨٠.

(٩) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(١٠) الأَزْهَرُ: اسْتَحْيِي.

(١١) الأَزْهَرُ: عَزَّ وَجَلَّ.

وجملة ذلك أنْ تَغْدُو^(١) إلى سوقك وأنْ تكونَ في جميع أحوالك في سوق كُنتَ أو غيرها، فتُنْزِمُ قلبكَ اليقينَ والخذرَ وذِكْرَ الاطلاع بالنظرِ، فباليقينِ تستريح وبالخذرِ تيقظُ، وبذِكْرِ النَّاظِرِ تستحي من الناظرِ الأعلى جَلَّ وتباركَ وتعالى^(٢).

وقال^(٣): ينبغي للعبدِ المؤمن إذا رأى القسوةَ في قلبهِ أنْ يعلمَ أنَّهَا من الرَّانِ^(٤) [على قلبهِ]^(٥) [من سوءِ]^(٦) عن فعلِهِ؛ فيخافُ أنْ يكونَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إذا حَبَّ قلْبُهُ عَنْهُ بالرَّانِ والقسوةَ أَنْ يَحْجِبَهُ غَدًا عن النَّاظِرِ إِلَيْهِ؛ لأنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَخْبَرَ بَأْنَهُ عَاقِبٌ مِّنْ أَخْرَجَهُ مِنْ لَيْتِهِ بِحَجْبٍ قلْبِهِ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا وَحَجْبٍ بَصَرِهِ أَنْ يَنْظُرَ فِي الْآخِرَةِ إِلَى جَلَالِهِ.

فقالَ تعالى: {كَلَّا بْلَرَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}^(٧)، {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمْ حُجُوْبُونَ}^(٨).

فأخبرَ أَنَّهُ حَبَّ قلوبُهُمْ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا وَحَبَّ أَبْصَارُهُمْ عَنْهُ^(٩) فِي الْآخِرَةِ، أَنْزَلَهُمَا^(١٠) جَمِيعًا أَحَدُهُمَا يَتَلَوَّ الْآخِرَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَعْنَىٰ ثَالِثٍ.

(١) تَغْدُو: لِلوقتِ، جاءَ فِي الْحَدِيثِ «كَالْطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، أَيْ تَغْدُو بُكْرَةً وَهِيَ جِبَاعٌ انتظَرَ: شَمْسُ الْعِلُومِ وَدَوَاءُ كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ الْكَلَمِ. نَشْوَانُ بْنُ سَعِيدٍ الْحَمِيرِيُّ الْيَمِنِيُّ: ج٣، ص١٩٢١.

(٢) الأَزْهَرُ: جَلَّ وَعَلَا وَتَبَارَكَ.

(٣) المصنف رحمة الله.

(٤) الرَّانُ وَالرَّيْنُ، وَهُوَ مَا يَعْشِي الْقَلْبُ وَيَتَخَلَّهُ مِنْ ظُلْمَةِ الذُّنُوبِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {كَلَّا بْلَرَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}، الآيَةُ.

انْظُرْ: مَفَرَّدَاتُ أَفْلَاتِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٣٧٣.

(٥) الأَزْهَرُ: عَلَى قَلْبِهِ.

(٦) الأَزْهَرُ: مِنْ سُوءِ.

(٧) الْمَطْفَفِينِ: ١٤، الآيَةُ.

(٨) الْمَطْفَفِينِ: ١٥، الآيَةُ.

(٩) الأَزْهَرُ: عَنِ النَّاظِرِ إِلَيْهِ.

(١٠) الأَزْهَرُ: لِيَنْزَلَهُمَا.

وإن اعترض للمرىء خاطرٌ من الشيطان ليقطعه عن الخوفِ من الله عزّ وجلّ^(١) أنْ يَحْلَّ^(٢) به هاتين العقوبتين، فقال: إِنَّمَا أَنْزَلْهُمَا فِي الْكَافِرِينَ، فَلَيُرَدَّ^(٣) [بِقَوْلِهِ]^(٤) عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ [قَدْ]^(٥) أَنْزَلَهُمَا لِلْكَافِرِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمَا كثِيرًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ رَأَى أَحَدُهُمَا قَدْ حَلَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ حَدَّرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعَاقِبُهُمْ بِمَا يَعَاقِبُ بِهِ الْكَافِرِينَ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}^(٦)، يَعْنِي لَا عَذَبْكُمْ بِهَا مَعْهُمْ وَقَدْ ذَكَرَ الْكَافِرِينَ.

فَقَالَ: {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ خُلِصًا لَهُ دِينِي}^(٧)، {فَاعْبُدُوا مَا شَتَّمْ مِنْ دُونِهِ}^(٨)، ثُمَّ أَخْبَرَ بِعَاقِبَةِ مَنْ عَبَدَ شَيْئًا دُونَهُ. فَقَالَ: {قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْحُسْرَانُ الْمَبِينُ}^(٩)، {هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظَلَلَ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظَلَلَ ذَلِكَ يَتَحَوَّفُ إِلَهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادَ فَاتَّقُونَ}^(١٠)، يَحْذِرُهُمْ أَنْ يَعْذَبْهُمْ بِمَا عَذَبَ بِهِ الْكَافِرِينَ.

وقالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَمَا تَرَوْنِي أَبْصُرُ رَقِيقَ الْعِيشِ وَقَالَ: أَيْضًا لِغَلَامِهِ: يَا يَرْفَا أَنْضِبْ الْعَصِيدَةَ بِالْمَاءِ فَتَنْكِسُ حَرَارَةَ الْزِيَّتِ، فَإِنِّي

(١) الأَزْهَرُ: تَعَالَى.

(٢) جاءتَ كَلْمَةُ أَنْ يَحْلَّ: أَنَّهَا حُدَّتْ لِتَكُونَ مَانِعَةً عَنِ التَّعْدِي.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهاني: ج ١، ص ١٩٩.

(٣) فَلَيُرَدَّ مِنْ بُرْدٍ: يَقَالُ ذَلِكَ لِكُلِّ مَنْ جَاءَ لِيُنْفَدِ فَنَدَ سَبِيلُهِ.

انظر: المجموع المغتث في غريب القرآن والحديث. الأصفهاني: ج ١، ص ٧٤٩.

(٤) الأَزْهَرُ: بِقَوْلِهِ.

(٥) الأَزْهَرُ: قَدْ.

(٦) آل عمران: ١٣١، الآية.

(٧) الزمر: ١٤، الآية.

(٨) الزمر: ١٥، الآية.

(٩) الزمر تكملة: ١٥، الآية.

(١٠) الزمر: ١٦، الآية.

سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَيْرَ^(١) أَقْوَاماً^(٢) فَقَالَ {أَذْهَمُتُمْ طَيَّاتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحُقْقَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُطُونَ}^(٣)، فَأَنْزَهَا فِي الْكَافِرِينَ؛ فَحَذَرَهَا عُمْرٌ أَنْ يَقْعُدَ بِهِ مَا خَوْفَ اللَّهِ بِهِ الْكَافِرِينَ وَلَمْ يُؤْمِنْ^(٤) مِنْهُ الْمُؤْمِنُينَ، فَعَلَيْهِمْ^(٥) الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحَذَرُ مِنْهُ أَنْ يَجْمِعُهُمْ وَإِيَّاهُمْ فِي دَارِ الْخَزْيِ وَالْعَذَابِ.

وَقَالَ: الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ عَبْدَ آمَنَ بِرَبِّهِ وَعَرَفَ عَظِيمَ قَدْرِ ثَوَابِهِ وَأَيْقَنَ بِشَدَّةِ عَقَابِهِ وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، كَيْفَ تَقْرِيرٌ^(٦) عَيْنُهُ أَوْ يُزَايِلُ^(٧) الْحَزْنَ وَالْوَجْعَ قَلْبُهُ وَهُوَ يَرِي نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي إِدْبَارٍ^(٨)، وَأَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ مَعْرِفَةً أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٩) بِهِ وَإِبْعَادُهُ لَهُ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ عَبْدًا^(١٠) قَدْ عَوَدَهُ اللَّهُ [عَزَّ][١١]

(١) عَيْرَ: الَّذِي يَخْلِي نَفْسَهُ وَهُوَاهَا، لَا يَرْدِعُهَا وَلَا يَزْجُرُهَا. قَوْلُهُمْ: فَلَانْ عَيْرَ.

انْظُرْ: الْزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلَمَاتِ النَّاسِ. مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ: ج١، ص١٥٣.

(٢) انْظُرْ: كِتَابُ الزَّهْدِ. لَأَبِي دَاوُودَ السُّجْسْتَانِيِّ: ج١، ص٧٥.

(٣) الْأَحْقَافُ: ٢٠، الْآيَةِ.

(٤) يُؤْمِنُ: قَالَ تَعَالَى: {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} (الْتَّوْبَةُ: ٦٢).

انْظُرْ: تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْهَرَوِيِّ: ج١٥، ص١٤. الْمُجْمُوَّعُ الْمُغَيْثُ فِي عَرَبِيِّ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ. الْأَصْبَهَانِيُّ: ج١، ص٤٧٢.

(٥) الْأَزْهَرُ: وَعْلَمُهُمْ.

(٦) تَقْرِيرٌ: أَفَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ: أَيْ أَعْطَاهُ حَتَّى تَقْرِيرٌ عَيْنُهُ فَلَا تَطْمَحُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ.

انْظُرْ: مَعْجمُ مَقَابِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ: ج٥، ص٨.

(٧) يُزَايِلُ: لَرْمِنِي فَلَانْ لَرْوَمْ ظَلَهُ.

انْظُرْ: الْلَّابُ فِي قَوَاعِدِ الْلُّغَةِ. مُحَمَّدُ عَلَيِ السَّرَّاجِ: ج١، ص٢٦٢.

(٨) إِدْبَارٌ وَهِيَ مِنْ ثُبُرٍ: أَيْ هُوَ نَقْيَضُ الْقَبْلِ، وَيُبَرِّ كُلُّ شَيْءٍ: عَقْبَهُ وَمُؤْخَرَهُ.

انْظُرْ: النَّظَامُ الْمُسْتَعْذِبُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ أَفْلَاثِ الْمَهْذَبِ. مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الرَّكِيِّ: ج٢، ص١١٠. الْمُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ. عَلَيْ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَيِّدِهِ الْمَرْسِيِّ: ج٩، ص٣١٠.

(٩) الْأَزْهَرُ: تَعَالَى.

(١٠) الْأَزْهَرُ: عَدَا.

(١١) الْأَزْهَرُ: عَزَّ.

وَجَلَ ذِكْرُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ التَّوْفِيقِ وَالْفِطْنَةِ^(١) وَفِرَاغِ الْقَلْبِ لِعَامِلَتِهِ، ثُمَّ عَرَفَ أَنَّ اللَّهَ [عَزَّ]^(٢) وَجَلَ ذِكْرُهُ وَقَدْ أَبْعَدَهُ فَحَبَسَ عَنْهُ مَا كَانَ يَتَعَاهِدُ بِهِ قَلْبُهُ مِنْ فَوَاضِلِ الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ بِالْمُعْوِنَةِ وَالتَّأْيِيدِ وَفِرَاغِ الْقَلْبِ عَنِ الْأَشْتِغَالِ بِالْدُنْيَا، وَأَلْزَمَ قَلْبَهُ التَّعْظِيمَ لِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَشَدَّدَ الْفَزْعَ مِنْهُ عِنْدَ نَسِيَانِهِ [فَحَبَسَ عَنْهُ [٣] فَسْلَبَهُ ذَلِكَ^(٤) [إِيَاهَ]^(٥) وَابْتِلَاهُ بِأَضْدَادِهِ بِإِطَالَةِ الْغَفْلَةِ وَكَثْرَةِ النِّسِيَانِ وَالْتَّغْمِيْضِ^(٦) عِنْدَ تَضْيِيعِ بَعْضِ حَقْوَقِهِ حَتَّى صَارَ مِبْعَدًا عَنْهُ، مَطْرُودًا مِنْ قَرْبِهِ، حِيرَانًا سَكَرَانًا^(٧) يَطْلُبُ الرَّجُوعَ مَا يَجْعَلُ لَهُ رَبُّهُ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

وَكَيْفَ لَا يَتَعَجَّبُ الْمُتَعَجِّبُونَ مِنْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِهِذِهِ الْمُنْزَلَةِ [مِنَ الْهَوَانِ]^(٨) وَالْمَذَلَّةِ وَالْإِقْصَاءِ وَالْبُعْدِ بَعْدَ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَسُرْعَةِ الْإِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ، بَلْ كَانَ الرَّبُّ^(٩) [عَزَّ]^(١٠) وَجَلَ ذِكْرُهُ يَسَارِعُ إِلَى مُحْبَتِهِ مِنْ غَيْرِ دُعَاءٍ وَلَا طَلْبٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ قَرِيرُ الْعَيْنِ مَسْرُورٌ الْقَلْبُ مُشْتَغَلٌ بِطَلْبِ

(١) الْفِطْنَةُ: الفَهْمُ.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٧، ص ٤٥٣.

(٢) الأَزْهَرُ: عَزَّ.

(٣) الأَزْهَرُ: حَبَسَ عَنْهُ.

(٤) الأَزْهَرُ: ذَلِكَ سَلْبُهُ.

(٥) الأَزْهَرُ: إِيَاهَ.

(٦) التَّغْمِيْضُ: غَمَضَ عَيْنِيْهِ بِدُونِ نَوْمٍ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ١٩٩.

(٧) الأَزْهَرُ: حِيرَانٌ سَكَرَانٌ.

سَكَرَانًا مِنْ سُكَّرٍ: غَابَ عَقْلُهُ وَإِدَرَكُهُ، قَالَ تَعَالَى: {لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرْتُ أَبْصَارِنَا}، الْحَجَرُ: ١٥، الْآيَةُ.

انظر: مُعجمُ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ. أَحْمَدُ مُخْتَارٍ: ج ٢، ص ١٠٨٣.

(٨) الأَزْهَرُ: مِنَ الْهَوَانِ.

(٩) الأَزْهَرُ: اللَّهُ.

(١٠) الأَزْهَرُ: عَزَّ.

الْدُّنْيَا لَا يَكْتُرُثُ لَمَا فَقَدَ، وَلَا يَحْزُنُ لَمَا سُلِّبَ^(١)، وَلَا يَعْبُثُ^(٢) بِالرجُوعِ عَمَّا
عَلَيْهِ عُوْقَبَ^(٣) وَإِنَّمَا حَزْنُهُ خَطَرَاتُ لَا تُثْبَتُ^(٤) وَتَضَرُّعُهُ بِقَلْبٍ مَشْغُولٍ [بِغَيْرِ]
مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ]^(٥).

وَكَيْفَ لَا يَدُومُ لَهُ الْحَزْنُ وَيَشْتَغِلُ قَلْبُهُ بِاللَّهِ عَنْ الدَّلَّابِ وَهُوَ عَنِ اللَّهِ
مَحْجُوبٌ وَمِنِ الْقَرْبِ مِنْهُ مَطْرُودٌ قَدْ حَلَّ بِهِ مِنْهُ الْحَرْمَانُ، وَقَدْ عَاقِبَهُ بِأَنَّ سَلَبَهُ
كَرَامَةً مَوَاهِبِهِ^(٦) وَعَزَّ الغَنِيَّ بِهِ؛ فَصَارَ مُؤْلِيَ^(٧) عَنْهُ بَعْدَ الْقَبْوِلِ عَلَيْهِ، مُشْتَغِلًا
قَلْبُهُ بِغَيْرِ الشَّغْلِ بِرَبِّهِ، وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ كَلِهَ أَنَّهُ لَا يَشْتَدُ خَوْفُهُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ إِلَيْهَا سَلَبُهُ كَرَامَتُهُ وَعَاقِبَهُ بِغَضْبٍ حَلَّ بِهِ مِنْهُ وَمَقْتَلُهُ وَسُقُوطِ مِنْ عَيْنِهِ،
فَالْعَجْبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنْ كَائِنَ هَذِهِ مِنْزَلَتُهُ، (نَعْوَدُ بِاللَّهِ مِنْ حَلْوِ عَقْوَبَاتِهِ،
وَنَسَأَلُهُ النَّفَلَةَ إِلَى مَا يَحِبُّ وَيَرْضِي بِتَوْبَةٍ تُطَهِّرُ^(٨) مِنْ كُلِّ مَا يَكْرُهُ وَإِقْبَالٌ عَلَيْهِ
وَالشُّغْلُ بِهِ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَنَسَأَلُهُ أَنْ تَجْعَلْ ذَلِكَ سَرِيعًا بِمِنْهُ)^(٩).

وَلَكِنْ حَقَّ الْحَزْنِ وَالْعَوْيِلِ^(١٠) وَالنَّفْسُ مَعْرُضَةٌ، يَا نَفْسَ قَدْ اطْمَأَنْتُ

(١) الأَزْهَرُ: سَلْفٌ.

(٢) الأَزْهَرُ: يَعْزِمُ.

(٣) الأَزْهَرُ: عَمَّا عُوْقَبَ عَلَيْهِ.

(٤) الأَزْهَرُ: لَا تُثْبَتُ.

(٥) الأَزْهَرُ: بِغَيْرِ مِنْ تَضَرُّعٍ إِلَيْهِ.

(٦) كَرَامَةً مَوَاهِبِهِ: أَيُّ الْقُرْبُ بِالذِّكْرِ وَالْعَقْلِ الصَّالِحِ.

انْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج ١، ص ٦٦٤.

(٧) مُؤْلِيًّا مِنْ وَلَىً: أَيُّ هَارِبًا، تَوَلِيَّةً: أَدِيرَ وَذَهَبَ.

انْظُرُ: تَاجُ الْعَرَوْسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ. مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّزَاقِ الْحَسِينِيِّ: ج ٤٠، ص ٢٤٨.

(٨) الأَزْهَرُ: تُطَهِّرُنَا.

(٩) دَعَاءٌ لِلْمَصْنَفِ رَحْمَةُ اللَّهِ.

انْظُرُ: كِتَابُ مَعَانِيَ النَّفْسِ. الْحَارِثُ الْمَحَاسِبِيُّ، ت: أَحْمَدُ عَبْدُ الْقَادِرِ عَطَا: ص ٤١.

(١٠) العَوْيِلُ: يَكُونُ صَنْوَانًا مِنْ غَيْرِ بَكَاءٍ، (الصَّدِيرُ مِنْهُ عَوْيِلٌ فِيهِ حَشْرَجَةٌ).

انْظُرُ: تَهذِيبُ الْلُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ: ج ٣، ص ١٢٥.

وَسَكَنَتْ، وَكَثِيرًا يَغْلِبُ عَلَيْكِ السَّرُورُ وَشَوَاهِدُ الْمَقْتِ [بَادِيَةُ عَلَيْكِ]^(١) مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَدَلَائِلُ الْغَضَبِ بَيْنَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِكِ، فَأَنْتِ تَرَيْنِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ دَلَائِلُ الْغَضَبِ وَشَوَاهِدُ الْمَقْتِ، ثُمَّ لَا تَكْتُرَيْنِ كَأَنِّكِ لِغَضَبِهِ تَسْتَطِعَيْنِ وَلِعَذَابِهِ تَحْمِلِيْنِ، هِيَهَا إِنَّكِ عَنْ دُونِ غَضَبِ اللَّهِ تَضَعِيْنِ، وَمِنْ أَقْلَى مِنْ أَذْى الدُّنْيَا تَجْزُعِيْنِ، فَكِيفَ بِشَدَّةِ غَضَبِ الْجَلِيلِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَلَكِنْ عَقُوبَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْعِتُكِ مِنْ أَنْ تَجْزُعِيْنِ، فَكِيفَ يَعْبُأُ^(٢) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْ لَا يَحِزُّ مِنْ غَضَبِهِ وَلَا يَتَوَجَّعُ لِأَلِيمِ عَذَابِهِ وَلَا يَقْبِلُ^(٣) [عَلَى]^(٤) اللَّهِ بِشُكْرِ^(٥) الْدَّوَامِ نِعْمَهِ^(٦) وَلَا يَنْحَاشُ^(٧) وَيَهْرُبُ إِلَيْهِ لَمَّا رَأَى مِنْ عَقُوبَاتِهِ فِي الدِّينِ خَاصَّةً دُونَ مَعَاشِهِ فِي دُنْيَا.

فَلَمْ يَتَغَيِّرْ لِكَ مَوْلَاكِ عَمَّا كَانَ يُعَاهِدُ^(٨) بِهِ قَلْبِكِ مِنْ هِيَجَانِ التَّيقْظِ وَقُوَّةِ التَّبَّيْهِ وَدَوَامِ الذَّكْرِ وَالْجَزَعِ مِنْ نَسِيَانِهِ وَشَدَّةِ الْهَرَبِ وَرُعبِ الْقَلْبِ مِنْ أَقْلَى الْلَّذَّاتِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكِ، وَتَأْدِيْبًا كَانَ تَبَيْهُ اللَّهُ مِنْكِ لِكَ وَتَقْرَبًا مِنْكِ إِلَيْهِ وَتَحْنَنًا مِنْهُ عَلَيْكِ فِي وَقْتِ تَبَيْهِ قَلْبِكِ عِنْدَ الْغَفَلَاتِ، وَيَمْنَانَ عَلَيْكِ بِوُجُودِ الْحَلَاوَةِ فِي الطَّاعَاتِ وَشَدَّةِ التَّلَذُّذِ بِالْمَنَاجَاهِ؛ فَأَمْسِيَتِ وَأَصْبَحْتِ مِبَاعِدَةً مِنَ اللَّهِ مَقْصَدًا

(١) الأزهر: بادِيَةُ عَلَيْكِ.

(٢) يَعْبُأُ مِنَ الْعِبَءِ: أَيِ النَّقْلُ، أَيِ لَمْ أَعُدْ شَيْئًا، مَا يَعْبُأُ اللَّهُ بِهِلَانٍ إِذَا كَانَ فَاجِرًا مَائِقًا. انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ١، ص ١١٨.

(٣) يَقْبِلُ مِنَ الْإِقْبَالِ: أَيِ لَزْمَهُ وَأَخْذُ فِيهِ.

انظر: الْمُحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ. ابن مَرْسَى: ج ٦، ص ٤٢٧.

(٤) الأزهر: عَلَى.

(٥) الأزهر: بِشُكْرِهِ.

(٦) الأزهر: نِعْمَاهُ.

(٧) يَنْحَاشُ: إِذَا لَمْ يَكْتُرْ لَهُ.

انظر: تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ. مُحَمَّدُ الْهَرَوِيُّ: ج ٣، ص ٧٥.

(٨) الأزهر: يَتَعَاوَدُ.

مطرودة^(١) عن بابه مُنحَّاة^(٢) من قربه، تتمادين في الغفلات فلا ينبهك،
وي-dom بـك النسيان فلا يوقظك، وتكون منك الذلة^(٣) بعد الرلة.

فلا يدوم لك الحزن ولا يطيل فيك^(٤) الغم، بل قلب^(٥) التنبه والتذكير
فيك فصار ينبهك ويدركك، ثم يخذلك ويحجبك عن استعمال التذكير^(٦)
وطاعة التنبية^(٧).

فـالـحـالـةـ الـأـوـلـىـ: طـوـلـ غـفـلـةـ؛ لـقـلـةـ الـمـبـالـاـةـ لـأـنـ^(٨) يـطـلـعـ وـتـنـظـرـ^(٩).

والـحـالـةـ الـثـانـىـ: جـرـأـهـ وـإـقـادـمـ عـلـيـهـ مـعـ التـذـكـيرـ وـالـتـنـبـيـهـ [إـلـىـ]^(١٠) أـنـ [صـارـ]^(١١)
ذـلـكـ يـبـاعـدـ مـنـهـ وـيـحـرـمـ الـخـلـوـدـ فـيـ جـوـارـهـ، فـهـلـ سـمـعـ السـامـعـوـنـ بـأـسـوـأـ مـنـ حـالـكـ،
وـهـلـ عـرـفـ الـعـارـفـوـنـ أـشـرـ^(١٢) مـنـ مـنـزـلـكـ، ثـمـ مـعـ ذـلـكـ الحـزـنـ عـنـكـ زـائـلـ وـالـغـمـ
لـكـ مـبـاـيـنـ، وـالـتـوـجـعـ لـكـ غـيرـ لـازـمـ.

(١) الأزهر: مطرودة.

(٢) مـنـحـّـاةـ أـصـلـهـ نـحـاـهـ: نـحـيـاـ: صـيـرـهـ فـيـ نـاحـيـةـ، بـمـعـنـىـ مـقـامـ السـاقـيـةـ عـلـىـ الـحـوـضـ.
انـظـرـ: تـاجـ الـعـرـوـسـ مـنـ جـوـاهـرـ الـقـامـوـسـ. مـحـمـدـ الـحـسـنـيـ: جـ ٤ـ٠ـ، صـ ٤ـ٩ـ.

(٣) الأزهر: الزلة.

(٤) الأزهر: بك.

(٥) الأزهر: قلت.

قـلـبـ: تـحـوـيـلـكـ الشـيـءـ عـنـ وـجـهـهـ. فـيـ الـحـدـيـثـ: «أـعـوـذـ بـكـ مـنـ كـآـبـةـ الـمـفـقـلـبـ».
انـظـرـ: الإـبـانـةـ فـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ. سـلـمـةـ بـنـ مـسـلـمـ الـعـوـنـيـ الصـحـارـيـ: جـ ٣ـ، صـ ٧ـ١ـ٥ـ.

(٦) الأزهر: التذكرة.

(٧) الأزهر: التنبه.

(٨) الأزهر: بأن.

(٩) الأزهر: وينظر.

(١٠) الأزهر: إلى.

(١١) الأزهر: صار.

(١٢) الأزهر: يأشـرـ.

وقد رأك مولاكِ في أسباب الدنيا بِأَصْدَادِ ذلَكَ كُلُّهُ، شُغْلُكِ بِطْلِبِهَا دَائِمٌ،
تنشطيرَ وَتقوينَ إِذَا رأَيْتِ الرِّيَادَاتِ فِي معاشكِ، وَتُنْكِسِينَ إِذَا رأَيْتِ النَّقْصَانَ
فِيهِ، وَلَا تَفْعَلَنَّ ذلَكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ إِلَّا فِي أَقْلَ الْأَوْقَاتِ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ
عِنْدَ اللَّهِ مُفْتَضَحَةً^(١)، وَمِنَ الْبَعْدِ مِنْهُ غَيْرُ مُكْتَرَثَةٍ لِلْأَجْرَمِ^(٢)، قَدْ أَصْبَحْتَ وَهُوَ
عَنْكِ مُعْرَضٌ، وَلَكِ مُقْصٌ مُبَاعِدٌ، وَلَوْلَا التَّفْضُلُ بِالْعَفْوِ وَالْحَلْمِ^(٣) لِسَلْبِكَ
جِمِيعَ نِعَمِ^(٤) الدِّينِ، وَلَكِنَّهُ يَقِي^(٥) مِنَ الْعَقْوَبَةِ بِالْعَفْوِ تَفْضُلًا وَإِحْسَانًا، مِنْ
أَجْلِ ذلَكَ وَجَبَ حَبَّهُ عَلَى الْمُطَيَّعِينَ وَالْمُعَاصِينَ.

(١) مُفْتَضَحَةٌ: أَصْلُهَا فَضْحٌ اِنْكِشَافٌ شَيْءٍ، وَلَا يَكُادُ يُقَالُ إِلَّا فِي قَبِيجٍ.

انظر: مقاييس اللغة. حمد بن فارس بن زكرياء الفزويوني: ج٤، ص٩٥.

(٢) لِأَجْرَمَ: لَا رَدَ لِكَلَامٍ، وَمَعْنَى جَرْمٍ: كَسْبٌ.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مسلم العوتني: ج٢، ص٣٨٠.

(٣) الْحُلْمُ: خِلَافُ الطَّبَشِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيمٌ}، التوبه: ١١٤، الآية.

انظر: مقاييس اللغة. أَمْمَادُ الفزويوني: ج٢، ص٩٣.

(٤) نِعَمٌ: بِتَحْرِيكِ حَرْفِ الْعَيْنِ، فَهُوَ الْمُتَّهَةُ وَهُوَ الإِفْضَالُ وَالْعَطْيَةُ، نِعَمٌ شِعَارُ الصَّبْجِيِّ، نِعَمُ الْأُمُّ أُمُّكَ فِي الْغِنَىِ.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سلامة بن مسلم العوتني الصهاري: ج٤، ص٣٧٥. كتاب الألفاظ. محمد بن سهل بن المزريان الكرخي: ج١، ص٢٦٥.

(٥) الْأَرْهَرُ: يَقِيٌّ.

يَقِيٌّ: وَهِيَ أَنْ يَقِي نَفْسَهُ مِنَ الْلَّاثِمَةِ أَوْ مِنَ الْعَقْوَبَةِ.

انظر: التعريفات الفقهية. محمد عييم الإحسان المجددي البركتي: ج١، ص٦٠.

مسألة في الغفلة والنسيان

قال: الغفلة^(١) غفلتان والنسيان^(٢) نسيانان، فاماً أحد الغفلتين:

فغفلة عن نسيان وزوال الذكر وهي أيسير الغفلتين، وهي غفلة الخائفين، لأنهم لا يتعمدون وإن كانوا من أنفسهم بذلك لا يرضون، لأن أكثر النسيان وزوال الذكر من قلة العناية؛ لأن أقل الناس نسياناً لأسباب دينه أشدتهم عنابة للقيام بحق ربهم، وأشدتهم عنابة بذلك أشدتهم تعظيم لربهم، وأشدتهم تعظيم لربهم أكثرهم معرفة بتعظيم قدر ربهم، وأكثرهم معرفة بتعظيم قدر ربهم أدومهم فكراً وألهم^(٣) على الذكر والنظر في معاني صفاته العليا وأسمائه الحسنة ونعماه التي قد عمت الدين والدنيا.

واماً الغفلة الثانية: وهي أعظم الغفلتين، ولا تكاد تكون إلا من مجرئ^(٤) على ربه في ساعة غفلته وهي الغفلة التي معها الذكر وزوال النسيان، ولم يغفل؛ لأن لم يعلم بل العلّم معه قaim^(٥)، لأن ذلك لا يرضي الله عزّ وجلّ وإنما سمي

(١) غفلة: الشعّد، (أغفل) الشيء تركه على ذكر، قول الله تعالى: {فَنُّ أَغْفَلْنَا قُلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا}، الكهف: ٢٨، الآية.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٤، ص ٤١٩.

(٢) النسيان: هي الغفلة عن معلوم في غير حالة السنة.

انظر: التعريفات الفقيرية. محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: ج ١، ص ٣٣٧.

(٣) وألهم من الإلحاد: الإقبال على الشيء لا يفتر عنه أى دام به.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٣، ص ٢٩.

(٤) مجرئ أصلها اجترأ: أي أقدم، تطاول.

انظر: ناج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني: ج ١، ص ١٧٠.

(٥) الأزهر: قائم.

قائم: وهي جمع القائم، كما في ميسم مواسم.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. نشوان بن سعيد الحميري: ج ١١، ص ٧١٥٨.

فَعَلَهُ عَنْ غَفْلَةٍ؛ لَأَنَّهُ غَلَلْتَ عَنْ تَعْظِيمِ قَدْرِ مَنْ يَعْصِي^(١) وَقَدْرِ شَدَّةِ عَقُوبَتِهِ؛ فَلَذِلْكَ سُمِّيَ غَافِلًا. وَهَذِهِ الْغَفْلَةُ وَإِنْ كَانَ مَعَهَا الذِّكْرُ بِمَعْرِفَةٍ مَا يَعْمَلُ فَإِنَّ قَلْبَهُ غَافِلٌ مُحْجُوبٌ^(٢) عَنِ الْآخِرَةِ، فَمِنْ ثُمَّ^(٣) سُمِّيَتْ غَفْلَةً. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ [عَزَّ]^(٤) جَلَّ ثَنَاؤِهِ لِمَنْ سَخَطَ عَلَيْهِ يُعِيرُهُ^(٥) بِغَفْلَتِهِ يَوْمَ الدِّينِ، فَقَالَ: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ}^(٦)، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ لِلْغَفْلَةِ^(٧) غَطَاءً^(٨) عَلَى الْقَلْبِ فَانْكَشَفَتْ عَنْهُ الْغَفْلَةُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى مَا غَلَلَ عَنْهُ حِينَ كَشَفَ عَنْهُ، وَهَاتَانِ الْغَفْلَتَيْنِ تَكُونُنَانِ فِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ.

إِلَّا أَنَّهَا مِنَ الْمُؤْمِنِ عَلَى غَيْرِ مَعْنَاهَا مِنَ الْكَافِرِ، الْمُؤْمِنُ عَلَى سَهْوٍ وَنَسْيَانٍ وَهُوَ مُقْرِّبٌ بِإِغْلَالِهِ عَنْ أَنَّهُ هُوَ الْحُقُوقُ، وَأَنَّ مَا عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ لَا يَحْلِلُ لَهُ فِي غَفْلَتِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَحْلِلُ لَهُ، إِلَّا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ رَجُلَانِ:

أَحَدُهُمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْسِي وَيَسْهُو غَافِلًا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ كَانَ قَدْمَ النِّيَةِ وَالْعِزْمَ [عَلَى]^(٩) أَنْ لَا يَعْصِي اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ عَرَضَتْ [لَهُ]^(١٠) الْمُعْصِيَةُ فَنَسِيَ نَهِيَ اللَّهِ عَنْهَا وَغَلَلَ عَنِ ذِكْرِ سُوءِ الْعِقَابِ؛ فَغَلَلَ وَعَصَى، وَإِنَّمَا كَانَ مَا

(١) الأَزْهَرُ: يَعْصِي.

(٢) الأَزْهَرُ: مُحْجُوبٌ غَافِلًا.

(٣) الأَزْهَرُ: وَلَذِلْكَ.

(٤) الأَزْهَرُ: عَزٌّ.

(٥) يُعِيرُهُ: ذَمِمَهُ مِنَ الْعَارِ، تُسْتَخَدُ لِتَعْسِفَ.

انْظُرْ: مَفَرَدَاتُ أَفْلَاقِ الْقَرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص ٥٩٦.

(٦) ق: ٢٢، الْأَيَّةُ.

(٧) الأَزْهَرُ: الْغَفْلَةُ.

(٨) الأَزْهَرُ: الْغَطَاءُ.

(٩) الأَزْهَرُ: عَلَى.

(١٠) الأَزْهَرُ: لَهُ.

أَقِي مِنْ مَعْصِيَتِهِ^(١)، وَإِنْ كَانَ غَافِلًا؛ لَأَنَّ سَاهَ^(٢) تَرَكَ شَدَّةَ الْحَذْرِ أَنْ يَلْزَمَ قَلْبُهُ، فَإِذَا عَرَضَتِ الْمَعْصِيَةَ هَاجَ^(٣) الْحَذْرُ فَوْرَتِهِ^(٤) الْذِكْرُ فَانْتَهَى، فَلَمَّا تَرَكَ الْحَذْرَ حَتَّى غَفَلَ وَعَصَى لَمْ يَعْدُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ ضَيَّعَ الْحَذْرَ، وَإِنَّمَا ضَيَّعَ الْحَذْرَ مِنْ ضَعْفٍ حَوْفِهِ.

وَأَمَّا مَا^(٥) غَفَلَ عَنْ سَهْوٍ عَنْ عَمَلِ الْفَرَائِضِ فَهُوَ عَلَى قَسْمَيْنِ:

مَا كَانَ قَدْ حَضَرَ آخَرَ وَقْتَهُ الَّذِي إِنْ لَمْ يُبَتَّدَأْ [فِيهِ]^(٦) خَرَجَ الْوَقْتُ كُلُّهُ حَتَّى خَرَجَ الْوَقْتُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ خَرْجِ الْوَقْتِ يَذْكُرُ الْفَرَائِضِ وَغَفَلَ بَعْدَ الْلَّزَوْمِ لَمَّا فَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُبَتَّدَأْ فِي أَدَاءِهِ، وَمَا كَانَ مَالِمَ يَحْضُرُ آخَرَ وَقْتَهُ الَّذِي إِنْ لَمْ يَتَعَدَّ^(٧) فِيهِ كَانَ مَضِيَّاً فِيهَا^(٨) قَبْلَ دُخُولِ آخَرَ وَقْتِهِ حَتَّى خَرَجَ الْوَقْتُ، فَغَيَرَ خَرْجَ وَلَا آثِمَ^(٩)؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَأُبَيَّسَ لَهَا إِذَا ذَكَرَهَا»^(١٠) وَقَالَ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي النَّسِيَّانَ»^(١١)، وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ أَنَّ النَّاسِيَ

(١) الأَزْهَرُ: مَعْصِيَةٌ.

(٢) سَاهٌ: مِنَ السَّهْوِ الْغَلْطَةُ عَنِ الشَّيْءِ وَذَهَابُ الْفَلَبِ عَنِهِ.
انظر: تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ. : مُحَمَّدُ الْهَرْوَيِّ: ج٦، ص١٩٤.

(٣) الأَزْهَرُ: وَهَا ج.

(٤) الأَزْهَرُ: أُرْثَهُ.

(٥) الأَزْهَرُ: مِنْ.

(٦) الأَزْهَرُ: فِيهِ.

(٧) الأَزْهَرُ: يُبَتَّدَأْ.

(٨) الأَزْهَرُ: لَهَا.

(٩) الْآثِمُ: اسْمُ الْأَفْعَالِ الْمُبَطَّنَةِ عَنِ التَّوَابِ، وَجَمِيعِهِ آثَامٌ، قَالَ تَعَالَى: {فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمُنَتَّافِعٌ لِلنَّاسِ} الْبَقْرَةُ: ٢١٩. الْآيَةُ.

انظر: مَفَرَّدَاتُ الْأَفْعَالِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٦٣.

(١٠) انظر: فَتْحُ الْبَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ. الْعَسْقَلَانِيُّ: ج١، ص٨٥. صَحِيحُ مُسْلِمٍ. مُحَمَّدُ بْنُ الْحَاجَ: ج١، ص٤٧.

(١١) انظر: الْمُسْتَدِرُكُ عَلَى الصَّحِيحِيْنِ. النَّسِيَّابُورِيُّ ج٢، ص٢١٦. سَنْنُ ابْنِ مَاجَةَ: ج٣، ص٢٠١.

قبل دخول آخر الوقت حتى خرج الوقت **غَيْر عَاصِ**.

وآخر^(١) من المؤمنين قد كانت نيتُه أَن يعصي^(٢) الله تعالى فعرضت له المعصية فأتاها ناسياً غافلاً عن سُهُوٍ لم يذكر نَبِيُّ الله عز وجل عنها، فهذا عاصٍ في وقت فعله وقبل وقت فعله، إن^(٣) كان فعل^(٤) [ما]^(٥) فعله قبل وقت غفلته ثم نوى أن يأتِيه فهذا مُصْرٌ^(٦) عاصٍ بإصراره قبل وقت غفلته، لا اختلاف بين العلماء [في]^(٧) أنه عاصٍ بتلك الغفلة النية، وإنما اختلفوا الحرج أم لا، لقول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا هَمَ الْعَبْدُ بِسَيِّئَةٍ [وَلَمْ يَعْمَلْهَا]^(٨) لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا»^(٩)، فقال القوم: لم يَعْنِ^(١٠) إِذَا عَزَمَ عَلَيْهَا؛ لأنَّه إِذَا عَزَمَ عَلَيْهَا فهو عاصٍ بنيته قبل وقت فعل مَعْصيَتِه، وعاصٍ أَيْضًا بِفَعْلِهِ المُعْصيَةِ في وقت غفلته.

وقال قومٌ: ليس ب العاص؛ لأنَّ الْهَمَ^(١١) هو النية، وقد روى أبو هريرة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ حَتَّى

(١) الأزهر: الآخر.

(٢) الأزهر: يعصى.

(٣) الأزهر: وإن.

(٤) الأزهر: ما.

(٥) الأزهر: ما قد.

(٦) مُصْرٌ: الثبات، وأصر الرجل على الذنب إصراراً وَهُوَ مُمْتَنٍ.

انظر: المنتخب من غريب كلام العرب. علي بن الحسن الهنائي الأزدي: ج ١، ص ٣٥٨.

(٧) الأزهر: في.

(٨) الأزهر: ولم يَعْمَلْهَا.

(٩) انظر: شرح النووي على مسلم: ج ١، ص ٣١٣. الجامع الصحيح. الترمذى: ج ٥، ص ٢٨٤.

(١٠) يَعْنِ: أي يَمْتَنَعُ صاحبَهُ مِنَ التَّصْرُفِ.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهانى: ج ١، ص ١٤٤.

(١١) الْهَمَّ: لغة ما هم به من أمر، وأول العزم هو توجُّهُ القلب وقصدُه بجمع قوله الروحانية.

انظر: التعريفات الفقهية: ج ١، ص ٢٤٢. تهذيب اللغة: ج ٥، ص ٢٤٨.

يَعْمَلُهَا»^(١)، وقد سَمِّيَّا إِرَادَة، وَقَدْ بَيَّنَا اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابٍ^(٢) * أَخْلَاقُ الْحَكَمِ^(٣). فَأَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ عَمِلَ^(٤) تِلْكَ الْمُعْصِيَةَ مِنْ قَبْلِ ثَمَّ نَوْىَ أَنْ يَأْتِيَهَا فَهُوَ مُصْرِرٌ عِنْدَ الْأَمَّةِ عَلَيْهَا عَاصِيَّ بَنِيَّتِهِ؛ لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (وَلَمْ يُصْرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ)^(٥).

وَأَمَّا الْغَفْلَةُ الْبَيِّنَةُ^(٦): الَّتِي الْعَاصِي ذَكَرَ^(٧) أَمَّا مَعْصِيَةُ وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَهَىَ عَنْهَا؛ فَهُوَ ذَاكِرٌ غَافِلٌ، فَإِنَّ غَفْلَتَهُ لَمْ تَكُنْ سَهْوًا وَنَسِيَانًا، وَرِزْوَالِ الذِّكْرِ أَنَّ^(٨) مَا يَأْتِي مُحْرَمٌ عَلَيْهِ إِنْتَمَا^(٩) كَانَ غَافِلًا وَإِنْ كَانَ ذَاكِرًا؛ لَأَنَّهُ غَفَلَ عَنْ عَظِيمٍ قَدْرِ الْعَذَابِ وَقَدْرِ الرَّبِّ [تَعَالَى]^(١٠) الَّذِي يَعْصِيَهُ، فَلَوْ عَظُمَ قَدْرُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ تَلْكَ السَّاعَةُ بِقَلْبِهِ وَعَظُمَ قَدْرُ غَضَبِهِ لَمَا عَصَى، فَإِنْتَمَا^(١١) هُوَ غَافِلٌ عَنْ عَظِيمٍ قَدْرِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ كَانَ^(١٢) عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَنِ الْآخِرَةِ غَافِلًا، وَإِنْ كَانَ

(١) انظر: صحيح مسلم: ج ١، ص ١١٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٤، ص ٣٣٢.

(٢) الأزهر: كتب.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان: ج ٤، ص ٦٠.

(٤) الأزهر: فعل.

(٥) آل عمران: ١٣٥، الآية.

(٦) الأزهر: الثانية.

الْبَيِّنَةُ: وَبَيَانُ الشَّيْءِ بَيِّنًا وَلَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الْتَّيْنِ.

انظر: المحكم والمحيط الأعظم: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ج ١٠، ص ٤٥٠.

(٧) الأزهر: ذكر العاصي.

(٨) الأزهر: لأنَّ.

(٩) الأزهر: وإنما.

(١٠) الأزهر: تعالى.

(١١) الأزهر: وإنما.

(١٢) الأزهر: وكان.

للمعصية ذاكرًا؛ فلذلك سمى الله عز وجل^(١) من عصاه^(٢) غافلًا، وإن ذكر المعصية؛ لأنَّه غُفلَ عن قُدْرٍ مَنْ يعصيه وعن قُدْرٍ غضبه وأَلِيم عقابه، فهذه الغفلة أَعْظَمُ من الإثم وأَبْيَنُ في التعجب^(٣) مَنْ غَفَلَ وهو ناسي^(٤)؛ لأنَّ الناسي لعلَّه لو ذَكَرَ الله تعالى أَرْتَدَعَ^(٥) وأَقْلَعَ، ولكنَّ هذا الذاكر عاصٍ وهو يذكُر مَنْ يعصيه مُتَعْمِدًا بِجَزْئًا عَلَى رَبِّهِ، وإنَّما اجْتَرَأَ وَلَمْ يَحْفَ لِمَ يَسْتَحِيَّ مِنْ مَوْلَاهِ؛ لأنَّ قلبه^(٦) غَفَلَ عن عظيمِ قَدْرِ رَبِّهِ وَقَدْرِ غَضْبِهِ وَ[قَدْرِ]^(٧) شِدَّةِ عذابه.

(١) الأزهر: تعالى.

(٢) الأزهر: يعصيه.

(٣) الأزهر: في للعجب.

(٤) الأزهر: ذاكر.

ناسٌ من النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع، إما لضعف بالقلب، وإما عن الغفلة، قال تعالى: **{وَلَقَدْ عَهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنِسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عُزْمًا}**، طه: ١١٥، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٨٠٣.

(٥) أَرْتَدَعَ: كَفَّ وَامْتَنَعَ وَتَرَاجَعَ عَنْهُ.

انظر: المحيط: ج ١، ص ٣٥.

(٦) الأزهر: القلب.

(٧) الأزهر: قدر.

مسألة في مَا يَحْلُّ مِنَ النَّظَرِ

قُلْتُ: مَا يَحْلُّ لِي مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْأُمَّةِ^(١) وَالْحَرَّةِ^(٢)؟

قَالَ: إِنَّ الْحَرَّةَ يَحْلُّ النَّظَرُ مِنْهَا إِلَى مَا [يَحْلُّ]^(٣) لَهَا أَنْ تُبْدِيهِ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَا يُبَدِّيْنَ زِيَّتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهُنَّ}^(٤)، فَقَالَ بَعْضُهُمْ^(٥): الْوَجْهَ وَالْكَفَيْنَ^(٦)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْكُحْلُ^(٧) وَالْخَضَابُ^(٨) فِي الْكَفَيْنِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْجَلْبَابُ^(٩)، وَأَجْمَعُوا [عَلَى]^(١٠) أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَنْ تُبْدِي مَا سُوِّيَ الْوَجْهُ

(١) الْأُمَّةُ: الْمَرْأَةُ ذَاتُ عُوْدِيَّةٍ. الْمَطْلُوكَةُ تَقُولُ أَقْرَبُتْ بِالْأُمَّةِ.
انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس: ج ١، ص ١٣٦.

(٢) الْحَرَّةُ: الْكَرِيمَةُ الْحَسِيبَةُ، أَيُّ الْكَرِيمَةُ تَصِيرُ عَلَى الْجُوعِ وَالضُّرِّ وَلَا تَلْتَمِسُ الْمَكَابِسَ الدُّنْيَةِ، وَلَا تَرْضَعُ بِالْأَجْرَةِ.
انظر: تصحيح الفصيح وَشِرْحُهُ. عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتُوْيُّه: ج ١، ص ٤٤٢.

(٣) الْأَزْهَرُ: مَا يَحْلُّ.

(٤) النُّورُ: ٣١، الآية.

(٥) الْأَزْهَرُ: قَوْمٌ.

(٦) الْأَزْهَرُ: وَالْكَفَانُ.

(٧) الْكُحْلُ: الْمِيلُ تَكْحَلُ بِهِ الْعَيْنُ مِنَ الْمِكْحَلَةِ، وَالْكَحْلُ: مَصْدَرُهُ.
انظر: العين. الفراهيدِي: ج ٣، ص ٦٣.

(٨) الْخَضَابُ: مَا يَخْضُبُ بِهِ أَيُّ يَلْوَنُ بِهِ، خَضَابُ الْيَدَيْنِ بِالنِّسَبَةِ إِلَى الْمَرْأَةِ إِذَا كَانَ بِالْحَنَاءِ.
انظر: التعريفات الفقهية: محمد عَمِيمُ الإِحْسَانِ الْمَجْدِيُّ الْبَرْكَتِيُّ: ج ١، ص ٨٧.

(٩) الْجَلْبَابُ: أَوْسَعُ مِنَ الْخِمَارِ وَأَلْطَفُ مِنَ الْإِزَارِ، هُوَ الْمِلْحَقُ الَّتِي يُتَعَطَّلُ بِهَا فَوْقَ الْتَّيَابِ.
انظر: البارع في اللغة. إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ عَيْدُونَ: ج ١، ص ٦٤٧.

(١٠) الْأَزْهَرُ: عَلَى.

والكاف^(١)؛ فَمَنْ نَظَرَ إِلَى^(٢) مَا [يَحْلُّ]^(٣) لِلْحَرَّةِ أَنْ تَبْدِيهِ لِغَيْرِ شَهْوَةٍ فَهُوَ مُبَاحٌ لَهُ، يَعْنِي لِلشَّهَادَةِ عَلَيْهَا وَنَحْوُهُ وَإِنْ نَظَرَ عَامِدًا إِلَى مَا عَلَيْهَا أَنْ تَسْتَرِهِ لِغَيْرِ شَهْوَةٍ فَلَا يَحْلُّ لَهُ ذَلِكُ؛ لَأَنَّهُ فِيهَا عُورَةٌ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَبْدِيهِ أَوْ عَلَيْهَا أَنْ تَخْفِيهِ لِشَهْوَةٍ فَقَدْ فَعَلَ مَا نَهَى عَنْهُ.

وَأَمَّا الْأَمَمُ فَقَدْ أَبَاحُوا النَّظَرَ إِلَى^(٤) الْوَجْهِ، وَالشِّعْرِ، وَالنَّحْرِ^(٥)، وَالصَّدْرِ، وَالْيَدِيْنِ، وَالذِّرَاعِيْنِ، وَالسَّاقِيْنِ؛ فَمَنْ نَظَرَ إِلَى مَا أَبْيَحَ^(٦) مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ شَهْوَةٍ فَقَدْ أَبْيَحَ ذَلِكَ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى مَا عَلَيْهَا أَنْ تَسْتَرِهِ لِغَيْرِ شَهْوَةٍ فَلَا يَحْلُّ لَهُ ذَلِكُ؛ لَأَنَّهُ فِيهَا^(٧) عُورَةٌ، وَكَذَلِكَ مَا أَمْرَتْ سُرُّهُ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَبْدِيهِ بِشَهْوَةٍ فَلَا يَحْلُّ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْغَلَامُ^(٨).

فَأَمَّا^(٩) الشَّهْوَةُ فَلِيَسْتُ هِيَ بِالْنِيَّةِ؛ لَأَنَّهُ لَوْ ظَفَرَ لَأَتَى ذَلِكَ حَرَامًا مِنْ جَهَةِ الْمُنْكَحِ، تَلَكَ النِيَّةُ زِيَادَةً فِي الشَّهْوَةِ وَذَلِكَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مِمَّا تُخْفِي الصُّدُورُ،

(١) الأزهر: والكافين.

(٢) الأزهر: من.

(٣) الأزهر: يحل.

(٤) الأزهر: منها.

(٥) النَّحْرُ: الْلُّؤْنُ وَالْأَحَاءُ وَالرَّاءُ. كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ يَتَقَرَّعُ مِنْهَا كَلِمَاتُ الْبَابِ. هِيَ النَّحْرُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ وَهُوَ مَوْضِعُ الْفَلَادَةِ، وَهِيَ الْأَبَدُ.

انظر: مجمع مقاييس اللغة. أَحْمَدُ بْنُ الْفَزْوَانِيِّ: ج٥، ص٤٠٠.

(٦) أَبْيَحَ: جَاءَ بِهِ فِي بَابِ الإِتَّبَاعِ.

انظر: تهذيب اللغة. مُحَمَّدُ بْنُ الْهَرْوَيِّ: ج٣، ص٢٨٨.

(٧) الأزهر: منها.

(٨) ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ(ص): «إِذَا رَأَوْجَ أَخْدُمْ عَبْدَهُ أَمْتَهُ فَلَا يُنْظَرُنَّ إِلَى مَا دُونُ السُّرَّةِ وَفَوْقَ الرُّكْبَةِ».

انظر: مسنَد الإمام أَحْمَدَ: ج١، ص١٨٧. السُّنْنُ الْكَبْرِيَّ. النَّسَائِيُّ: ج٢، ص٢٢٦.

(٩) الأزهر: وإنما.

ولقوله: {يَعْلَمُ حَائِنَةُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (١)، فَحَائِنَةُ الْأَعْيُنِ نَظَرُهَا (٢)، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ نَيَّةٌ أَوْ وَاقِعٌ حَرَاماً، وَكَذَلِكَ فَسْرُهُ الْمُفْسِرُونَ، وَلَكِنَّ الشَّهْوَةَ نَظَرُ الْعَبْدِ اسْتِرَاحَةً مِنْ لِيَتَلَذَّذَ بِالنَّظَرِ، وَإِنْ لَمْ يَنْتُو (٣) النِّكَاحَ حَرَاماً؛ لَأَنَّ لَكُلَّ جَارِ حَرَّةٍ مِنَ اللَّذَّةِ حَظًا وَنَصِيبًا، وَمِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَبِي هَرِيرَةَ: {إِنَّ الْعَيْنَيْنِ تَزْبَيَانٌ، وَالْأَيْدِيْنِ تَزْبَيَانٌ، وَالرَّجُلَيْنِ تَزْبَيَانٌ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ} (٤).

فهو في تلذذٍ بنظره^(٥) كتلذذٍ بمسه^(٦)، وإن لم يئن النكاح فإنما يمس بيده ليرجع^(٧) إلى قلبه لذةٌ من طيب ما مس، وكذلك إنما ينظر بعينه ليرجع إلى قلبه لذةٌ بنظره، وقد فرق بين اللذة والنظر إلى ما يجوز نكاحه وما لا يجوز نكاحه، فمن نظر إلى ثوب حسن ولم يئن أن يلبسه وإلى بناء حسن ليتلذذ به فهو له مباح، وممن نظر بمثل ذلك إلى ما يصلح من النكاح، من اللباس فهو الذي حرم عليه.

(١) الآية، ١٩: غافر.

٢) الأزهر: بصرها.

(٣) **بَيْوٌ**: تَوَيِّنُ الشَّيْءَ، إِذَا جَدَّدْتَ فِي طَلِيهِ، وَفِي حَدِيثٍ: «وَمَنْ يَتَوَيِّنُ الدُّنْيَا تُعْجِزُهُ»، أي مَنْ يَسْعُ
لَهَا يَخْبُثُ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور : ج ١٥، ص ٣٨٤.

(٤) ورد في الحديث: «العينان ثريثيان، واللسان بزني، والأيدان تزنيان، والرجلان ثريثيان، ويتحقق ذلك الفرج أو يُكْبَطُ». ذَلِكَ

انظر: السنن الكبرى. للبيهقي: ج ٧، ص ١٤٣. المصنف. عبد الرزاق: ج ٧، ص ٤١٤. مسند البحار. الرخار. أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: ج ٥، ص ٣٦٢.

(٥) الأزهر: ببصرة.

(٦) مسأله من مسأله: **الْمِيْمُ وَالسِّيْنُ أَصْلُ صَحِّحٍ وَاحِدٌ يَدْلُّ عَلَى جَسَّ الشَّيْءِ بِالْيَدِ.**
انظر: تهذيب اللغة. محمد المهروي: ج٥، ص ٢٧١.

انظر : تهذيب اللغة. محمد الهرمي: ج ٥، ص ٢٧١.

(٧) الأزهر: لترجم.

مَسْأَلَةٌ فِي نَظَرِ الْفَجَاهَةِ

قُلْتُ: مَا نَظَرَهُ الْفَجَاهَةُ مِنْ غَيْرِهَا؟

قَالَ: نَظَرَهُ الْفَجَاهَةُ هُوَ أَنْ تَكُونَ لَمْ تَقْصِدْ بِقَلْبِكَ إِلَى مَنْظُورٍ إِلَيْهِ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ؛ فَيَفْجَأُ بِصَرْكَ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ قَصْدَتْ إِلَيْهِ بِالنَّظَرِ فَتَرَاهُ يَبْصُرُكَ ضَرَورَةً مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ، وَتَلِكَ النَّظَرُ الَّتِي لَمْ تَعْلَمْ بِهَا فَعَلَيْكَ صَرْفَ بَصَرَكَ تَلِكَ السَّاعَةِ الَّتِي فُجِأَ بَصَرَكَ بَعْدَ نَظَرَةِ الْفَجَاهَةِ، فَلَا فَصْلَ بَيْنَ الْفَجَاهَةِ وَبَيْنَ الصَّرْفِ بِإِقْرَارِ الْبَصَرِ إِلَى مَا فَجَاهَةً^(١) [بِه]^(٢)، وَلَوْ كَطْرَفَتِ الْعَيْنِ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ.

فَإِنَّ كَانَ فِيهَا بَيْنَ نَظَرَةِ الْفَجَاهَةِ وَبَيْنَ الصَّرْفِ فَصُلِّ بِإِقْرَارِ الْبَصَرِ، [وَلَوْ]^(٣) بِقَدْرِ طَرَفِ الْعَيْنِ؛ فَإِقْرَارُكَ الْبَصَرِ وَإِنْ خَفَّ، فَنَظَرَةُ^(٤) ثَانِيَةٌ مُحَرَّمَةٌ؛ لَأَنَّ الْمَنْظُورَ فَاجَأَ بَصَرَكَ بِلَا عَمَلٍ فَلَا أَنْ ثَبَتَهُ عَلِمْتَ مَا هُوَ، فَإِنْ أَقْرَرْتَ بَصَرَكَ بِقَدْرِ فَتْحِ الْبَصَرِ بَعْدِ الْبَيَانِ وَالْعِلْمِ فَتَلِكَ النَّظَرُ الْثَانِيَةُ.

وَقَدْ يَدْخُلُ فِي صَرْفِ الْبَصَرِ عَلَى الْعَمَالِ خَدَعَةً أَنْ يَكُونُوا يَرُونَ أَنَّهُمْ عَامِلُونَ فِي صَرْفِ أَبْصَارِهِمْ وَهُوَ مُقْرُونَ لَهُ^(٥) بَعْدَ الْفَجَاهَةِ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ كَالرَّجَالِ يَفْجَاهَةً^(٦) الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ فَيَلْفِتُ^(٧) رَأْسَهُ وَرَقْبَتُهُ لِيَصْرُفَ بَصَرَهُ

(١) الأَزْهَرُ: مَا فَجِيَّتْ.

(٢) الأَزْهَرُ: بِهِ.

(٣) الأَزْهَرُ: وَلَوْ.

(٤) الأَزْهَرُ: نَظَرَةً.

(٥) الأَزْهَرُ: لَهُ. [يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْلُّغَةَ عِنْدَ النَّاسِخِ فِي مَخْطُوْتَةِ الْأَصْلِ، هُوَ تَحْوِيلُ الْمَذَكُورِ إِلَى مَؤْنَثٍ].

(٦) الأَزْهَرُ: يَفْجُوْهُ.

(٧) يَلْفِتُ: يَأْفِيْهُ إِذَا لَوَاهُ وَفَتَاهُ؛ وَلَفَتَ عَنْهُ: لَوَاهَا.

انْظُرْ: لِسَانُ الْعَرَبِ. أَبْنُ مَنْظُورٍ: ج٢، ص٨٥.

و[هو]^(١) يكون مع^(٢) ثانية عنقه أو تنكيسه رأسه أو رفعه طرفه إلى السماء يلمع^(٣) [المنظور إليه]^(٤) يصره في قطعة المسافة، وهو في ذلك عند نفسه متورع^(٤)، دايب^(٥)، فيما وجب عليه من ورع بصره البصر وقد نظر بخدعه وهو لا يعلم فليحضرها العامل، لقول النبي صل الله عليه وسلم لعلي^(٦): «يا علي، لك أول نظر، فما بال الثانية، وقال [أيضاً]^(٧) لعلي^(٦): لا تشبع النظرة النظر، فإتنا لك الأولى وليست لك الآخرة»^(٨)، فيمن النظر الأولى وبين الثانية فصل من المخدوعين بإقرار النظر كما وصفت لك مع [اعتقادهم]^(٩) الصرف للبصر.

قلت: كيف لي بأن أعلم أني قد صررت بصرني بلا خدعة تفصل^(١٠) بين النظرين إذا حسبتهما نظرة واحدة وهم نظرتان قبل صرفي بصرني؟

قال: إن الله تعالى لم يوجب عليك أن تصرف بصرك بالالتفاف ولا ترفع ولا تخفض^(١١)، إتنا هذه أسباب استعمالها المتقوئ، ليسارعوا في

(١) الأزهر: وهو.

(٢) الأزهر: في.

(٣) الأزهر: المنظور إليه.

(٤) متورع من الورع: الكف والإنتفاض، العفة.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني : ج ٦، ص ١٠٠.

(٥) دايب من دائب: أي جد وتعب وكل ما أدمته فقد أدابته.

انظر: لسان العرب. ابن منظور : ج ١، ص ٣٩٦.

(٦) الأزهر: ايضاً.

(٧) الأزهر: عليك الثانية.

(٨) جاء في الحديث: «قال لعلي^(٦): لا تشبع النظرة النظر فإن لك الأولى وليست لك الثانية».

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني : ج ٤، ص ٢٨. مسند الإمام أحمد. أحمد بن حنبل: ج ١، ص ١٥٩. الجامع الصحيح. الترمذى : ج ٥، ص ٩٤.

(٩) الأزهر: اعتقدهم.

(١٠) الأزهر: بفصل.

(١١) الأزهر: لا برفع ولا بخفض.

الغَضَّ^(١) ويمسكوا أَبْصَارَهُمْ أَنْ تَغْلِبَ إِلَى النَّظَرِ، وَإِنَّمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ
الغَضَّ وَإِنْ لَمْ تَلْتَفِتْ وَ[إِنْ]^(٢) لَمْ تَنْكِسْ وَلَمْ تَرْفَعْ، وَالغَضَّ كَفُّ^(٣) عَنِ
الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ؛ لَأَنَّ تَبْيَتَ كُلَّ رَفٌّ عَيْنِينَ^(٤) يَزِيدُ فِي النَّظَرَةِ الْأَوَّلِيِّ، وَيَكُونُ
ذَلِكَ بَشِّيئُنَّ:

أَحَدُهُمَا سَرْعَةُ تَغْمِيْضِ الْعَيْنِ^(٥) حِيثُ يُمْكِنُ التَّغْمِيْضُ؛ لَأَنَّهُ قَدْ لَا يُمْكِنُهُ
التَّغْمِيْضُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِدُّ^(٦) مِنَ النَّظَرِ حِيثُ يَضْعُ قَدْمَهُ إِنْ كَانَ مَا شِئْ، أَوْ كَيْفَ
يَفْعَلُ إِنْ كَانَ عَامِلًا، وَمِنْهُ إِشْغَالُ الْبَصَرِ حِيثُ فَجَاهَ [الْمَنْظُورِ]^(٧) الشَّيْءُ فِي شُغْلِهِ
بِغَيْرِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ لَيَّلَّا^(٨) يَبْيَئُنَّ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ؛ لَأَنَّ الْعَيْنَ إِذَا كَانَتْ مَفْتوَحَةً مَعَ صَحَّةِ
الْبَصَرِ تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ ضَرُورَةً، فَإِنْ لَمْ يَشْغُلُهُ بِغَيْرِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ تَزِيدُ فِي الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ
فَلَيْسَ يَنْصَرِفُ عَنِ التَّزِيدِ فِي نَظَرَةِ الْفَجَاهَةِ إِلَّا بِتَغْمِيْضِ عَيْنِهِ أَوْ بِإِشْغَالِ بَصَرِهِ
بِغَيْرِهِ؛ لَأَنَّهُ إِذَا غَمَضَ^(٩) لَمْ يَرُهُ وَلَا غَيْرُهُ، وَإِذَا فَتَحَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ بِدُّ مِنْ أَنْ يَبْيَئَنَّ مَا

(١) غَضَّ: إِدْنَاءُ الْجُفُونِ، وَإِذَا دَانَى بَيْنَ حَفَنِيَّهِ وَلَمْ يُلْقِيْ. اِنْظَرْ: الْعَيْنَ. الْفَرَاهِيْدِي: ج٤، ص٤٣١.

(٢) الْأَزْهَرُ: إِنْ.

(٣) كَفُّ مِنَ الْكَافِ، يَدْلُلُ عَلَى قَبْضِيْ وَإِقْبَاضِيْ.

انْظَرْ: مُعْجمُ مَقَائِيسِ الْلُّغَةِ. أَحْمَدُ الْفَزُوْبِيْنِي: ج٥، ص١٢٥.

(٤) الْأَزْهَرُ: رَفِيْعِيْنَ.

رَفُّ عَيْنٍ: اضطُرَّبَ وَتَحْرَكَ، مَا زَالَتْ عَيْنِي تَرْفُ حَتَّى أَبْصَرَنَّكَ، تَرْفُ.

انْظَرْ: تَاجُ الْعَرُوْسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ. مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ الرَّزَاقِ الْحُسَيْنِي: ج٢٣، ص٣٥٦.

(٥) الْأَزْهَرُ: الْعَيْنِيْنَ.

(٦) بَدَّ: تَعْنِي لَا مَحَالَةَ، «قَدْ أَلْزَمْتَهُ نَفْسِي وَجَعَلْتَهُ وَاجِبًا عَلَيْهَا، وَفِي مَعْنَى لَا مَحَالَةَ: أَيْ لَا حِيلَةَ فِي الْأَمْرِ».

انْظَرْ: الإِبَانَةُ فِي الْلُّغَةِ. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعُوْنَيْنِي الصُّحَارِي: ج٢، ص٢٢١.

(٧) الْأَزْهَرُ: الْمَنْظُورُ

(٨) الْأَزْهَرُ: كِيلَا.

(٩) الْأَزْهَرُ: أَغْمَضَ.

لَا قَى بَصَرُهُ، فَإِنْ لَمْ يُشْتَغِلْ بِمَنْظُورِ إِلَيْهِ [آخِرَ] ^(١) عِنْدَمَا فَتَحَ [عِيْنَهُ] ^(٢) فَهُوَ نَاظِرٌ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ وَيَصْرُفُ بَصَرُهُ إِلَيْهِ بِلَا فِتْنَةٍ.

وَرِبِّيَا دَخَلْتُ عَلَى الْعَمَالِ الْخَدْعَةَ فَيَتِشَاغِلُونَ بِسَبِّبِ مِنْ أَسْبَابِ الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ صَرَفُوا الْبَصَرَ وَذَلِكَ كُشْغَلُهُمْ أَبْصَارُهُمْ بِحُسْنِ الشُّوْبِ الَّذِي عَلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ، أَوْ بِحُسْنِ ^(٣) الْمَرْكَبِ الَّذِي تَحْتَهُ رِجَاءً ^(٤) مِنَ الْعَدُوِّ ^(٥) أَنْ يَحْوِرُ الْحَدَّ فِي تَبَيَّنِ الْمَنْظُورِ، فَكُلُّ مَا يُبَيِّنَ لِلْمَنْظُورِ إِلَيْهِ يَعْدُ نَظَرَةً لِلشُّوْبِ أَوْ غَيْرِهِ عَدَهَا نَظَرَةً الْفُجَاهَةُ وَهِيَ فُجَاهَةٌ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ تَعَرَّضَ لَهَا وَأَشْغَلَ بَصَرَهُ بِالسَّبِّبِ الَّذِي لَا يَعْدُ أَنْ يَتَبَيَّنَ [بِهِ] ^(٦) الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ كُمْ قَدَرَ مَا بَيْنَ الشُّوْبِ وَالْجَسْمِ، أَوْ يَتَبَيَّنَ الْمَرْكَبُ وَمَا عَلَيْهِ، أَوْ يَنْظُرُ إِلَى الْحَفَّ ^(٧) يَتَوَهَّمُ بِهَا وَرَاهُ، وَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَصْعَدَ بَصَرُهُ إِلَى مَا فَوْقَهُ فَذَلِكَ التَّعَرَّضُ لِنَظَرَةِ الْفُجَاهَةِ.

فَهَذِهِ خَدْعَةٌ تَدْخُلُ عَلَى الْعَمَالِ بِهَا خَدْعَ لِتَعْجِبِهِ ^(٨) مِنْ حُسْنِ الشُّوْبِ وَتَقْوِيمِهِ ^(٩) إِيَاهُ، فَكُلُّ خَدْعَةٍ مِنْ النَّفْسِ لِتَنْتَظِرَ مِنْ غَيْرِ تَعْمِدٍ، وَهِيَ ^(١٠)

(١) الأَزْهَرُ: آخِرَ.

(٢) الأَزْهَرُ: عِيْنَهُ.

(٣) الأَزْهَرُ: حَسَنٌ.

(٤) رِجَاءً: أَرْجَأَتِ الشَّيْءَ: أَخْرَتِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِرَاءَةِ بَعْضِهِمْ: {وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ}.
انْظُرُ: الْعَيْنُ. الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَصْرِيُّ: ج٦، ص١٧٤.

(٥) الْعَدُوُّ: وَهُوَ التَّجَاوِزُ وَمِنَافَاةُ الْإِتَّلَامِ، وَتَارَةً فِي الْإِخْلَالِ بِالْعَدْلَةِ فِي الْمَعَالِمِ.
انْظُرُ: مَفَرَّدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٥٥٣.

(٦) الأَزْهَرُ: بِهِ.

(٧) الأَزْهَرُ. الْخَلِيفَ.

وَالْخَلِيفَ: فِي الشَّرْعِ: اسْمٌ لِلْمَنْتَذِذِ مِنَ الْجَلْدِ السَّانِدِ لِلْكَعْبَيْنِ فَصَاعَدَهُ وَمَا أَلْحَقَ بِهِ.
انْظُرُ: التَّعْرِيفَاتُ الْفَقِيمِيَّةُ. مُحَمَّدُ عَمِيمُ الْإِحْسَانِ الْمَجْدُدِيُّ الْبَرْكَتِيُّ: ج١، ص٨٨.

(٨) الأَزْهَرُ: خَدَعُوا لِتَعْجِبِهِمْ.

(٩) الأَزْهَرُ: تَقْوِيمِهِمْ.

(١٠) الأَزْهَرُ: فَهِيَ.

كالمفسدة إذا تعرّضت للسبِّ الذي لا يعرّي منْ أَنْ يتبيّنَ ما نُهِيَ عنه، وربّما دخلتُ الخدعةُ على^(١) القراءِ الجُهَالِ بعدما يُنْجاهُ فِيزِيدُ في الفجأةِ، وربّما فُعلَهُ بعدَ ما يصرفُ بصرُهُ - وهو في نفسهِ شبهُ المقتدرُ على نفسهِ - أَنَّهُ ليسَ^(٢) ينظرُ لشهوةِ فينظرُ فيها تخيّلُ إِلَيْهِ نفسهُ وعَدُوهُ مُعْتَبِراً^(٣) - فيما يزعمُ - ليذكرَ بذلك حورَ الجنانِ أوِ خَدَامُهَا، فعمدَ بالنظرِ إلى ما نُهِيَ عنهُ يريُدُ فيها يزعمُ أَنْ ينالَ مِنَ الثوابِ بما أَوْعَدَ عليهِ العقابُ، فيطلبُ الشيءَ بضدِّهِ، وكيف يعتبرُ بما حرمَ عليهِ، وإنَّما العبرةُ التي تؤدي الطاعةَ فيها أَمْرٌ ثُمَّ يصرفُ^(٤) بصرَ قلبهِ غَصَّةً^(٥) [و]^(٦) تورعاً إلى ما أَعْدَ اللَّهُ في جنَّتِهِ؛ فيكونُ معتبراً ورغاً، فإذا نظرَ [إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ]^(٧) معتبراً كَانَ ناظراً فاجراً وإنْ ظنَّ أَنَّهُ مُعْتَبِراً.

وقد يدخلُ أيضاً على العِمَالِ خدعةً عندَ سبِّ يحدُثُ مِنْ مُنْكِرٍ يَكُونُ مِنَ المنظورِ إِلَيْهِ مِنْ لفظٍ لا يَحْلُ، أو مناجاةً مِنْ لَا تَحْلُ [مناجاتهِ]^(٨)، أو التَّبَرِّجُ^(٩) فتبدِي ما أَمْرَتْ بِسْتَرِهِ فتتجدُّ النَّفْسُ خدعةً لِتُنْظَرَ بِهَا بَعْدَ الْصَّرْفِ أوَ عَنَّدَ الفجأةِ يريُدُ لِيَأْمُرَ وَيَنْهَى، كقولِهِ: استرِي أو غطِّي عَلَيْكِ أو مَا أَشَبَّهَ ذَلِكَ، وهو فاصلٌ

(١) الأزهر: عن.

(٢) الأزهر: لا.

(٣) مُعْتَبِراً، مُعْتَبِرٌ: أَيُّ الْإِتَّعَاظُ وَالنَّذَكْرُ. بِمَعْنَى الْإِعْدَادِ بِالشَّيْءِ فِي تَرْثِبِ الْحُكْمِ نَحْوُزْ.

انظر: أساس البلاغة. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري : ج ١، ص ٦٣١.

(٤) الأزهر: بصرف.

(٥) الأزهر: عفة.

عَصَّةً: الطَّرِيُّ الَّذِي لَمْ يَتَغَيِّرْ. مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَافِتِ الرَّزْعِ أَيْ عَصَهُ وَلَيْهِ.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٧، ص ١٩٦.

(٦) الأزهر: و.

(٧) الأزهر: إِلَى مَا نُهِيَ عَنْهُ.

(٨) الأزهر: مناجاتهِ.

(٩) التَّبَرِّج: الْبُرُورُ وَالظُّهُورُ، إِظْهَارُ الزَّيْنَةِ لِلْأَنْسِ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس القزويني: ج ١، ص ٢٣٨.

إلى النَّظَرِ وَهُوَ عَنْدَنَفْسِهِ مطِيعٌ بِالْأَمْرِ وَالنَّهِيِّ، وَقَدْ خَدَعَتْهُ [نَفْسُهُ]^(١) فَنَجَرَ^(٢) بِتَعْمِدِ النَّظَرِ، وَقَدْ كَانَ يُجِيزُهُ الْأَمْرُ مَعَ الْغَضَّ، وَلَكِنْ عُمَّيَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مُتَعَمِّدٌ بِالنَّظَرِ إِذْ كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ لِيَنْهِيِّ أَوْ يَأْمَرُ، وَرَبِّهَا خَدَعَتْهُ نَفْسُهُ بِأَنَّهُ مَنْ لَوْ كَانَ مِنْ مَنْ يَسْتَرِيْحُ إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ لَمَّا نَشَطَ لِأَمْرِهِ وَلَا نَهْيِهِ، كَانَ ذَلِكَ كَثِيرًا^(٣) يَكُونُ مِنْهُ أَنْ يَرِيَ الْمُنْكَرَ أَوْ التَّبَرُّجَ مَنْ لَا يَعْجِبُهُ النَّظَرُ إِلَيْهِ فَلَا يَأْمَرُهُ، وَتَخْدِعُهُ نَفْسُهُ عِنْدَمَا يَعْجِبُ^(٤) مِنْ الْمُنْظَرُ إِلَيْهِ، فَيَقْصِدُ قَصْدَ النَّظَرِ بِالْأَمْرِ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ حُبُّ الْأَمْرِ إِنَّمَا غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ النَّظَرِ، وَأَدْخَلَ الْأَمْرَ خَدْعَةً وَدُلُسَّةً^(٥) كَانَهُ يُعَالِمُ مَخْلُوقًا مِثْلَهُ، وَكَذَلِكَ يُدْخِلُ عَلَيْهِ فَيَمِنَ لَا يَجِدُ بَدَا مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَبَثَّ لِيَعْرُفَهُ بِشَهَادَةٍ أَوْ مُبَايِعَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَيَنْظُرُ عَامِدًا لِذَلِكَ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَوْلَا السَّبِيلُ الْمُهِاجِرُ [لِأَجْلِهِ]^(٦) إِلَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ مَا نَظَرَ، وَلَكِنْ تَدْخُلُ عَلَيْهِ خَدْعَةً وَإِنْ كَانَ النَّظَرُ لَهُ مَبَاحًا وَتَعْمَدَ^(٧) فَيَنْظُرُ بِالْتَّلَذِذِ.

قُلْتُ: وَكَيْفَ يُجْمِعُ ذَلِكَ وَقَدْ أَبْحَثَ النَّظَرَ؟

قال: لَأَنَّ النَّفْسَ تَحْبُّ أَنْ تَنْظُرَ تَعْمَدًا، لِتَتَلَذِّذَ^(٨) فَمَنْعَهَا ذَلِكَ وَلَمْ يَطْعَهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى مَا أُبَيَّحَ لَهُ وَجَدَتْ النَّفْسُ ظُفْرًا^(٩) بِمَا كَانَتْ تَطَالِبُ مِنْ قَبْلِ، النَّظَرُ

(١) الأَزْهَرُ: نَفْسُهُ.

(٢) فَجُورٌ مِنَ الْفَجُورِ: وَهُوَ شَقٌّ سَتَرَ الدِّيَانَةَ، قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ}، الْأَنْفَطَارُ: ١٤، الْآيَةُ. انْظُرُ: مَفَرَّدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص ٦٢٦.

(٣) الأَزْهَرُ: كَبِيرًا.

(٤) الأَزْهَرُ: يَفْجَئُهُ.

(٥) وَدُلُسَّةُ أَصْلَهَا دُلُسٌ: وَهِيَ بِالضَّمِّ الْخَدِيْعَةُ، كَتَمَ عَيْنَهُ، وَأَخْفَاهُ. انْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ. ابْنُ مَنْظُورٍ: ج ١، ص ٢٥١.

(٦) الأَزْهَرُ: لِأَجْلِهِ.

(٧) الأَزْهَرُ: وَيَعْمَدُ.

(٨) الأَزْهَرُ: بِتَعْمِدَ اللَّذَّةِ.

(٩) ظُفْرًا مِنَ الظُّفَرِ: الْفَوْزُ بِمَا طَالَبَتِ.

بالتلذذِ، فدعنتهُ بما أَبِيَحَ وقد جَمَعَ إِلَى مَا أَبِيَحَ لَهُ مَعْنَى ثَانٍ بِالْتَّلَذُذِ لِلْمُنْظُورِ إِلَيْهِ ثُمَّ تَعَمَّدَ النَّظَرُ، وَإِنَّمَا مَثُلَ ذَلِكَ مِثْلَ رَجُلٍ لَقِيَهُ رَجُلًا أَحَدُهُمَا تَقْيَيٌ^(١) وَالْآخَرُ فَاجِرٌ^(٢)، فَقَالَ لَهُمَا: يَا فَاجِرَانِ، وَكَانَتْ كَلْمَةٌ وَاحِدَةٌ هُوَ فِيهَا صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، كَذَلِكَ لَوْ قَالَ لَهُمَا: يَا تَقْيَيَانِ، كَانَتْ كَلْمَةٌ وَاحِدَةٌ هُوَ فِيهَا صَادِقٌ وَكَاذِبٌ.

قُلْتُ: وَكَيْفَ صَارَتْ كَلْمَةٌ وَاحِدَةٌ صَدْقٌ وَكَذْبٌ^(٣) وَالصَّدْقُ ضَدُّ الْكَذْبِ وَالْكَلْمَةُ لَا تَكُونُ كَلْمَتَيْنِ تَضَادِيْنِ^(٤)؟

قَالَ: لَمْ يَحِبْ عَلَيْهِ الْكَذْبُ وَالصَّدْقُ مِنْ قَبْلِ تَضَادِ الْكَلْمَةِ، وَلَكِنْ مَعْهُ الْكَلْمَةُ قَصْدَانِ؛ قَصْدٌ بِكَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ لِيَكْذِبَ عَلَى هَذَا وَيَصْدِقَ عَلَى هَذَا^(٥)، وَكَذَلِكَ قَصْدٌ بِنَظَرٍ وَاحِدَةٍ؛ لِيَنْأَلَ مَا أَبِيَحَ وَيَنْتَذِبَا حُرْمَمَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ لِلرِّيَاءِ؛ لَمْ يَتَضَادِ مِنْ قَبْلِ الطَّاعَةِ بِالْجُوَارِحِ؛ فَيَكُونُ طَاعَةً [وَ]^(٦) لَا طَاعَةً، وَلَكِنْ مَعْهُ قَصْدَانِ أَرَادَ بِأَحَدِهِمَا اللَّهَ وَأَرَادَ بِالْآخَرِ غَيْرَ اللَّهِ، فَهُوَ مُطِيقٌ بِالْجُوَارِحِ غَيْرَ مُطِيقٍ لِلَّهِ تَعَالَى إِذَا أَشْرَكَ مَعَ الْقَصْدِ إِلَيْهِ لِلْقَصْدِ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا عَلَى الْمَرِيدِ خَدْعَةً، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ [مَتَلَذَّذًا]^(٧) بِبُحْسُنِ الْمُنْظُورِ إِلَيْهِ؛ بِصُوْتٍ يَسْمَعُهُ حَلْفَهُ، أَوْ إِلَى قُرْبِهِ، أَوْ خِيَالٍ يَرَاهُ، أَوْ حَرْكَةٍ مُشِيَّةٍ

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٨، ص ١٥٨.

(١) تَقْيَى: تَقْيَى اللَّهُ تَقْيَى، رَكِيْ خَافَهُ، قَالَ تَعَالَى: {لَا أَنْ تَقْتَلُوْنَهُمْ تُقَاتَلُوْهُ}، آل عمران: ٢٨، الآية.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج ٤، ص ١٠٢.

(٢) فَاجِرٌ: كُلُّ مَائِلٍ عَنِ الْحَقِّ فَاجِرٌ.

انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد الفزويينى: ج ٤، ص ٤٧٥.

(٣) الْأَزْهَرُ: صَدِقًا وَكَذِبًا.

(٤) تَضَادَانِ يَعْنِي تَضَادٌ: أَيُّ الضَّدُّ فِي الْمَعْنَى، مُؤْمِنٌ/كَافِرٌ، وَحَسَنٌ/سَيِّئٌ.

انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني ج ٦، ص ٣٩٠٧.

(٥) الْأَزْهَرُ: لِيَصْدِقَ عَلَى هَذَا، وَيَكْذِبَ عَلَى هَذَا.

(٦) الْأَزْهَرُ: وَ.

(٧) الْأَزْهَرُ: يَنْتَذِبَ.

أو غير ذلك، فلا يعمُل بصره بالانشغال عن الفجأة؛ لأنَّ إِذْ أَفْجَاهُ لَمْ يقع بصره عليه فيدُع بصره مفتوحًا في الجهة التي لا بدَل المنظور أن يلقاه فيها حَبَّةً من النفس أن يَفْجَأُها المنظور إليه، فإذا فجأته^(١) صَرَفَ بصره وعدَّ نفسه متورًّا به غاضًّا^(٢)، وقد أَفَرَ^(٣) بصره في الجهة التي يَعْلَمُ أنَّ المنظور إليه يَفْجَاهُ [بِه]^(٤) بالعَمَد لَأَنَّ يَفْجَاهُ المنظور إليه بسبَب نَظَرَةٍ في فَجَأَةٍ، ومَثَلَ ذلك؛ رَجُلٌ قَيْلَ لَه دَخَلَتْ فُلانَة^(٥) مِنْ بَابِ الْبَيْتِ؛ فَهُوَ يَنْظُرُ مِنْ قَبْلٍ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ فَاقَرَ^(٦) بَصَرَهُ يَنْظُرُ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ وَالنَّفْسُ تَنْظُرُ أَنْ تَدْخُلَ مِنَ الْبَابِ؛ فَيَقُولُ عَلَيْهَا الْبَصْرُ فَنَدَرَكَ مَا تَرِيدُ مِنَ اللَّذَّةِ.

وَقَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا عَلَى الْمُرِيدِ خَدْعَةً أَنْ يَفْجَاهُ الْمُنْظُورُ إِلَيْهِ؛ فَيَكُونُ بَيْنَ يَدِيهِ وَهُوَ مَاشٌ^(٧) [مِنْ]^(٨) خَلْفُهُ فَلَا يَسْعُ؛ فَيَتَقْدِمُ^(٩) فَيَرِي أَنَّهُ إِذَا مَشَى كَمْشِيهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ الْمُنْظُورُ إِلَيْهِ بَيْنَ يَدِيهِ أَنَّ ذَلِكَ مَبَاحٌ وَيَغْضَبُ بَصَرَهُ إِلَى

(١) الأَزْهَرُ: فَجَاهَ.

(٢) غَاضِ: والغاطي الذي يعلو كل شيء فَيُغَطِّيهُ.

انظر: العين. الفراهيدى: ج ٤، ص ٤٣١.

(٣) أَفَرَ: أي سكن، وإذا أَنْتَهَ، وَقَرَ الشَّيْءُ، وَسَنَقَرَ فِي ذَمَّتِهِ.

انظر: حلية الأولياء. الأصفهانى: ج ١، ص ١٤٥.

(٤) الأَزْهَرُ: بِهِ.

(٥) فُلانَة: والعرب تصنف المؤنث بالمصدر؛ قال تعالى: {بِإِيمَانِي لَيَتَتَّبِعُنِي لَمْ أَنْخِدْ فُلانَةً خَلِيلًا}، الفرقان: ٢٨، الآية.

انظر: الإبانة في اللغة العربية. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَوْتَبِي الصُّحَارَى: ج ٣، ص ٦٤٦.

(٦) أَفَرَ: أي يَخْعُلُ لَهَا بِالطَّاعَةِ.

انظر: تهذيب اللغة. محمد الْهَرْوَى: ج ١، ص ١١٧.

(٧) مَاش: يعني مَشِي.

انظر: تهذيب اللغة. محمد بن أحمد بن الأَزْهَرِ الْهَرْوَى: ج ١١، ص ٢٩٧.

(٨) الأَزْهَرُ: مَنْ.

(٩) الأَزْهَرُ: فَيَتَقْدِمُ.

الأرض، فكلما^(١) احتاج إلى رفعه؛ لينظر ما بين يديه في طريقه [أن]^(٢) لا يستقبله شيء يؤذيه رفع بصره إلى المنظور إليه؛ فيعد ذلك فجأة، وقد تعرّض للفجأة تفجأة^(٣) إذ أمسك عن سرعة المشي أن يتقدم؛ فيصير من خلفه ولا يفجأة^(٤)، فتركته ذلك تعرّض [منه]^(٥) للفجأة.

ومازال التقدم بين يدي المنظور إليه من فعال المتقين، ومن ذلك ما روی عن موسى عليه السلام أنه قال للجارية التي دعته إلى أبيها: [أن]^(٦) تسير خلفه وأرشد^(٧) في الطريق؛ كره أن يقع بصره عليها إن ضربت الريح بعض ثيابها انكشفت.

وقد يخدع الناس بذلك أن يكون ماشيًا فيعرض المنظور إليه بين يديه فيقصر عن مشيه الأول لئلا يتقدمه؛ فيكون المنظور إليه خلفه، ويقصر في^(٨) ذلك ويقع عليه البصر في خلال ذلك؛ فيرى أنه قد أعد^(٩) بالغرض وفجأة ما لا يملك، وقد تعمد النظر ولم يفطن للخداع؛ لأن تقصيره من^(١٠) مشيه وإن غضّ تعرّض لخداعه في وقتٍ بعد وقته.

(١) الأزهر: فإذا.

(٢) الأزهر: لئلا.

(٣) الأزهر: بفجأة.

(٤) الأزهر: بفجوة.

(٥) الأزهر: منه.

(٦) الأزهر: أن.

(٧) وأرشد من الرشد: خلاف الغي، أي هداية من الله، قال تعالى: **لَقَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**، البقرة: ٢٥٦، الآية.

انظر : مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص ٣٥٤.

(٨) الأزهر: عن.

(٩) الأزهر: أعد.

(١٠) الأزهر: في.

مسألة في النذور

حدَّثنا أبو النضر^(١)، قال حدَّثنا ليث بن سعد^(٢) عن يزيد بن أبي حبيب^(٣) عن ابن عبد بن الأشج^(٤) عن كريب^(٥) عن ابن عباس^(٦)

(١) أبو النضر: هاشم بن القاسم الليبي الخراساني شيخ المحدثين، سمع من: ابن أبي ثتب وشعبة، وحرز بن عثمان، ورجل وجمع وصنف، وسمع من شعبة ما أملأه ببغداد، حدث عنه: أحمد بن حنبل، وعلي، وكان أحمد بن حنبل يقول: أبو النضر شيخنا من الأمراء بالمعروف، والناهين عن المنكر، من متتبلي بغداد. ثقة، وكان أهل بغداد يفخرون به، مات سنة ٢٠٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٩، ص ٥٤٦.

(٢) الليث بن سعد: ابن عبد الرحمن، الإمام الحافظ شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية أبو الحارث الفهمي، من الفرس، سمع من: عطاء بن أبي رباح، ويزيد بن أبي حبيب، روى عنه: هشيم، وابن وهب، وابن المبارك، وأبو النضر هاشم بن القاسم، عربي اللسان، يحسن القرآن وال نحو، سمع أحمد بن حنبل يقول: الليث ثقة، ثبت، مات سنة ١٢٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ١٦٤.

(٣) يزيد بن أبي حبيب: أبو رجاء الأزدي، الإمام الحجة، مفتى الديار المصرية، وهو من صغار التابعين، حدث عن: عطاء، وعلى بن رباح، وعراك بن مالك، حدث عنه: ومحمد بن إسحاق وسعيد بن أبي أيوب، كثير الحديث، مات سنة ١٢٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ٣٢.

(٤) عبد بن الأشج: هو بكر بن عبد الله بن الأشج، الإمام الثقة، الحافظ، روى عنه: يزيد بن أبي حبيب، وأبيوبن موسى، ثقة صالح لا يفوقه أحد بالحديث، مات سنة ١٢٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٦، ص ١٧١.

(٥) كريب: ابن أبي مسلم، أبو رشدين، الهاشمي والد رشدين ومحمد، أدرك عثمان، وأرسل عن الفضل بن عباس، وحدث عن: مولاه ابن عباس، وأم الفضل أمها، حدث عنه: أبو سلمة بن عبد الرحمن مع تقدمه، حسن الحديث، مات سنة ٩٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٤٨٠.

(٦) ابن العباس: هو عبد الله بن عباس البحر، ابن عم رسول الله (ص)، صحب النبي(ص)، حدث عنه: بجملة صالحة، وعن عمر، وعلي، ومعاذ، ووالده، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سفيان صخر بن حرب، من رجال الكمال، ابن عباس، قال: مسح النبي (ص) رأسه، ودعاه لي بالحكمة، ومسنده ألف وسبعين حديثاً، وله من ذلك في الصحيحين خمسة وسبعين نزد البخاري له بمائة وعشرين حديثاً، نزد مسلم بستة وأحاديث، توفي سنة ٥٨٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٣، ص ٣٥٩.

قال: «النذور^(١) أربع؛ نذر لا يسمى، ونذر لا يطاق، ونذر في معصية الله فيه الكفارة، ونذر يسمى ويطاق لا معصية فيه»^(٢)، فيه الوفاء به، ونذر فائتٌ.

فاما النذر الذي لا يسمى: فهو كقول الرجل على نذر الله إن برئت من مرضي هذا أو قدمت من سفري، وكذلك إن جعله يمينا، فقال على [الله]^(٣) نذر إن كلمنت فلانا ولم يسم^(٤) شيئاً يفي لله به^(٥)، لا صلاة، ولا صدقة، ولا غير ذلك من التطوع؛ فعليه كفارة يمين.

واما الذي لا يطاق: فهو كقوله: الله على^(٦) نذر أن أمشي إلى بيت الله حافيا راجلاً، وهو من لا يطيق ذلك من ضعف أو سقم^(٧)، فإن كان واجداً للسبيل إلى الحجّ ركب وكمّ لأنّه لا يطيق المشي.

(١) الأزهر: النور.

النذور مفردتها النذر: أي ما ينذره الإنسان فيجعله على نفسه تحبّاً واجبًا، وأهل العراق يسمونه: الأئش. انظر: تهذيب اللغة محمد الهروي: ج ٤، ص ٣٠٢.

(٢) صحيح البخاري: ج ٤، ص ١٥٧٨. سنن أبي داود: ج ٣، ص ٤١. تحفة الأحوذى. شرح الترمذى: ج ١، ص ١٧٠٧.

(٣) الأزهر: الله.

(٤) يُسمّ أصلٌ واحدٌ يُدلُّ على أثُرٍ وَمَعْلَمٍ، وفي الحديث: «أنه كان يُسمّ إيل الصدقة». انظر: معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني : ج آ، ص ١١٠.

(٥) الأزهر: به الله.

(٦) الأزهر: على الله.

(٧) سقم والسقامة: المرض المختص بالبدن وفي النفس، قال تعالى: {فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ}، الصافات: ٨٩، الآية. انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهانى: ص ٤١٥.

وكذلك روى عقبة بن عامر^(١) أنه سأله النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنَّ أُخْتِي نَذَرْتُ أَنْ تَمْشِي إِلَى بَيْتِ اللهِ حَافِيَةً راجلةً غَيْرَ مُخْتَمِرَةً»^(٢)، فقال له النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ اللهَ نَهَى عن تعذيب أُخْتِك نفسها، مُرْهَا فَلَنْ تَرَكْبَ وَلَنْ تَخْتَمِرَ وَلَنْ تَكُفُّرَ كفارةً يَمِينَ»^(٣)، ورويَ في حديث آخر: «مُرْهَا فَلَتَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّام»^(٤). فاختلف العلماء^(٥) في ذلك، فقال بعضُهم مَنْ نَذَرَ نَذَرًا لا يطاق كَفَرَ كفارةً يَمِينَ، فقالوا: الحديثان اللذان روايا عن عقبة أحدُهُما يصدقُ الآخر، لأنَّ [معنى]^(٦) أَمْرَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنْ تَصُومْ ثَلَاثَةَ أَيَّام»^(٧)، فهو معنى قوله كفارةً يَمِينَ مَنْ لا يجُدُ صيامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامَ.

وقال بعضُهم: يصومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامَ كَانَ غَنِيًّا^(٨) أو فقيرًا؛ لأنَّ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَ عقبةً أَنْ يَأْمُرُ أَخْتَهُ [بصومِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ]^(٩) أَنْ تَرَكَبَ، وذلك

(١) عقبة بن عامر الجنهى، أبو حماد ويقال: حدث عنه: أبو الخير مرثى اليزني، وسعيد بن المسيب، وأبو إدريس الخولاني، كان عالماً مقرناً فصيحاً فقيهاً شاعراً كبيراً الشأن، شهد فتح مصر وافتتح بها، وولي الجند بمصر لمعاوية، أحسن الناس صوشاً بالقرآن. فقال له عمر: اعرض على فقراً، فبكى عمر، له في المسند خمسة وخمسون حدثاً، مات سنة ٥٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٤٦٨.

(٢) مُخْتَمِرَةً: أي من الخمار: يقال لما يُسْتَرَّ به، خَرَّتِ المرأةُ رأسها: أي غطَّتْهُ وسْتَرَتْهُ بالخمار. انظر: التعريفات الفقهية: ج ١، ص ٨٩. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ج ٣، ص ٤٠.

(٣) جاء في الحديث: «أنَّ أَخْتَهُ نَذَرْتُ أَنْ تَمْشِي حَافِيَةً غَيْرَ مُخْتَمِرَةً، فَسَأَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَا يَصْنَعُ بِشَفَاعَةِ أَخْتِكَ شَيْئًا، مُرْهَا فَلَتَخْتَمِرْ، وَلَنْ تَرَكِبْ، وَلَنْ تَصُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ». انظر: السنن. ابن ماجة: ج ٣، ص ٢٦٤. صحيح البخاري. محمد إسماعيل: ج ٢، ص ٦٦٠.

(٤) انظر: فتح الباري شرح الصحيح. العسقلاني: ج ٤، ص ٥٩٥.

(٥) العلماء هم: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ١٧٠هـ، الإمام محمد بن إدريس الشافعى ٢٠٤هـ، أنس بن مالك ١٧٩هـ.

انظر: نيل الأوطار. محمد الشوكاني: ج ٨، ص ٢٨٥. تحفة الأحوذى بشرح الترمذى. عبد الرحمن المباركفوري: ج ٣، ص ١٠٣.

(٦) الأزهر: معنى.

(٧) انظر: مسند الإمام أحمد: ج ٤، ص ١٤٥.

(٨) الأزهر: غنِيًّا كان.

(٩) الأزهر: بصومِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ.

دليل [على]^(١) أَمْهَا كَانَتْ وَاجِدَةً^(٢)، إِطْعَامَ عَشْرَةَ مَسَاكِينَ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَأْمِرْهَا إِلَّا وَهِيَ وَاجِدَةٌ لِلرَّكَوبِ.

وَأَمْمًا النَّذُورَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ كَالرَّجُلِ يَقُولُ^(٣) اللَّهُ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنَّ أَنْتَ^(٤) وَلَدِي، أَوْ أَرْمِي نَفْسِي، وَلَا أَتَكَلُّ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا، أَوْ أَطْوَفُ بِالْبَيْتِ^(٥) عَرِيَانًا^(٦)، أَوْ الْمَرْأَةُ تَنْذُرُ أَنَّ تَحْجَجَ غَيْرَ مُخْتَمِرَةٍ؛ فَفِي ذَلِكَ كُلُّهُ كُفَّارَةٌ يَمِينٌ؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا نَذْرٌ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَكَفَّارَتُهُ كُفَّارَةٌ يَمِينٌ»^(٧)، يَرْوِيَهُ عَنْهُ عُمَرَانُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٨): «فَمَنْ نَذَرَ نَذْرًا فِي مَعْصِيَةِ [اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ]^(٩) فَعَلَيْهِ كُفَّارَةٌ يَمِينٌ وَلَا يَعْصِي اللَّهَ»^(١٠).

(١) الأَزْهَرُ: عَلَى.

(٢) وَاجِدَةً: لِيُسْ فِيهَا مَرْضٌ أَوْ بَلَاءً.

انْظُرْ: تَاجُ الْعَرَوْسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَامُوسِ. مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَاقِ الْحَسِينِي : ج٤، ص٤٧٨.

(٣) الْأَزْهَرُ: كَانَ يَقُولُ الرَّجُلُ.

(٤) الْأَنْتَرُ: إِذَا قَابَلَهُ، قَدْ نَحَرَ فَلَائَا يَنْحِرَهُ نَحَرًا، قَالَ تَعَالَى: {فَقُتِلَ لِزِينَكَ وَأَنْتَرُ} الْكَوَثِيرُ ٢، الْآيَةُ، أَيْ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ بِنَحْرٍ.

انْظُرْ: الإِبَانَةُ فِي الْلُّغَةِ. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَوْنَبِيُّ الصُّحَارَى : ج٤، ص٣٨٢.

(٥) بَيْتُ اللَّهِ: يَقْصِدُ فِيهِ الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ فِي (مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ).

(٦) عَرِيَانًا: مِنْ كَلْمَةِ بُعْدَى مِنْ ثُوْبِهِ، فَهُوَ عَارٍ عَرِيَانٌ.

انْظُرْ: مَفَرَّدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ. الْأَصْفَهَانِيُّ: ص٥٦٢.

(٧) انْظُرْ: صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ. مُحَمَّدُ إِسْمَاعِيلٍ: ج٢، ص٢٤٦٤. سِنَنُ النَّسَائِيِّ. أَحْمَدُ بْنُ شَعْبَ: ج١٠، ص٦٩.

(٨) عُمَرَانُ بْنُ حَصِينٍ: هُوَ ابْنُ عَبِيدِ بْنِ خَلْفٍ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، الْإِمَامُ الْقُدوَّةُ، وَلَهُ عَدَةُ أَحَادِيثٍ، وَوَلِيُّ قَضَاءِ الْبَصَرَةِ، وَكَانَ عُمُرُ بْنِهِ إِلَيْ أَهْلِ الْبَصَرَ لِيُقْتَلُهُمْ، حَدَثَ عَنْهُ: مَطْرُوفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْشَّخِيرِ، وَزَرَارَةُ بْنُ أَوْفَى، اتَّقَقَ الشِّيخَانُ لَهُ عَلَى تِسْعَةِ أَحَادِيثٍ، وَانْفَرَدَ الْبَخَارِيُّ بِأَرْبَعَةِ أَحَادِيثٍ وَمُسْلِمٌ بِتِسْعَةِ، مَاتَ سَنَةً ٥٥٢ هـ.

انْظُرْ: سِيرُ أَعْلَمِ النَّبَلَاءِ. الذَّهَبِيُّ: ج٢، ص٥١٢.

(٩) الْأَزْهَرُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(١٠) انْظُرْ: السِّنَنُ. ابْنُ مَاجَهٍ: ج٣، ص٢٥٩.

قد خوصم ابن عباس فقيل: (أينذر في معصية الله فيكفر [عن]^(١) بمينه)،
فقال: ألم تسمع الله تعالى يقول في المظاهر: {وَإِنَّهُمْ لَيُقُولُونَ مُنْكِرًا مِنَ الْقُولِ
وَزُورًا}^(٢)، فامر فيه بالكفارة.

إلا أنَّ ابنَ عباسَ قالَ: بخلافِ هذَا فِي معنى وَاحِدٍ لِلذِّي نَذَرَ أَنْ يَنْحَرِ وَلَدُهُ،
[قال]^(٣): يَنْحَرُ بَذَلَهُ كُبِشًا، وَذَهَبَ إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ سَبِّحَانَهُ بِهِ^(٤) إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ مِنَ الْفَدَاءِ لَابْنِهِ، وَسُسْتَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى أَنْ تُتَبَّعَ فِي ذَلِكَ
وَهِيَ: كَفَّارَةُ يَمِينٍ.

فَأَمَّا النَّذَرُ الَّذِي يُسَمَّى وَيُطَافُ لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ فَهُوَ كَالرَّجُلِ يَنْذَرُ أَنْ يَصِلَّ
رَكَعَاتٍ مَعْلُومَةً، أَوْ [يَصُومَ]^(٥) صِيَامًا مَعْلُومًا فِي أَيَّامٍ يَحْلِ فِيهَا الصَّوْمُ أَوْ الْحِجَّةُ
إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَهُوَ مَطِيقٌ؛ لِذَلِكَ فَعَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِهِ، إِلَّا أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي حَصْلَةٍ
وَاحِدَةٍ مِنْ ذَلِكَ فِي الرَّجُلِ يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْهِ نَذَرًا أَنْ يَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِهِ.

فَقَالَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ^(٦) عَلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِذَا كَانَ نَذَرًا، فَأَمَّا إِذَا
كَانَ يَمِينًا^(٧) فَلَا؛ لَأَنَّ النَّذَرَ مَا أَرَادَ بِهِ الشُّكْرُ وَالطَّاعَةُ، وَالْيَمِينُ لِغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى
الْغَضَبِ وَغَيْرِهِ، وَاحْتَجَّتْ بِمَا يَرْوِيهِ الْحَسَنُ^(٨) عَنْ عُمَرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ

(١) الأَزْهَرُ: عَنْ.

(٢) الْمَجَادِلَةُ: ٥، الْآيَةُ.

(٣) الأَزْهَرُ: قَالَ.

(٤) الأَزْهَرُ: بِهِ سَبِّحَانَهُ.

(٥) الأَزْهَرُ: يَصُومُ.

(٦) الْعُلَمَاءُ: مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ ١٧٩ هـ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَبَارِكِ ١٨١ هـ، الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ١٠٤ هـ، الْإِمَامُ
أَحْمَدُ ٥٢٤ هـ. يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ.

انظر: الْأَعْلَمُ الصَّبِيْحُ بِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّحِّيْحِ. الْعَسْقَلَانِيُّ: ج٧، ص٢٣٠. عَنْ الْمَعْبُودِ لِشَرْحِ سُنْنِ
أَبِي دَاوُدَ. مُحَمَّدُ شَمْسُ الْأَبَادِيِّ: ج٩، ص٨٥.

(٧) الْيَمِينُ: مَأْخُوذَةٌ مِنْ يَمِينِ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ: إِذَا عَدَتْ فَأَكَدَ، وَإِذَا حَلَفَتْ فَوْحَدَ.

انظر: الإِبَانَةُ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. سَلَمَةُ بْنُ مُسْلِمٍ الْعَوْنَانِيُّ الصَّحَارِيُّ: ج١، ص٢١٩.

(٨) الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَرْحَمُهُ اللَّهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَنْذَرُ فِي غَضَبٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»^(١).

وَقَالَ رَجُلٌ لَابْنِ عَبَّاسٍ: (إِنِّي نَذَرْتُ نَذْرًا، قَالَ: فِي غَضَبٍ أَمْ فِي رَضَى، قَالَ: لَا بُلْ فِي غَضَبٍ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَقْرُبُ إِلَيْهِ بِالْغَضَبِ)^(٢).

وَرَوَى أَبْنُ عَمْرٍ^(٣) وَأَبْوَهُرِيرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِنَّ النَّذَرَ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا أَقْدَرَهُ، وَلَكِنَّ أَسْتَخْرُجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ يُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَا يُؤْتُنِي عَلَى غَيْرِهِ»^(٤)، فَأَخْبَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ النَّذَرَ شَيْءٌ يَتَقْرُبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانُهُ، وَ[وَ]^(٥) لَيْسَ هُوَ كَالَأَيَّانِ عَلَى الْغَضَبِ»^(٦).

(١) جاء في الحديث: «لَا تَنْذِرْ فِي غَضَبٍ وَكَفَارَتُهُ كَفَارَةُ يَمِينٍ». عن الأشعري: أثَّرَتْ رِسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْرٍ مِنَ الْأَشْعَرِيَّينَ فَوَافَقَهُ وَهُوَ غَضِيبًا، فَاسْتَحْمَلَاهُ فَحَفَّ أَنْ لَا يَحْمِلَنَا».

انظر: صحيح البخاري. محمد إسماعيل : ج ٤، ص ٥٧٥. صحيح مسلم: ج ٣، ص ١٢٦٩.

(٢) انظر: سنن النسائي. أحمد بن شعيب : ج ٧، ص ٣٥.

(٣) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب (رض) يرحمه الله.

(٤) جاء في الحديث «لَا يَأْتِي أَذْمَنَ اللَّذُرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدَرَ لَهُ، وَلَكِنَّ يُلْقِيَ اللَّذُرَ إِلَى الْقُدْرِ قَدَرَ لَهُ، فَيُسْتَخْرُجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتُنِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِهِ». انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٤، ص ٥٥٨. مسنده الإمام أحمد: ج ٢، ص ٢٣٥.

(٥) الأَزْهَرُ: وَ.

(٦) انظر: سنن النسائي. أحمد بن شعيب: ج ٧، ص ٣٦.

وقال كعب بن مالك^(١) للنبي صلّى الله عليه وسلام لما تاب الله عليه: «إنّ مِنْ تَوْبَتِي أَنِّي أَنْخَلَعُ مِنْ مَالِي»^(٢)، وفعل أبو لبابة^(٣) مثل ذلك، وأبو طلحة^(٤) أيضًا لما شغله الطير^(٥) في صلاته، فقالوا: «النَّذْرُ مَا كَانَ طَاعَةً لِّلَّهِ شَكْرًا وَتَقْرِبًا»^(٦).

وقالت فرقه^(٧): كل نذر يسمى ويطاف ولا معصية فيه كان عن يمين أو أراد به طاعة فعليه الوفاء [بما سمي]^(٨) به؛ لأنّه قد سمي نذراً وأكده على نفسه.

(١) كعب بن مالك: هو بن أبي كعب، عمرو بن القين بن كعب بن سواد الخزرجي، شاعر رسول الله (ص)، وله عدة أحاديث وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين، روى عنه: بنوه: عبد الله، وعبد الله، وعبد الرحمن، وابن عباس، مات سنة ٥١٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٥٣٠.

(٢) جاء في الحديث «إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنِّي أَنْخَلَعُ مِنْ مَالِي صَدَقَةً». انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج ٤، ص ٥٨٢. مسند أبي داود. الطيالسي: ج ٣، ص ٢٤١.

(٣) أبي لبابة: هو عبدة بن أبي لبابة، أبو القاسم الأنصاري ثم الغاضري، نزل دمشق، وحدث عن: ابن عمر، وعلقمة، حدث عنه: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والأوزاعي، عبدة قال: دُفِّت ماء البحر ليلة سبعة وعشرين فوجدها عذباً، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٥، ص ٢٣٠.

(٤) أبو طلحة الأنصاري، زيد بن سهل بن الأسود، صاحب رسول الله (ص)، وأحد النقباء الائتني عشر ليلة العقبة، روى عن: أنس بن مالك، وابن عباس، وهو الذي قال فيه رسول الله (ص)، صوت أبي طلحة في الجيش خير من فتة. ومناقبه كثيرة. روى عن النبي (ص)، وعشرين حديثاً، منها في الصحيحين، مات بالمدينة، وصلى عليه عثمان سنة ٣٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٢، ص ٢٧.

(٥) طير: أي استهو الشياطين في غفلة عن صلاته، شغله طير دبسي طار بين الشجر ونسى عدد الركعات في صلاته. انظر: فهم الصلاة. لأبي حارث المحاسبي: ص ٣٧٣. تحفة الأريب بما في القرآن من غريب. أثير الدين الأندلسي: ج ١، ص ٢٠٩.

(٦) جاء في الحديث: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطْبَعَ اللَّهُ فَلِيُطْبَعْ». انظر: السنن. ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٥٩.

(٧) الفرقه هم: الإمام أحمد بن حنبل ٢٤١هـ. إسحاق بن عبد الله بن طلحة ١٣٢هـ. انظر: السنن. ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٦١. الجامع الصحيح لسنن الترمذى. الترمذى: ج ٤، ص ١٠٣.

(٨) الأزهر: بما سمي.

وقالت فرقة^(١): يمسك مما يملك [بِهِ] قوتة^(٢) يومه وما يكفيه وعياله^(٤) ويخرج الباقي، فإذا وجَدْ غنى^(٥) أخرَجَ ما كانَ حَبْسَ، وقالَ مالك^(٦) وبعضُ أصحابُ الحديث^(٧): يخرجُ ثلثَ مالهُ، واحتجوا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ لَأَبِي لَبَابَةَ: «يجزِيكَ الثُّلُثُ، وَقَالَ لِكَعْبَ: أَخْرُجْ بَعْضَ مالِكِ بْنِ جَرَانَكَ، فَقَالَ لَهُ كَعْبَ: أَحْبُسْ سَهْمِيَّ الَّذِي يَخِبِّرُ»^(٨).

أما النَّذَرُ الخامسُ: الذي ينذرُهُ صاحبُهُ أَنْ ينذَرَ نذَرًا فيفوتَ وقتُ الوفاءِ به؛ فهو كَوْلَهُ: اللَّهُ عَلَيَّ [نذَرٌ]^(٩) أَنَّ أَصوَمَ شَهِرَ رَمَضَانَ بِعِبَادَاتِ^(١٠) فيمِرضُ، أوَ

(١) الفرقة هم: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ١٥١ هـ. سفيان الثوري ١٦٦ هـ.
انظر: الجامع الصحيح لسنن الترمذى. الترمذى : ج٤، ص١١٦.

(٢) الأَزْهَرُ: بِهِ.

(٣) الأَزْهَرُ: فَوْتَ.

قوْتَهُ هي من القُوتَ: أي المسكة من الرزق.

انظر: المِحْكَمُ والمِحْيَطُ الأَعْظَمُ. علي بن إسماعيل: ج٦، ص٥٤١.

(٤) عيال: الأَصْلُ فِيهِ أَعْلَيَثُ أَيْ وَلَدُثُ أَوْلَادًا.

انظر: لسان العرب. ابن منظور: ج١١، ص٤٨٦.

(٥) الغنى: أي لهم غنى النفس من التعفف والتلطف، قال تعالى: **لِخَسِيبِ الْجَاهِلِ أَغْنِيَاءِ مِنَ التَّعْفُفِ**، البقرة: ٢٧٣، الآية.

انظر: مفردات ألفاظ القرآن. الأصفهاني: ص٦١٤.

(٦) مالك: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر.

(٧) بعض أصحاب الحديث: يحيى بن عبد الله بن بکير ٥٢٣١، محمد بن مسلم الأَزْهَرِي ١٢٣ هـ، أبو عبد الله وهاب بن منه ١٢٤ هـ، سفيان سعيد الثوري ١٦١ هـ.

انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. العسقلاني: ج٤، ص٧١٧. السنن الكبرى. النسائي: ج١، ص٦٨.

(٨) انظر: صحيح مسلم. مسلم الحاج: ج٤، ص٢٢١. مسند الإمام أحمد: ج٦، ص٣٩٠. الجامع الصحيح لسنن الترمذى. للترمذى: ج٥، ص٢٦٤.

(٩) الأَزْهَرُ: نذر.

(١٠) عبادان: كانت عبادان قطعة لحران بن أبان مولى عثمان بن عفان (رض)، والتسمية جاءت من العباد: وهو الرجل الكثير العبادة، وأما إحراق الألف والنون فهي لغة مستعملة لأهل البصرة، وهي تحت البصرة في -جنوب العراق- قرب البحر المالح -شط العرب- حالياً، وكانت أكثر مواردهم من النور، لكونها أرض لا خير فيها ويعيشون على اصطياد السمك، وكانوا يظهرون زهدهم في الحياة

الله علىيَّ أَنَّ أَصوْمَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فَيَمْرُضُ ذَلِكَ الْيَوْمَ: «فَفِيهِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ»^(١)، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَقِبَةَ بْنَ عَامِرٍ^(٢) اسْتَفْتَاهُ أَبُو الْخَيْرَ^(٣)، فَقَالَ: (إِنِّي نَذَرْتُ أَنَّ أَصوْمَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِإِيلِيَا)، فَقَالَ عُقْبَةُ: سَمِعْتُ^(٤) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا النَّذْرَ حَلْفَةً»^(٥)، كَفَرَ عَنْ يَمِينِكَ»^(٦).

بارتداء لباس أبيض من الصوف.

انظر: مجمع البلدان. ياقوت الحموي: ج ٤، ص ٧٤.

(١) جاء في الحديث: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ الْيَمِينِ».

انظر: المعجم الكبير. الطبراني: ج ٧، ص ٢٧٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي العسقلاني: ج ١، ص ٩٧.

(٢) عقبة بن عامر الجهني.

(٣) أبو الخير: هو مرتضى بن عبد الله أبو الخير البازمي المصري، الإمام، عالم الديار المصرية ومقتليها، حدث عن أبي أبيوب الأنصاري، وزيد بن ثابت، وأبي بصرة الغفارى، وعقبة بن عامر، وعمرو بن العاص، حدث عنه جعفر بن ربيعة، وعبد الرحمن بن شمسة، ويزيد بن أبي حبيب، وعبد الله بن أبي جعفر، توفي سنة ٥٩٠هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء. الذهبي: ج ٤، ص ٢٨٥. تهذيب التهذيب. أحمد بن علي بن محمد: ج ٤، ص ٥١٩.

(٤) الأزهر: أسمعت.

(٥) الأزهر: خلفه.

خلفه: أي قسماً، فالملحوظة هي القسم.

انظر: العين. الخليل البصري: ج ٣، ص ٢٣١.

(٦) انظر: السنن. ابن ماجه: ج ٣، ص ٢٤٥. سنن النسائي. أحمد شعيب: ج ٧، ص ١٤.

تم كتاب المسائل في أعمال القلوب والجوارح للمحاسبي
والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد نبيه
وآله وسلم وهو حسبنا ونعم الوكيل
وذلك في العشر الأول
من المحرم سنة ثلاثة وعشرين وخمس مائة



الخاتمة

إنَّ مخطوطةَ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ هي من روائع كُتُبِ الْمَحَاسِبِ؛ لكونها قد مَرَّجَ فيها الْمَحَاسِبِيَّ روعةَ الْكَلِمَاتِ ما بين الفَقِهِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعَنْصِرِ الْرُّوحَانِيِّ؛ لِذَلِكَ كَانَتْ عَصَارَةُ جَهَدِهِ لِسُنُوَاتٍ طَوِيلَةٍ مِنْ فَكِرٍ وَعِلْمٍ وَثِبَاتٍ عَلَى نَهْجِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنْنَةِ النَّبُوَّيَّةِ. وَعِنْدَمَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ بِتَعْمِّنٍ تُلَاحِظُ بِوْضُوحٍ أَنَّهُ قد رَكَّزَ عَلَى مَفْهُومِ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ وَعَلَاقَتِهِمَا بِعَضٍ عَنْدَ الْمُؤْمِنِ فِي الْعِبَادَةِ سَالِكًا طَرِيقَ الْقُلُوبِ قَبْلَ الْعُقُولِ وَالْحَوَاسِ.

وَقَدْ شَكَّلَ هَذَا الْمَنْحَنِيُّ عِنْدَهُ طَاعَةً لِلْمَرِيدِينِ بِالْتَّقْوِيَّضِ وَالْتَّوْكِلِ لِرَبِّ الْعِبَادِ بِرَؤْيَا جَدِيدَةٍ بَعِيْدَةٍ عَنْ مَفْهُومِ الْعُقُولِ؛ لِكَوْنِ أَنَّ الْعُقُولَ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ طَرِيقٌ إِلَرَاءِ النُّورِ، وَالْقُلُوبُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ طَرِيقٌ نِجَاهٌ مِنَ الْهَلاَكِ، وَهَذَا السُّبْبُ نَجَدُ أَنَّ هَاجِسَ الْخُشُوعَ يَلْتَزِمُ بِالْمَرِيدِ الْقَاصِدِ لِعِلْمِ الشَّيْخِ الْمَحَاسِبِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ مِنْذُ قِرَاءَةِ السُّطُورِ الْأُولَى فِي الْكِتَابِ؛ فَقَدْ جَاءَتْ بِكَلِمَاتٍ وَمَعَانِ مَعْتَرِّفَةٍ بِبِلَاغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَوَعْظِ وَسَرِدِ الْأَحَادِيثِ.

لِذَلِكَ وَجَبَ عَلَى الْقَارِئِ فَهُمْ لِغَةُ الْبِلَاغَةِ ثُمَّ الْمَفْهُومُ الْفَكَرِيُّ لِمَؤْلِفَاتِ الْمَحَاسِبِيِّ قَبْلَ الْبَدْءِ بِالْقِرَاءَةِ وَالْتَّحْقِيقِ لِلْمَؤْلِفَاتِ؛ لِكَوْنِهَا أَعْلَى مِنْ إِدْرَاكِ الْقَارِئِ الْبَسِيْطِ مِنْ حِيثُ نُصُّ الْكَلَامِ وَالْلُّغَةِ، لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ طَالِبُ الْعِلْمِ عَلَى اطْلَاعٍ وَنَضْرَوْجٍ فَكَرِيٍّ تَامٍ وَصَحِيْحٍ مُبْتَدِعٍ عَنْ آرَاءٍ وَمَنَاهِجٍ كَانَ غَايَتُهَا هَدْمِ عِلْمٍ فِي سَبِيلِ مَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ فَكَرِيَّةٍ.

إِنَّ الْدِرَاسَةَ وَالْتَّحْقِيقَ لِلْمَخْطُوْطَةِ لَمْ تَسْلُكْ لِدِينَنَا طَرِيقًا وَاحِدًا، بَلْ كَانَتْ دِرَاسَةً وَقِرَاءَةً وَرِبَطًا فِي سَلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ التَّارِيْخِيَّةِ لِعَصْرِهِ فِي مَدِينَةِ بَغْدَادِ فِي الْقَرْنِ الْثَالِثِ الْهِجْرِيِّ، وَاسْتَقْرَأَ مَدِيَّ تَأْثِيرِ الْمَحَاسِبِيِّ بِهَا، وَيَتَضَعُ أَنَّ أَفْكَارَهُ كَانَتْ تَسْتَنُدُ فِي مَحَارِبَةِ سِيَاسَةِ الدُّولَةِ الْمُتَرَفَّةِ عَنْ طَرِيقِ الزُّهْدِ حَتَّى يَكُونَ لَدِيِّ الْمَرِيدِينِ الْفَكُرُ الصَّحِيْحُ لِبَنَاءِ النَّفْسِ وَرَفْضِ كُلِّ آرَاءِ الْعُلَمَاءِ الْمَدْعُومَةِ عَنْ

لقد كانتْ لدِيهِ طريقةٌ في كتابةِ النصوصِ بمنتهى البلاغةِ في جميعِ المسائل المعروضةِ؛ فكلَّ مسألةٍ في طياتِها عبارةٌ عن مفهومٍ لتفسيرِ الكلامِ في مفهوم الظاهرِ والباطنِ، وتمثلُتْ بالقراءةِ الصحيحةِ للكلاماتِ، ثم يأتِي تفسيرُها، وقد بانتْ فيها معانٍ منهج آياتِ القرآنِ الكريمِ، وهذا السببُ وجَبَ على القارئِ عدمِ إهمالِ أيِّ حرفٍ أو سطرٍ دونَ معرفةِ ما هو المقصودُ منها في الكلامِ، والتركيزُ على المعنى في النصوصِ لكي يصلَ المريدُ للنَّصِّ الصحيحِ والشافي لداءِ العقولِ، إنَّ تسميةَ المحاسبي بسيِّدِ العارفينِ في خفايا علومِ الظاهرِ والباطنِ في التفسيرِ واللغةِ جاءَتْ من روعةِ مؤلفاتهِ وقيمةِ علمِهِ.

لقد اختلفَتْ مدرسةُ الشِّيخِ المحاسبي في النَّهْجِ الفكريِّ في الرُّزْهَدِ والتَّصوُّفِ عن المدارسِ الدينيةِ الأخرىِ؛ لذلك جاءَتْ في عدَّةِ تسمياتٍ، فكانَ أوَّلُها: مدرسةُ التَّصوُّفِ لِكُونِهِ كانَ يدعوُ للرُّزْهَدِ ومحاربةِ النفسِ ولبسِ الخشنِ من الملابسِ، وكانَ يأكلُ من بقايا الطعامِ، وهذهِ كانتْ كلُّها من صفاتِ التَّصوُّفِ، ولكنَّ بعَدَ النَّظرِ بتمعنٍ على تجُّملِ مؤلفاتهِ نستطيعُ أنْ نُطلقَ على المدرسةِ تسميةَ نهجٍ وليسَ صفةً تصوُّفٌ فقطً، لكونَ أنَّ المحاسبي قد تأثرَ بامتدادِ فِكْرِ الفقهاءِ الشافعيةِ، ويعتبرُ من مشاريعِ الشافعيةِ في العلومِ الدينيةِ؛ لكونِهِ جلسَ واستمعَ للإمامِ الشافعِيِّ وأخذَ منهُ في علمِ الفقهِ والأصولِ والتفسيرِ في منهجِ القرآنِ الكريمِ والسنَّةِ النَّبويةِ.

ولكنْ أيضًا التَّدَاخُلُ يفتحُ بابًا للتسميةِ آخرَ غيرِ التَّصوُّفِ والنَّهْجِ للمحاسبي؛ لأنَّ أساسَ المدرسةِ جاءَ على الجدالِ في الكلامِ في دينِ الحقِّ، فهو القائلُ: ((إِنَّ الرَّدَّ عَلَى الْبُدْعَةِ فَرَضٌ)). وَكانَ مِنْ أَشَدِ المجادِلِينِ في عِلمِ الكلامِ، وَمَغْبِرِ الْوِجْهِ لِلْمُعْتَزَلَةِ، وَجَاهَهُ في تبليطِ أقوالِهم، كانَ أَشَبَّهُمْ إِتقانًاً وأَمْتَنَهُمْ كلامًا؛ فأصبحَ نَهْجُ المحاسبيِّ المصنَّفُ لِعِلْمِ الكلامِ لمدارسِ الأُشْعَرِيَّةِ في الرِّدِّ والمجادلةِ على كلامِ أَصْلُهُ بَدْعَةً.

ولا يمكنُ أنْ نقولَ أنَّ التسميةَ أصبحَتْ شاملةً من حيثُ التصوُّفِ والفقهِ والمجادلةِ والرِّدِّ بالكلامِ؛ لأنَّ جوهرَ الكلامِ لدى المحاسبيِّ جاءَ حَسْبَ المِنْطَقِ في الحديثِ والوعظِ ويتجهُ إلى خوضِهِ في الحديثِ، وهذا الأمرُ يُبرِّرُ أنَّ الشِّيخَ

المحاسبي تللمدَّ على يد مشايخ أهل الحديثِ، وكانَ مِنْ عاصِرِ الإمامِ أَحْمَدَ بْنَ حِنْبَلَ فِي تلقِي عِلْمِ الْحَدِيثِ مِنَ الْمَشَايْخِ، وَلَكِنْ قَدْ خَاصَّ بِالْحَدِيثِ شَيْئاً قَلِيلًا، وَقَدْ نُسِّبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي دَخَلَ فِيهَا مِنْ بَابِ الْوَعْظِ، وَلَكِنْ لَمْ يُبَحِّرْ فِي جَمِيعِ الْأَحَادِيثِ لِكَوْنِهِ افْتَدِي بِبَعْضِ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ، فَلَذِلِكَ السَّبِبُ قَدْ جَاءَ الْمَحَاسِبِي إِلَى طَرِيقَةِ الْوَعْظِ فِي سِرْدِ الْأَحَادِيثِ وَالْمَسَائِلِ الْفَقِيهِيَّةِ، وَهَذِهِ التَّفْسِيرُ لِدِيَهُ جَاءَ بِنَسْقِ كَلَامِيٍّ وَبِلَاغَةٍ مَعْنَى، وَيَتَضَعُ أَنَّ الْمَحَاوِرَ الْأَرْبَعَةَ الْمَشَارِ إِلَيْهَا مُسْبِقًا فِي تلقِي عِلْمِ الْمَحَاسِبِيِّ لَمْ تَأْتِ بِالْتَّسْمِيَّةِ الْمُحَدَّدَةِ لِلْمَدْرَسَةِ الْمَحَاسِبِيِّ، وَإِنَّمَا جَاءَتِ فِي مَحَاوِرِ فِكْرِ جَدِيدٍ، وَكَمَا يَلِيَّ:

- المدرسةُ جاءَتْ بِمَفْهُومِ التَّصْوِفِ فِي الْلَّبَسِ وَالْأَكْلِ وَمُحَارِبَةِ النَّفْسِ وَالْخُلُوَّةِ.
- وَدَرَسَتِ الْمَدْرَسَةُ التَّفْسِيرَ وَالْفَقِهِ وَالْإِسْنَادَ بِالْأَحَادِيثِ.
- كَانَتْ الْأُولَى فِي الْجَدَلِ بِالْكَلَامِ فِي الْمَنَاظِرَةِ وَالْإِتْقَانِ.
- وَعِنْدَ سِرْدِ الْحَدِيثِ: كَانَتْ جَمِيعَهَا عَنْ مَشَايِخِ عَصْرِهِ فِي الْحَدِيثِ.

وَمَمَّا جَاءَ أَعْلَاهُ يُمْكِنُ أَنْ يُطَلَّقَ عَلَيْهَا وَصْفُ مَدْرَسَةِ الْمَحَاسِبِيِّ الْوَاعِظِينَ عَنْ طَرِيقِ الْجَدَلِ وَالْحَقِّ وَالتَّفْسِيرِ بِحُكْمِ فَهْمِهَا لِلظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْحَدَّ وَالْمَطْلَعِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالْكَلَامِ، وَبِسَنَدِ الْأَحَادِيثِ عَنْ طَرِيقِ الْفَقِهِ الشَّافِعِيِّ، مَرْتَدِيِّ وَشَاحِ الرُّزْهَدِ وَالْوَرَعِ وَمُحَارِبَةِ النَّفْسِ، وَسَارَ بِطَرِيقِ الْمَحَدِّثِينَ فِي التَّمَسِّكِ بِسُسْتَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ كَانَتْ طَرِيقَةُ الْمَحَاسِبِيِّ فِي الْوَعْظِ تَجْرِيُّ الْخُصُومِ إِلَيْهِ مِنْ شَدَّةِ بِيَانِهَا، وَأَنَّ كَتْبَهُ هِيَ أَمْهَاتُ الْكِتَابِ فِي: الْكَلَامِ وَالْأَصْوَلِ وَالْقِيَاسِ وَالْوَرَعِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالتَّفْسِيرِ بِعِلْمِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ بِالْأَمْرِ أَنَّ الْمَحَاسِبِيَّ نَصَّرَ الصَّوْفِيَّةَ فِيهَا سَبَقَ نَصْرًا لَا مِثْلَ لَهُ؛ فَقَدْ تَرَكَ بَيْتَ الْمَحَدِّثِينَ وَالْفَقِهَاءِ وَأَوْيَ إِلَى الرُّزْهَدِ وَالتَّصْوِفِ، فَلِمَذَلَّمَ لِمَ يَحْفَظُ الصَّوْفِيَّةُ الْمَعَاصرُونَ عَهْدَهُ وَمَوْلَفَاهُ وَأَفْكَارِهِ.

وَفِي النَّهَايَةِ أَوْدَ الْقَوْلُ أَنَّ عَمَلِيَّةَ تَحْقِيقِ الْمَخْطُوَطَةِ لَمْ تَكُنْ لِدِينِا عِبَارَةً عَنْ نَقْلِ كَلِمَاتٍ مِنْ وَرِقِ أَصْفَرِ قَدِيمٍ إِلَى أَيْضِ فَقْطٍ، بَلْ هُوَ تَحْلِيلٌ فَكْرِيٌّ لِكَلِمَاتٍ مَصْنَفٌ مِنْ زَاوِيَّةِ التَّفْسِيرِ حَوْلَ مَفْهُومِ الْمَعْانِي لِلْكَلِمَاتِ مِنْ حِيثِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَمَا بَيْنَ السُّطُورِ وَمُدْرِكَ لِلْحَرْكَاتِ وَالْإِشَارَاتِ فِيهَا. فَكَانَ بِاطْنُهَا

عبارةً عن تبَّحْرٍ في جُوْهِرِ الْكَلِمَاتِ وَفَهْمِ فَحْوَاهَا وَالتَّبَّصُّر بِحَدَّهَا وَهُوَ بَعْدَمِ
الْتَّجَاوِزِ عَلَى النِّصْوَصِ. وَأَمَّا مَطْلُعُهَا كَانَ عِبَارَةً عَنْ فَهْمٍ بِمَا يَقْرَئُ مِنْهَا؛ لِذَلِكَ
كَانَ التَّحْقِيقُ عَهْدًا لَمَا بَيْنَ السُّطُورِ مِنْ الْمَحْقُقِ لِرَبِّ الْعَزَّةِ لِكَلِمَاتِ اخْتَارَهَا أَنْ
تَخْرُجَ مِنْ بَعْدِ أَعْوَامٍ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْقَائِلِ : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ

المصادر

- أحمد البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ت: رياض زركلي، الفكر، لبنان ط ١، ١٩٩٦.
- إبراهيم الحربي، غريب الحديث، ت: سليمان إبراهيم، أم القرى مكة المكرمة، ١٤٠٥ هـ.
- أبو قاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ت: عبد الحليم محمود، الشعب القاهرة، ١٩٨٨.
- أحمد بن خلكان، أنباء أبناء الزمان، أ: إحسان عباس، صادر، بيروت ١٩٩٤.
- أحمد بن أبي خيثمة، التاريخ الكبير، ت: صلاح فتحي، الفاروق القاهرة، ٢٠٠٤.
- أحمد بن الحسين البيهقي، الزهد الكبير، ت: عامر أحمد، الجنان بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- أحمد الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وأداب السمع، ت: محمود الطحان المعارف ١٩٨٣.
- أحمد الخطيب، الكفاية في علم الرواية، ت: عبد الله السورقي، العلمية المدينة المنورة، ٢٠٠٢.

- أحمد الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام، ت: بشار عواد، الغرب بيروت ط ١، ٢٠٠١.
- أحمد بن حسين البهقي، السنن الكبرى، ت: إبراهيم شمس العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.
- أحمد بن حسين البهقي، الجامع لشعب الإيمان، مكتبة الرشد، السعودية، ٢٠٠٣.
- أحمد بن حنبل، الزهد، ت: محمد جلال شرف، دار المهمة، بيروت، ١٩٨١.
- أحمد بن حنبل، مسنن الإمام أحمد، ت: حمزة أحمد، دار الحديث القاهرة، ١٩٩١.
- أحمد البصري، الطبقات الكبرى، ت: أحمد شمس وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١.
- أحمد شعيب النسائي، السنن الكبرى، ت: حسن الشبلي، الرسالة، بيروت ١٢٠٠١.
- أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٦.
- أحمد بن علي التميمي، مسنن أبي يعلى، ت: حسين سليم الأسد، المأمون بيروت ط ٢، ١٩٨٩.
- أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، أ: إبراهيم الزبيق، دار الرسالة بيروت، ١٩٩٥.

- أحمد القرطبي، المفهوم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ابن كثير، بيروت ط ١، ١٩٩٦.
- أحمد البزار، مستند البحر الزخار، ت: محفوظ عبد الرحمن، العلوم المدينة المنورة، ١٩٨٨.
- أحمد القزويني، حلية الفقهاء، ت: عبد الله تركي، متاحة، بيروت، ١٩٨٣.
- أحمد فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد، الفكر القاهرة، ط ١، ١٩٧٩.
- أحمد بن قاسم أبي أصيبيعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ت: محمد النجار، الحياة بيروت، ١٣٩٩.
- أحمد محمد الطحاوي، شرح معاني الآثار، ت: محمد النجار، عالم الكتب القاهرة، ١٩٩٤.
- أحمد عبد الرزاق، موسوعة أحمد بن حنبل في رجال الحديث، الكتب بيروت، ط ١، ١٩٩٧.
- أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢٠٠٨.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، قاهرة، ط ١، ٢٠٠٨.
- إسحاق إبراهيم الفارابي، معجم ديوان الأدب، ت: أحمد مختار، الشعب، القاهرة، ٢٠٠٣.

- إسماعيل عمرو كثير، تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد سلامة، طيبة السعودية، ١٩٩٩.
- إسماعيل بن قاسم البغدادي، البارك في اللغة، ت: هشام الطعان، المهمة بغداد، ط١، ١٩٧٥.
- إسماعيل المزني، السنن المأثورة للشافعي، ت: عبد المعطي معين، المعرفة بيروت، ٦١٤٠ هـ.
- أنا ماري شمبل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، تر: محمد السيد وأخرون الجمل بغداد، ٢٠٠٦.
- أيوب الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات، ت: عدنان درويش، الرسالة بيروت ١٩٩٨.
- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد ابوالفضل، دار التراث مصر، ١٩٥٧.
- بدیعة محمد عبد العال، الأدب التركي العثماني، دار الثقافية، ط١ القاهرة، ٢٠٠٧.
- تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ت: عبد الفتاح محمد، هجر مصر، ١٤١٣ هـ.
- تقي الدين أحمد الحراني، مجموعة الفتاوى، ف.ح: عبد الرحمن بن محمد مجمع الملك فهد، السعودية ٢٠٠٤.
- جي، شرح غريب ألفاظ المدونة، ت: محمد محفوظ، دار الغرب تونس، ١٩٨٠.

- جلال الدين السيوطي، الدرر المنثور في التفسير، ت: عبد الله تركي، الهجرة المدينة المنورة ١٢٠٠١.
- جلال الدين السيوطي، سنن النسائي، ت: التراث الإسلامي، دار المعارف لبنان، ط١٢، ٢٠١٢.
- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات وال Shawahed الفلسفية الجنوب، تونس، ١٩٩٤.
- جمال الدين المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: بشار عواد، الرسالة بيروت، ١٩٩٢.
- جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، ت: عبد الله علي، صادر بيروت، ط٣١٤١٤ هـ.
- جمال الدين الكجراتي، بحار الأنوار في غرائب التنزيل المعرف العثمانية إسطنبول، ١٩٦٧.
- جوزيف فان اس، علم الكلام والمجتمع، تر: سالمة صلاح، الجمل بيروت، ١٩٩٠.
- حارث المحاسبي، آداب النفوس: ت: عبد القادر أحمد، دار الجيل بيروت، ١٩٩١.
- حارث المحاسبي، آداب النفوس: ت: عبد القادر أحمد، دار الجيل بيروت، ١٩٩١.
- حارث المحاسبي، أستاذ السائرين، عبد الحليم محمود، دارالبصائر، قاهرة، ٢٠٠٥.

- حارت المحاسبي، الإنابة إلى الله، ت: هلمون ريت، O.SPES ألمانيا، ١٩٣٥.
- حارت المحاسبي، الإنابة لله، ت: مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة، ١٩٩١.
- حارت المحاسبي، التوبة، ش: عبد القادر أحمد، النصر، القاهرة، ١٩٧٧.
- حارت المحاسبي، التوهم، ت: آرثر جون ابريري، تر: أحمد أمين، بيت الوراق، بغداد، ٢٠١٠.
- حارت المحاسبي، الخلوة والتنقل في العبادات، ت: أغناطيوس عبد خليفة الشرق، بيروت، ١٩٥٥.
- حارت المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: عبد الحليم محمود، المعارف القاهرة، ١٩٨٥.
- حارت المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: عبد القادر عطا الله، دار كتب علمية بيروت، ١٩٨٥.
- حارت المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، ت: مارغريت سميث، بغداد ط ٢٠١٤.
- حارت المحاسبي، الزهد ومسائل أعمال القلوب والجوارح، ت: عبد القادر عطا، الجيل، بيروت ط ١، ١٩٦٩.
- حارت المحاسبي، الصبر والرضا، ت: جوزيف فإن اس، O.SPES ألمانيا ط ٦، ١٩٣٦.

- حارت المحاسبي، العقل وفهم القرآن، ت: حسين القوتلي، دار الفكر، بيروت ط ١، ١٩٧١.
- حارت المحاسبي، العلم، ت: محمد عابد مزالى، دارالتونسية، الجزائر. ١٩٧٥
- حارت المحاسبي، المكاسب، ت: سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية د.ت.
- حارت المحاسبي، الوصايا، ت: عبد القادر عطا الله، داركتب علمية، لبنان ط ١، ١٩٨٦.
- حارت المحاسبي، رسالة المسترشدين، ت: فتاح ابوغدة، دارالسلام، حلب ط ٢ ١٩٦٤.
- حارت المحاسبي، شرح المعرفة وبذل النصيحة، ت: مجدي فتحي، الصحابة مصر، ١٩٩٣.
- حارت المحاسبي، معاية النفس، ت: محمد عبد القادر عطا، دار الاعتصام قاهرة، ٢٠٠٣.
- حسن عبد الله العسكري، ديوان المعاني، ت: أحمد حسن، الكتب العلمية بيروت، ط ١ ١٩٩٤.
- حسن عبد الله العسكري، الفروق اللغوية، ت: محمد عبد السلام، الإسلامي السعودية، ١٤١٢ هـ
- حسن بن علي نصر الطوسي، مختصر الأحكام، ت: أنيس بن أحمد، الغرباء السعودية، ١٤١٥.

- حسين مسعود البغوي، *تفسير البغوي في معالم التنزيل*، ت: محمد عبد، طيبة الرياض، ١٤١٦هـ
- حكيم الترمذى، *ختم الأولياء*، تر: عمرأونجنت، حكاية، أنقرة، ٢٠١٤.
- حمد بن محمد الخطابي، *غريب الحديث*، ت: عبد الكريم عرباوي، الفكر دمشق، ١٩٨٢.
- خليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ت: إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، بغداد، ١٩٨٥.
- خير الدين الزركلي، *الأعلام*، دار العلم للملائين، بيروت، ٢٠٠٢.
- راغب الأصفهانى، *مفردات ألفاظ القرآن*، ت: صفوان عدنان، دار العلم دمشق، ١٤١٥هـ.
- رجب عبد الجود، *المعجم بأسماء الملابس عند العرب*، دار الآفاق العربية، قاهرة، ٢٠٠٢.
- رين هارت آن، *تكميلة المعاجم العربية*، تر: جمال الخياط، وزارة الثقافة العراق، ١٩٧٧.
- ذكي المندرى، *الترغيب والترهيب من الحديث*، ف.ح: إبراهيم شمس، العلمية بيروت، ٢٠٠٣.
- زهير شفيق الكبي، *موسوعة خلفاء المسلمين*، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١٩٩٤.
- زين الدين العراقي، *شرح ألفي العراقي*، ت: محمد بن حسين علمية، بيروت ٢٠٠٨.

- زين المناوي، الكواكب الدرية في تراجم الصوفية، ت: محمد أديب، صادر بيروت، ١٩٩٩.
- سعيد بن حسن الأندلسبي، ديوان أبي مدين الغوث، أ: عبد القادر مسعود وأخرون، بيروت ٢٠١١.
- سلمة الصخاري، الإبانة في اللغة العربية، ت: عبد الكريم خليفة، التراث عمان، ١٩٩٩.
- سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ت: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤.
- سليمان بن أحمد الطبراني، معجم الأوسط، ت: طارق بن عوض، الحرمين القاهرة، ١٩٩١.
- سليمان الأشعث السجستاني، كتاب الزهد، ت: ياسر بن داود، مشكاة، مصر، ط ١٩٩٣.
- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: حسان بن منان، دار الرسالة بيروت، ٢٠٠١.
- شمس الدين القرطبي، تفسير القرآن، ت: أحمد الردوني وأخرون، دار المصرية ط ٢، ص ١٩٦٤.
- شهاب الدين السهروردي، عوارف المعرف، ت: عبد الحليم محمود، المعارف القاهرة، ب. ت.
- شهاب الدين بن ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ١٩٩٧.

- شهاب الدين الجنبي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: عبد القادر الأرناؤوط وآخرون، ابن كثير، بيروت، ١٩٨٨.
- صفوت عبد الفتاح محمود، المغني في معرفة رجال الصحيحين، عمار، الأردن، ط ١٩٨٧.
- صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، التراث، بيروت ط ٢٠٠٠.
- ضياء الدين القدسي، الأحاديث المختارة، ت: عبد الملك الله، حضر، بيروت ٢٠٠٠.
- عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث، دار المعرف، القاهرة، ١٩٨٥.
- عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ت: أحمد الشرباصي، الشعب القاهرة، ١٩٩٨.
- عبد الرحمن الجوزي، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، ت: عبد العزيز الصاعدي، مكتبة دلر السلام، بغداد، ١٩٩٣.
- عبد الرحمن بدوي، مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ٢٥ ١٩٧٧.
- عبد الرحمن حاتم التميمي، العلل، ت: سعد عبد الله، مكتبة الملك فهد، الرياض ٢٠٠٦.
- عبد الرحمن التميمي، الجرح والتعديل، ت: محمد السعيد، الكتب العلمية بيروت، ١٩٨٨.

- عبد الرحمن الحنبلي، بيان فضل علم السلف، ت: محمد ناصر،
الاصمعي، الرياض ١٤٠٦ هـ
- عبد الرحمن الحنبلي، رواع التفسير، دار العاصمة،، دار الفكر،
السعوية ٢٠٠١.
- عبد الرحمن الحنبلي، شرح صحيح البخاري، ت: محمود شعبان،
الغرياء، السعوية ١٩٩٦.
- عبد الرحمن بن علي الجوزي، تلبيس إيليس، دار القلم، لبنان، ٢٠٠١.
- عبد الرحمن الجوزي، غريب الحديث، ت: عبد المعطي أمين، الكتب
العلمية بيروت، ١٩٨٥.
- عبد الرحمن بن خلدون، شفاء السائل وتهذيب المسائل، ت: محمد
مطيع، الفكر بيروت، ١٩٩٦.
- عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ت: حبيب رحمان الأعظمي،
المجلس العلمي الهند، ١٤٠٣ هـ
- عبد الفتاح القاضي، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات، مكتبة
السوادي، جدة ١٩٩٢.
- عبد القادر الكيلاني، الغنية في طالبي الحق، ف.ح: صلاح بن محمد،
العلمية بيروت، ١٩٩٧.
- عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، دار الجنان، بيروت،
١٩٨٨.

- عبد الله بن أبي دنيا، الرقة والبكاء، ت: محمد خير، دار ابن حزم بيروت، ١٩٩٨.
- عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٧.
- عبد الله المربزبان، تصحیح الفصیح وشرحه، ت: محمد بدوي، مجلس الأعلى للشؤون الإسلامية قاهرة، ١٩٩٩.
- عبد الله العتيبي، المأخذ العقیدیة علی کتاب إحياء علوم الدين، الهدی النبوی السعودیة، ٢٠١٥.
- عبد الله الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ت: علي محمد، کتب العلمیة بيروت، ١٩٩٥.
- عبد الله مبارك المروزي، الزهد، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، کتب العلمیة بيروت، ٢٠٠٤.
- عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة، المصنف، ت: أسامة بن إبراهيم الفكر، القاهره، ١٩٩٤.
- عبد الله محمد المقدسي، الآداب الشرعية، ت: شعيب الأرناؤوط ، الرسالة بيروت، ١٩٩٩.
- عبد الواحد يحيى، مقالات رينيه جينو، تر: زينب عبد العزيز، دار الأنصار، مصر، ١٩٩٦.
- عبد الكريم محمد السمعاني، الأنساب، مكتبة ابن تيمية، ط١، القاهرة، ١٩٨٠.

- عبد الوهاب الشعراوي، الطبقات الكبرى المسئى لواحة الأنوار القدسية، ت: توفيق علي، الثقافة، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥.
- عبد النبي الفكري، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، كتب علمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- عثمان الشهري، طبقات فقهاء الشافعية، ت: محي الدين علي، الإسلام، بيروت، ١٩٩٢.
- عز الدين الجزري، اللباب في التهذيب، ت: قاسم محمد، المثنى، بغداد، ١٩٧٥.
- عصام الدين الصباطي، الأحاديث القدسية في الحديث، دار البيان، السعودية، ٢٠٠٨.
- عصام الشنطي، فهرست المخطوطات العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
- علاء الدين المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال، ت: صفوتو سقا، الرسالة، بيروت، ٢٠٠٨.
- علي المرسي، المخصص، ت: خليل جفال، إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٦.
- علي المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ت: عبد الحميد هنداوي، الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
- علي الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، العصرية، بيروت، ٢٠٠٥.

- علي بن جعفر علي السعدي الصقلي، كتاب الأفعال، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣.
- علي حسن الشافعي، تاريخ مدينة دمشق، ت: محب الدين العموري، الفكر، دمشق، ١٩٩٦.
- علي الأزدي، المنتخب من كلام العرب، ت: محمد العمري، إحياء التراث، السعودية، ١٩٨٩.
- علي محمد القارئ، مرقة المفاتيح، ت: جمال عيتاني، العلمية بيروت، ط ١١٠٠٠.
- علي كرم الجزار، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد، ابن حزم، بيروت، ٢٠١٢.
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- عمر الشافعي ابن ملقن، طبقات الأولياء، ت: نور الدين شربيه، مكتبة الخانجي، قاهرة، ١٩٩٤.
- عمر بن محمد النسفي، طلبة الطلبة، مطبعة المثنى، بغداد، ١٣١١هـ.
- عمرو الجاحظ، البيان والتبين، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٩٩٨.
- فريد الدين العطار النيسابوري، تذكرة الأولياء، ت: محمد جادر، الأندلس بيروت، ١٩٧٩.

- فواد سزكين، تاريخ التراث العربي، تر: محمود فتحي، إدارة الثقافة والنشر، الرياض، ١٩٩١.
- القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، ت: محمد خان، العثمانية، إسطنبول، ١٩٦٤.
- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة، ط٥، د.ت.
- كمال الدين الأنصاري، نزهة الألباء في الطبقات، ت: إبراهيم سامرائي . ١٩٨٥.
- مجد الدين مبارك الجزري، النهاية في غريب الحديث، ت: أحمد محمد الأوقاف، قطر، ١٤٠٧ هـ.
- مجد الدين محمد فيروز آبادي، القاموس المحيط، ت: التراث، دار الرسالة بيروت، ٢٠٠٥.
- محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ش: مصطفى ديب، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٢.
- محمد الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ مالك، ت: طه عبد الرؤوف الثقافة، قاهرة، ٢٠٠٣.
- محمد أحمد، الزاهري في غريب ألفاظ الشافعى، عبد المنعم طوعي، البشائر، بيروت، ١٩٩٨.
- محمد السفاريني، الألباب شرح منظومة الآداب، ت: محمد عبد العزيز الكتب، بيروت، ١٩٩٦.

- محمد أحمد السفاريني، لواح الأنوار السنوية، ت: عبد الله محمد، الرشد السعودية، ط١، ١٩٩٤.
- محمد أحمد الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث بيروت، ٢٠٠٢.
- محمد أحمد بطال، النظم المستعذب في تفسير غريب الفاظ مهذب، التجارية، سعودية، ١٩٩١.
- محمد بن إدريس الشافعي، الأُم، ت: رفعت فوزي، دار الوفاء مصر، ٢٠٠١.
- محمد بن إسحاق البغدادي، الفهرست، ت: إبراهيم رضوان، المعرفة بيروت، ١٩٩٧.
- محمد الكلابازى، التعرف لمذهب التصوف، ت: آرثر جون اربى، الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣.
- محمد بن أشرف آبادى، عون المعبد شرح سنن داود، كتب علمية، بيروت ط٢، ١٤١٥ هـ.
- محمد بن حبان السبى، الثقات، ت: محمد عبد المعيد خان، المعارف، الهند، ١٩٧٣.
- محمد بن حسن الأزدي، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، العلم للملائين، بيروت، ١٩٨٧.
- محمد بن خير الإشبيلي، الفهرست، ت: بشار عواد وآخرون، الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٩.

- محمد زيد ابن ماجه القزويني، السنن، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون
الرسالة، دمشق، ٢٠٠٩.
- محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ت: علي محمد عمر،
مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١.
- محمد بن سهل الكرخي، الألفاظ الكتابة والتعبير، ت: حامد صادق،
دار البشير، عمان، ١٩٩١.
- محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى، الإكمال في أسماء الرجال،
كتب العلمية بيروت، ٢٠٠٨.
- محمد بن علي الشوكاني، نيل الأطوار، بيت الأفكار، عمان ٤، ٢٠٠٤.
- محمد القاضي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ت: علي
دحروج لبنان، بيروت، ١٩٩٦.
- محمد الأصبهاني، المغيث في غريب القرآن، ت: عبد الكريم الغرياوي،
مدنی سعودیہ، ١٩٨٦.
- محمد بهاء الدين العاملي، الكشکول لخاتمة الأدباء، دار الكتب
العلمية، بيروت ١٩٩٨.
- محمد بن عيسى الترمذى، الجامع الصحيح، ت: أحمد محمود،
مكتبة الحلبي، دمشق، ١٩٧٨.
- محمد الأزدي، تفسير الغريب ما في الصحيحين، ت: زبيدة محمد،
مكتبة السنة، القاهرة، ١٩٩٥.

- محمد الأنباري، الزاهر في معاني كلام الناس، ت: حاتم صلاح، الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
- محمد بن محمد الزبيدي، تاج العروس جواهر القاموس، دار إحياء التراث بيروت، ١٩٨٤.
- محمد بن محمد الغزالى، إحياء علوم الدين، تج: الحافظ العراقي، ابن حزم بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- محمد بن محمد الغزالى، الدرة الفاخرة، ع.ع: موفق فوزي جبر، الحكمة دمشق، ط١، ١٩٩٥.
- محمد بن محمد الغزالى، المنقذ من الضلال، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٨.
- محمد بن محمد الغزالى، قانون التأويل، ع.ع: محمود بيجو، دار البيان دمشق، ١٩٩٣.
- محمد بن يزيد، كتاب الكامل، ت: محمد الدالى. مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥.
- محمد الأندلسى، تحفة الأريب بما في القرآن، ت: سمير مجنوب، الإسلامي السعودية، ١٩٨٣.
- محمد حسن جبل، المعجم المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، الآداب، القاهرة، ٢٠١٠.
- محمد الهندي، الرفع والتكميل في الجرح، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ابن تيمية القاهرة، د.ت.

- محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذى بشرح الترمذى، أ: عبد الرحمن محمد الفكر، مصر، ١٩٥٠.
- محمد عبد الكريم الشهري، الملل والنحل، ع: أحمد فهمى، دار الكتب بيروت، ط٩، ١٩٩٦.
- محمد عبد الله النيسابورى، المستدرک على الصحيحين، ت: مصطفى عبد بيروت، ١٩٩٠.
- محمد عميم البركتى، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، باكستان، ٢٠٠٣.
- محمود بن أحمد الحنفى، نخب الأفكار، ت: ياسر بن إبراهيم، الأوقاف الإسلامية، قطر، ٢٠٠٨.
- محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٣.
- محمود بن عمرو الزمخشري، أساس البلاغة، ت: محمد باسل، الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
- محمود بن عمرو الزمخشري، تفسير الكاشف، ع: خليل مأمون، المعرفة، بيروت، ٢٠٠٣.
- محي الدين شرف النووى، تهذيب الأسماء واللغات، دار كتب العلمية بيروت، ١٩٦٥.
- مسلم بن حجاج القشيري، صحيح مسلم، ت: محمد فواد، دار إحياء الكتب القاهرة، ١٩٤٥.

- مصطفى عبد الله جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ت: محمد شرف، التراث، بيروت، ١٩٤١.
- نشوان بن سعد الحموي، شمس العلوم ودواء الكلام، ت: حسين لعمري الفكر، بيروت، ١٩٩٩.
- نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ت: حسين سليم أسد، المأمون، بيروت، ٢٠٠٩.
- هشام بن محمد الكلبي، جمهرة النسب، ت: ناجي حسن، المهمة العربية بيروت، ط١، ١٩٨١.
- وكيع بن جراح، الزهد، ف.ح: عبد الرحمن عبد الجبار، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٢ هـ.
- يحيى بن زكريا النووي، شرح النووي على مسلم، ش: علي عبد الحميد السلام، القاهرة ١٩٩٦.
- يحيى بن شرف النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ابن حزم، بيروت ١٩٩٦.
- يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي، ت: محمد عبد، دار، الفكر القاهرة، ١٩٥٠.
- يعقوب بن إسحاق، الألفاظ، ت: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٨.
- اليمان بن أبي اليمان، التقفية في اللغة، ت: خليل إبراهيم، بغداد، ١٩٧٦.

محتوى الكتاب

٧	هذا الكتاب.....
١١	قائمة الإشارات والاختصارات.....
١٥	صور من مخطوطة مكتبة السليمانية.....
١٧	صور ووصلات شراء نسخ المخطوطة.....
١٩	صور من مخطوطة مكتبة الأزهر.....
٢٣	المقدمة.....
٣٩	تفاصيل الكتاب.....
	سيرة الإمام المحاسبي:.....
٤٣	اسميه وموالده وحياته ووفاته.....
٥٢	شيوخه وتلاميذه.....
٦٢	ثناء أهل العلم عليه.....
٦٨	فکر المحاسبي في علم الكلام.....
	مؤلفاته:.....
٧٧	الكتب المحققة من المستشرين.....
٨٢	الكتب المحققة من العرب.....
٩٢	المخطوطات غير المحققة والمفقودة.....

٩٩.....	وصف المخطوطات
١٠٣.....	وصف تفاصيل مخطوطة الأصل
١٠٥.....	وصف تفاصيل مخطوطة الأزهر
١٠٧.....	منهج التحقيق والمقابلة
١١٣.....	ملخص المسائل
١٢٣.....	صورة من خلاف كتاب أعمال القلوب والجوراح نسخة الأصل
١٢٥.....	التحقيق
٣١٣.....	الخاتمة
٣١٧.....	مصادر الكتاب
٣٣٧.....	محتوى الكتاب